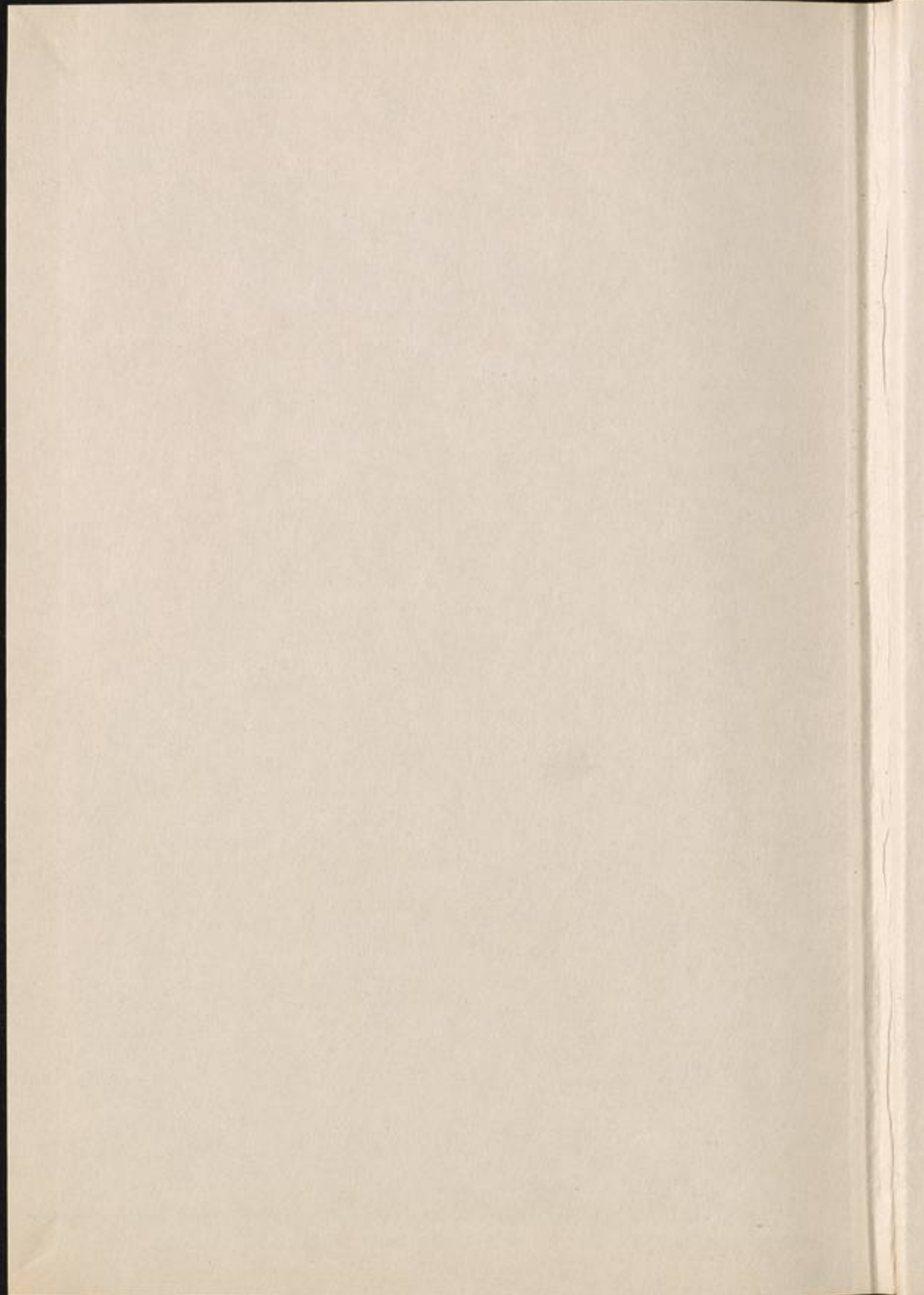
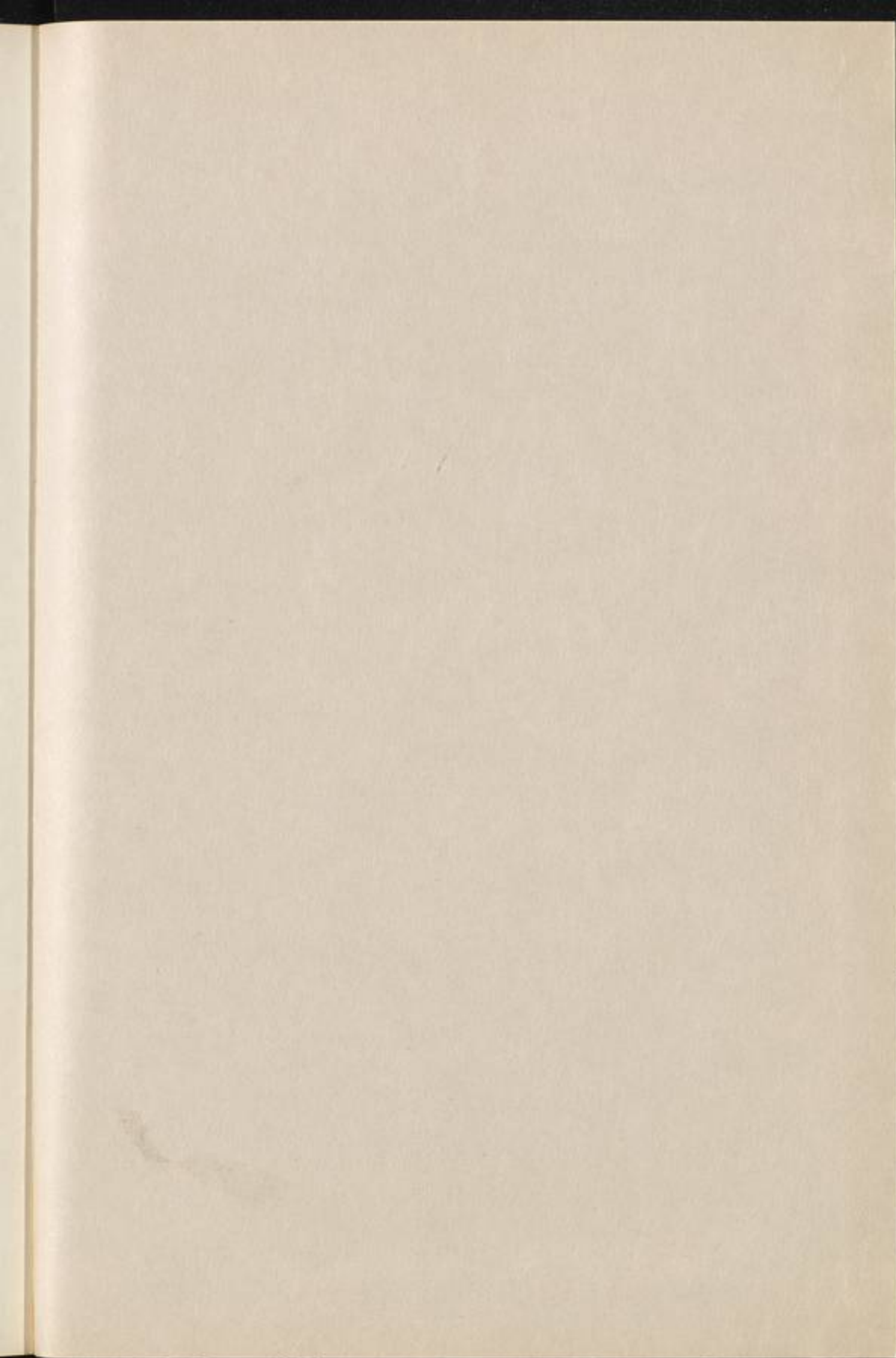


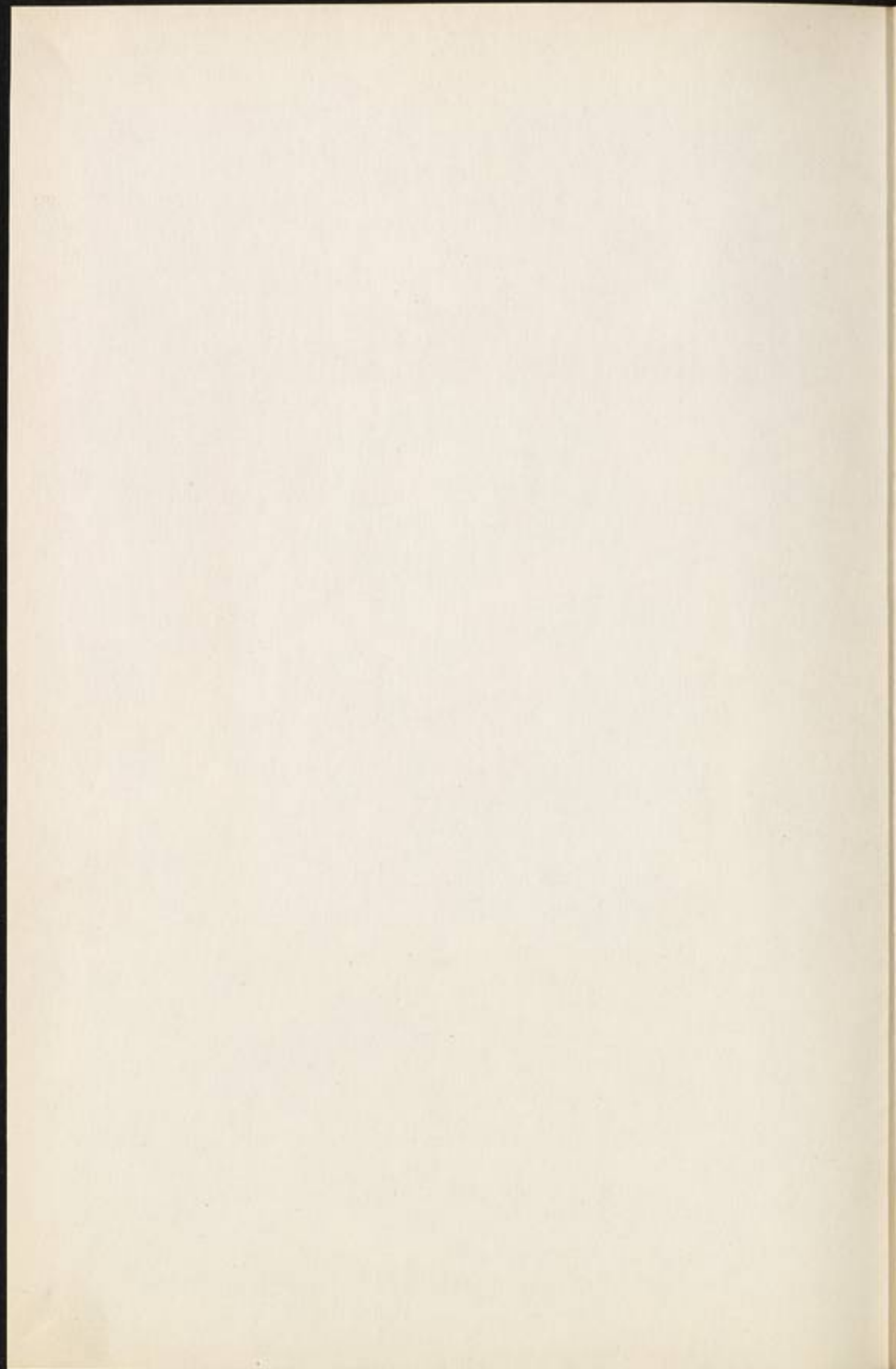


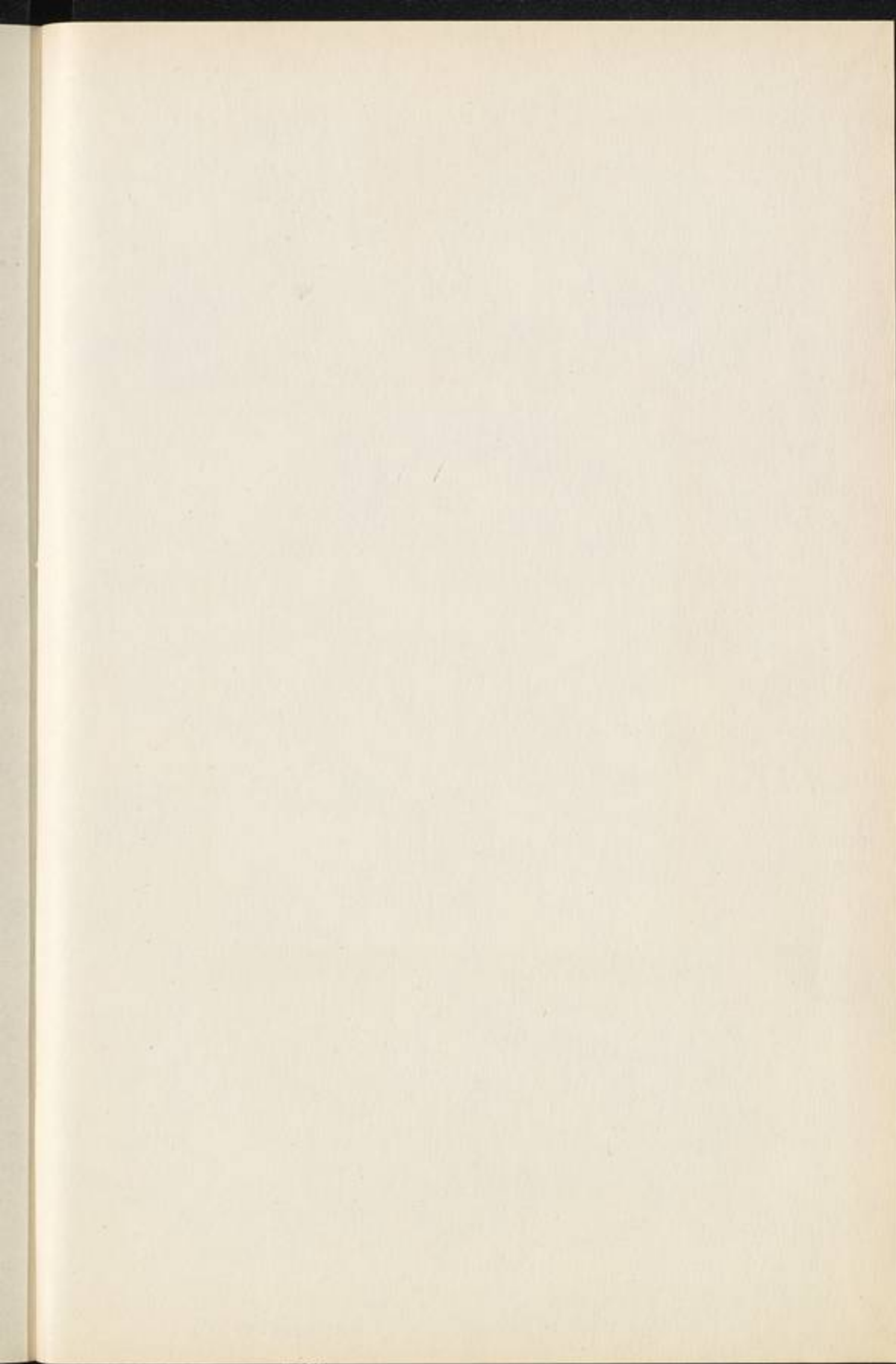
THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY











# المعجب

في تلخيص أخبار المغرب

[ من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ]

[ مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب ]

تأليف

عبد الواحد المراكشي

ضبطه وصححه وعلق حواشيه وأنشأ مقدمته

محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

سابع فبراير سنة ١٣٢٠

893.7A-31  
R423

[ الطبعة الأولى ]

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

---

حقوق الطبع محفوظة

---

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى: ريشة محمد علي بمصر

لعاصمها: مصطفى محمد

٥٥٥-١٦١١



# مقدمة

بقلم

محمد سعيد العريان

هذا كتاب أدب وتاريخ ، أَلَفَه مؤلفه مَدْعُوًّا إليه ، في الرُّبْعِ الأوَّلِ من القرن السابع الهجرى ، ليكون تعريفاً لأهل المشرق بأحوال المغرب ؛ لِحُجَاة تعريفاً شافياً وافياً بما أراد مؤلفه والمؤلف له ؛ وقد مات مؤلفه وانطوى تاريخه منذ قرون ، فليس لنا من أسباب العلم به والكشف عن ذاته وصفاته ونسبه وأدبه إلا اللبحة الضئيلة الخافتة التي تلعب من ثنايا كتابه ؛ ومات السيد الكريم الذى أُلِّفَ من أجله الكتاب كذلك ، فلنا نعرف اسمه ولا رسمه ولا موطنه ولا صلته بأحداث عصره ؛ إلا ما يترامى لنا من ذلك فى ثنايا الكتاب كذلك ، على سبيل الحدس والتخمين لا على وجه القطع واليقين ؛ مات المؤلف والمؤلف له ، وانطوى تاريخهما فى مَدْرَجَةِ الإهمال أو فى مَدْرَجَةِ النسيان ؛ ولكن الكتاب بقى تتوارثه الاجيال خلفاً عن سلف حتى انتهى إلينا ، ليعرفنا التعريف الشافى الوافى بأحوال المغرب العربى منذ كان للمغرب العربى دولة ، إلى السنة الحادية والعشرين من القرن السابع الهجرى . . .

أما الحدود الجغرافية لهذا المغرب كما يصفه مؤلف هذا الكتاب ، فتتسع وتنبسط حتى تشمل شبه جزيرة إيبيريا ، من جبال البرانس إلى المحيط

الأطلسي، بما تضم من دول ومدائن؛ ثم ما يلي بلاد الأندلس جنوباً على الشاطئ الأفريقي، من مراکش، إلى الجزائر، إلى تونس... إلى حدود مصر الغربية؛ إذ كانت هذه المساحة المنبسطة في عرف كثير من المؤرخين القدماء، هي المغرب.

وأما الأحوال التي يصفها مؤلف الكتاب في الكتاب من أحوال هذا المغرب الكبير، فليست هي تاريخه السياسي وما تعاقب على عرشه، أو عروش، من ملوك وأمراء فحسب؛ وليست هي كذلك تاريخه الأدبي والعلوي وما ازدهر فيه من ألوان الأدب وفنون المعرفة ومن اشتهر به من أمراء البيان وقادة الفكر؛ وليست هي الخصائص الاجتماعية والصفات النفسية لمن يتسبون إليه ويدرجون على ظهره من أمراء وسوقة ومن ملوك ورعية؛ وليست هي طبيعة أرضه وسمائه، وخصبه وجدبه، وجناته وقفاره، ومناجه وأنهاره... ولكنها كل ذلك وغير ذلك من أحوال المغرب؛ فهو كتاب يصف التاريخ السياسي لذلك المغرب الكبير في تلك الحقبة وصفا شافيا وافيا في إيجاز وبلاغة، كما يصف تاريخه الأدبي والعلوي في براعة وفق، ولا يغفل إلى جانب ذلك أن يتحدث عن طبيعة المكان والسكان، ماتراه العين من ذلك وما هو من إحساس النفس ومض العاطفة والشعور...

وقد أَلَّف المؤلف كتابه هذا قبل أن يخلع إهاب الشباب؛ فقد كان يوم أَلَّفه في الأربعين من عمره، وهي آخر نضج الشباب وأول حكمة المشيب؛ أَلَّفه ليذكر به وطنه وهو بعيد عن وطنه، قد فارقه منذ بضع سنين غير أمل — فيما يبدو — أن يعود إليه؛ فجاء صورة من الشعور إلى صور من الذكريات تفيض بها نفس جيَّاشة بالحنين؛ فهو إذن كتاب أدب وفق؛

وهو كتاب تاريخ وسياسة : وهو إلى هذا وذاك تقويم جغرافي ، اقتصادي ، اجتماعي ، لذلك المغرب الكبير في تلك الحقبة الزاهرة من تاريخه .

° ° °

ولست أزعم أن لي أهلية الحكم على الكتاب من حيث قيمته بين المراجع التاريخية ، فلست بين أهل ذلك الفن بالمنزلة التي تؤهلني للحكم ؛ ولكني إلى ذلك أستطيع أن أؤكد — بما أتيسح لي من أسباب الاطلاع والبحث — أنه كتاب فريد بين كتب التاريخ في موضوعه ؛ وموضوعه الاصيل — فيما أرى — هو تاريخ دولة الموحدين ؛ فهو يصف تاريخها وصف عيان ومشاهدة على نحو لم يشارك مؤلفه فيه أحد ممن دونوا تاريخ تلك الدولة ؛ وإن القارئ الخبير بألوان التعبير ليتبين روح الصدق في كل ما يرويه المؤلف في كتابه من خبر وما يصف من حادثة وما يرى من رأى أيضا ، برغم صواب ذلك الرأى أو خطئه . وبعضُ الخطأ في الرأى نوعٌ من صدق الرأى !

أما ما قبل تاريخ الموحدين مما أورده مؤلف الكتاب ، فهو تلخيص دقيق متقن لروايات في تاريخ المغرب سبقه إلى تدوينها مؤرخون قدماء روى عنهم موجزاً أو مسهباً ، على أسلوبهم في الرواية أو على أسلوبه في السرد والتسلسل والانسجام ، فانهى إلينا عليهم بالتاريخ — عن طريقه — قبل أن ينحدر الزمن بذلك التاريخ إلى وادي النسيان ؛ ولكنه في أى أحواله : واصفاً أو راوياً ، لم يخرج عن الإطار العام الذي اختاره لموضوعه أو اختيار له ؛ فكان كتابه — كما أراد — أوفى كتاب أدبي في تاريخ المغرب لمن يريد أن يعرف موجزاً من تاريخ المغرب إلى أواخر الربع الأول من القرن السابع الهجرى . . .

فهو إذن مرجع أصيل من مراجع التاريخ عن دولة الموحدين لا يمكن أن

(\*)

يستغنى عنه باحث في تاريخ تلك الحقبة من تاريخ المغرب ، وهو إلى ذلك موجز من روايات شتى عن تاريخ المغرب قبل دولة الموحدين قد ضاعت مصادره فصار بذلك كذلك أصلاً من أصول تاريخ المغرب قبل دولة الموحدين ؛ وهو إلى هذا وذاك كتابٌ أديبٍ مغربي لم يكن تدوين التاريخ فنّه الاصيل ، ولكنه تطلب إليه - في غربته - أن يصف تاريخ بلاده في كتاب ، فزوّج بين الأدب والتاريخ في ذلك الكتاب !

إن له فيما يسرد من التاريخ وما يصف من حال البلاد ، أسلوبَ الأديب المطبوع وإن لم يُذكر له اسم بين أدباء المغرب ولا أدباء المشرق ؛ وإنه ليخيّل إلى - من طول ما تصفحتُ من أساليب الكتاب وأصحاب البيان ، ومن طول ما عالجت من فنون الكتابة - أن ذلك الكتاب ليس هو أول ما أنشأ المؤلف من فصول وما حبر من صحائف ؛ بل ، قد لا يكون له قبل هذا الكتاب كتاب ؛ ولكنني أكاد أجزم أنه كتب كثيراً وعالج من الكتابة فنونا شتى قبل أن يعالج إنشاء هذه الفصول التي ضمّنها هذا الكتاب ، وأحسبه كان من كتاب الإنشاء في بلاط بعض أمراء الموحدين قبل أن تقذف به النوى إلى المشرق ليؤلف هذا الكتاب . . .

وإذا صحَّ حدسي هذا فإنه يلقي بصيصاً من الضوء على التاريخ الغامض لهذا الأديب المجهول ، الذي فارق وطنه في ظروف غامضة وهو لم يزل بعاً في الثانية والثلاثين من عمره ، ثم لم يُعدّ إليه إلا اسماً على غلاف كتابٍ ألّفه في غربته النائية ، الباقية على مرّ القرون . . .

\* \* \*

إنه أديب غريب ، ومؤرخ ليس له تاريخ !  
أول ما نعرف على وجه اليقين من أخباره ، أنه مؤلف هذا الكتاب ،

وأن اسمه عبد الواحد بن علي ، ينتسب إلى تميم ، ويلقب « محبي الدين » ، وأصله من مراکش ؛ كذلك وُجد اسمه على غلاف كتابه . . .

أما تاريخ حياته ، وكيف عاش ، وأين قضى ، ومتى ، ولمن ألف كتابه ذلك ، وأين — فشكل ذلك مجهول ، لاسيما إلى العلم به إلا كتمحاً خاطفاً ، أو حدساً واستنتاجاً ، من خلال عبارات متناثرة بين أول هذا الكتاب وآخره . . .

إن ذلك الكتاب هو تاريخ المغرب الكبير إلى أواخر الربع الأول من القرن السابع الهجري ، وهو أيضاً تاريخ الأديب المغربي المجهول « عبد الواحد المراكشي » ، لا مرجع لتاريخه غيره . . .

فمنه نعرف أنه ولد في مراکش في السابع من ربيع الثاني سنة ٥٨١ في بدء حكم أبي يوسف المنصور الموحدى (١) .

وأنه غادر مراکش وهو في التاسعة إلى فاس ، حيث قرأ القرآن وجوّده وأذن له في روايته ؛ ثم عاد إلى مراکش ؛ ولكنه لم يقطع صلته بفاس ، فلم يزل يتردد بين الحاضرتين سنين (١) .

وأنه كان في فاس سنة ٥٩٥ وسنه إذ ذاك أربع عشرة سنة ، وفيها التقى بالعالم الطبيعي العظيم أبي بكر بن زهر ، وكان بينهما حديث ومسامرة ، وابن زهر يومئذ في الثمانين أو جاوزها (٢) .

وأنه عبر إلى الأندلس حين بلغ الثانية والعشرين ، حيث التقى بجماعة من أهل الفضل لهم ذكر وصيت (١) ، وحيث اتصل سبيه بالأمير أبي إسحاق بن

(١) انظر من ٣٦٠

(٢) د د ٨٨

أبي يوسف المنصور الموحدى ، وكان يومئذ حاكماً لأشيلية ، من قبل أخيه محمد الناصر سلطان الموحدين لذلك العهد ، فصفا بينهما الود وتوثقت أواصر المحبة (١) .

وأنه نزع إلى قرطبة في العام التالى حيث لزم حلقة شيخه وأستاذه أبي جعفر الحميرى سنتين يتأدب بأدبه ويروى عنه (٢) .

وأنه عاد إلى مراکش في سنة ٦١٠ وشهد بيعة السلطان يوسف الثانى في الرابع عشر من شعبان (٣) .

وأنه قد أتيج له بعد ذلك بيضعة أشهر ، وهو لم يزل بعد شاباً فى الثلاثين ، أن يخلو إلى السلطان يوسف هذا ، فيحدثه ويستمع إلى حديثه (٤) .

وأنه لم يطب له المقام بعد ذلك طويلاً فى المغرب ، فعبر البحر ثانية إلى الأندلس (٥) ، ليقم فى كنف صفيّه الأمير أبى إسحاق حاكم أشيلية ، وعمّ السلطان يوسف الثانى ؛ فيتصل بينهما الود حتى يقول له الأمير مرة بعد مرة : « والله إنى لأشتافك إذا غبت عنى أشد الشوق وأصدق . . . » (٦) .

وأنه فى آخر يوم من سنة ٦١٣ ، وعمره يومئذ اثنتان وثلاثون سنة ، ودّع صاحبه ، ودّع المغرب والأندلس جميعاً (٦) لأسباب غير معلومة ، فركب البحر المائج متجهاً إلى الشرق ، إلى مصر وما وراء مصر من بلاد

(١) انظر ص ٣٠٨

(٢) د د د ٣٠٠ — ٣٠٤

(٣) د د د ٣٢٦

(٤) د د د ٣٢٨

(٥) د د د ٢٣٤

(٦) د د د ٣٠٩

المشرق؛ ثم لم يُعد... (١)

وأنه قد انقطع عن المغرب منذ ذلك التاريخ، لأنه أنشأ لنفسه حياة جديدة في المشرق؛ ولكنها حياة قلقة مضطربة، كلها حنين وشكوى وضيق، ودهموم تزدحم على الخاطر، وغموم تستغرق الفكر، (٢)

وأنه قضى في مصر سنين (٣)، ثم غادرها إلى الحجاز (٤)، ثم غادر الحجاز إلى غيره من بلاد المشرق، إلى الشام، أو إلى بغداد، تائها في بيداء من الهموم، والغموم، والحنين الدائم، والقلق المؤرق.

وأنه لقي في أثناء تجواله ببلاد المشرق وزيراً من خاصة أمير المؤمنين الناصر لدين الله العباسي، فأضفى عليه من عطفه، وأصفاه ودّه، ولطف به؛ وتوالى عليه نعمه، وبأخذ بضبعه من حضيض الفقر والخمول اعتناؤه وكرمه (٥)، فيسأله ذلك الوزير بحق ما بينهما من الإحسان والحب، أن يملي له أوراقاً تشتمل على بعض أخبار المغرب، وهيئته، وحدود أقطاره، وشيء عن سير ملوكه، وخصوصاً ملوك المصامدة بنى عبد المؤمن، من لدن ابتداء دولتهم... (٥) - فيملي عبد الواحد كتاب المعجب هذا، ويكون فراغه من إملائه يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٦٢١... (٦)

ثم تنتهى أخبار عبد الواحد، فلا يعود إلى المغرب، ولا يذكره أحد

(١) انظر ص ٢٦٣

(٢) د د ٤

(٣) د د ٣٢٩

(٤) د د ١٤

(٥) د د ٣

(٦) د د ٣٧٦

في المغرب ؛ ويموت ، فلا يذكره ذاكر في مراکش ، ولا في فاس ، ولا في أشيلية ، ولا في قرطبة ؛ وكان له أهل ودار في مراکش ، ومسعى إلى قصر سلطان الموحدين في فاس ، وأشواق مشبوبة بينه وبين عم السلطان في أشيلية ، وذكر على ألسنة الكثير من أهل العلم والأدب في قرطبة . . .

ذلك هو عبد الواحد المراكشي كما تحدث عن نفسه في كتابه « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ، فإذا كان في حياته وبين أهله ، وأين كان موضعه من الحياة العامة في بلاده ؟ .

هذا سؤال لم يجب عنه أحد بعد ، لأن عبد الواحد لم يخلف من ذكراه غير هذا الكتاب ؛ ولكنني مع ذلك أزعم أنني أستطيع جواباً ، وإن لم يكن بين يدي من مصادر العلم غير هذا الكتاب . . .

إن عبد الواحد المراكشي لم يكن نكرة في قومه ، ولم يكن نكرة عند نفسه ؛ وإن في هذا الكتاب الذي خلفه عبد الواحد تاريخاً لبلاده وتاريخاً لنفسه ، أمارات صريحة الدلالة على أرومته ومكانته من قومه وموضعه من الحياة العامة في بلاده . . .

إن قتي من مراکش ، يتاح له في الرابعة عشرة من عمره أن يرحل إلى فاس ليتخذ مجلساً في حضرة العالم الطبيب أبي بكر بن زهر يتحدث إليه ويسمع منه ويتسب له ويذكر أباه وأهله . . . (١)

. . . ويتاح له وهو في الثانية والعشرين أن يكسب صداقة أمير أشيلية ، وهو أمير من أمجد أمراء الموحدين ، كان أبوه أمير المؤمنين المنصور ، وأخوه



لم يرزل أمير المؤمنين الناصر (١) ...

... ويتاح له وهو شاب لم يبلغ الثلاثين أن يخلو إلى السلطان أبي يعقوب الثاني يتحدث إليه ويسمع منه ، وهو من هو صرامةً وحنفاً وقوة (٢) ...  
... إن قتي يتاح له كل ذلك مما ذكر في كتابه ، ونحو ذلك مما لم يذكر ، لا يمكن أن يكون قتي من سواد الناس .

وهنا يقتضيني التحقيق أن أقف هنيهة عند بعض عبارات أوردها المراكشي في كتابه ، تلقى ضوءاً قوياً على بعض الغموض الذي يكتنف حياته وأسباب رحلته النائية إلى المشرق ؛ أما أولها فهي تعليقه على كتاب وصل إليه من صديق له من أبناء الولاية في « سوس » سنة ٥٩٧ — وكانت سن المراكشي يومذاك ست عشرة سنة — يصف فيه موقعة بين جيش الناصر ابن أبي يوسف وثائرٍ من جزولة كان قد شق عصا الطاعة ، فيتعجب المراكشي من وصول نبأ هذه الموقعة إليه من صديقه « قبل وصوله إلى من جهة كتاب الموحدين المتولين له ... » (٣) .

وعبارة أخرى ، هي قوله عند الحديث عن الأمير أبي إسحاق إبراهيم من أولاد السلطان أبي يوسف المنصور « وهو خير ولده وأجدرهم بالامر لو كانت الامور جارية على إيثار الحق وأطراح الهوى » (٤) .

وعبارة ثالثة ، هي قوله عند الحديث عن الوزير أبي عبد الله الحسنى :

---

(١) انظر ص ٣٠٨ — ٣٠٩

(٢) « » « ٣٢٨ »

(٣) « » « ٣١٦ »

(٤) « » « ٣٠٨ »

« سمعته يقول وأنا عنده في بيته : جملة ما وصل إلى من أمير المؤمنين  
أبي يوسف . . . الخ (١) . »

وعبارة أهم من كل ذلك ، هي قوله عند الحديث عن الأمير يحيى من  
أولاد السلطان أبي يعقوب بن عبد المؤمن : « كان يحيى هذا ، رحمه الله ،  
لى صديقاً ، ومن جهته تلقيت أكثر أخبارهم ؛ لم أر في الملوك ولا في السوق  
مثله ، رحمه الله عليه ؛ وما استجزت لفظه الصداقة ، مع أن الواجب لفظ  
الخدمة ، إلا لما كان رحمه الله يكتب إلى : أخي ، وصديقي في بعض الأوقات ،  
ووليّتي في بعضها . اجتمعت عندي بخظه رفاع كثيرة خلع علىّ فيها من فضله  
وحلاّتي بما لم أكن أستحقّه . . . » (٢) .

فما دلالة هذه العبارات جميعاً ؟

أليست أولاهما دليلاً على أن عبد الواحد كان — وهو لم يزل في السادسة  
عشرة — أهلاً لأن يتلقى كل أبناء الفتوح أو بعضها « من جهة كتاب  
الموحدين المتولين له » ؟

وهل يكون للعبارة الثانية دلالة غير أن عبد الواحد كان يرى أن ولاية  
الناصر عرش الموحدين دون أخيه أبي إسحاق كانت أمراً يقوم على أطراح  
الحق وإيثار الهوى ؟

وعلام تدل العبارتان الأخيرتان ، ومن يكون عبد الواحد حتى يتحدث  
إليه الوزراء في بيوتهم عما وصل إليهم من صلوات الملوك ، وحتى يصطفيه أبناء  
السلطين ويتولّوه بالإحسان والمهرة ، ويفضوا إليه بأسرار الدولة ، ويكتبوا

(١) انظر ص ٣١٢

(٢) « » ٢٤٥

إليه الرقاع إذا غاب ؟ . . .

ثم نعود إلى ما بدأنا ففسأل كرة أخرى : فيم كانت هجرة عبد الواحد إلى المشرق ، تلك الرحلة التي بدأت من أشبيلية حيث كان يعيش في كنف الأمير أبي إسحاق في موضع الإعزاز والكرامة ، والتي انتهت به إلى شكوى الفقر والاختلال والمهوم والغموم والأحزان ؟

لغير الحج ولا شك كانت رحلته تلك ، ولغير طلب العلم أيضا ؛ فلو أنها كانت للحج لما تأخر عن أداء الفريضة من سنة ٦١٣ - وهي السنة التي بدأ فيها رحلته - إلى سنة ٦٢٠ - وهي السنة التي حج فيها ؛ ولو أنها كانت للعلم لسمعنا من روايته وقرآنا من خبره في مساند الحديث ما يشير إلى بعض ما حصله من العلم في السنين السبع أو الثمان التي قضها في المشرق منذ غادر الأندلس إلى أن أملى كتاب المعجب ؛ وإذن فإن رحلته لم تكن للحج والزيارة ، ولا للعلم والرواية ، ولكنها كانت لسبب آخر يتصل من قريب أو من بعيد بتطورات السياسة المغربية في تلك السنين ؛ فقد عرفنا عرفانا لا يتطرق إليه الشك أن عبد الواحد كان ينتمى في المغرب إلى أسرة عربية مجيدة يباهى بالانتساب إليها (١) .

وأن أمرته هذه كانت من الغنى والجاه بحيث أتيح له في سن مبكرة أن يروى أقطار المغرب في العُدوتين ذهابا وجيئة مرات عدة (٢) .

وأنه كان أهلا لأن يتلقى أبناء الفتوح في إلبانها من جهة كتاب الموحدين المتولين لذلك الأمر (٣) .

(١) انظر حديثه مع ابن زهر من ٨٨ - ٩٢

(٢) انظر ما اقتبسنا من تلخيص حياته في ص ح من هذه المقدمة .

(٣) انظر ص ١١٦

وأنه كان يشهد ببيعة السلطان (١) ، ويتاح له أن يخلو إليه (٢) ، ويتخذ من ولده صديقاً يأنس إليهم ويتلقى عنهم أخبار القصر مشافهة أو في رقاع مكتوبة (٣) .

وأنه كان صاحب رأى في سياسة الدولة يتيح له أن يقول في سير أو في علانية : إن ذلك الأمير كان أحق بعرش الموحدين من ذلك الأمير وأنه أكفأ له وأنهض بأعبائه (٤) .

عرفنا ذلك كله عرفان اليقين ، وعرفنا معه أن عرش الموحدين في تلك الحقبة من حياة عبد الواحد المراكشي كانت تتنازع أسباب الانتقاض والفتنة ، ففي كل بلد ثائر من بني عبد المؤمن أو من زعماء البربر ورؤساء القبائل أو من قادة الجند يحاول أن يستأثر بالحكم فيما يليه من البلاد ، فما تزال السرايا ذاهبة آية لتأديب العصاة والثائرين ، وما تزال الطير تأكل من الرؤس المعلقة على أبواب مراكش وفاس .

وقد كان الخليفة على عرش الموحدين فترة من ذلك العهد هو السلطان محمد الناصر ، ابن السلطان أبي يوسف المنصور ، وأخو الأمير أبي إسحاق إبراهيم حاكم أشبيلية وصديق المراكشي ؛ ثم ولي ذلك العرش من بعده ولده أبو يعقوب الثاني ، وكان عبد الواحد من شهود بيعته ؛ وعمه أبو إسحاق لم يزل حاكماً على أشبيلية (٥) ، وهو الذي يصفه عبد الواحد فيقول إنه خير أبناء المنصور

(١) انظر من ٣٢٦

(٢) » » ٣٢٨

(٣) » » ٢٤٥ و ٣٠٨ - ٣٠٩

(٤) » » ٣٠٨

(٥) كانت ولاية الناصر محمد في سنة ٥٩٥ ، وظل على العرش إلى أن مات في سنة ٦١٠ ، ثم ولي العرش من بعده ولده أبو يعقوب ، فأقام على العرش إلى ما بعد هجرة عبد الواحد من المغرب بستين ذات عدد

وأجدرهم بالأمر ، لو كانت الامور جارية على إينار الحق وأطراح الهوى ، .  
وكان الأمير أبو إسحاق هذا قد وزر لآخيه الناصر فترة (١) ، ثم خُلع  
عن الوزارة وأُبعد ثانية إلى أشبيلية ، ومن أصفياته هنالك عبد الواحد . . .  
. . . ثم نرى عبد الواحد يودع صديقه أمير أشبيلية وداعاً لا لقاء بعده ،  
ليسبح إلى المشرق ، متنقلاً بين بلاده في هم وغم واضطراب وقلق وفقر وحاجة ...  
فمن ذا يزعم بعد ذلك أن عبد الواحد قد مضى في هذه الرحلة مختاراً ليخلف  
ما كان فيه من الجاه والنعيم إلى الفقر والقلق واضطراب العيش ؟

لم يهجر عبد الواحد بلاده إذن مختاراً كما كان يهجر المغاربة بلادهم في تلك  
السنين للحج أو لطلب العلم ، وإنما هجرها مكرها لسبب من تلك الاسباب  
السياسية الكثيرة التي يُبعد لمثلها الزعماء وأهل الرأي عن بلادهم في أيام  
الجور والطغيان . . .

وفي ذلك المنفى الذي أُجئ إليه بلا إرادة ، أنشأ كتابه « المعجب » ؛  
استجابة لدعاء الوزير العباسي الذي أصفاه وده وأغدق عليه إحسانه ، واستجابة  
في الوقت نفسه لتلك العاطفة التي كانت تدفع صدره شوقاً إلى بلاده وحنيناً  
إلى صحابته هناك وأهله . . . وليس مثل اجترار الذكريات دواءً من داء الحنين  
إلى الأهل والوطن !

\*\*\*

وقد قدمت في صدر هذا البحث موجزاً في وصف ذلك الكتاب فلا أعود  
إليه ؛ وإني لأرجو أن يصف الكتابُ نفسه لقرائه أبلغ مما أستطيع  
أن أصف ؛ ولكني لا أرى مندوحة من الإشارة إلى الحظ التعس الذي  
صاحب مؤلفه حياً وميتاً ؛ ذلك الحظ الذي حرّم قراءة العربية وعلما التاريخ

إلى اليوم - وقد يكون إلى الأبد - من الانتفاع بنسخة كاملة من كتابه « المعجب  
في تلخيص أخبار المغرب » ؛ فكما اندثر ذكر مؤلفه المراكشي في بلاده وفي  
بلاد هجرته منذ قرون عدّة ، اندثر كذلك كتابه ، فليس منه اليوم - فيما نعلم -  
إلا مخطوطة واحدة غير كاملة في مكتبة ليدن ، وأحسبها قد جُلبت من المشرق :  
الشام أو العراق ؛ وعن هذه المخطوطة أخرج العلامة دوزي الطبعة الأولى من  
هذا الكتاب في سنة ١٨٤٧ منذ أكثر من مائة عام ، ثم طُبع بعد ذلك في مصر  
بلا تحقيق طبعتين نقلا عن طبعة دوزي باسم « تاريخ الأندلس » ، ثم طبعه دوزي  
طبعة ثانية لم تصل إلّى ؛ وعن هذه الطبعة أو عن الطبعة الأولى - لا أدري -  
أخرجته شركة النشر المغربية بفاس سنة ١٩٣٨ بتحقيق الاستاذ محمد القاسمي  
المراكشي ، ثم كانت هذه الطبعة . . .

° ° °

قلت إن المخطوطة الفريدة من هذا الكتاب ، والمحافظة في مكتبة ليدن ،  
غير كاملة ؛ ذلك لأن كراسة تضم عشرين ورقة منها قد فقدت ؛ ويشير تسلسل  
التاريخ إلى أن هذه الكراسة كانت تتضمن الحديث عن تمة تاريخ الحكم بن  
هشام ومن وليه من أمراء بني أمية بالأندلس إلى عهد الحكم المستنصر ، وقد  
كانت ولاية الحكم بن هشام في صفر سنة ١٨٠ ، وكانت ولاية الحكم المستنصر  
في رمضان سنة ٣٥٠ ، فبين الحكّمين نحو مائة وسبعين سنة ، تضمنت تاريخها  
تلك الصفحات العشرون المفقودة .

ومن الواضح أن عشرين صفحة لا يمكن أن تصف تاريخ مائة وسبعين  
سنة إلا على سبيل الإيجاز والسرّد بحيث لا يكون ضياعها أمراً ذا بال إلا من  
حيث القيمة الفنية لمخطوطة نادرة كهذه المخطوطة ولكننا مع ذلك لم نقطع  
الإمل في تكميل هذا النقص بكل وسيلة ممكنة .

ولما كانت هذه الفترة من تاريخ المغرب ، أو من تاريخ الأندلس ، تسبق مولد المؤلف بقرون عدة ، فإن من المؤكد أنه لم يكن مصدراً أصيلاً فيما يروى من أخبارها ، وإنما نقل عن غيره ممن سبق من أهل التاريخ ؛ وإذن فقد كان علينا لتسكلم هذا النقص أن نبحت عن المصادر الاصيلة التي اقتبس عنها المراكشي مارواه من تاريخ تلك الحقبة ؛ وقد أثبت لنا البحث أن المرجع الذي كان المؤلف يعول عليه كل التعويل فيما ينقل من تاريخ أمراء بني أمية بالأندلس ، هو كتاب « جذوة المقتبس » لأبي نصر الحميدى المتوفى سنة ٤٨٨ . وتوجد منه مخطوطة فريدة في أكسفورد ، يمكن استنساخها أو تصويرها للاستعانة بها على تسكلم ذلك النقص . . .

على أننا حين التمسنا أسباب الحصول على صورة من كتاب جذوة المقتبس لم يتيسر لنا ذلك في يسر وسرعة ؛ فلم نر بأساً من الاستعانة بغيره من مراجع التاريخ المعاصرة ريثما تيسر تلك الأسباب ؛ فأثبتنا في موضع النقص من هامش تلك الطبعة تاريخاً موجزاً لتلك الحقبة ، ونهنا إلى تلك الزيادة في مواضعها من الاصل ومن الحاشية (١) . . .

وإذ كان الحرم في النسخة قد بدأ عند الحديث عن تاريخ الحكم بن هشام الاموى قبل تمام قصة يرويها عن الفقيه طالوت المعافى ، فقد التزمنا لإتمام القصة في صلب الكتاب كما رواها أهل التاريخ بين علامتى الزيادة [ ] حرصاً على أمانة النقل .

ثم تسلسلنا بالتاريخ في هامش الكتاب من آخر عهد الحكم بن هشام إلى عهد الحكم المستنصر ؛ ليتصل التاريخ بعضه ببعض ؛ ولكن صعوبة ما قد عرضت لنا حين وجدنا أول الحديث بعد الحرم شعراً لأبي عمر الرمادى - من

شعراء دولة الحكم المستنصر - لانعرف أوله ولم نقف على مصدر من مصادره ، وهو شعر ينظم قصة معروفة ، مروية في كثير من كتب الادب ، ولكننا لم نقف عليها منظومة قبل أن نطالع ماجاء منها في كتاب المعجب ؛ وثمة صعوبة أخرى ؛ هي أن المناسبة التي رويت لها هذه القصة الشعرية لم تكن واضحة على الحقيقة ولا على التخمين والحدس ؛ إزاء ذلك لم نجد بُدًا من بقاء النص الشعري على نقصه ، مع رسم علامة الحذف ... ..

وبذلك تساق موضوع الكتاب وتسلسلت فصوله إلا في موضع واحد ، هو الموضع الذي بدأ عنده ذلك الشعر .

ومضينا في طبع الكتاب حتى انتهى ، ثم وصلت إلينا النسخة المصورة من كتاب « جذوة المقتبس » التي طلبناها من جامعة أكسفورد بمعونة دار الكتب الملكية بالقاهرة ؛ وفي هذه النسخة المصورة وجدنا تمام النقص ! وهانحن نورد فيما يلي تمام هذا الشعر ومناسبته ، نقلا عن جذوة المقتبس للحميدى ؛ ليكون ذكر ذلك في هذا الموضع من المقدمة ، تعويضا مما فاتنا ذكره في صلب الكتاب (١) .

قال الحميدى :

« وكان [الحكم المستنصر] قد رام قطع الخمر من الأندلس ، فأمر بإراقها وتشدّد في ذلك ، وشاورَ في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله ، فقيل له : إنهم يعملونها من التين وغيره ، فتوقف عن ذلك .

« وفي أمره بإراقة الخمر في سائر الجهات يقول أبو عمر يوسف بن هارون الكِندي قصيدته المشهورة فيها ، متوجعا لشاربيها ؛ وإنما أوردناها تحقيقا لما

(١) موضع هذه القصة في أول الصفحة رقم ٢٣ من هذه الطبعة ؛ فن شاء من مقتنى الكتاب فليثبت هذا النقص في موضعه هناك بمخطه .



ذكرنا عنه من ذلك ، وهي قوله :

بخطب الشارين يضيق صدري      وترمضني بليتهم لعمري ا  
وهل هم غيرُ عشاق أُصيبوا      بفقد حباب ومُنوا بهجر  
أعشاقُ المدامة إن جزعتم      لفرقتها فليس مكان صبر ا  
سعى طُلابكم حتى أريقت      دماءً فوق وجه الارض تجري  
تضوعَ عرفها شرقا وغربا      وطبقَ أفقَ قُرطبةٍ بعطر  
فقل للمُسمِّجين لها بسفح      وما سكتته من ظرفٍ بكسر ،  
والأبواب إحراقا إلى أن      تركم أهلها سكانَ قفرٍ :  
تحرَّيتمُ بذاك العدلَ فيها      بزعمكو ، فإن يك عن تحرى ...  
... فإن أبا حنيفة وهو عدلٌ      وفرَّ من القضاء مسيرَ شهر ...  
فقيهه لا يدانيه فقيهه      إذا جاء القياسُ أنى بدرِّ ،  
وكان من الصلاة طويلَ ليلٍ      يُقطعه بلا تغميض شفر ،  
وكان له من الشرَّاب جازٌ      يواصل مغربا فيها بفجر  
وكان إذا اتشى غنى بصوت المُضاعِ بسجنه من آل عمرو : (١)  
• أضاعوني وأنى فتى أضاعوا      ليوم كرهية وسداد ثغري ! ،  
فغيبَ صوتَ ذاك الجارِ سجينٌ      ولم يكن الفقيهُ بذاك يدري ،  
فقال وقد مضى ليلٌ وثانٍ      ولم يسمعه غنى : ليت شعري ...  
... .. الخ الخ ... ..

\*\*\*

وثمة نقص آخر في كتاب المعجب التزمنا إكاله ؛ ذلك أن الكتاب - على

(١) بمعنى العرجى الشاعر .

مأقذمننا من وصفه - يعتبر مرجعا أصيلا في تاريخ دولة الموحدين ؛ وتلك ميزته الأولى ، ولكن دولة الموحدين - وإن كانت قد دخلت في طور الانحلال منذ وفاة الناصر محمد بن المنصور - لم ينته أجلها على التحقيق إلا في سنة ٦٦٨ ، وكان فراغ المراكشي من إملائه كتابه في سنة ٦٢١ ، قبل انتهاء أجل الدولة ببضعة وأربعين عاما ؛ فرأينا تكميل ذلك النقص بوصف الأحداث التي جرت على الدولة منذ التاريخ الذي انتهى إليه عبد الواحد في إملائه ، إلى آخر عهد الموحدين في المغرب والأندلس سنة ٦٦٨ ، ليكون عصر الموحدين كاملا بين دفتي كتاب لم يؤلف مثله عن دولة الموحدين .

وقد أثبتنا هذه التكملة التي أضفناها ، في هامش الصفحات ، تمييزاً لها عن أصل الكتاب (١) .

\* \* \*

أما بعد ، فهذا كتاب « المعجب » في تلخيص أخبار المغرب ، لم نأل جهداً في إخراجه على أكمل وجه يمكن أن يخرج فيه لقراء العربية ؛ ولسنا نحاول أن نصف ما بذلنا له من الجهد بأكثر مما يصف هذا الجهد نفسه في كل صفحة من صفحاته .

نسأل الله أن يضاعف النفع به ، وأن يجعل عملنا فيه خالصا

لوجهه الكريم

ذو الحجة سنة ١٣٦٩

أكتوبر سنة ١٩٥٠

محمد سعيد العربيان

# المعجب

في تلخيص أخبار المغرب

تأليف

عبد الواحد المراكشي

Handwritten text, possibly a signature or name, in a cursive script.

Handwritten text, possibly a date or a short phrase, in a cursive script.

Handwritten text, possibly a signature or name, in a cursive script.

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a date or a short phrase, in a cursive script.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مفنى الأمم ، وباعت الرمم ، وواهب الحكم ، [ ذى ] البقاء  
والقديم ، الذى لامطمع فى إدراكه لشواقب الأذهان ونوافذ الهمم ؛ أحمدته على  
مَاعَلَّم وَأَهْم ، وسوغ وأنعم ؛ وصلى الله على كاشف الظلم ، ورافع الشَّهْم ،  
وَمَوْضِحِ الطَّرِيقِ الْأُمَمِ (١) ، المخصوصِ بجوامع الكلمِ ، والمبتعثِ إلى جميع  
العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والكرم ، وسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ  
وَشَرَّفْ وَعَظِّمْ .

وبعد - أيها السيد الذى توالى على نِعْمِهِ ، وأخذ بضَبْعِي (٢) من  
حَضِيضِي الْفَقْرِ وَالْحَمُولِ اعْتِنَاؤُهُ وَكِرْمُهُ ، وقضى إحسانَهُ إِلَى وَحْبَتِهِ التى  
جُبِلَتْ عَلَيْهَا بِأَنْ أَلْتَزِمَ مِنْ بَرِّهِ وَطَاعَتِهِ مَا أَنَا مُلْتَزِمُهُ - فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي -  
بِوَأْكَ اللَّهُ أَعْلَى الرَّتَبِ ، كَمَا عَمَّرَ بِكَ أُنْدِيَةَ الْأَدَبِ ، ومنحك من سعادتي الدنيا  
وَالْآخِرَةَ أَوْفَرَ الْقِسْمِ ، كما جمع لك فضيلتي التدبير والقلم - إِمْلَاءً أَوْ رَاقٍ  
تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره ، وشيء من سِيرِ  
ملوكه ، وخصوصا ملوك المصامدة بنى عبد المؤمن ، من لدن ابتداء دولتهم إلى  
وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ - وَأَنْ يَنْصَافَ إِلَى ذَلِكَ نَبْذَةً مِنْ ذِكْرِ مَنْ لَقِيْتُهُ  
أَوْ لَقِيْتُ مِنْ لَقِيهِ أَوْ رَوَيْتُ عَنْهُ بِوَجْهِ مَا مِنْ وَجْهِ الرَّوَايَةِ ، من الشعراء

(١) الطريق الأمم : القريب البين .

(٢) أخذ بضبعي : يدي وانتشلي . والضبع بسكوت ثمانية : العضد ؛ وبضعه :

الحيوان المعروف .

والعلماء وأنواع أهل الفضل ؛ فلم أرُ بُدأً من إسعافك والمسارة إلى ما فيه رضاك ؛ إذ هي الغاية التي أجرى إليها ، والبغية التي أثار أبدأً عليها ؛ ولوجوب طاعتك عليّ من وجوه يكثر تعدادها ؛ فاستخرت الله عز وجل فيما ندبتني إليه ، واستعنته واعتمدت في كل ذلك عليه ؛ فهو الموثل والملجأ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

هذا مع أني أعتذر إلى مولانا - فسح الله في مدته - من تقصير إن وقع ، بثلاثة أوجه من الأعذار :

فأولها ضعف عبارة المملوك وغلبةُ العيِّ على طباعه ، فهما وقع في هذا الإملاء من فتور لفظ ، أو إخلالٍ بسرد ، فهو خليق بذلك .

والوجه الثاني أنه لم يصحبنى من كتب هذا الشأن شيء أعتمد عليه وأجعله مستنداً كما جرت عادة المصنفين ، وأما دولة المصامدة خصوصاً فلم يقع إليّ لأحدٍ فيها تأليفٌ أصلاً ، خلا أني سمعت أن بعض أصحابنا جمع أخبارها واعتنى بسيرها ، وهذا المجموع لا أعرفه إلا سماعاً .

والوجه الثالث أن محفوظاتي في هذا الوقت على غاية الاختلال والتشتت ؛ أوجبت ذلك همومٌ تزدهم على خاطر ، وغموم تستغرق الفكر ، فرغبة المملوك الأصغر إجراء مولانا إياه على جميل عادته وحميد خلقه من التسامح والتغاضي ، لازال مجده العالي يرفع الهمم ، ويعقد الذمم ، ويوصل النعم ، ويعمر ربوع الفضل والكرم .

## فصل

### في ذكر جزيرة الأندلس وحدودها

فأول ما يقع الابتداء به ذكر جزيرة الأندلس (١) وتحديدتها والتعريف بمدنها ونبذ من أخبارها وسير ملوكها ، من لدن فتحها إلى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١ ؛ إذ هي كانت معتمد المغرب الأقصى ، والمعبرة منه ، والمنظور إليها فيه ؛ وهي كانت كرسى المملكة ، ومقر التدبير ، وأم قري تلك البلاد ؛ لم يزل هذا معروفا من أمرها إلى أن تغلب عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني (٢) ؛ فصارت إذ ذاك تبعا لمراكش من بلاد العدو (٣) ، ثم تغلب عليها المصامدة بعده (٤) ، فاستمر الأمر على ذلك إلى وقتنا هذا ، فأقول وبالله التوفيق :

أما حدود جزيرة الأندلس فإن حدها الجنوبي منتهى الخليج الرومي الخارج من بحر مانطس ، وهو البحر الرومي (٥) مما يقابل طنجة (٦) ، في موضع يعرف

---

(١) الجزيرة : الأرض التي يدور بها الماء من جميع جهاتها ، وليست الأندلس كذلك ، فهي متصل من المشرق بالأرض الكبيرة « فرنسا » ؛ وإنما سميت جزيرة على المجاز ، كما سميت جزيرة العرب في آسيا جزيرة وليست كذلك .

(٢) يعني دولة المرابطين ، وسيرد ذكرها فيما يأتي من الكتاب .

(٣) العدو في الأصل : المكان المتباعد ، وشاطئ الوادي ، ويعني بها هنا : بلاد الشاطئ الأفريقي ، أو المغرب الأقصى ، وقدي يعني بها في بعض مايلي من الكتاب : الشاطئ الأندلسي ، وكلا التعبيرين صحيح .

(٤) يعني دولة الموحدنين بن عبد المؤمن .

(٥) يعني البحر المتوسط ، ومانطس عند الجغرافيين العرب القدماء ، هو اسم للبحر الذي نسميه الآن بحر آزوف ، ويستطرق بحر آزوف هذا إلى البحر الأسود ، الذي يستطرق إلى بحر مرمرية ، إلى البحر المتوسط ؛ وهو بحر الروم عند القدماء ، فسكأتا سماه المراكشي بحر مانطس وهو يعني بحر الروم ، تبعا لاستطراق الماء إلى أقصاه من ناحية المشرق .

(٦) مرافقا على الساحل الأفريقي من بلاد مراكش ، يلي أمرها خليفة من قبل السلطان في

بالرُّقاق ، سعة البحر هنالك اثنا عشر ميلا ؛ وهذا الخليج هو ملتقى البحرين ،  
أعنى بحر مانطس وبحر أقيانس (١) ، وحدها الشمالى والمغربى البحر الأعظم ،  
وهو بحر أقيانس المعروف عندنا ببحر الظلمة ، وحدها المشرقى الجبل الذى فيه  
هيكل الزهرة الواصل ما بين البحرين : بحر الروم وهو مانطس ، والبحر الأعظم ؛  
ومسافة ما بين البحرين فى هذا الجبل قريب من ثلاث مراحل ، وهو الحد  
الأصغر من حدود الأندلس ؛ وحدها الأكران الجنوبى والشمالى مسافة كل  
واحد منهما نحو من ثلاثين مرحلة ؛ وهذا الجبل الذى ذكرنا فيه هيكل الزهرة  
الذى هو الحد المشرقى من الأندلس ، هو الحاجز ما بين بلاد الأندلس وبين بلاد  
إفرنسة من الأرض الكبيرة ، أرض الروم التى هى بلاد إفرنجة العظمى (٢) .

== الرباط ، وتخضع فى الظروف الراهنة لنظام دولى معقد يرحى تعديله بحول الله إلى نظام أمثل  
يحمض لها عروبتها وكرامتها الوطنية . وطنجة مدينة عريقة ، كان اسمها عند الرومان طنجيس  
( Tangus ) وكان بها مولد الرحالة العربى الشهير ابن بطوطة .

(١) هو الأوقيانوس ، والمحيط الأطلسى ، نسبة إلى سلسلة جبال أطلس التى تصرف عليه من  
المشرق ؛ وله فى كتب القدماء أسماء شتى ؛ فهو الأوقيانوس ، وبحر الظلمات ، أو بحر الظلمة ؛ والبحر  
الأخضر ، والمحيط ؛ وإليه بلغ عقبة بن نافع الفهري فى فتوحه فى القرن الأول للهجرة ، وعلى شاطئه  
وقف على صهوة جواده وقتنه المأثورة وهو يقول : « اللهم رب محمد ، لولا أنى لأعلم وراء هذا  
البحر يابسة لا تقحمت هذا الهول المأجج لأنشر اسم مجدك العظيم فى أقصى حدود الدنيا ... » أو كما قال .  
ترى ماذا كان يحدث لو أن عقبة كان يعلم يومئذ أن وراء ذلك الهول المأجج بلاداً وناساً ودنيا  
تعدل فى الغنى والعمران سائر بلاد الدنيا للمقدّمة !

ولكن أحفاد عقبة من عرب الأندلس قد علموا فيما بعد ، ووطئت أقدامهم أرض أمريكا  
قبل أن تغطها قدم كولمبوس بسنين ، ولكنهم — وأسفنا — قد ضيعوا الأمانة وأفلتوا الفرصة  
فنسب فضل اكتشاف أمريكا دونهم إلى نصارى الأسبان !

وقد يسمى هذا المحيط بالمحيط الأطلنطى ، نسبة إلى « أطلنطا » وهى الجزيرة الرملية التى خسف  
بها فى مناهات الصحراء الكبرى على ما جاء فى بعض الأساطير .

(٢) كل ما يلى شبه جزيرة الأندلس شرقاً إلى القسطنطينية ، كان يسمى عند القدماء بالأرض  
الكبيرة ، أو بلاد إفرنجة ، وقاعدتها رومية .



والأندلس آخر المعمور في المغرب <sup>(١)</sup>، لأنها كما ذكرنا منتهية إلى بحر أقيانس الذي لا عمارة وراه .

ومسافة ما بين طَلَيْطَلَة التي هي قريبة من وسط الأندلس ، ومدينة رومية قاعدة الأرض الكبيرة ، قريب من أربعين مرحلة ، ووسط الأندلس كما ذكرنا مدينة طَلَيْطَلَة العتيقة ، التي كانت قاعدة القوطا من قبائل الإفرنج ، ثم ملكها المسلمون زمان الفتح على ماسيأتى بيانه ، وعرضها تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وطولها ثمان وعشرون درجة بالتقريب ، فصارت بذلك قريباً من وسط الإقليم الخامس .

وأقل بلاد الأندلس عرضا المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ، على البحر الجنوبي منها <sup>(٢)</sup> ، وعرضها ست وثلاثون درجة ؛ وأكثر مدنها عرضاً بعض المدائن التي على ساحلها الشمالي ، وعرض ذلك الموضع ثلاث وأربعون درجة . فتبين بما ذكرنا أن معظم الأندلس في الإقليم الخامس أميلُ إلى الشمال ؛ فلذلك اشتد بردها وطالت مدة الشتاء فيها وعظمت جسوم أهل ذلك الميل وايضت ألوانهم وكانت أذهانهم إلى الـيَغْلَظ ما هي ، فنبت عن كثير من الحكمة . وطائفة من الأندلس في الإقليم الرابع ، كأشبيلية ومالقة وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسیة ، فهذه البلاد التي ذكرنا في الإقليم الرابع أعدلُ هواء وأطيبُ أرضاً وأعذب مياها من البلاد التي في الإقليم الخامس ، وأهلها أحسن ألواناً وأجمل صوراً وأفصح لغة من أولئك ؛ إذ كان للبول والشموت

(١) كذلك كانت معارفهم إلى ذلك الوقت ، قبل اكتشاف الغارة الأميركية .

(٢) يعني بحر الروم .

في اللغات تأثير بين لمن استقرا ذلك وفهم علته (١).

وجملة مدن الأندلس التي هي أمهات قرأها ومراكز أعمالها ومواضع مخاطبات أولى الأمر منها: أولها في الحد الشمالي مدينة شلب، ثم مدينة أشبيلية، ثم قرطبة، ثم جيان، ثم أغرناطة (٢)، ثم المريّة، ثم مرسية، ثم بلنسية، ثم مالقة وهي على البحر الرومي. فالذي على البحر الأعظم من هذه المدائن: شلب، وأشبيلية، وبينهما قريب من خمس مراحل.

والذي على البحر الرومي المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، وهي من أعمال أشبيلية؛ ثم مالقة، وهي مستقلة، ثم المريّة، ثم دانية؛ هذه كلها على البحر الرومي. ثم سائر ما ذكرنا من المدن ليست على ساحل.

ولما استقر أمر المسلمين بالأندلس في غرة المائة الثانية، تخيروا مدينة قرطبة فجعلوها كرسى المملكة ومقر الإمارة، فلم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولة بني أمية بالأندلس، فتغلب على كل جهة من الجزيرة متغلب على ماسياتي بيانه. وهذه المدن التي ذكرت هي التي يملكها المسلمون اليوم، وقد كانوا يملكون قبلها مدناً كثيرة لم أذكرها في هذا الموضوع؛ إلا أن ذكرها سيرد فيما يأتي من تفصيل أخبار الأندلس، تعرف ذلك بقولي «أعادها الله للمسلمين». فهذه جملة من أخبار الأندلس وخطودها وبلادها الكائنة بأيدي المسلمين.

(١) يقرر المراكشي هنا قاعدة في علم الأحياء وعلم النفس الاجتماعي لا تعرف أحداً عرض لها غيره، إلا ابن خلدون بعده بقرنين من الزمان.

(٢) كذلك تسمى، كما تسمى غرناطة، بفتح فسكون، وكانت آخر ما بقي في يد العرب حتى أجلاهم عنها الأسبان.

## ذكر فتح جزيرة الأندلس

ولمع من تفصيل أخبارها وسير ملوكها

ومن كان فيها من الفضلاء منها ومن غيرها

ثم نعود إلى افتتاحها فنقول والله الموفق :

افتتح المسلمون جزيرة الأندلس في شهر رمضان سنة ٩٢ من الهجرة ، وكان فتحها على يدى طارق ، قيل ابن زياد ، وقيل ابن عمرو ، وكان والياً على طنجة ، مدينة من المدن المتصلة ببر القَيْرَوَان (١) في أقصى المغرب ، بينها وبين الأندلس الخليج المذكور المعروف بالزقاق ، وبالمجاز ، رتبته موسى بن نصير أمير القيروان ؛ وقيل إن مروان بن موسى بن نصير خلف طارقاً هناك على العساكر وانصرف إلى أبيه لأمرٍ عَرَضَ له ، فركب طارق البحر إلى الأندلس من جهة مجاز الجزيرة الخضراء ، منتهزاً لفرصة أمكنته ؛ وذلك أن الذي كان يملك ساحل الجزيرة الخضراء وأعمالها من الروم (٢) خطب إلى

(١) كانت مدينة عظيمة بالمغرب ، بناها عقبة بن نافع سنة ٤٥ هـ وجعلها مقلاً وحصناً عسكرياً ، ومقر لولاية أفريقية ؛ وإليها ينسب الحسن بن رشيق صاحب « العدة » والقيروان في اللغة : الغافلة تخرج للغزو .

(٢) يذكر المراكشي فيما يلي سببين لدخول طارق الأندلس ، خلاصتهما أن الذي حجب إليه ذلك هو حاكم الجزيرة الخضراء من قبل ملك القوط ؛ والذي عليه أكثر المؤرخين أنه كان حاكماً لسبته أو طنجة ، على الشاطئ المغربي ، ويصفه ابن القوطية بأنه كان تاجراً من تجار العجم ، يعنى الروم ، أو القوط ، لا أميراً من أمراءهم ولا حاكماً من حكامهم ، واسمه يولييان ، « وكان يختلف من الأندلس إلى بلاد البربر - المغرب - ويحلب إلى لتريق عناق الخيل والبزاة من ذلك الجانب ؛ فتوفيت زوجة ذلك التاجر وتركت له ابنة جميلة ، فأمره لتريق بالتوجه إلى العدة ، فاعتذرله =

الملك الأعظم ابنته ، فأغضب ذلك الملك ، ونال منه وتوعده ، فلما بلغه ذلك جمع جموعاً عظيمة وخرج يقصد بلد الملك ، فبلغ طارقاً خلواً تلك الجهة ، فهذه الفرصة التي انتهزها ...

وقيل إن العليج كتب إليه بالعبور لسبب أنا ذاكره ، وهو أن لذر يقـ  
مليك الجزيرة لعنه الله كان له رسمٌ : يوجه إليه أعيان قواده و [ أمراء دولته ]  
بيناتهم ، فيريهن عنده في قصوره ويؤدبن بالآداب الملوكية حسبما كانوا  
يرونه ..... ؛ فإذا بلغت الجارية منهن وحسن أدبها ، زوجها في قصره لمن يرى  
أنه كفءٌ أيها ، فوجه إليه صاحب الجزيرة الخضراء وأعمالها بابنته على الرسم  
المذكور ، فكانت عنده إلى أن بلغت مبلغ النساء ، فرآها يوماً فأعجبته ، فدعاها  
فأبت عليه ، وقالت : لا والله حتى تحضر الملوكة والقواد وأعيان البطارقة  
وتزوجني ، هذا بعد مشورة أبي ! فغلبته نفسه واغتصبها على نفسها ، فكتبت  
إلى أبيها لتعلمه بذلك ؛ فهذا كان السبب الذي بعثه على مكاتبة طارق والمسلمين  
فكان الفتح ، فإله أعلم أي ذلك كان .

فأول موضع نزل فيه يقال منها : المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء اليوم ،  
نزلها قبيل الفجر ، فصلى بها الصبح بموضع منها وعقد الرايات لأصحابه ، فبني  
بعد ذلك هناك مسجد وعرف بمسجد الرايات ، وهو باق إلى وقتنا هذا ،  
أسأل الله إبقائه إلى أن تقوم الساعة ...

== بوفاة زوجته وأنه ليس له أحد يترك ابنته معه ، فأمر بإدخالها للقصر ، فوعدت عن لدرى عليها  
فاستحسنها فناها ، فأعلمت أباه بذلك عند قدومه . . . . . نقصد طارق بن زياد فرغبه في الأندلس  
وذكر له شرفها وضعف أهلها وأنهم ليسوا أهل شجاعة . . . . . »

ثم دخل طارق هذا الأندلس وأمعن فيها واستظهر على العدو بها ، وكتب إلى موسى بن نصير موليّه بخبر الفتح وغلبته على ماغلب عليه من بلاد الأندلس وما حصل له من الغنائم ، فحسده موسى على الانفراد بذلك ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان يُعلمه بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده ، إذ دخلها بغير إذنه ، ويأمره ألا يتجاوز مكانه الذي ينتهي إليه الكتاب فيه حتى يلحق به ، وخرج متوجهاً إلى الأندلس ، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله ، وذلك في رجب من سنة ٩٣ ، وخرج معه حبيب بن أبي عبدة الفهري <sup>(١)</sup> ووجوه العرب والموالي وعرفاء البربر في عسكر ضخم ، ووصل من جهة الحجاز إلى الأندلس وقد استولى طارق على قرطبة دار المملكة وقتل لذريق الملك - لعنه الله - بالأندلس ، فتلقاه طارق وترضاه ، ورام أن يستل ما في نفسه من الحسد له ، وقال له : إنما أنا مولاك ومن قبلك ، وهذا الفتح لك وبسببك ؛ وحمل طارق إليه ما كان عنم من الأموال ؛ فلذلك نُسب الفتح إلى موسى بن نصير ، لأن طارقاً من قبله ، ولأنه أتم من الفتح ما كان بقي على موسى .

وأقام موسى بالأندلس مجاهداً وجامعاً للأموال ومرتباً للأموال بقية سنة ٩٣ وسنة ٩٤ وأشهرأً من سنة خمس ، وقبض على طارق ، ثم استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى ، وترك معه من العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو ، ورجع إلى القيروان ، ثم سار

(١) في غيره : حبيب بن أبي عبدة . جده عبدة بن نافع الفهري صاحب الفتوح في أفريقيا .

منها بما حصل له من الغنائم وأعدّه من الهدايا إلى الوليد بن عبد الملك - وكان بما وجد بمدينة طليطلة حين فتحها ، مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، فيقال إنها طوق ذهب وطوق فضة ، مكللة باللؤلؤ والياقوت - ومعه - فيما يقال - طارق ، فأت الوليد وقد وصل موسى إلى طبرية في سنة ٩٦ ، فحمل ما كان معه إلى سليمان بن عبد الملك ؛ ويقال إنه وصل وأدرك الوليد حيا ، فآله أعلم .

وأقام عبد العزيز بن موسى بن نصير أميراً على الأندلس إلى أن ثار عليه من الجند جماعة ، فيهم حبيب بن أبي عبدة الفهري ، وزيايد بن النابغة التميمي ، فقتله بعضهم ، وخرجوا برأسه إلى سليمان بن عبد الملك - وذلك في صدر سنة ٩٨ - <sup>(١)</sup> بعد أن أقرروا على الأندلس أيوب ابن أخت موسى بن نصير <sup>(٢)</sup> ؛ ويقال إنهم كتبوا إلى سليمان بما أنكروا من أمره ، فأمرهم بما فعلوه ، فآله أعلم . ثم اختلف الأمر هنالك ، ومكث أهل الأندلس بعد ذلك زماناً لا يجمعهم وال ، ثم ولي عليها السَّمْحُ بن مالك الخولاني قبل المائة <sup>(٣)</sup> ، واجتمع عليه الناس ، ثم ولي عليها الغمر بن عبد الرحمن بن عبد الله ، ثم وليها عنبسة بن سحيم

(١) كان مقتله في المسجد وهو قائم لصلاة الصبح ، وكان قد اتخذ داراً في كنيسة تصرف على مروج أشيلية ، ونكح امرأة لذريق القوطية وسماها أم عاصم ، وآواها إلى داره تلك ، وابتقى على باب الدار مسجداً هو الذي قتل فيه ، وقد بقي دمه في ذلك المسجد زماناً !

(٢) هو أيوب بن حبيب اللخمي .

(٣) كانت الأندلس يومئذ إلى والي أفريقية يولي عليها من يفتار ، وكانت ولاية أفريقية بعد عزل موسى بن نصير إلى عبد الله بن يزيد مولى قيس ، فولى على الأندلس من قبله الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، فلم يزل عليها حتى استخلف عمر بن عبد العزيز ، فجعل على أفريقية إسماعيل ابن عبد الله مولى بني مخزوم ، وعلى الأندلس السَّمْحُ بن مالك الخولاني .

الكلبي وعُزل الغمر بن عبد الرحمن ، ثم وليها عبد الرحمن بن عبد الله العكي  
 نحواً من العشر ومائة ، وكان رجلاً صالحاً ، ثم وليها عبد الملك بن قطن الفهري ،  
 ثم عقبة بن الحجاج ، فهلك عقبة بالأندلس ورُدَّ عبد الملك بن قطن ، ثم جاء  
 بليج بن بشر فادعى ولايتها من قبل هشام بن عبد الملك ، وشهد له بعض من  
 كان معه ، ووقعت فتن من أجل ذلك ، وافترق أهل الأندلس فيها على أربعة  
 أمراء ، حتى أرسل إليهم والياً أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي ، فحسم مواد  
 الفتن ، وجمعهم على الطاعة بعد الفرقة ؛ وفي تقديم بعض هؤلاء الأمراء على  
 بعض اختلاف ، إلا أن هؤلاء المذكورين كانوا أمراءها وولاية الحروب فيها  
 أيام بني أمية قبل ذهاب دولتهم في المشرق (١) .

(١) لم يتفق اثنان من رواة التاريخ - فيما وقفنا عليه - على تسمية الأمراء في هذه الفترة  
 أو تعاقبهم ، فثمة نقص والزيادة والتقديم والتأخير ؛ وإنما كان ذلك لأن الأندلس لتلك العهد لم  
 تكن خالصة للبيعة إلى الخليفة الأموي في دمشق ، بل كانت تتبعه حيناً وحيناً تتبع والى أفريقية ؛  
 ومن ثمة كان هذا الاختلاط والاختلال .

## ذكر من دخل الأندلس من التابعين

وأنا ذاكر هاهنا من دخل الأندلس من التابعين للجهاد والرباط :

فمنهم محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، يروى عن أبي هريرة .

ومنهم حنش بن عبد الله الصنعاني ، يروى عن علي بن أبي طالب

وفضالة بن عبيد .

ومنهم عبد الرحمن بن عبد الله العافقي ، يروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

ومنهم يزيد بن قاسط ، وقيل ابن قسيط ، السكسكي المصري ، يروى عن

عبد الله بن عمرو بن العاص .

ومنهم موسى بن نصير الذي يُنسب الفتح إليه ، يروى عن تميم الداري .

## فصل

[ في فضل المغرب ]

وقد جاء في فضل المغرب غير حديث ، فمن ذلك ما حدثني الفقيه الإمام

المتقن المتقن أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل الشيباني سمعا عليه بمكة في شهر

رمضان من سنة ٦٢٠ قال : حدثني المؤيد بن عبد الله الطوسي قراءة عليه

بنيسابور قال : حدثنا الإمام كمال الدين محمد بن أحمد بن صاعد القراوى قراءة

عليه قال : حدثنا ابن عبد الغافر الفارسي : حدثنا محمد بن عيسى بن عمرو

الجلودي : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان : حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج



القشيري النيسابوري قال : حدثنا يحيى بن يحيى عن هشام بن بشر الواسطي عن داود بن أبي هند بن أبي عثمان النهدي عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

ومن فضل الأندلس أنه لم يُذكر قَطُّ أحدٌ على منابرها من السلف إلا بخير (١) .

وما زالت الولاية بالأندلس تليها من قبل بني أمية أو من قبل من يقيمونه بالقيروان أو بمصر ، فلما اضطرب أمرهم في سنة ١٣٦ بقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، اشتغلوا عن مراعاة أقاصى البلاد ، ووقع الاضطراب بأفريقية والاختلاف بالأندلس أيضاً بين القبائل ، ثم اتفقوا بالأندلس على تقسيم قرشى يجمع الكلمة إلى أن تستقر الأمور بالشام لمن يخاطب ، ففعلوا ، وقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، فسكنت به الأمور ، واتفقت عليه القلوب ؛ واتصلت إمارته إلى سنة ١٣٨ بعد ذهاب دولة بني أمية بست سنين .

(١) يشير إلى بعض ما كان في المشرق نتيجة للتنافس على الخلافة ؛ فقد كان بنو أمية يسبون علياً على منابر دمشق ؛ وكان بعض الشيعة في بلاد المشرق ينالون من الشيخين أبي بكر وعمر ؛ وكان العبيديون في مصر يذكرون معاوية ويزيد بالسوء ؛ واتسعت الفتنة في ذلك حتى أمم به كل من خاض فيه ؛ وبرى المغرب والأندلس من ذلك الصرا

## ذكر خبر دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس

وفي هذه السنة دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأندلس ، الملقب بالداخل ؛ فقامت معه اليمانية ، وحارب يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبدة <sup>(١)</sup> بن عقبة بن نافع الفهري الوالي على الأندلس المذكور آنفاً ، فهزمه ؛ واستولى عبد الرحمن على قرطبة دار الملك ، وكان دخوله إليها يوم الأضحى من السنة المذكورة ، فتصلت ولايته إلى أن مات سنة ١٧٢ . وكان مولده بالشام سنة ١١٣ ، أمه أم ولد اسمها « راح » <sup>(٢)</sup> ويكنى أبا المطرف ، دخل الأندلس في ذي القعدة ، واستولى على قرطبة دار مملكتها في التاريخ المذكور ؛ وذلك أنه هرب من الشام لما انتشرت دولة بني العباس ، فلم يزل مستتراً ينتقل في بلاد المغرب حتى دخل الأندلس ، ودخل حين دخلها طريداً وحيداً لأهل له ولا مال ، فلم يزل يُصرّف حيله ويسمو بهمته والقدرُ مع ذلك يوافقه ، إلى أن احتوى على مملكتها ومملك بعض بلاد العُدوة ؛ وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر عنده قال : « ذاك صقر قریش <sup>(٣)</sup> » ،

(١) انظر الهامش ص ١١

(٢) كانت أمه « راح » بربرية ، من بني نقرة في طرابلس ، وكذلك كانت أم أبي جعفر المنصور بربرية ؛ فأعجب التوافق بين الرجلين في الصرامة وبعد الهمة والاجتهاد على العظام ، وكلاهما أمه جارية من البربر !

(٣) روى ابن خلدون أن بني أمية لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وتبعوا بني أمية بالقتل - كان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية هذا ، وكان قومه يتحينون له ملكاً بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يأترونها عن مسامحة بن عبد الملك (عم أبيه) . فكان يحدث نفسه بذلك ، فخلص إلى المغرب ونزل على أخواله بني نقرة ، =

وكان عبد الرحمن بن معاوية من أهل العلم ، وعلى سيرة جميلة من العدل ؛  
ومن قضائه معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي ، وله أدب وشعر ، وبما أنشد  
وقاله يتشوق إلى معاهده بالشام (١) قوله :

أُيِّها الرَّاكِبُ المُيَمَّمُ أَرْضِي \* إِقْرَ من بَعْضِي السَّلَامَ لِبَعْضِي  
إِنْ جَسْمِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِي \* وَفَوَادِي وَمَالِي كَيْهَ بِأَرْضِي  
قُدِّرَ السَّبِينُ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَا \* وَطَوَى الْبَيْنُ عَن جَنْفُونِي كَغَمِيضِي  
قَدْ قَضَى اللهُ بِالْفِرَاقِ عَلَيْنَا \* فَعَسَى بِاجْتِمَاعِنَا سَوْفَ يَقْضِي !

وله شعر كثير أروع من هذا أورده المؤرخون في كتبهم (٢) ، وكانت مدة

== واستنصر بقوم من زناة ، ثم انتقل إلى مكناسة فلبية وبعث مولاة بدرأ إلى أشياخ بني مروان  
في الأندلس يستنصرهم ، فاجتمعوا عليه وبشوا له في الأندلس دعوة ونصروا له ذكرا ، ووافق  
قدومه ما كان من الإحن بين اليمنية والمصرية ، فاجتمعت اليمنية على نصرته كيدا ليوسف بن  
عبد الرحمن الفهري ؛ وعبر عبد الرحمن الحجاز والظاروف مواتية ، ونشبت الحرب بينه وبين  
يوسف وهو ينتصر في موقعة إثر موقعة ، حتى غلب يوسف على أمره واحتز رأسه ودخل قرطبة  
حاضرة الملك . . .

وظل عبد الرحمن الداخل يدعو للنبور على منابر الأندلس زمانا ثم قطع دعوته ، ولكنه  
اكتفى من ذلك بلقب الأمير تأديبا مع الخلافة ، وظل خلتاؤه من بعده مقتصرين على لقب الإمارة ،  
حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر ، وهو الثامن من أمراء بني أمية بالأندلس ، فتسمى بأمير  
المؤمنين ، كان ذلك حين ضعف أمر الخلافة العباسية في بغداد بعد المائة الثالثة ؛ وتوارث أبنائه  
الإمارة من بعده إلى أن كانت آخره الدولة المروانية في الأندلس .

(١) كتب بها إلى أخيه بالشام .

(٢) روى أن بعض أهله استقل مازتبه من العطاء ، فكتب إليه يذكره بحقه ويسأله زيادة  
عطائه ؛ وكأما شعر عبد الرحمن بعض المن في كتاب قريبه هذا المرواني ، فكتب إليه مجيبا :

كُتِّبَ من قام ذا أمتعاضٍ منتضى الشفرتين نصلا  
جُباب قفراً ، وشقّ بحرا ، مُسامياً لجةً ومَحْلا  
دَبَّرَ مُلْكا ، وشاد عزّاً ومنبراً للخطاب فصلا =

ولايته منذ استولى على قرطبة دار الملك إلى أن توفي ، اثنتين وثلاثين سنة .

== وَجَنَدَ الْجَنَدَ حِينَ أودى وَمَصَّرَ الْمَصْرَ حِينَ أَجْلَى  
 ثُمَّ دَعَا أَهْلَهُ إِلَيْهِ حَيْثُ أَتَاوْا أَنْ هَلُمَّ أَهْلَا  
 فَجَاءَ هَذَا طَرِيدَ جُوعٍ شَدِيدَ رُوعٍ يَخَافُ قَتْلَا  
 فَنَالَ أَمْنًا ، وَنَالَ شُبْعًا ، وَنَالَ مَالًا ، وَنَالَ أَهْلَا  
 أَلَمْ يَكُنْ حَقُّ ذَا عَلِيٍّ ذَا أَعْظَمَ مِنْ مُنْعِمٍ وَمَوْلَى !

ويروي هذا الشعر على وجه آخر لسبب آخر ؛ ذلك أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام كانوا يتحدثون في مجلسه عن شجاعة الغمر بن يزيد بن عبد الملك في مجلس عبد الله بن علي السفاح أيام الهنة ، حين جبهه بالمعارضة لم تردعه هيبة مجلسه ولا سيوف شيعته الخافين من حوله ، مستظيلا بنسبه وآله والملوك من آبائه ، حتى أغص عبد الله بن علي بريقة ، لم يسكت حتى تناوله سيوف بني العباس تمزقه . . .

فكأن الأمير عبدالرحمن حين استمع إلى حديث أولئك القوم في التنويه بشجاعة الغمر بن يزيد قد استصغر ذلك منه ورأى نفسه فيما بلغ بهيمته أعظم قدراً منه ، فقال ذلك الشعر . . .  
 وبلغه وقد استقامت له الدولة أن بعض من أعانه يمن عليه بما بذل له من المعونة ويزعم أنه لولا جهده ما بلغ الداخل مبلغاً ؛ وأنه نال ما نال بسعده لابتهديره وعقله ، فحرك ذلك عبد الرحمن إلى شعر يروي له ، وهو :

لَا يُلْفَى مُنْعِنٌ عَلَيْنَا قَائِلٌ : « لَوْلَايَ مَا مَلَكَ الْإِنَامَ الدَّاخِلُ ،  
 سَعْدِي وَحَزْمِي وَالْمَهْنَدُ وَالْقَنَا وَمَقَادِرٌ بَلَّغَتْ وَحَالَ حَائِلٌ  
 إِنْ الْمَلُوكَ مَعَ الزَّمَانِ كَوَاكِبُ نَجْمٌ يَطَالِعُنَا وَنَجْمٌ آفِلٌ  
 وَالْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ أَلَا يَعْضُلُوا أَيُّرُومَ تَدْبِيرِ الْبَرِيَةِ غَافِلٌ ؟  
 وَيَقُولُ قَوْمٌ سَعْدُهُ لَاعْقَلُهُ خَيْرُ السَّعَادَةِ مَا حَامَاهَا الْعَاقِلُ  
 أُنْبَى أُمِيَّةٌ قَدْ جَبَرْنَا صَدْعَكُمْ بِالْغَرْبِ رَغْمًا وَالسَّعُودُ قِبَائِلُ  
 مَا دَامَ مِنْ نَسْلِي إِمَامٌ قَائِمٌ فَالْمَلِكُ فِيكُمْ ثَابِتٌ مُتَوَاصِلٌ

ومن شعره وقد رأى نخلة في رصافته بقرطبة :

تهدت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل ==

### ولاية الأمير هشام بن عبد الرحمن

ثم ولي بعد عبد الرحمن ابنه هشام ، يكنى أبا الوليد ، وسنه حينئذ [خمس و] ثلاثون سنة ، واتصلت ولايته سبعة أعوام (١) إلى أن مات في صفر سنة ١٨٠ وكان حسن السيرة ، متحريراً للعدل ، يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويتصدق بالصدقات الكثيرة ، وربما كان يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوى البيوتات من الضعفاء ؛ لم يزل هذا مشهوراً من أمره إلى أن مات في التاريخ المذكور . أمه أم ولد اسمها حوراء (٢) .

### ولاية الحكم بن هشام الملقب بالرّبضى

ثم ولي بعده ابنه الحكم وله اثنتان وعشرون سنة ، يكنى أبا العاص ، أمه أم ولد اسمها زخرف ، وكان طاغياً مسرفاً ، وله آثار سوء قبيحة ، وهو الذى أوقع بأهل الرّبض الواقعة المشهورة (٣) ، فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم ؛

== فقلت شبيهى فى التغرب والنوى وطول اكتبابى عن نبى وعن أهلى  
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فثلك فى الإقصاء والمنتأى مثلى  
سقتك غوادى المزن فى المنتأى الذى يصح ويستمرى المساكين بالوئبل

(١) آتم فى الإمارة سبعة أعوام وشهوراً لاتبلغ العام ، وقيل إنه آتم ثمانية .

(٢) فى نهج الطيب أن أمه اسمها حوراء .

(٣) تفصيل هذه الواقعة أن الحكم الرّبضى هذا فى صدر ولايته قد انهزم فى لذاته ومبذله حتى اشتهر أمره وتعقبه الناس بألسنتهم ؛ وكان النّقباء يومئذ هم قادة الرأى فى البلاد ، فاجتمع منهم بقرطبة جماعة من أهل النّقب والورع ، منهم يحيى بن يحيى اللبثى ، وطالوت بن عبد الجبار المعافى ، من أصحاب مالك بن أنس ورواة الموطأ ؛ فناروا به يريدون خلعه وإقامة أخيه المنذر بن هشام مكانه ، وكان اجتماعهم بالرّبض الغربى من قرطبة ؛ ثم زحفوا إلى قصره ، فقاتلهم الحكم فغلبهم ، وهدم دورهم ومساجدهم ، وفر من بقى منهم على وجهه ؛ فمنهم من لحق بفاس من أرض العدو ، ومنهم من لحق بالإسكندرية من أرض المشرق ، ثم لم يلبث هؤلاء الذين لحقوا ==

وكان الربض محلة متصلة بقصره ، فاتهمهم في بعض أمره ، ففعل بهم ذلك ،  
فسمى الحكم الربضي لذلك .

وفي أيامه أحدث الفقهاء إنشاد أشعار الزهد والحض على قيام الليل في  
الصوامع ، أعنى صوامع المساجد ، وأمروا أن يخلطوا مع ذلك شيئاً من  
التعريض به ، مثل أن يقولوا : « يا أيها المسرف المتمادى في طغيانه ، المصراً على  
كبره ، المتهاونُ بأمرِ ربه ، أفيق من سكرتك ، وتنبّه من غفلتك ... » ، وما نحا  
هذا النحو ؛ فكان هذا من جملة ماهاجه وأوغر صدره عليهم ، وكان أشدّ الناس  
عليه في أمر هذه الفتنة الفقهاء ، هم الذين كانوا يحرصون العامة ويشجعونهم ،  
إلى أن كان من أمرهم ما كان .

وحكى أبو مروان بن حيان صاحب أخبار الأندلس ، أنه لما تسوّر  
عليه القصرُ وأحس بالشر ، قال لأخص غلمانه : اذهب إلى فلانة ، إحدى  
كرائمه ، وقل لها تعطيك قارورة الغالية (١) . فأبطأ الغلام وتلكأ ، فأعاد ذلك  
عليه ، فقال : يامولاي ، هذا وقت الغالية ؟ فقال له : ويالك يا ابن الفاعلة ! بم  
يعرف رأسي إذا قطع من رؤوس العامة إن لم يكن مضمخا بالغالية ؟ ثم إنه  
ظهر بعد هذا عليهم ، وذلك أنهم كانوا يقاتلون القصرَ وعامة الحشم والجندِ  
يشغلونهم ، إلى أن دهمتهم الخيلُ من وراءهم ، فانهزموا وقتلوا قتلاً قبيحاً ،

== بالإسكندرية أن ثاروا بها ثورة أخرى ، وكانت مصر يومئذ إلى عبد الله بن طاهر من قبل  
المأمون ، فزحف إليهم عبد الله بن طاهر وغلبهم ، ففروا من وجهه إلى إقریطس ( كريت ) فلم  
يزالوا بها إلى أن ملكها الإفرنج من أيديهم بعد مدة .

(١) قارورة عطر !

وأمر بديارهم ومساجدهم فهدمت وُحَرِّقَتْ ، وأمر بنفى من بقى منهم عن البلاد ، فخرجوا حتى نزلوا جزيرة لإقريطش من جزائر البحر الرومى المقابلة لبر برقة أول المغرب ، فلم يزالوا هنالك سنين إلى أن تفرقوا ، فرجع بعضهم إلى الأندلس ، واختار بعضهم سكنى صِيقَلِيَّة ، وانتقل بعضهم إلى الإسكندرية (١) .

ومن أعجب ما حكى أبو مروان بن حيان المؤرخ مما يتصل ببحر هذه الواقعة ، قال : كان من أشد الناس على الحكم هذا تحريضا ، رجلاً من الفقهاء اسمه طالوت (٢) كان جليل القدر فى الفقهاء ، رحل إلى المدينة وسمع من مالك بن أنس وتفقه على أصحابه ، وكان قويا فى دينه ؛ فلما أوقع الحكم بأهل الرضى - كما ذكرنا - وأمر بتغريب من بقى منهم ، كان ممن أمر بتغريبه طالوت الفقيه ، فحسر عليه الانتقال ومفارقة الوطن ، ورأى الاختفاء إلى أن تتغير الأحوال ، فاستخفى فى دار رجل يهودى سنة كاملة ، واليهودى فى كل ذلك يكرمه أبلغ الكرامة ، ويعظمه أشد التعظيم ؛ فلما مضت السنة طال على الفقيه الاختفاء ، فاستدعى اليهودى وشكره على إحسانه إليه ، وقال له : قد عزمْتُ غداً على الخروج وقصْدِ دارِ فلان الكاتب (٣) ، لأنه قرأ علىّ ولى عليه حقّ التعليم ، وقد بلغنى أن له جاها عند هذا الرجل ، فعسى هو يشفع لى عنده فيؤمّننى ويدعنى فى بلدى ! فقال له اليهودى : يا مولاي ، لا تفعل ، فما آتمُّهم عليك ! وجعل يحلف له بكل يمين يعتقدده ، أنه لو أقام عنده بقية عمره ما أمّله ذلك ولا ثقلَ

(١) ارجع إلى ما أثبتناه فى التعليق رقم ٣ ص ١٩ فيه بعض خلاف لما يذكر المراكشى .

(٢) هو طالوت بن عبد الجبار المعافى .

(٣) هو أبو البسام الكاتب وزير الحكم بن هشام الرضى ، على ما حكاه صاحب فتح الطيب .

عليه ؛ فأبى إلا الخروج ، نغلى بينه وبين ذلك ؛ فخرج حتى أتى دارَ ذلك الكاتب بَعَلَس ، فاستأذن عليه فأذن له ، فلما دخل عليه رَحَّبَ به وأدنى مجلسه ، وسأله أين كان في هذه المدة ؟ فقصَّ عليه قصته مع اليهودى ، ثم قال له : اشفع لى عند هذا الرجل حتى يؤمّنى فى نفسى ويمُنَّ علىّ بتركى فى بلدى ! فوعده بذلك ، وركب من فوره ودخل على الحكم ، فقال (١) [ له كل ماسمِع من طالوت ، ووشى به إليه : فأحضره الحكم إليه فعنّفه ووتّجّه ، فقال له طالوت : كيف يحل لى أن أخرج عليك ، وقد سمعتُ مالك بن أنس يقول : « سلطان جائرٌ مدةٌ خيرٌ من فتنة ساعة » ؟ قال الحكم : الله تعالى ! لقد سمعتَ هذا من مالك ؟ قال طالوت : اللهم إنى قد سمعته . قال : فانصرف إلى منزلك وأنت آمن . ثم سأله أين استتر ، فقال : عند يهودى مدة عام ، ثم إنى قصدتُ هذا الوزير فغدر بى ! فغضب الحكم على أبى البسام وعزله عن وزارته ، وكتب عهداً ألاّ يخدمه أبداً ؛ فرؤى أبو البسام الكاتب بعد ذلك فى فاقة وذل ، فقيل : استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى ] (١) .

(١) أمبنا هذه الزيادة بين العلامين [ ] عن فتح الطيب ، مع تصرف قليل اقتضاه السياق ؛ ذلك أن المخطوط الوحيد من هذا الكتاب - كما وصفه دوزى - تنقصه كراسة ذات عشرين ورقة ، فانقطع بها الكلام من حيث وضعنا هذه العلامة إلى ما بعد ذلك التاريخ بنحو مئة وسبعين سنة ؛ وتشمل تلك الحقة تسعة تاريخ الحكم بن هشام ، وكانت ولايته فى صفر سنة ١٨٠ ووفاته فى ذى الحجة سنة ٢٠٦ .

ثم ابنه عبد الرحمن بن الحكم ، وقد ولى الإمارة بعد أبيه ، وتوفى سنة ٢٣٨ وقد بلغ من العمر اثنتين وستين سنة .

ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ، وكانت وفاته سنة ٢٧٣ وقد بلغ من السنّ خسا وستين سنة .  
ثم ابنه المنذر بن محمد ، وكانت وفاته بغنة فى سنة ٢٧٥ وقد بلغ من السنّ ستا وأربعين سنة .  
ثم أخيه عبد الله بن محمد ، وكانت وفاته سنة ٣٠٠ وقد بلغ اثنتين وسبعين سنة . =



... ..  
... ..

فقال وقد مضى ليل وثمان \* ولم يسمعه غنى : ليت شعري ... (١)  
... أجاري المؤمني ليلاً غناء \* لخير قطع ذلك أم لشر ؟  
فقالوا إنه في سجن عيسى (٢) \* أتوه به بليل وهو يسري  
فنادى بالطويلة \* وهي مما \* يكون برأسه لجليل أمر ، (٣)  
ويتم جاره عيسى بن موسى (٢) \* فلاقاه بإكرام وبر  
وقال : أحاجة عرّضت فاني \* لكفاضها ومُتبعها بشكر !  
فقال : سجنت لي جارا يُسمى \* بعمرٍ وإقال : يُطلق كلُّ عمرٍ ...

== ثم أخيه عبد الرحمن الناصر - وهو أول من نودي بلقب أمير المؤمنين من بني أمية في الأندلس - وكانت وفاته سنة ٣٥٠ وقد بلغ ثلاثا وسبعين سنة قضى منها على العرش خمسين سنة ! وفي عهده وفد إلى الأندلس من المشرق أبو علي القالي صاحب الأمالي .

ثم تولى ولده الحكم المستنصر بالله ، وكانت ولايته غداة موت أبيه الناصر في رمضان سنة ٣٥٠ . وفي سياق الحديث عن الحكم المستنصر هذا أورد المراكشي شعراً لأبي عمر يوسف الرمادي وصل الحرم إلى منتصفه ولم نوفق إلى بدايته ؛ وسيأتي مزيد تفصيل عنه فيما يلي من حديث المراكشي عن أحداث عصر المستنصر ...

(١) أول الشعر مجهول ، وهو لأبي عمر الرمادي ، من شعراء عصر الحكم المستنصر كما سبقت الإشارة ، ويتضح من السياق أن الشاعر ينظم حكاية معروفة يوردها المراكشي مثورة فيما بعد .

(٢) عيسى بن موسى صاحب الشرطة في بغداد لعهد الرشيد .

(٣) الطويلة كلمة يفسرها الشاعر : لباس خاص للرأس .

... بسجني حيث وافقه أسم جار السفقيه ولو سجنتمو بو تر ا  
 فاطلقهم له عيسى جميعا \* لجار لا بيت بغير سكر ا  
 فان أحببت قل لجوار جار \* وإن أحببت قل لإطلاب أجر  
 فإن أبا حنيفة لم يؤوب من \* تطلبيه تخلصه بوزر  
 وتلخيص هذه الحكاية التي نظمها أبو عمر في شعره ، أن أبا حنيفة رحمه الله  
 كان يجاوره رجل كيال ، فكان كل ليلة يأخذ سمكة ورغيفاً وشيئاً من النبيذ ،  
 فإذا صلى العشاء الآخرة أكل ثم شرب ، حتى إذا انتشى رفع عقيرته واندفع  
 ينشد هذا البيت :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا \* ليوم كريمه وسداد ثغر  
 فلا يزال يُعيده حتى يغلبه النوم ، وكان أبو حنيفة - على ما اشتهر عنه - يُحبي  
 الليل كله صلاةً ، فلما كان في بعض الليالي فقد صوت ذلك الرجل ، فقال  
 لبعض من عنده : ما فعل جارنا هذا الذي كان يُغني كل ليلة ؟ أهو مريض  
 أم غائب ؟ فقالوا له : إنه مسجون ! فقال : ومن سجنه ؟ فقالوا : خرج في الليل  
 لبعض حاجته فلقية أصحاب عيسى بن موسى صاحب الشرطة فأتوا به فأمر  
 بسجنه : فلما أصبح أبو حنيفة لبس ثيابه وركب دابته وقصد عيسى بن موسى  
 في بيته ، فلما أعلم عيسى بمكان أبي حنيفة خرج يتلقاه مسرعاً ، وبالغ في تكريمه  
 وبره ، وسأله عن حاجته ، فقال : لي في سجنك جار اسمه عمرو ؛ فقال عيسى :  
 يُطلق كل من كان اسمه عمرو بسجني من أجل جار الفقيه ! فأطلقه وخلقاً  
 كثيراً معه ؛ فأتى الرجل أبا حنيفة يشكر له ، فلما وقعت عينه عليه قال له :  
 أضعنك ؟ قال الرجل : لا والله ، بل حفظت الجوار حفظك الله !

والبيت الذي نظمه أبو عمر وكان يُغنى به الرجل جاراً أبو حنيفة ، هو  
 للعرجى ، رجل من ولد عثمان بن عفان ، سبغته المغيرة خال هشام بن  
 عبد الملك وعامله على مكة ، فلم يزل بسجنه إلى أن مات وخرجت جنازته  
 من السجن .

ولأبي عمر هذا شعر كثير الجيد ، وهو من الطبقة الثالثة من طبقات شعراء  
 الأندلس ؛ فما على حفظي له أول قصيدة يمدح بها أبا علي القالى المتقدم  
 الذكر (١) ، وهي :

مَنْ حَاكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُولِي \* الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي  
 أَقْصِرْ فَا دِينَ الْهُوَى كُفْرٌ وَلَا \* أَعْتَدُ لَوْ مَكَ لِي مِنَ التَّنْزِيلِ  
 عَجْبًا لِقَوْمٍ لَمْ تَكُنْ أَذْهَانَهُمْ \* لِهَوَى وَلَا أَجْسَادُهُمْ لِشُحُولِ  
 دَقَّتْ مَعَانِي الْحُبِّ عَنِ أَفْهَامِهِمْ \* فَتَأْوَلُوهُ أَقْبَحَ التَّأْوِيلِ  
 فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصَوْنُ مُعَذِّبِي \* سَلَيْتُ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ  
 إِنْ قَلْتُ فِي عَيْنِي فَسَمَّ مَدَامَعِي \* أَوْ قَلْتُ فِي قَلْبِي فَسَمَّ غَلِيلِي  
 [ لَكِنْ جَعَلْتُ لَهُ الْمَسَامِعَ مَوْضِعًا \* وَحَجَبْتُهَا عَنْ عَدْلٍ كُلِّ عَدُولٍ ] (٢)  
 هذا ما بقى في حفظي منها . وكان أبو عمر هذا من مقدّمي شعراء الحكم المستنصر (٣) ،

(١) مضى ذكره - ولاربيب - عند الحديث عن الناصر ؛ إذ كان مقدمه إلى الأندلس في  
 عهده سنة ٣٣٠ ؛ أو لعل ذكره قد مضى في صدر هذا الحديث عن المستنصر .

(٢) ما بين العلامتين [ ] زيادة عن فتح الطيب .

(٣) كان الحكم المستنصر محبا للعلوم مكرما لأهلها ، جماعا للكتب على اختلاف أنواعها ،  
 اجتمع له منها ما لم يجتمع لأحد من الملوك قبله ؛ قال تليد الحصى - وكان على خزانة العلوم  
 والكتب بدار بني مروان - : إن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ،  
 في كل فهرسة عصفرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين . وقد أقام الحكم للعلم والعلماء =

وكان مختصاً بأبي الحسن المصحفي<sup>(١)</sup>، منضوياً إليه؛ وهو الذي حمله على هجنو محمد بن أبي عامر<sup>(٢)</sup>، فلما أفضى الأمر إلى محمد قبض على المصحفي واستصفي أمواله ووضعها في المطبق، فلم يزل به حتى مات جوعاً وهزلاً؛ وأما ما كان من أبي عمر الشاعر فإنه أوسع عقوبة ونكالا، وأمر بتغريبه<sup>(٣)</sup>،

== سوقاً نافقة، جلبت إليها البضائع من كل قطر، وكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجلاً من التجار يزودهم بالمال الجهم لعمرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهد، وبعث في كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني - وكان نسبة في بني أمية - بألف دينار من الذهب العين ثمناً لنسخة من كتابه، فبعث إليه أبو الفرج بنسخة منه قبل أن يخرجها إلى العراق، وكذلك فعل مع أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم. ولما وفد على أبيه أبو علي القالي من بغداد سنة ٣٣٠ أكرم مشواه وحسنت منزلته عنده واختص به، واستفاد منه الحكم علماً. قال ابن بشكوال: «قلما يوجد كتاب من خزائنه إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان، ويكتب نسب المؤلف ومولده ووفاته، ويأتي من بعد ذلك بترائب لا تكاد توجد إلا عنده، لعنايته بهذا الشأن.» وله شعر جيد، فما ينسب إليه قوله:

إلى الله أشكو من شمائل مسرفٍ      على ظلوم لا يدين بما دنتُ  
نأت عنه داري فاستزاد صدوده      وإني على وجدى القديم كما كنت  
ولو كنت أدرى أن شوقى بالغب      من الوجد ما بلغته لم أكن بنتُ  
وقوله:

عجبتُ وقد ودعتها كيف لم أمت      وكيف انثنتُ بعد الوداع يدي معي  
فيا مقلتي العبرى عليها أسكبي دماً      ويا كبدي الحرى عليها تقطعي!

(١) هو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي حاجب الحكم المستنصر، غلبه المنصور بن أبي عامر على مكاتبه بعد موت الحكم واستأثر بالسلطان كله، ثم نكبه!

(٢) هو المنصور بن أبي عامر، وكان الحكم قد استوزره لولده هشام، فترقى أمره حتى بلغ ما يبلغ من الجاه والسلطان، وصارت الدولة، والعرش، والقصر، والخليفة الصبي، وأم الخليفة - كل أولئك طوع بيمينه، وسيأتى من تفصيل أمره ما يعني هنا عن الإفاضة.

(٣) لم تكن أول حال الرمادي مع المنصور بن أبي عامر تؤذن بهذه الخاتمة؛ فقد كان له عليه دالة وعنده مكان؛ روى أن المنصور قال له يوماً: «كيف ترى حالك معي؟» قال أبو عمر: «فوق قدرى ودون قدرك!» قالوا: فأطرق المنصور كالغضبان، فانسحل الرمادي ==

فَشْفَعَ له عنده في أن يتركه بيلده ، فأذن في ذلك ، غير أنه خرج الأمر من جهته ألا يكلمه أحد من العامة ولا من الخاصة : أمر مناديه أن ينادى [بذلك] في جميع جهات قرطبة : فأقام أبو عمر هذا كالميت إلى أن مات مودة الوفاة في آخر أيام أبي عامر .

وكان الحكم المستنصر مواصلاً لغزو الروم ومن خالفه من المحاربين ، فاتصلت ولايته إلى أن مات في صفر سنة ٣٦٦ فكانت مدة ولايته منذ بويغ له إلى أن مات ست عشرة سنة وأشهرًا ؛ وانقرض عقبه بعد موت ابنه هشام المؤيد ، لم يعيش له ولد غيره .

### ولاية هشام المؤيد بن الحكم المستنصر

[وتعاقب المنصور بن أبي عامر]

ثم ولى بعده ابنه هشام بن الحكم ، يكنى أبا الوليد ، أمه أم ولد اسمها صبح ، وسنّه إذ ولى عشرة أعوام وأشهر ، فلم يزل متغيّباً لا يظهر ولا ينفذ له أمر ؛ وكان الذي تغلب على أمره أولاً وتولى حجابته وتنفيذ أموره وتدير مملكته ،

== وخرج وقد ندم على ما بدر منه ، وجعل يقول : أخطأت ؛ لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ؛ ما كان ضرفي لو قلت له إنى بلغت السماء وتمتعت بالجوزاء ؟ وكان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور ، فوجد فرصة ، فقال : وصل الله لمولانا الظفر والسعد ؛ إن هذا الصنف صنف زور وهذيان ؛ لا يشكرون نعمة ، ولا يرعون إلا ولاذمة ؛ كلاب من غلب ، وأصحاب من أخصب ، وأعداء من أجلب ! ... قالوا : فرغ المنصور رأسه - وكان يحامى أهل الأدب والشعر - وقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال : ما بال قوم يشيرون في شيء لم يستشاروا فيه ، ويسبئون الأدب بالحكم فيما لا يدرون أيرضى أم يسخط ... إلى آخر ما روى .

انظر الجزء الثاني من فتح الطبيب « قصة الرمادى الشاعر مع المنصور » .

أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ابن عامر المعافري القحطاني (١).

وكان أصل ابن أبي عامر هذا من المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، من قرية من أعمالها تسمى طُرَش، على نهر يسمى وادي آرُوا، إلا أنه كان شريف البيت قديم البعثين، ورد شاباً إلى قرطبة، فطلب العلم والأدب وسمع الحديث، وتميَّز في ذلك؛ وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور، وتزييد في ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك؛ وله في ذلك أخبار عجيبة، قد أورد منها الشيخ الفقيه المحدث الضابط المتقن أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (٢) طرفاً في كتابه المترجم بـ «الأماني الصادقة»، فمن جملتها قال الحميدي:

حدثني أبو محمد علي بن أحمد بن حزم قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن إسحاق التيمي قال:

كان محمد بن أبي عامر نازلاً عندي في حجرة فوق بيتي، فدخلت عليه في بعض الليالي في آخر الليل، فوجدته قاعداً على الحال التي تركته عليها أول الليل حين فصلتُ عنه، فقلت له: ما أراك نمت الليلة! قال: لا؛ قلت: فما

(١) هو المنصور السابق ذكره.

(٢) كان الحميدي شاعراً مؤرخاً حافظاً راوية، تتلمذ على الإمام الفيلسوف ابن حزم الظاهري، وعنه يروى أكثر علمه، وكان مولده سنة ٤٢٠ ووفاته سنة ٤٨٨ وكان له رحلة إلى المشرق، ألف فيها كتاباً في طبقات علماء الأندلس سماه «جذوة المقتبس»، وعن كتابه هذا وكتاب الآخر المسمى بـ «الأماني الصادقة» نقل عبد الواحد كثيراً من أخباره عن الفترة الأولى من تاريخ المغرب والأندلس، وتوجد من كتاب «جذوة المقتبس» نسخة مخطوطة في أكسفورد.

أسهرك؟ قال: فكرة عجيبة! قلت: في ماذا كنت تفكر؟ قال: فكرت: إذا أفضى إلى الأمر ومات محمد بن بشير القاضي، بمن أستبدله، ومن الذي يقوم مقامه؟ فجلست الأندلس كلها بخاطري فلم أجد إلا رجلا واحداً... قلت: لعله محمد بن السليم<sup>(١)</sup>؛ قال: هو والله هو؛ لشد ما اتفق خاطري وخاطرك!

قال الحميدي: وأخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد قال: كان ابن أبي عامر يوماً جالساً مع ثلاثة من أصحابه من طلبة العلم، فقال لهم: لسيختر كل واحد منكم خطة أوليها إذا أفضى إلى الأمر! فقال أحدهم: توليني قضاء كورة رية، وهي مالقة وأعمالها؛ فإنه يعجبني هذا التين الذي يحيى منها!

وقال الآخر: توليني حبة السوق؛ فإنني أحب هذا الإسفنج!

وقال الثالث: إذا أفضى إليك الأمر فأمر أن يطاف بي قرطبة كلها على حمار ووجهي إلى الذئب وأنا مطلى بالعسل ليجتمع على الذباب والنحل<sup>(٢)</sup>! وافترقوا على هذا؛ فلما أفضى الأمر إليه كما تمنى بلغ كل واحد منهم أمنيته على نحو ما طلب!

ولم تزل حاله تعلق منذ ورد قرطبة إلى أن تعلق بوكالة السيدة صبح أم هشام

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق المهبير بالسليم، قاضي الجماعة بقرطبة، ذكره المقرئ فيمن كانت لهم رحلة إلى المشرق. وله شعر كتب به إلى الحكم المستنصر، هو قوله:

لو أن أعضاء جسمي ألسن نطقت      بشكر نعمك عندي، قل شكرى لك  
أو كان ماسكني الرحمن من أجلى      شيئاً وصلت به ياسيدي أجلك  
ومن تكن في الورى آماله كثرت      فانما أملى في أن ترى أملك!

توفي سنة ٣٦٧

(٢) واضح أن صاحبه هذا كان يسخر من أمنيته تلك، فلم يخطر في وهمه أن يكون شيء من ذلك، ولكن كل ذلك قد كان، لتبلغ السخرية تمامها!

المؤيد بن الحكم والنظر في أموالها وضياعها ، فزاد أمره في الترقى معها إلى أن مات الحكم المستنصر ؛ وكان هشام صغيراً كما ذكرنا ، وخيف الاضطراب ، فضمن لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها ؛ وكان قوى النفس ، وساعده المقادير ، وأمدته المرأة بالأموال ؛ فاستمال العساكر إليه ، وجرت أحوال علت قدمه فيها ، حتى صار صاحب التدبير والمتغلب على الأمور ؛ وحجب هشاماً المؤيد ، وتلقب هو بالمنصور ؛ فأقام الهيبة ، فدانت له أقطار الأندلس كلها وأمنت به ، ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته ، لعظم هيئته وفرط سياسته .

واستوزر جماعة منهم الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان الملقب بالمصحفي<sup>(١)</sup> ؛ ومنهم الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، ومنهم الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الذي اختصر كتاب العين - وقد تقدم ذكره<sup>(٢)</sup> - وكان قد ولاه شرطته ، وكان الزبيدي هذا من بطانة الحكم المستنصر ووجوه أصحابه .

واستوزر أبا العلاء صاعد بن الحسن الرِّبَعِيّ اللغوي البغدادي ، وله معه أخبار مستطرفة ، ولعلی ساورد طرفاً منها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وكان محباً للعلوم مؤثراً للأدب مفرطاً في إكرام من ينسب إلى شيء من

(١) انظر التعليق رقم ١ ص ٢٦

(٢) كتاب العين : هو - فيما يقولون - أول كتاب في اللغة ، وضعه الخليل بن أحمد ؛ ولم يرد له ولا مختصره ذكر فيما بين يدينا من كتاب المراكشي ؛ ففعل خبراً عن هذا أو ذاك قد ورد فيما انحرم من الكتاب وسبقت الإشارة إليه .



ذلك [ ويفقد ] عليه متوسلا به ، بحسب حظه منه وطلبه له ومشاركته فيه (١) ؛  
ورد عليه الأندلس في أيام إمارته أبو العلاء صاعد بن الحسن الربيعي المذكور  
آنفا ، فعظمت منزلته عنده ونال منه أموالا جمّة ؛ وكان وروده عليه سنة ٣٨٠ ؛  
أظن أصله من بلاد الموصل ، دخل بغداد فقرا بها ، وكان عالما باللغة والآداب  
والأخبار ، سريع الجواب ، حسن الشعر ، طيب المعاشرة ، فكه المجالسة تمتعا ؛  
فأكرمه المنصور وأفرط في الإحسان إليه والإفضال عليه ؛ وكان مع ذلك محسنا  
لظريف السؤال ، حاذقا في استخراج الأموال ، طبّا بلطائف الشكر .

أخبرني بعض مشايخ الأندلس بإسناد له ، أن أبا العلاء دخل على المنصور  
أبي عامر يوما في مجلس أنسه ، وقد كان تقدّم له أن اتخذ قميصاً من رِقَاع  
الخزائط التي كانت تصل إليه فيها الأموال منه ، فلبسه تحت ثيابه ؛ فلما خلا  
المجلس ووجد فرصة لما أراد ، تجرد وبقى في القميص المتخذ من الخزائط ،  
فقال له : ما هذا يا أبا العلاء ؟ فقال : هذه الخزائط التي وصلت إلىّ فيها صلوات  
مولانا أتخذها شعاراً ؛ وبكى ، وأتبع ذلك من الشكر فصلا كان رواه ، فأعجب  
ذلك المنصور ، وقال له : لك عندي مزيد ! وكان كما قال .

وألف له أبو العلاء هذا كتبا ، فيها كتاب سماه كتاب الفصوص ، على نحو  
كتاب النوادر لأبي علي القالي ؛ واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق أن  
أبا العلاء دفعه حين كمل لغلام له يحمله بين يديه وعبر النهر ، نهر قرطبة ؛ فغانت  
الغلام رجلاه فسقط في النهر هو والكتاب ؛ فقال في ذلك بعض الشعراء

(١) انظر قصته التي رويها في التعليق رقم ٣ ص ٢٦ عما كان من شأنه وشأن الرمادي في

بعض مجالسه .

- وهو أبو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن العريف - بيتاً مطبوعاً بحضرة المنصور ، وهو :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ۞ وهكذا كلُّ ثقیل يغوص !  
فضحك المنصور والحاضرون ، فلم يرُعْ ذلك صاعداً ولا هالته (١) ، وقال

(١) يبدو أن مكانة صاعد من أبي عامر المنصور قد أحنقت عليه قلوباً كثيرة حاجبها الحسد إلى معابته والتقص من قدره ، وكان من أشد مناقضيه ابن العريف النجوى هذا المذكور ؛ وكان صاعد لا يدعه حتى يأخذ منه بحقه ؛ روى أن ابن العريف دخل على المنصور يوماً وعنده صاعد اللغوى ، بالعامرية ، وهي قصر أنشأه إلى جانب الزهراء تسرح العين في بهائه ، والخيال في أمهائه ؛ فأنشده ابن العريف أبياتاً ، منها :

فالعامة تزهي على جميع المباني  
وأنت فيها كسيفٍ قد حل في غمندان

وغمندان : قصر الأذواء من سيوف اليمن ، وقد كان المنصور يزهي بجماله . فقام صاعد يناقض ابن العريف مرتجلاً :

يأيها الحاجب المعتلى على كيان  
ومن به قد تناهى فخار كل يمان  
العامة أضحت بكنة الرضوان  
فسريدة لفريد ما بين أهل الزمان

تم مضى في إنشاده إلى أن قال في وصف العامة :

انظر إلى النهر فيها ينساب كالشعبان  
والطير يخطب شكراً على ذرا الأغصان  
والقضب تلتف سُكراً بِمَيْسِ القضبان  
والروض يفتّر زهواً عن ميسم الأحقوان  
والرجس الغضُّ يرنو بوجنة النعمان  
وراحة الريح تمتسا ... رنفحة الريحان

مرتجلاً مجيئاً لابن العريف :

عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص !  
 وكتاب آخر على نحو كتاب الخزر جي أبي السرى سهل بن أبي غالب ، سماه  
 كتاب الهجفيف بن غيدقان بن يثربي مع الخنوت بنت مخزومة بن أنيف ،  
 وكتاب آخر في معناه سماه كتاب الجواس بن قنعتل المذحجى مع ابنة عمه  
 عفراء ، وهو كتاب مליح جدا انخرم أيام الفتن بالاندلس فنقصت منه أوراق  
 لم توجد بعد ؛ وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب ، أعنى الجواس ، حتى  
 رتب له من يخرج له أمامه كل ليلة ؛ ويقال إن أبا العلاء لم يحضر بعد موت  
 المنصور مجلس أنس لأحد من ولى الأمور بعده من ولده ، وادعى وجعا لحقه  
 في ساقه لم يزل يتوكأ منه على عصا ويعتذر به في التخلف عن الحضور والخدمة  
 إلى أن ذهبت دولتهم ؛ وفي ذلك يقول في قصيدته المشهورة في المظفر  
 أبي مروان عبد الملك بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر ، وهو الذى ولى  
 بعد أبيه ، وأولها :

إليك حَدوتُ ناجيةَ الركابِ • محمَّلةً أمانَ كالهضابِ

==  
 قدم مدى الدهر فيها في غبطة وأمان !

فاستحسن المنصور ارتجاله ، وقال لابن العريف : مالك فائدة في مناقضة من هذا ارتجاله ،  
 فكيف تكون رويته ؟ فقال ابن العريف : إنما أنطقه وقرب عليه المأخذ إحسانك ! فقال له  
 صاعد : فيخرج من هذا أن قلة إحسانه لك أسكتتك وبعثت عليك المأخذ !  
 فضحك المنصور وقال : غير هذه المنازعة ألبق بأديكما !

وقد كانت كثرة حساد صاعداً سبباً إلى ماشاع على السنة الرواة من أنباء انتحاله واحتماله وتزييفه .  
 على أن الحق أن أبا العلاء كان أديباً من أهل الذوق والبيان لارواية من أهل العلم باللغة والخبر .

وَبِعْتُ مُلُوكَ أَهْلِ الشَّرْقِ طَرَا \* بِوَاحِدِهَا وَسَيِّدِهَا اللَّسَابِ  
وَفِيهَا يَقُولُ :

إِلَى اللَّهِ الشَّكِيَّةُ مِنْ شَكَاةٍ \* رَمَتْ سَاقِي بَجَلٍ بِهَا مُصَابِي  
وَأَقْصَتْنِي عَنِ الْمَلِكِ الْمُرَجِّي \* وَكُنْتُ أَرِمُ حَالِي بِاقْتِرَابِي  
وَمَا اسْتَحْسَنَ لَهُ قَوْلُهُ :

حَسَبْتُ الْمُنْعِمِينَ عَلَى الْبَرََايَا \* فَأَلْفَيْتُ اسْمَهُ صَدْرَ الْحِسَابِ  
وَمَا قَدَّمْتُهُ إِلَّا كَأَنِّي \* أَقْدَمُ تَالِيًا أُمَّ الْكِتَابِ

قال أبو عبدالله الحميدى : أخبرنى أبو محمد على بن الوزير أبى عمر أحمد بن سعيد  
ابن حزم ، أنه سمع أبا العلاء ينشد هذه القصيدة بين يدى المظفر فى عيد الفطر  
سنة ٣٩٦ - قال أبو محمد : وهو أول يوم وصلت فيه إلى حضرة المظفر - ولما  
رأى أبو العلاء أستحسنها وأصغى إليها كتبها لى بخطه وأنفذها إلى . انتهى  
كلام الحميدى .

وكان أبو العلاء كثيراً ما تستغرب له الألفاظ ، ويُسأل عنها فيجيب  
بأسرع جواب ، على نحو ما يحكى عن أبى عمر الزاهد المطرز غلام ثعلب ؛ ولولا  
أن أبا العلاء كان كثير المزح لحمىل على التصديق فى كل ما يأتى به من ذلك ؛  
وقد ظهر صدقه فى بعض ما قال ؛ فما يحكى عنه من هذا المعنى أنه دخل على  
المنصور يوماً وفى يد المنصور كتاب ورد عليه من عامل له فى بعض البلاد اسمه  
ميدمان بن يزيد ، يذكر فيه القلب والتزليل ، وهذه عندهم أسماء لمعانة الأرض  
قبل الزرع ، فقال له : أبا العلاء ا قال : لبيك مولانا ا قال : هل رأيت فيما وقع

إليك من الكتب كتاب القوالب والزوايل<sup>(١)</sup> لميدمان بن يزيد؟ قال: إني والله يامولانا؛ رأيتُه ببغداد في نسخة لأبي بكر بن دريد بخط كأكرع النمل في جوانبها علامات الوضّاع هكذا هكذا... فقال له: أما تستحي أبا العلاء؟ هذا كتاب عاملي يبلى كذا وكذا واسمه كذا يذكر فيه كذا (الذي تقدم ذكره)، وإنما صنعت لك هذه الترجمة مولدة من هذه الألفاظ التي في هذا الكتاب ونسبته إلى عاملي لأختبرك! فجعل يحلف له أنه ما كذب وأنه أمرٌ وافق.

وقال له المنصور مرة أخرى وقد قدم طبق فيه تمر: يا أبا العلاء، ما السَّمْرُ كُلُّ في كلام العرب؟ قال: يقال تَمَرٌ كَلَّ الرجل تمر كلاً إذا التف في كسائه!

وله من هذا كثير، ولكنه مع هذا كان عالماً.

قال أبو عبد الله الحميدى: حدثني أبو محمد علي بن أحمد قال: حدثني الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة، عن أبي عبد الله العاصمي النحوى قال: لما قدم صاعد بن الحسن اللغوى على المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر، جمَعنا معه، فسألناه عن مسائل من النحو غامضة فقصر فيها، فلما رآه ابن أبي عامر كذلك قال: دعوه، هو من طبقتي في النحو، أنا أناظره. قال: ثم سألنا صاعد فقال: ما معنى قول امرئ القيس:

كَأَنَّ دَمَاءَ الْمَهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ ۝ عَصَاةُ حِثَاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَلٍ...؟  
فقلنا: هذا واضح، وإنما وصف فرساً أشهب عُقِرَتْ عليه الوحش فتطير

(١) في الأصل: القوالب والدواب؛ والتصحيح عن «أبناء الرواة» وإنما آثرناه لأن «الزوايل» أقرب إلى أن تكون مولدة من «التريل» على ما يشار إليه بعد.

دمها على صدره فجاء هكذا . فقال صاعد : سبحان الله ! أنسيتم قوله قبل هذا :  
 كَمَيْتٌ يُزِيلُ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ \* كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ ... ؟  
 قال : فبهتتنا كأننا لم نقرأ هذا البيت قط ، واضطربنا إلى سؤاله عنه ، فقال :  
 إنما عني أحد وجهين : إما أنه كعشى صدره بالعرق ، وعرق الخيل أبيض ،  
 فجاء مع الدم كالشيب : وإما شيء كان العرب تصنعه ، وهو أنها كانت تسمم  
 باللبن الحار في صدور الخيل فيتمعط ذلك الشعر وينبت مكانه شعراً أبيض :  
 فَأَيُّمَا عَنَى مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فَالْوَصْفُ مُسْتَقِيمٌ .

قال أبو عبد الله : وحدثنا أبو محمد علي بن أحمد قال : حدثني أبو الخيار  
 مسعود بن سليمان بن مفلت الفقيه ، أن أبا العلاء صاعداً سأل جماعة من أهل  
 الأدب في مجلس المنصور أبي عامر عن قول الشَّمَّاحِ بنِ ضَرَّارِ :  
 دار الفتاة التي كُنَّا نقول لها \* ياظبيةً عُطَّلًا حَسَانَةً الْجَيْدِ  
 تُدْنِي الْجَمَامَةَ مِنْهَا وَهِيَ لَاهِيَةٌ \* من يانع المرءِ قِنْوَانَ الْعِنَاقِيدِ  
 فقالوا : هي الحمامة ، تنزل على غصن الأراك أو الكرمة فتفضضه فتتمكن الظبية  
 منه فترعاه . فأذكر ذلك عليهم صاعد وقال : إن الحمامة في هذا البيت هي  
 المرأة ، وهي اسم من أسمائها ؛ فأراد أن هذه الجارية المشبهة بالظبية إذا نظرت  
 في المرأة أدنت المرأة منها في المنظر شعرها الذي هو كقنوان العناقيد من يانع  
 الكرم أو المرء ، فرأته .

ومن عجائب الدنيا التي لا يكاد يتفق مثلها ، أن صاعد بن الحسن اللغوي  
 هذا أهدى إلى المنصور أبي عامر أياً وكتب معه بهذه الآيات :  
 يَا حِرْزَ كُلِّ مَخْوَفٍ ، وَأَمَانَ كُلِّ مُشْرَدٍ ، وَمُعِزَّ كُلِّ مُذَلَّلٍ

جندواك إن تخصص به فلاهله \* وتعم بالإحسان كل مؤمل  
كالغيث طبق فاستوى في وبله \* شعث البلاد مع المراد المقبل  
الله عونك ما برك بالهدى \* وأشد وقعك بالضلال المشعل  
ما إن رأيت عيني ، وعليك شاهد ، \* شروى علائك في ميمم مخول  
أندى بمقربة كسر حان الغصا \* ركضاً ، وأوغل في مشار القسطل  
مولاي ، مؤنس غربتي ، متخطني \* من ظفر أياي ، تمنع معقل  
عبد نشلت بضبعه وغرسته \* في نعمة أهدي إليك بأيل  
سميته ، غرسية ، وبعثه \* في جبله ليتاح فيه تفاؤل  
فلن قبلت فتلك أسنى نعمة \* أسدى بها ذو منحة وتطول  
صحبك غادية السرور وجلت \* أرجاء ربك بالسحاب المنخضيل  
فقضى الله في سابق علمه أن غرسية بن شانجه من ملوك الروم - (١) وكان  
أمنع من النجم - أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بالأيل وسماه  
غرسية متفائلاً بأسره : (٢) وهكذا فليكن الجد للصاحب والمصحوب : وكان  
أسر غرسية هذا في ربيع الآخر سنة ٣٨٥ .

خرج أبو العلاء صاعد هذا من الأندلس أيام الفتن ، وقصد صقلية فمات  
بها في قريب من سنة ٤١٠ (٣) - فيما بلغني - عن سن عالية .

(١) ملك البشكنس .

(٢) روى صاحب فتح الطيب خبر أسره ، قال :

« وسبب أخذه أنه خرج يتصيد ، فلقته خيل المنصور من غير قصد ، فأسرته وجاءته به ؛

فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب ! »

(٣) كانت وفاته في ابن خلكان ، وياقوت ، بصقلية سنة ٤١٧ وفي أبناء الرواة : سنة ٤١٩ =

ولم يزل المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر طول أيام مملكته مواصلاً لغزو الروم ، مفرطاً في ذلك لا يشغله عنه شيء ؛ وكان له مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة بحضوره ما كان مقياً بقرطبة ؛ وبلغ من إفراط حبه للغزو أنه ربما خرج للمصلى يوم العيد فحدث له نية في ذلك فلا يرجع إلى قصره ، بل يخرج بعد انصرافه من المصلى كما هو من فوره إلى الجهاد ، فتبعه عساكره وتلحق به أولاً فأولاً ، فلا يصل إلى أوائل بلاد الروم إلا وقد لحقه كل من أراده من العساكر . غزا في أيام مملكته نيفا وخمسين غزوة ذكرها أبو مروان ابن حيان كلها في كتابه الذي سماه بـ «المآثر العامرية» ، واستقصاها كلها بأوقاتها وذكر آثاره فيها ؛ وفتح فتوحاً كثيرة ، ووصل إلى معاقل قد كانت امتنعت على من كان قبله ، وملاً الأندلس غنائم وسببياً من بنات الروم وأولادهم ونسائهم ؛ وفي أيامه تعالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلى والدور ؛ وذلك لرخص أثمان بنات الروم ؛ فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا ، ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرة ؛ بلغني أنه نُودِيَ على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة - وكانت ذات جمال رائع - فلم تساوِ أكثر من عشرين ديناراً عامرية ؛ وكان في أكثر زمانه لا يُخجلُ بأن يغزو غزوتين في السنة ، وكان كلما انصرف من قتال العدو إلى سرادقه يأمر بأن ينفض غبارُ ثيابه التي حضر فيها معمعة القتال ، وأن يُجمع ويُتَحَفَّظَ به ؛



فلما حضرته المنية أمر بما اجتمع من ذلك أن يُنثر على كفنه إذا وُضع في قبره (١).

وكانت وفاته بأقصى ثغور المسلمين، بموضع يعرف بمدينة سالم، مبطونا؛ فصحت له الشهادة، وتاريخ وفاته سنة ٣٩٣ (٢) فكانت مدة إمارته نحواً من سبع وعشرين سنة، وكان معافى النسب، وأمه تيمية اسمها فريهة بنت يحيى ابن زكريا التيمي، كان يعرف بابن بئر طل؛ ولذلك قال فيه أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الشاعر المعروف بالقسطلي من قصيدة له:

تلاقت عليه من تميمٍ ويعربٍ • شمس تلالاً في العلا وبدورٍ  
من الحميريين الذين أكفهم • سحاب تهمي بالندي وبجورٍ  
وأبو عمر هذا من فحول شعراء الأندلس والمجيدين منهم، ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب اليتيمة وقال فيه: القسطلي عندهم كأبي الطيب بصقع الشام. هذا قول أبي منصور أو معناه (٣)؛ وكنت أنا في أيام شببتي مولعاً بشعره كثير الدراسة له، فلم يبق اليوم على خاطري منه شيء أصلاً، خلا بيتين هما مما ارتجل في بعض مجالسه، وهما:

أجِدِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنما • عقلُ الفتى في لفظه المسموع  
كالماءِ يختبرُ الإناءَ بصوته • فيرى الصحيحَ به من المصدوع

(١) وروى أنه أمر بما اجتمع من ذلك التراب أن تصنع منه لينة يحملونها كالوسادة لرأسه في قبره، رحمه الله!

(٢) الصواب: ٣٩٢.

(٣) نس عبارة الثعالبي: «أبو عمر... كان يصقع الأندلس كالمثني بصقع الشام، وهو أحد الشعراء الفحول، وكان يجيد ما ينظم ويقول».

## [ وزارة المظفر بن أبي عامر ]

ثم تقلد الوزارة والحجابة بعد ابن أبي عامر هذا ، ابنه أبو مروان عبد الملك ابن أبي عامر ، وتلقب بالمظفر ، فخرى في الغزو والسياسة عن هشام المؤيد على سبعمائة سنة ، وكانت أيامه أعياداً في الخصب والأمان ، دامت سبع سنين ، إلى أن مات واثارت الفتن بعده .

## [ وزارة الناصر بن أبي عامر ]

ثم تقلد ما كان يتقلده من بعده ، أخوه عبد الرحمن ، وتلقب بالناصر ؛ فخلط وتسمى ولي العهد (١) ؛ ولم يزل مضطرباً الأمور مدة أربعة أشهر ، إلى أن قام عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، ثمان عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ ، نزل هشاماً المؤيد ، وأسلمت الجيوش عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ، فقتل وُصِّل (٢) .

(١) حمل هشاماً المؤيد - وكان لم يزل محبوباً مكفوف اليد عن التصرف في شؤون الدولة - على أن يوليّه العهد من بعده ؛ فكان هذا أول الفتنة .

(٢) حكى صاحب فتح الطيب عن ابن الرقيق قال :

« ومن أعجب ما روي أنه من نصف نهار يوم الثلاثاء لأربع بقين من جمادى الآخرة إلى نصف نهار يوم الأربعاء ، ففجرت قرطبة ، وهدمت الزهراء ، وخلع خليفة وهو المؤيد ، وولى خليفة وهو المهدي ، وزالت دولة بني عامر العظيمة ، وقتل وزيرهم محمد بن علاجة ، وأقيمت جيوش من العامة ، وتكب خلق من الوزراء ، وولى الوزارة آخرون ؛ وكان ذلك كله على يد عشرة رجال خامين وجزارين وزباليين ، وهم جند المهدي » !  
ثم قال القرني :

« ولقد كان قيامه - يعني المهدي - مشثوماً على الدين والدنيا ؛ فإنه فاتح أبواب الفتنة بالأتدلس ، وماحى معالمها ، حتى تفرقت الدولة ، وانتثر السلك ، وكسر الرؤساء ، وتناول العدو إليها وأخذها شيئاً فشيئاً ، حتى محى اسم الإسلام منها . أعادها الله تعالى ! »

وكان محمد بن هشام بن عبد الجبار - المتقدم ذكره - لما قام تَلَقَّبَ بالمهدى ،  
 وبقي الأمر كذلك إلى أن قُتِلَ محمد بن هشام بن عبد الجبار ، وُرِدَ هشام المؤيد  
 إلى الأمر ؛ وذلك يوم الأحد السابع من ذى الحجة سنة ٤٠٠ ؛ وبقي كذلك  
 وجيوشُ البربر تحاصره مع سليمان بن الحكم بن سليمان ، واتصل ذلك إلى خمس  
 خلون من شوال سنة ٤٠٣ ؛ فدخل البربر مع سليمان قرطبة ، وأخلوها من أهلها ،  
 حاشا المدينة وبعض الرِّبَضِ الشرقي ، وقُتِلَ هشام المؤيد بن الحكم المستنصر ؛  
 وكان - كما ذكرنا - في طول دولته متغلباً عليه لا ينفُذُ له أمر ؛ وغلب عليه في  
 هذا الحصار ، أعنى حصار البربر ، واحدٌ من العبيد بعد محمد بن أبي عامر  
 المنصور وولديه عبد الملك الظافر وعبد الرحمن الناصر .

[ تفصيل ماسبق لإجماله ]

### ولاية محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى

ثم قام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، على هشام بن  
 الحكم في جمادى الآخرة - كما تقدم - فخلعه وتَسَمَّى بالمهدى ، وكان يُسكني  
 أبا الوليد ، أمه أمٌ وُلِدَ اسمُها مُزَنَّةٌ ، وكان له ولد اسمه عبيد الله ؛ وكان مولد  
 المهدى في سنة ٣٦٦ ، وقُتِلَ وله من العمر أربع وثلاثون سنة <sup>(١)</sup> ؛ ولم يزل  
 والياً إلى أن قام عليه - يوم الخميس لخمس خلون من شوال سنة ٣٩٩ - هشام بن  
 سليمان بن عبد الرحمن الناصر مع البربر ، فحاربه بقية يومه والليلة الآتية وصديحة  
 اليوم الثاني ؛ فقام عامة أهل قرطبة مع محمد المهدى ، فانهزم البربر وأسر هشام

(١) في الأصل : سبع وثلاثون سنة ، وهو تحريف .

ابن سليمان ، فأتى به إلى المهدي فضرب عنقه .

[ بدء الفتنة ]

واجتمع البربر عند ذلك فقدّموا على أنفسهم سليمان بن الحكم بن سليمان ابن عبد الرحمن الناصر ، وهو ابن أخي هشام القائم المذكور ؛ فهض بالبربر إلى الثغر ، واستجاش النصارى وأتى بهم إلى باب قرطبة ؛ فبرز إليه جماعة أهل قرطبة ، فلم تكن إلا ساعة حتى قتل من أهل قرطبة نيفاً وعشرون ألف رجل ، في جبل هنالك يعرف بجبل قنطش ، وهي الواقعة المشهورة ، ذهب فيها من الخيار والفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين خلقٌ كثير . واستتر محمد بن هشام المهدي أياماً ، ثم لحق بطنطيلة ؛ وكانت الثغور كلها من طُطر طوشة إلى الأشبونة باقية على طاعته ودعوته ، واستجاش بالإفرنج وأتى بهم إلى قرطبة ؛ فبرز إليه سليمان بن الحكم مع البربر ، إلى موضع يقرب قرطبة على نحو بضعة عشر ميلاً يدعى « دار البقر » ، فانهزم سليمان والبربر ، واستولى المهدي على قرطبة ؛ ثم خرج بعد أيام إلى قتال جمهور البربر ، وكانوا قد عاثوا بالجزيرة ، فالتقوا بموضع يعرف بوادي أره ؛ فكانت الهزيمة على محمد بن هشام المهدي ؛ وانصرف إلى قرطبة ، فوثب عليه العبيد مع واضح الصقلي (١) ، فقتلوه وردّوا هشاماً المؤيد كما تقدم قبل .

(١) كان واضح الصقلي من موالى بني عامر ، وكان يسمى أيضاً واضحاً العامري ؛ فقد أخذ بنار مواليه إذن حين أعان على قتل المهدي ، كما مهد الأمر لنفسه بذلك ، إذ تولى الحجابة لهشام المؤيد !

فكانت مدة ولاية المهدي منذ قام إلى أن قُتل سبعة عشر شهراً (١) ، من حملتها الستة الأشهر التي كان فيها سليمان بقرطبة وكان هو بالثغر؛ وانقرض عقبه فلا عقب له .

### ولاية سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر

المتلقب بالمستعين بالله

قام سليمان بن الحكم يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٩٩ ، وتلقب بالمستعين بالله ، ثم دخل قرطبة كما تقدم في ربيع الآخر سنة ٤٠٠ ، فتلقب حينئذ بالظافر بحول الله ، مضافاً إلى المستعين بالله ؛ ثم خرج عنها في شوال من السنة بعينها ، فلم يزل يحول بعساكر البربر معه في بلاد الأندلس ، يفسد وينهب ويُقفر المدائن والقُرى بالسيف والغارة ، لا يُسبق البربرُ معه على صغير ولا كبير ولا امرأة ، إلى أن دخل قرطبة في صدر شوال سنة ٤٠٣ .

#### [ أولية بني حمّود ]

وكان من جملة جنده رجلاً من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب ، يسميان القاسم وعلياً ابني حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس [ بن إدريس ] بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهم ؛ فجعلهما قائدين على المغاربة ، ثم ولى أحدهما سبتة وطنجة ، وهو عليُّ الأصغر منهما ؛ وولى القاسم الجزيرة الخضراء ، وبين الموضعين المجاز المعروف بالزقاق ، وسعة البحر هنالك اثنا عشر ميلاً ، وقد ذكر فيما قبل .

(١) في الأصل : ستة عشر شهراً ... الخ ، وهو تحريف ، فقد ذكر من قبل أنه قام في جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ ، وقُتل في ذى الحجة سنة ٤٠٠ .

واقترق العبيد إذ دخل البربر مع سليمان قرطبة ، فلكوا مدنا عظيمة  
وتحصنوا فيها ، فراسلهم علي بن حمود المذكور - وقد حدث له طمعٌ في ولاية  
الأندلس - فكتب إليهم يذكر لهم أن هشام بن الحكم إذ كان محاصراً بقرطبة  
كتب إليه يوليه عهده<sup>(١)</sup> ، فاستجابوا له وبايعوه ، فرحف من سبته إلى مالقة ،  
وفيها عامر بن قنُوح الفائق ، مولى فائق مولى الحكم المستنصر : فاستجاب له  
وأدخله مالقة ، فملكها علي بن حمود وأخرج عنها عامر بن قنُوح : ثم زحف  
بمن معه من البربر وجمهور العبيد إلى قرطبة ، فخرج إليه محمد بن سليمان في  
عساكر البربر ، فانهزم محمد بن سليمان ، ودخل قرطبة علي بن حمود ، وقُتل  
سليمان بن الحكم صبراً : ضرب عنقه يده يوم الأحد لتسع بقين من المحرم  
سنة ٤٠٧ ، وقاتل أباه الحكم بن سليمان بن الناصر أيضاً في ذلك اليوم ، وهو  
شيخ كبير له اثنتان وسبعون سنة !

وكانت مدة ولاية سليمان - منذ دخل قرطبة إلى أن قتل - ثلاثة أعوام وثلاثة  
أشهر وأياما ، وكان قد ملكها قبل ذلك ستة أشهر على ماتقدم : وكانت مدته  
- منذ قام مع البربر إلى أن قتل - سبعة أعوام وثلاثة أشهر وأياما .  
وانقطعت دولة بني أمية في هذا الوقت وذكُرهم على المنابر في جميع أقطار  
الأندلس ، إلى أن عادت بعد ذلك في الوقت الذي نذكره إن شاء الله تعالى .  
وكانت أم سليمان هذا أمّ ولدٍ اسمها ظبية ، ومولده سنة ٣٥٤ ، ترك من الولد  
وليَّ عهده محمداً ، لم يعقب ، والوليد ، ومسلمة .

(١) يذكر هنا أن هشاماً المؤيد كان قد ولي عهده عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر ؛ وكان  
ذلك أول الفتنة التي تقوض بها بنيان بني عامر وانحلال الأندلس !

وكان سليمان أديباً شاعراً ؛ قال الحميدى : أنشدنى أبو محمد على بن أحمد  
قال : أنشدنى قتي من ولد إسماعيل بن إسحاق المنادى الشاعر كان يكتب  
لأبى جعفر أحمد بن سعيد بن الدب ، قال : أنشدنى أبو جعفر قال : أنشدنى  
أمير المؤمنين سليمان الظافر لنفسه ، قال أبو محمد : وأنشدنيها قاسم بن محمد  
المروانى قال : أنشدنيها وليد بن محمد الكاتب لسليمان الظافر أمير المؤمنين :

عجبا يهابُ الليثُ حدَّ سناني \* وأهابَ ليحظَ فواترِ الأجنانِ  
واقارعِ الأهوالِ لا مَهَيَّباً \* منها سوى الإعراضِ والهجرانِ  
وتملكتُ نفسى ثلاثُ كالدُّمى \* زُهرُ الوجوهِ نواعمُ الأبدانِ  
ككواكبِ الظلماءِ الحنَّ لناظِرٍ \* من فوقِ أغصانِ على مُكثبانِ  
هدى الهلالُ وتلكُ بنتُ المشتريِ \* مُحسنًا ، وهذى أختُ غصنِ البانِ  
حاكمتُ فيهنِ السُّلوى إلى الضَّئى \* فقَتَضى بسلطانِ على سُلطانِ  
فابحُنَّ من قلبى الحِمى وتَنَيَّنى \* فى عِزِّ مُلكى كالأسيرِ العانى  
لا تعذلوا ملكا تذليلَ للهوى \* ذلُّ الهوى عِزٌّ ومُلكُ ثانِ  
ماضراً أئنى عبْدُهُنَّ صِبابَةً \* وبنو الزمانِ وهنَّ من عبْدانى  
إن لم أطعِ فيهنِ سلطانَ الهوى \* ككَلَفاً بهنِ فليستُ من مَرِّوانِ  
وإذا الكريمُ أَحَبَّ أَمَّنَ إلانْفه \* خَطْبِ القِلى وحوادثِ السُّلوانِ  
وإذا تجارِسى فى الهوى أهلُ الهوى \* عاش الهوى فى غِبطه وأمانِ

وإنما قصد المستعینُ بهذه الأبيات معارضةً الأبيات التى عمِلها العباسُ بن

الأحنف على لسان هرون الرشيد فُنسبت إليه ، وهى :

مَمَّاكَ الثَّلَاثُ الْآنَسَاتُ عِنَانِي \* وَحَلَلْتَنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ  
مَالِي تَطَاوَعْنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا \* وَاطِيعَهُنَّ وَهْنٌ فِي عِصْيَانِي  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى \* وَبِهِ قَوِيْنٌ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

أبو محمد الذي يحدث عنه الحميدي : هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صلح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي ، مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، قرى على نسبه هذا بخطه على ظهر كتاب من تصانيفه ، أصل آبائه الأديين من قرية من إقليم كلبلة من غرب الأندلس ، سكن هو وأبوه قرطبة ، وكان أبوه (١) من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ، ووزراء ابنه المظفر بعده ؛ وكان هو المدبر لدولتهما ، وكان ابنه أبو محمد الفقيه وزيراً لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر الملقب بالمستظهر بالله ، أخى المهدي المذكور آنفاً ؛ ثم إنه نبذ الوزارة وأطرحها اختياراً ، وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسُّنن ، فقال من ذلك ما لم ينل أحدٌ قبله بالأندلس ؛ وكان على مذهب الإمام أبي عبد الله الشافعي رحمه الله ، أقام على ذلك زماناً ، ثم انتقل إلى القول بالظاهر ، وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر ؛ وله مصنّفات كثيرة جليّة القدر شريفة المقصد في أصول الفقه وفروعه ، على منهجيّته الذي يسلكه ، ومذهبه الذي يتقلده ؛ وهو مذهب داود ابن علي بن خلف الأصهباني الظاهري ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاق

(١) هو الوزير أبو عمر أحمد بن حزم .



القياس والتعليل ؛ بلغنى عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحو والمثل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين له - نحو من أربعائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ؛ وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفا ، فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بالصلة ، وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير : أن قوما من تلاميذ أبي جعفر لحضوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته ، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة ؛ وهذا لا يتبها لمخلوق إلا بكريم عناية الباري تعالى وحسن تأييده له .

ولأبي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة ، وقسم صالح

من قرص الشعر وصناعة الخطابة ؛ فمن شعره :

هل الدهرُ إلا ما عرفنا وأدركنا • فجائعه تبتى ولذاته تفتى  
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة • تولت كمر الطرف واستخلفت حزننا  
إلى تبعات في المعاد وموقف • نودُّ لديه أننا لم نكن كُننا  
حصلنا على همٍّ وإثم وحسرة • وفات الذي كنا نقرُّ به عينا  
حين لما ولى ، وشغل بما أتى • وغمَّ لما يُرجى ، فعيشك لا يهنأ  
كأن الذي كنا نسرُّ بكونه • إذا حققتة النفس ، لفظ بلا معنى

وله من قصيدة طويلة :

أنا الشمسُ في جَوْ العُلومِ منيرةٌ \* ولكن عبي أن مَطلعيَ الغربُ  
ولو أني من جانبِ الشرقِ طالعُ \* لجدَّ على ماضعٍ من ذكريَ التَّهَبُ  
ولي نحو أكنافِ العراقِ صبايةُ

ولا غرَّو أن يَسْتوحِشَ الكَلِيفُ الصَّبُّ  
فإن يُنزلِ الرحمنُ رحليَ بينهم \* فحيثُ يدو التَّأسُفُ والكربُ  
فكم قائلٍ : أغفلتُهُ وهو حاضرُ \* وأطلبُ ما عنهُ تَجِيءُ به الكُتُبُ !  
هنالك يدري أن للبعدِ قصةٌ \* وأن كسادِ العلمِ آفتهُ التُّربُ !  
[ (١) فيا عجباً من غاب عنهم تشوقوا \* له ، وُدُّنو المرءِ من دارهم ذنبُ  
وإن مكاناً ضاق عني اضيقُ \* على أنه فُسِحَ مَهامهُهُ سُهْبُ  
وإن رجالاً ضيَّعوني لضيَّعُ \* وإن زماناً لم أنلِ خصبهُ جَدْبُ (١)  
ومنها في الاعتذار عن مدحه لنفسه :

ولكنَّ لي في يوسفٍ خيرُ أسوةٍ \* وليس على من بالنبيِّ انْتَدسى ذنبُ  
يقولُ - وقال الحقُّ والصدق - إنني \* حفيظٌ عليهم : ماعلى صادقِ عتبُ  
ومن المختار له قوله :

لا يَشْمَتَنَّ حاسِدِي إن نكبةٌ عرضتُ

فالدهرُ ليس على حالٍ بِمُتْرَكِ

ذو الفضلِ كالتبرِ طوراً تحتِ مِيقعةٍ (٢)

وتارةً في ذرى تاجٍ على مَلِكِ !

(١) ما بين العلامتين [ ] زيادة عن نفع الطيب .

(٢) الميقعة : خشبة القصار التي يدق بها ، والمطرقة ، ورواية نفع الطيب : تحت متربة .

ومن ذلك قوله :

لئن أصبحتُ مرتحلاً بشخصي \* فزروحي عندكم أبداً مُقيمٍ  
ولكنَّ للعِيانِ لطيفُ معنَى \* له سألَ المُعَايَنَةَ الكَلِيمُ

ومن أجود ما أحفظ له بيتان قالهما في رجل نمام :

أتمَّ من المرآة في كلِّ مَدْرَى \* وأقَطعُ بين الناس من قُضْبِ إلهند  
كأن المنايا والزمانَ تَعَلَّبا \* تحيُّلُهُ في القَطعِ بين ذوى الوُدِّ !

ووجد بخطه أنه ولد يوم الأربعاء بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٤ توفى رحمه الله في سلخ شعبان من سنة ٤٥٦ .

ولإنما أوردت هذه النبذة من أخبار هذا الرجل وإن كانت قاطعة للذوق مزيجاً عن بعض الغرض ، لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكراً في مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء ؛ وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب واستبداده بعلم الظاهر ، ولم يشتهر به قبله عندنا أحد ممن علمت ، وقد كثر أهل مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم (١) .

### ولاية ابن حمود الناصر

ثم ولي على بن حمود على ما تقدم ، وتسمى بالخلافة ، وتلقَّب بالناصر ، ثم خالف عليه العبيد الذين كانوا بايعوه ، وقدموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك

(١) كذلك كان شأنه - فيما يحكى المراكشي - بعد وفاته بما يقرب من قرنين ، أما في حياته فكم شنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه حتى تغيرت عليه قلوب الخاصة والعامة ، وحتى نفر إلى البادية غربياً مستوحشاً إلى أن مات ؛ فلا يبتسج أصحاب الرأي بما يلقون في حياتهم من عنت وشقوة وسوء تقدير . وكأما كان ابن حزم - رحمه الله - ينظر إلى هذا المعنى يظهر الغيب حين قال :

\* فكم قائل : أغفلته وهو حاضر \*  
الآيات !

ابن عبد الرحمن الناصر ، ولقبوه بالمرتضى ، وزحفوا به إلى غرناطة ، وهي من البلاد التي تغلب عليها البربر ؛ ثم ندموا على تقديمه لما رأوا من صرامته ورحمة نفسه ، وخافوا من عواقب تمسكته وقدرته ، فانهزموا عنه ودشوا عليه من قتله غيلة ، وخفي أمره .

وبقي على بن حمود بقرطبة مستمراً الأمر عامين غير شهرين ، إلى أن قتله صقالبة له في الحمام سنة ٤٠٨ ، وكان له من الولد : يحيى ، وإدريس .

### ولاية القاسم بن حمود المأمون

ثم ولي بعده أخوه القاسم بن حمود ، وكان أسنَّ منه بعشرة أعوام ، وكان وادعا ، أمين الناس معه ، وكان يُذكر عنه أنه تشيَّع ؛ ولكنه لم يُظهر ذلك ولا غيّر على الناس عادةً ولا مذهبا ، وكذلك سائر من ولي منهم بالأندلس (١) .

فبقي القاسم كذلك إلى شهر ربيع الأول سنة ٤١٢ ، فقام عليه ابن أخيه يحيى ابن علي بن حمود ، بمالقة ، فهرب القاسم عن قرطبة بلا قتال وصار باشيلية ، وزحف ابن أخيه المذكور من مالقة بالعساكر ودخل قرطبة بلا قتال ، وتسمّى بالخلافة ، وتلقّب بالمعتلى ؛ فبقي كذلك إلى أن اجتمع للقاسم أمره واستمال البربر وزحف بهم إلى قرطبة ، فدخلها سنة ٤١٣ وهرب يحيى بن علي إلى مالقة ، فبقي القاسم بقرطبة شهوراً واضطرب أمره .

وغلب ابن أخيه يحيى على المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ، وهي كانت معقل القاسم ، وبها كانت امرأته وذخائره ؛ وغلب ابن أخيه الثاني إدريس

(١) يعنى بنى حمود ، وهم - كما علمت - من بني الحسن بن علي .

ابن عليّ صاحب سبّته على طنجة ، وهي كانت مُعدة القاسم ، يلجأ إليها إن رأى ما يخافه بالأندلس .

وقام عليه جماعة أهل قرطبة بالمدينة ، وغلّقوا أبوابها دونه <sup>(١)</sup> ، وحاصروهم نيفاً وخمسين يوماً ، وأقام الجمعة في مسجد خارج قرطبة ، يعرف بمسجد ابن أبي عثمان ، أثره باقٍ إلى اليوم : ثم إن أهل قرطبة زحفوا إلى البربر ، فانهزم البربر عن القاسم وخرجوا من الأرباض كلها في شعبان سنة ٤١٤ ، ولحقت كلُّ طائفة من البربر ببلدٍ غلبت عليه .

وقصد القاسم أشبيلية ، وبها كان ابنه محمد والحسن ، فلما عرف أهل أشبيلية خروجه عن قرطبة ومجيئه إليهم ، طردوا ابنيه ومن كان معهما من البربر ، وضبطوا البلد ؛ وقدّموا على أنفسهم ثلاثة من أكابر البلد ، أحدهم القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي <sup>(٢)</sup> ، ومحمد بن يريم الألهاني ، ومحمد بن الحسن الزيدي ؛ ومكثوا كذلك أياماً مشتركين في سياسة البلد وتدييره ، ثم استبد القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد بالامر والتدبير ، وصار الآخرون من جملة الناس .

ولحق القاسم بـشـريش ، واجتمع البربر على تقسيم ابن أخيه يحيى ، فزحفوا إلى القاسم فحاصروه حتى صار في قبضة ابن أخيه ، وانفرد ابن أخيه يحيى بولاية البربر .

وبقى القاسم أسيراً عنده وعند أخيه إدريس بعده إلى أن مات إدريس ،

(١) لما ثار عليه أهل قرطبة وتفضوا طاعته ، خرج إلى ماوراء الأسوار فحاصروهم بالمدينة .

(٢) هو رأس أسرة بني عباد ملوك أشبيلية فيما بعد .

فقتل القاسم خنقاً سنة ٤٣١ ، وُحْمِلَ إلى ابنه محمد بن القاسم بالجزيرة ، فدفنه هناك .

فكانت ولاية القاسم منذ تسمى بالخلافة بقرطبة إلى أن أسره ابن أخيه ، ستة أعوام ، ثم كان مقبوضاً عليه ستَّ عشرة سنة عند ابني أخيه يحيى وإدريس ، إلى أن قتل - كما ذكرنا - في أول سنة ٤٣١ ، ومات وله ثمانون سنة ، وله من الولد محمد والحسن ، أمهما أميرة بنت الحسن بن قثون بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب .

### ولاية يحيى بن علي المعتلى

اختلف في كنيته ، ف قيل أبو القاسم ، وقيل أبو محمد ؛ وأمه كبُونة بنت محمد ابن الحسن بن القاسم المعروف بقثون بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ وكان الحسن ابن قثون من كبار ملوك الحسنيين وشجعانهم ومردتهم وطغاتهم المشهورين ؛ فتسمى يحيى بالخلافة بقرطبة سنة ٤١٣ كما ذكرنا ، ثم هرب عنها إلى مالقة سنة ٤١٤ كما وصفنا ، ثم سعى قوم من المفسدين في ردِّ دعوته إلى قرطبة في سنة ١٦ قم لهم الأمل ، إلا أنه تأخر عن دخولها باختياره ، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطف اليفرني (١) ، فبقي الأمر كذلك إلى سنة ١٧ ،

(١) منسوب إلى يفرن : من قبائل البربر ، وقد بلغ من جاهه وسلطانه أن عبيد الله بن محمد المهدي - وكان أبوه الخليفة بعد انتهاء دولة بني عامر - كتب إليه مسترفدا :

أقول لآمالي : ستبلغ إن بدا يحيى ابن عطف ، ونعم المؤمل ! =

ثم قطعت طاعته جماعة البربر، [ (١) وصرفوا عاملهم، وبايعوا المعتلى الأموي  
أخا المرتضى (٢)؛ وبقى المعتلى هذا يردد لحصارهم العساكر، إلى أن اتفقت  
كلية البربر على الاستسلام لأبي القاسم (٣) ] وسلوا إليه الحصون والقلاع

= فقالت : دعاني ؛ كل يوم تعلل ! فقلت لها : إن لاح يغني التعلل  
لئن كان مني كل حين ترحل  
فتى ترد الآمال في بحر جوده وليس على نعمى سواه المعول !  
قالوا : فضن عليه ابن العطف اليفرنى حتى برد الجواب ؛ فكتب إليه ابن المهدي ثانية يقول :

أيها الممكن من قدرته لا يراك الله إلا محسنا  
إنما المرء بما قدمه فتخير بين ذم وثنا  
لا تكن بالدهر غرّاً وإذا كنت فانظر فعله في ملكنا !  
كل ما خوئت منه ذاهب إنما تصحب منه الكفنا  
مدّ كفّاً نحو كفّ طالما أمطرت منه السماء اهتنا  
أو أرحني بجواب موثس فيطال البر من شر العنا

ولكن ابن العطف مع ذلك لم يلبس له ، ولأن له أحد كتبه فأعطاه خمسين درهما ؛ فلما سمع  
بذلك ابن العطف طرده .. ثم لم يلبث ابن عطف أن نزلت به النكبة ؛ فتزوج ذلك الكاتب  
امرأته وسكن في داره وتخول في نعمته ، فكتب بالفهم على حائط تلك الدار :

أيادار قولي أين ساكنك الذي أبي لؤثمه أن يترك الشكر خالدا  
تسمى وزيراً ، والوزارة سبّة لمن قد أبي أن يستفيد المحامدا  
وولّى ولكن ليس يبرح ذمّه فيها هو قد أرضى عدواً وناقدا  
وأضحى وكيل كان يأنف فعله نزيلك في الحوض المنع وأردا  
جزاءً بإحسان لذا ، وإساءة لذلك ، وساع ورث الحمد قاعدا

وإنما أوردنا هذه الحكاية لدلالاتها على مقدار ما كان من تبدل أمور الدولة ومنازل الأشراف  
في غمار تلك الفتنة التي كانت !

(١) ما بين العلامتين [ ] زيادة اقتضاها السياق ، ملخصة عن فتح الطيب .

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد المرتضى الذي بايعه العبيد في زمن علي الناصر ثم اغتالوه ، انظر ص ٤٩ - ٥٠ .

والمدن ، وعظم أمره بقرمونة ، فصار محاصراً لأشبيلية ، طامعاً في أخذها ،  
نخرج يوماً وهو سكران إلى خيل ظهرت من أشبيلية بقرب قرمونة ، فلقبها  
وقد كمنواله ، فلم يكن بأسرع من أن قتلوه (١) ، وذلك يوم الأحد لسبع خلون  
من المحرم سنة ٤٢٧ هـ ؛ وكان له من الولد : الحسن ، وإدريس ، لآئحى ولد .

[ ردُّ الأمر إلى بني أمية ]

### ولاية عبد الرحمن بن هشام المستظهر

ولما انهزم البربر عن قرطبة مع أبي القاسم كما ذكرنا ، اتفق رأى أهل  
قرطبة على ردِّ الأمر إلى بني أمية ، فاختاروا منهم ثلاثة : وهم عبد الرحمن بن  
هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، أخو المهدي المذكور آنفاً (٢) ،  
وسليمان بن المرتضى المذكور آنفاً ، ومحمد بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان  
القائم على المهدي بن الناصر (٣) .

ثم استقر الأمر لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، فبويع بالخلافة  
لثلاث عشرة ليلة خلت لرمضان سنة ٤١٤ هـ ، وله اثنان وعشرون سنة ، وتلقب  
بالمستظهر ؛ وكان مولده سنة ٣٩٢ في ذى القعدة ، يكنى أبا المطرف ، وأمه  
أمٌ ولد اسمها غاية .

ثم قام عليه أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن  
الناصر ، مع طائفة من أراذل العوام ، فقتل عبد الرحمن بن هشام ، وذلك

(١) كان ذلك بدسيسة من ابن عباد الطامع في الملك بأشبيلية .

(٢) انظر ص ٤١

(٣) التي قام على المهدي ابن الناصر ، هو جده هشام بن سليمان . انظر ص ٤١



ثلاث بقين من ذى القعدة سنة ٤١٤ المؤرخة ، ولا عقب له <sup>(١)</sup> .  
 وكان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقة النفس ؛ كذا قال أبو محمد على  
 ابن أحمد <sup>(٢)</sup> ، وكان خبيراً به لأنه وَزَرَ له ؛ وقال الوزير أبو عامر أحمد بن  
 عبد الملك بن شهيد : كان المستظهر شاعراً ويستعمل الصناعة فيجيد ، وهو  
 القائل في ابنة عمه :

حمامةُ بيتِ العَبْشَمِيِّينَ <sup>(٣)</sup> رُفِرْتُ \* فِطْرَتْ لِيهَا مِنْ سَرَاتِهِمْ صَقْرًا  
 تَقِيلُ الثَّرِيَا أَنْ تَكُونَ لَهَا يَدًا \* وَيَرْجُو الصَّبَاحُ أَنْ يَكُونَ لَهَا نَحْرًا  
 وَإِنِّي لَطَطْعَانُ إِذَا الْخَيْلُ أَقْبَلَتْ \* جَوَانِبُهَا حَتَّى تَرَى جُؤُنُهَا مُشْقَرًا  
 وَمُكْرِمٌ ضَيْفِي حِينَ يَنْزِلُ سَاحَتِي \* وَجَاعِلٌ وَفَرِي عِنْدَ سَائِلِهِ وَفَرًا  
 وهى طويلة ، قالها أيام خطبته لابنة عمه أم الحكم بنت سليمان المستعين .  
 قال أبو عامر : « وكان متهماً في أشعاره ورسائله ، حتى كتب أبيتا ليعلى بن  
 أبي زيد حين وفد عليه ارتجالا ، فعجب أهل التمييز منه ، وأما أنا فقد كنت  
 بلوته ، وكان ورود يعلى بجأة ولم يبرح من مجلسه حتى ارتجل الأبيات وأنا والله  
 أخاف أن يزل ، فأجاد وزاد . » هذا آخر كلام أبي عامر .

### ولاية محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله

ولى محمد بن عبد الرحمن المذكور وله ثمان وأربعون سنة وأشهر ، لأن  
 مولده في سنة ٣٦٦ ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، أمه أم ولد اسمها حوار ،

(١) ولم يمكث على العرش إلا بضعة وسبعين يوماً !

(٢) يعنى ابن حزم السابق ذكره .

(٣) العبشميون : بنو عبد شمس .

وكان أبوه قد قتله ابن أبي عامر في أول دولة هشام المؤيد ، لسعيه في القيام وطلبه للأمر .

وكان محمد بن عبد الرحمن هذا يلقب بالمستكفي بالله ، وكانت ولايته ستة أشهر وأياما ، وكان في غاية السخف وركاكة العقل وسوء التدبير ، وَزَرَ لَهُ رجلٌ حائكٌ يعرف بأحمد بن خالد ، هو كان المدبّرَ لأمره والمدير لدولته ؛ فقل في دولةٍ يُديرها حائكٌ ... !

ولم يزل كذلك إلى أن مُخْلِعٌ وُقْتِلَ وزيره المذكور في داره : دخل عليه عوامٌ أهل قرطبة نهاراً فقولوا بالحديد إلى أن بَرَدَ ، وخلعوا المستكفي بالله وأخرجوه عن قرطبة ، بعد أن أقام ثلاثة أيام مسجوناً لا يصل إليه طعام ولا شراب ؛ ثم نَفَّسُوهُ - كما ذكرنا - فلحق بالثغور ، ورجع الأمر إلى يحيى بن علي الفاطمي (١) .

وانتهى المستكفي المذكور من الثغر إلى قرية تعرف بـ « شمنت (٢) » بالقرب من مدينة سالم ، ومعه أحد قواده ، وهو عبد الرحمن بن محمد بن سليم ، من ولد سعيد بن المنذر القائد المشهور أيام عبد الرحمن الناصر ؛ فكبره هذا القائد التماذي معه ، فاستدعى المستكفي غداه ، فعمد القائد إلى دجاجة فدونها له بعُصارة نبت يقال البيش (٣) - وهو كثير ببلاد الأندلس وخصوصاً بتلك الجهة - فلما أكلها المستكفي مات مكانه ، فغسّله وكفّنه وصلى عليه ودفنه ؛

(١) يعنى المعتلى ابن حمود ، وآل حمود فاطميون من بني الحسن بن علي .

(٢) عبارة القرى : « وفر المستكفي إلى ناحية الثغر ومات بفرة »

(٣) زهرة ذات ألوان ولكن عصارتها سم نافع .

فقبره هناك ، ولا عقب له (١) .

ثم أقام يحيى بن علي الفاطمي في الولاية نافذ الأمر ، إلا أنه لم يدخل قرطبة ، وإنما كان مقبلاً بقرمونة كما قد قدمنا (٢) إلى أن قُتل في التاريخ الذي تقدم ذكره .

### ولاية هشام المعتد بالله

ولما انقطعت دعوة يحيى بن علي الفاطمي عن قرطبة في التاريخ الذي ذكرنا ، أجمع رأى أهل قرطبة على رد الأمر إلى بني أمية ، وكان عميدهم في ذلك والذي تولى معظمه وسعى في تمامه ، الوزير أبو الحزم جههور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة ؛ وقد كان ذهب كل من ينافس في الرياسة ويحُبُّ في الفتنة بقرطبة ؛ فراسل جهور من كان معه على رأيه من أهل الثغور والمتغلبين هنالك على الأمور ، وداخلهم في هذا الأمر ، فاتفقوا بعد مدة طويلة على تقديم أبي بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وهو أخو المرتضى المذكور آنفاً (٣) .

وكان هشام هذا مقبلاً بحصن يدعى البُنت ، من الثغور ، عند أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم القائد المتغلب بها ؛ فبايعوه في شهر ربيع الأول سنة ٤١٨ ، وتلقَّب بالمعتد بالله .

وكان مولده في سنة ٣٦٤ ، وكان أسنَّ من أخيه المرتضى بأربعة أعوام ،

(١) هو أبو « ولادة » صاحبة ابن زيدون .

(٢) ونائبه على قرطبة هو ابن عطف المذكور آنفاً . انظر ص ٥٢ - ٥٣ .

(٣) انظر ص ٤٩ - ٥٠ .

وسنّه يوم بُويع له أربع وخمسون سنة ، أمّه أمٌ ولد اسمُها «عائب» ،  
فبقي ينتقل في الشُور ثلاثة أعوام لا يستقر بموضع ، ودارت هنالك فتن  
عظيمة بين الرؤساء المتغلبين واضطراب شديد ، إلى أن اتفق أمرهم واجتمع  
رأيهم على أن يسير إلى قرطبة قصبه الملك ، فسار إليها ودخلها في الثامن من  
ذي الحجة سنة ٤٢٠ ، فلم يُقم بها إلا يسيراً حتى قامت عليه طائفة من الجند ،  
فُفّج ، وسجرت أمور يطول شرحها ، من جملتها إخراج المعتد بالله هذا من  
قصره هو وحشميه ، والنساء حاسراتٌ عن أوجههن ، حافيةٌ أقدامهن ، إلى  
أن أدخلوا الجامع الأعظم على هيئة السبايا ، فأقاموا هنالك أياماً يتعطفُ  
عليهم بالطعام والشراب ، إلى أن أخرجوا عن قرطبة .

ولحق هشام ومن معه بالثغور بعد اعتقالٍ بقرطبة ، فلم يزل يحول في الشُور  
إلى أن لحق بابن هود المتغلب على مدينة لاردة وسرقسطة وأفراغة  
وطرطوشة وما والى تلك الجهات ، فأقام عنده هشام إلى أن مات في سنة ٤٢٧  
ولا عقب له ؛ فهشام هذا آخر ملوك بني أمية بالأندلس .

نسبه : هو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن  
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية  
ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

وبخلعه انقطعت الدعوة لبني أمية وذكرهم على المنابر بجميع أقطار  
الأندلس والعدوة إلى الآن .

فهذا آخر ما انتهى إلينا من أخبار بني أمية بالأندلس على شرط التلخيص .

## ذكر أخبار الأندلس بعد انتقال الدعوة الأموية عنها

ومن ملكها من الملوك إلى وقتنا هذا ، وهو سنة ٦٢١

[ مآل قرطبة بعد انتهاء الدولة الأموية ]

ولما انقطعت دعوة بني أمية كما ذكرنا بالأندلس ولم يبق من عقبهم من يصلح للإمارة ولا من تليق به الرياسة ، استولى على تدبير مُلك قرطبة جهور ابن محمد بن جهور ، ويكنى أبا الحزم ، وقد تقدم ذكر نسبه في ترجمة هشام المعتد . وأبو الحزم هذا قديم الرياسة شريف البيت ، كان آباؤه وزراء الدولة الحَكَمِيَّة والعامرية ، وهو موصوف بالدهاء وبعُد الغور وحصافة العقل وحسن التدبير ؛ ولم يدخل من دهائه في الفتن الكائنة قبل ذلك ، كان يتصاونُ عنها ويُظهر النزاهة والتدبُّن والعفاف ؛ فلما خلا له الجوُّ وأصفر الفِئاء وأقفر النادى من الرؤساء وأمكنته الفرصة ، وثب عليها فتولى أمرها واضطلع بحمايتها . ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة ظاهرا ، جرياً على ما قدمنا من إظهار سُسن العفاف ؛ بل دبرها تدبيراً لم يُسبق إليه ؛ وذلك أنه جعل نفسه مُتَسكِكاً للموضع إلى أن يجيء من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك ؛ ورث البوابين والحشم على تلك القصور على ما كانت عليه أيام الدولة ، ولم يتحوّل عن داره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ، وصيّر أهل الأسواق مُجنّداً له ، وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم محصاة عليهم يأخذون ربحها ورؤوس الأموال باقية

محافظة ، يُؤخذون بها ويراعون في كل وقت كيف حفظهم لها ، وفرق السلاح عليهم وأمرهم بتفرقة في الدكاكين والبيوت ، حتى إذا دهمهم أمر في ليلٍ أو نهار كان سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو دكانه .

وكان أبو الحزم هذا يشهد الجنائز ويعود المرضى ، جارياً على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبّر الأمور تدير الملوك المتغلبين ، وكان آمناً وادعاً وقرطبة في أيامه حرماً يأمن فيه كل خائف .

واستمر أمره على ذلك إلى أن مات في غرة صفر سنة ٤٣٥ فكانت مدة تديره منذ استولى إلى أن مات أربع عشرة سنة وأشهرًا .

ثم ولي ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهنور ، جفري في السياسة وحسن التدبير على سنن أبيه ، غير مُخِلِّ بشيء من ذلك ، إلى أن مات أبو الوليد المذكور في سلخ شوال من سنة ٤٤٣ .

فغلب عليها بعد أمورٍ جرت ، الأمير الملقب بالمأمون بن ذى النون صاحب طليطلة ، فدبرها مدة يسيرة إلى أن مات .

وخلف فيها بعده من البربر رجلٌ يعرف بابن عكاشة ، أظن اسمه موسى ؛ فكان بها إلى أن غلبه عليها وأخرجه منها الأمير الظافر بحول الله أبو القاسم محمد بن عباد على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها داراً للملك .

وبعد غلبة المعتمد عليها صارت تبعاً لأشبيلية .

## فصل

[رجع الحديث إلى بني حمّود]

[ومطعم بن عباد في التغلب على قرطبة]

وأما أحوال الحسينيين ، فإنه لما قُتل يحيى بن علي <sup>(١)</sup> كما ذكرنا لسبع  
خلون من المحرم سنة ٤٢٧ - رجع أبو جعفر أحمد بن موسى المعروف بابن  
بَقْنَةَ ، ونجا الخادمُ الصَّقْلِي ، وهما مدبراً دولة الحسينيين ، فأتيا مالقة ،  
وهي دار مملكتهم ، فغاطبا أخاه إدريس بن علي ، وكان بسبته ، وكان يملك  
معها طنجة ، واستدعياه ، فأتى مالقة ، وبايعاه بالخلافة على أن يجعل حسن بن  
يحيى المقتول مكانه بسبته ؛ ولم يبايعا واحداً من ابني يحيى ، وهما إدريس  
وحسن ، لصغرهما ؛ فأجابهما إلى ذلك ؛ ونهض نجا مع حسن هذا إلى سبته  
وطنجة ، وكان حسن أصغر ابني يحيى ولكنه أسدّهما رأياً .

وتلقّب إدريس بالمتأيد ، فبقي كذلك إلى سنة ٣٠ أو ٣١ ، فتحرّكت فتنة ،  
وحدث للقاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد صاحب أشيلية أمل في  
التغلب على تلك البلاد ، فأخرج ابنه إسماعيل في عسكر مع من أجابه من قبائل  
البربر ، ونهض إلى قرمونة فحاصرها ، ثم نهض إلى حصن يدعى أشونة ، وحصن  
آخر يدعى استجة ، فأخذهما ؛ وكانا بيد محمد بن عبد الله ، رجل من قواد البربر  
من بني برزال ؛ فاستصرخ محمد بن عبد الله إدريس بن علي الحسنى وقبائل

(١) يعني المعتل ابن حمود .

صنهاجة ، فأتمه صاحب صنهاجة بنفسه ، وأتمه إدريس بعسكر يقوده ابنُ  
بَقْنَةَ أحمدُ بن موسى مدبرُ دولته ؛ فاجتمعوا مع محمد بن عبد الله ، ثم غلبت  
عليهم هبةُ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد ، قائدِ عسكر أبيه القاضي  
أبي القاسم ، فافترقوا ، وانصرف كل واحد منهم إلى بلده ؛ فبلغ ذلك إسماعيل  
ابن محمد ، فقوى أمُله ، ونهض بعسكره قاصداً طريق صاحب صنهاجة ، وقدر  
صاحب صنهاجة أنه سيلحقه ، فوجه إلى ابن بَقْنَةَ يسترجعه ، وإنما كان  
فارقه قبل ذلك بساعة ، فرجع إليه ، والتقت العساكر ؛ فما كان إلا أن تراءى  
الجمعان ، فولى عسكرُ ابن عباد منهزماً ، وأسلموا إسماعيل ، فكان أول مقتول ،  
وُحْمَل رأسه إلى إدريس بن علي الحسني .

وقد كان إدريس استشعر بالهلاك ، فنزل عن مالقة إلى جبل بُيَاشتر ،  
وهو الذي قام فيه ابن حفصون المتقدم الذكر <sup>(١)</sup> ، فتحصن به وهو مريض  
مُدتف ، فلم يَعِش إلا يومين ومات ، وترك من الولد يحيى ، قُتل بعده ،  
ومحمداً الملقب بالمهدى ، وحسناً الملقب بالسامى ؛ وكان له ابن هو أكبر بنيه  
اسمه علي ، مات في حياة أبيه ؛ وترك ابناً اسمه عبد الله ، أخرجه عمه <sup>(٢)</sup>  
ونفاه لما ولى .

وقد كان يحيى بن علي المذكورُ قبلاً قد اعتقل ابنتي عمه محمداً والحسن ابنتي  
القاسم بن حمود بالجزيرة ، وكان الموكلُ بهما رجلاً من المغاربة يعرف  
بأبي الحجاج ، فحين وصل إليه خبرُ قتل يحيى ، جمع من كان في الجزيرة من المغاربة

(١) لم يرد ذكر لابن حفصون فيما مضى من الكتاب ، وإنما كان ذلك في الجزء الذي انخرم منه .

(٢) يعني المعتلى يحيى بن علي بن حمود .



والسودان ، وأخرج محمداً والحسن ، وقال ؛ هذان سيِّداكم افسارع أجمعهم إلى الطاعة لهما ، لشدة ميل أبيهما إلى السودان قديماً وإيثاره لهم ؛ وانفرد محمدٌ بالأمر دون الحسن ، وممَّا لك الجزيرة ، إلا أنه لم يتسَمَّ بالخلافة ، وبقي معه أخوه الحسن مدة ، إلى أن حدث له رأى في التنسك ، فلبس الصوف وتبرأ عن الدنيا ، وخرج إلى الحج مع أخته فاطمة بنت القاسم ، وزوجة يحيى بن علي المعتلى (١) . فلما مات إدريس كما تقدم ، رام ابنُ بَقْنَةَ أحمدُ بن موسى ضَبَّطَ الأمر لولده يحيى بن إدريس المعروف بِحَيُّون ، ثم لم يجسر على ذلك الجَسْرَ التام ، وتخيَّر وتردَّد .

ولما وصل خبر قتل إسماعيل بن عباد وموت إدريس بن علي إلى نَجْمَا الخادم الصَّقْلِي ، وكان بسبته ، استخلف عليها من وثق به من الصقالبة ، وركب البحر هو وحسن بن يحيى إلى مالقة ، ليرتَّب الأمر له ؛ فلما وصلا إلى مرسى مالقة ، خارت قوى ابن بَقْنَةَ وهرب إلى حصن كارش ، على ثمانية عشر ميلاً من مالقة .

ودخل حسن ونجما مالقة ، واجتمع إليهما من بها من البربر ، فبايعوا حسن ابن يحيى بالخلافة ، وتسمَّى المستعلي ، ثم خاطب ابن بَقْنَةَ وأمنه ، فلما رجع إليه قبض عليه وقتله ، وقتل ابن عمه يحيى بن إدريس .

(١) رواية المقرئ : « وكان محمد بن القاسم بن حمود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة ٤١٤ فر من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقب بالمعتم ، إلى أن هلك سنة ٤٤٠ ، ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق إلى أن هلك سنة ٤٥٠ »  
ولم يذكر المقرئ شيئاً عن تنسك محمد بن القاسم ولبسه الصوف .

ورجع نجما إلى سبته وطنجة ، وترك مع الحسن رجلا كان من التجار يعرف  
 بالسطيني ، كان نجما كثير الثقة به ، فبقى الأمر كذلك نحواً من عامين .  
 وكان الحسن بن يحيى متزوجاً بابنة عمه إدريس ، فقيل إنها سمته أسفاً على  
 أخيها ، فلما مات احتاط السطيني على الأمر ، واعتقل إدريس بن يحيى ،  
 وكتب إلى نجما بالخبر .

وكان للحسن ابنٌ صغير عند نجما ، فقيل إنه اغتاله أيضاً فقتله ، فالله أعلم .  
 ولم يُعقب حسن بن يحيى ، فاستخلف نجما على سبته وطنجة من وثق به من  
 الصقالبة عند وصول الخبر إليه ، وركب البحر إلى مالقة ، فلما وصل إليها زاد  
 في الاحتياط على إدريس بن يحيى ، وأكّدت اعتقاله ، وعزم على محو أمر  
 الحسينين جملة ، وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فدعا البربر الذين كانوا جند  
 البلد ، وكشف الأمر إليهم علانية ، ووعدهم بالإحسان ، فلم يجدوا لمساعدته  
 بدا ، فوافقوه في الظاهر ، وعظم ذلك في أنفسهم باطناً ؛ ثم جمع عسكره ،  
 ونهض إلى الجزيرة ليستأصل محمد بن القاسم ، فخاربه أياماً ، ثم أحسّ بفتور  
 نيات الذين معه ، فرأى أن يرجع إلى مالقة ، فإذا حصل فيها تَنَقَّى من يخاف  
 غائلته منهم واستصلح سائرهم ، واستدعى الصقالبة من حيثما أمكنه ليقوى بهم  
 على غيرهم ؛ وأحسّ البربر بهذا منه ، فاغتالوه في الطريق من قبل أن يصل إلى  
 مالقة ، فقتل وهو على دابته في مضيقٍ صار فيه ، وقد تقدّمه إليه الذي أراد  
 الفتك به ، وفر من كان معه من الصقالبة بأنفسهم ؛ ثم تقدم فارسان من الذين  
 غدروا به يركضان حتى وردا مالقة ، فدخلا وهما يقولان : البشرى البشرى !

قلبا وصلا إلى السطيفي ، وضعا سيفيهما عليه فقتلاه .

ثم وافى العسكر فاستخرجوا إدريس بن يحيى من محبسه ، فقدموه وبايعوه بالخلافة ، وتسمى بالعالى ، فظهرت منه أمور متناقضة ، منها أنه كان أرحم الناس قلبا ، كثير الصدقات : يتصدق كل يوم بخمسمائة ، وردَّ كل مطرود عن وطنه إليه ، وردَّ عليهم ضياعهم وأملاكهم ، ولم يسمع بغيًّا في أحد من الرعية ؛ وكان أديب اللقاء ، حسن المجلس ، يقول من الشعر الأبيات الحسان (١) : ومع

(١) مدحه أبو زيد عبد الرحمن بن مقاتا الفنداق الأشبوني من شعراء التخييرة ، بقصيدته المشهورة التي يقول في أولها :

ألبرق لائح من أندرين      ذرفت عيناك بالماء المعين  
لعبت أسيافه عارية      كمخاريق بأيدى لاعبين  
ولصوت الرعد زجر وحنين      ولقلبي زفرات وأنين  
وأناجى في الدجى عاذلتى :      ويك ! لا أسمع قول العاذلين

إلى أن يقول بعد وصف رائع لمجلس أنس وشراب :

وكان الشمس لما أشرقت      فاثنت عنها عيون الناظرين  
وجه إدريس بن يحيى بن على      بن حمود أمير المؤمنين

ويضى في مدحه حتى ينتهى إلى قوله :

يابنى أحمد ياخير الورى      لأبيكم كان وفد المسلمين  
نزل الوحي عليه فاحتبي      فى الدجى فوقهمو الروح الأمين  
خلقوا من ماء عدل وتقى      وجميع الناس من ماء وطن  
انظرونا نقتبس من نوركم      إنه من نور رب العالمين !

قبل إنه أنشده إياها من وراء حجاب ، اقتفاء لطريقة خلفاء بنى العباس فى المشرق ، فلما بلغ قوله :

انظرونا نقتبس من نوركم

أمر حاجبه أن يرفع الحجاب ، وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب ، وأمر له بإحسان جزيل .

هذا فكان لا يصحب ولا يُؤثر إلا كل ساقط رذل ، ولا يحجب حرمه عنهم ، وكل من طلب منه حصناً من حصون بلاده ممن يحاوره من ضهاجة أو بني يفرن أعطاه إياه ؛ وكتب إليه أمير ضهاجة أن يسلم إليه وزيره ومدبر أمره وصاحب أبيه وجدّه : موسى بن عفان السبتي ، فلما أخبره بأن الضهاجيّ كتب إليه يطلبه منه وأنه لا بد من تسليمه إليه ، قال له موسى بن عفان : افعَل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين ! فبعث به إلى الضهاجي فقتله .

وكان قد اعتقل ابني عمه محمداً وحسناً ابني إدريس بن علي في حصن إيرُش ، فلما رأى ثقته الذي في الحصن اضطراب آرائه ، خالف عليه وقدم ابن عمه محمد بن إدريس ؛ فلما بلغ ذلك السودان المرتبين في قسبة مالقة ، نادوا بدعوة ابن عمه محمد بن إدريس ، وراسلوه بالمجيء إليهم وامتنعوا بالقسبة .

واجتمعت العامة إلى إدريس بن يحيى ، واستأذنوه في حرب القسبة والدفاع عنه ؛ ولو أذن لهم مائت السودان فوق ناقه (١) ، فأبى ، فقال لهم : الزموا منازلكم ودعوني ؛ ففارقوا عنه .

وجاء ابن عمه ، فسُلم عليه ، وبويع بالخلافة ، وتسمى بالمهدى ، وولى أخاه عهدّه ، وسماه السامى ، واعتقل ابن عمه إدريس بن يحيى في الحصن الذي كان هو معتقلاً فيه (٢) .

وظهرت من محمد بن إدريس هذا شهامةٌ وجرأةٌ شديدة هابه بها جميع البربر

(١) كناية عن السرعة .

(٢) كان خلعه في سنة ٤٣٨ ووفاته بين سنتي ٤٤٦ - ٤٤٧ .

وأشفقوا منه ، وراسلوا المرتب في الحصن الذي فيه إدريس بن يحيى هذا واستألوه ، فأجابهم وقام بدعوة إدريس .

وقد كان إدريس أول ولايته بعد قتل نجما - كما تقدم - قد ولي سبته وطنجة رجلين من برغواطية ، قبيلة من قبائل البربر ، من عبيد أبيه ، اسم أحدهما رزق الله ، والآخر سكات ؛ فلما خلع إدريس كما تقدم ، بقيا حافظين لمكانتهما .

فلما قام - كما ذكرنا - بدعوته صاحب حصن إيرش ، لم يظهر محمد مبالاة بذلك ، بل ثبت ثباتاً شديداً ، وكانت والدته تشجعه وتقوى ممتنه وتشرف على الحرب بنفسها فتحسن إلى من أبلى ؛ فلما رأى البربر شدة عزمه وثباته ، قتت ذلك في أعضادهم وتخَّلوا عن إدريس بن يحيى ، ورأوا أن يبعثوا به إلى سبته وطنجة ، إلى البرغواطيين اللذين ذكرنا ، وقد كان إدريس جعل ابنه عندهما في حضانتهم ؛ فلما وصل إليهما أظهرتا تعظيمه ومخاطبته بالخلافة ، إلا أنهما حجباه حجاباً شديداً ولم يدعا أحداً من الناس يصل إليه ؛ فتلطف قوم من أكابر البربر حتى وصلوا إليه ، وقالوا له : إن هذين العبدین قد غلبا عليك ، وحالا بينك وبين أمرك ؛ فأذن لنا تكفيكهما ؛ فأبى ؛ ثم أخبرهما بذلك ، فنضيا أولئك القوم ، وأخرجوا إدريس بن يحيى وبعثوا به إلى الأندلس ، وتمسكا بولده لصغره ؛ إلا أنهما في كل ذلك يخطبان لإدريس بالخلافة .

ثم إن محمد بن إدريس أنكر من أخيه الملقب بالسامى أمراً ، فنفاه إلى العدو ، فصار في جبال غمارة ، وهي بلاد تنقاد لهؤلاء الحسنين ، وأهلها

يعظّمونهم تعظيماً مفرطاً .

ثم إن البرابرة خاطبوا محمد بن القاسم (١) الكائن بالجزيرة الخضراء ، واجتمعوا إليه ووعدوه بالنصر ؛ فاستفزّه الطمع وخرج إليهم ، فبايعوه بالخلافة ، وتسمى بالمهدى ؛ وصار الأمر في غاية الأخلوقة (٢) والفضيحة : أربعة كلّهم يتسمّى بأمر المؤمنين ، في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً في مثلها .

فأقاموا معه أياماً ثم افترقوا عنه إلى بلادهم ، ورجع محمد (٣) خاسئاً إلى الجزيرة ومات لأيام ؛ فقيل إنه مات غماً ؛ وترك نحواً من ثمانية ذكور . فتولى أمر الجزيرة بعده ابنه القاسم بن محمد بن القاسم ، إلا أنه لم يتسم بالخلافة .

وبق محمد بن إدريس [ المهدى ] بمالقة إلى أن مات سنة ٤٤٥ هـ (٤) .

وكان إدريس بن يحيى المعروف بالعالى (٥) عند بني يفسر بن بتاكرونة ؛ فلما توفى محمد بن إدريس بن يحيى [ المهدى ] ردت ، العامة إدريس العالى إلى مالقة واستولى عليها ، وهو آخر من ملكها من الحسينيين (٦) ؛

(١) أبوه القاسم بن حمود الذى ولى الخلافة قبل ابن أخيه يحيى المعتلى وتلقب بالمأمون ؛ وكان محمد هذا مقبلاً بالجزيرة منذ خروجه من أشبيلية ودورة الدائرة على أبيه . انظر ص ٥٠ - ٥٢ .

(٢) كذا بالأصل ، ويظن دوزى أنها محرفة عن « الأضحوكه » ، ولا داعى لهذا الظن

(٣) يعنى محمد بن القاسم .

(٤) فى فتح الطيب أن وفاته كانت سنة ٤٤٤ هـ .

(٥) هو ممدوح أبى زيد الأشبونى السابق ذكره .

(٦) يروى المقرئ أن إدريس بن يحيى العالى لم يكن آخر أمهاتهم ، فقد بويع من بعده ولده محمد بن إدريس ولقب بالمستعلى ، ثم سار إليه باديس بن يحيوس سنة ٤٤٩ هـ فتغلب على مالقة ، وسار محمد المستعلى هذا إلى المرية مخلوعاً ، ثم استدعاه أهل المغرب إلى ملية وبايعوه سنة ٤٥٦ هـ فظل إلى أن مات سنة ٤٦٠ هـ ...

فلها مات (١) أجمع البربر رأيتهم على نفي الحسينين عن الأندلس إلى العُدوة والاستبداد بضبط ما كانوا يملكونه من البلاد ، ففعلوا ذلك وتم لهم ما أرادوا منه .

كانت الجزيرة الخضراء وما والاها من القرى إلى تاكرونة ، ومالقة وما والاها أيضاً إلى حصن منكب وخرناطة وأعمالها ، في ملك البربر ؛ وملكوا مع ذلك بعض أعمال أشيلية ، كحصن أشونة ، وقرمونة ، وسَلْبَر ؛ ولم يزالوا كذلك إلى أن أخرج من أيديهم ما كانوا يملكونه من أعمال أشيلية المعتضد بالله أبو عمرو عبّاد بن محمد بن إسماعيل بن عبّاد اللخمي ، ثم أتم ابنه أبو القاسم المعتمد على الله ما ابتدأه أبوه من ذلك .

وهذا آخر أخبار الحسينين وما يتعلق بها ، حسبما أو رده أبو عبد الله محمد ابن أبي نصر الحميدي ، عليه عوّلت في أكثر ذلك ، ومن كتابه نقلت ، خلا مواضع تبينت غلطه فيها أصلحتها جهد ما أقدر .

وعلى الله قَصْدُ السبيل وهو المسؤول في الهداية قولاً وعملاً .

== وقد سبق في هامش ص ٦٣ ما نقلناه عن المقرئ من حديث عن الواثق بن المعتصم بن القاسم ابن حمود ، وأنه ظل أميراً على الجزيرة الخضراء إلى سنة ٤٥٠  
فإن صح ما رواه المقرئ من هذا لم يكن إدريس بن يحيى المهدي آخر ملوك بني حمود في الأندلس ؛ إلا أن يكون المراد كشي قد أراد - فيما نقله من ذلك عن الحميدي - أنه آخرهم في مالقة . وقد كانت مالقة دار ملكهم منذ ضعف شأن البربر في قرطبة .

(١) كانت وفاته بين سنتي ٤٤٦ - ٤٤٧

## فصل

يتضمن ذكر أحوال الأندلس بعد انقطاع

الدعوة الأموية عنها على الإجمال لا على التفصيل

وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية ، فإن أهلها تفرقوا فرقا ، وتغلبت في كل جهة منها مغتلب ، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه ، وتقسّموا ألقاب الخلافة ؛ فبهم من تسمى بالمعتضد ، وبعضهم تسمى بالمأمون ، وآخر تسمى بالمستعين ، والمقتدر ، والمعتمد ، والموفق ، والمتوكل ؛ إلى غير ذلك من الألقاب الخِلافية ؛ وفي ذلك يقول أبو علي الحسن بن رشيق .  
 مما يهددني في أرض أندلس \* سماعُ مُقتدِرٍ فيها ومعتضدِ  
 ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها \* كألهرٍ يحكى انتفاخا صولة الأسدِ  
 وأنا ذا كرمٍ إن شاء الله في هذا الفصل أسماءهم والجهات التي تغلبوا عليها ، على نحو ما شرطتُ من الإجمال ؛ إذ لكل منهم أخبار وسير ووقائع لو بسطتُ القولَ فيها خرج هذا التصنيف عن حد التلخيص إلى حيز الإسهاب ، وأيضا فالذي منعى عن استيفاء أخبارهم وأخبار أكثرهم ، قلة ما صحّحني من الكتب ، واختلال معظم محفوظاتي .

[ ملوك الطوائف ]

فأولهم في الربع الشرقي ، (١) رجل اسمه سليمان بن هود ، تلقب بالمؤتمن ،

(١) في الأصل : الجنوبي ؛ وإنما تقع البلاد الآتي ذكرها في الشرق الشمالي لا في الجنوب .



وتلقب ابنه بالمقتدر ، وتلقب ابنه بالمستعين (١) .

كان بنو هود هؤلاء يملكون من مدن هذه الجهة الشرقية (٢) : طرطوشة (٣) وأعمالها ، وسرقسطة (٤) وأعمالها ؛ وأفراغة ، ولاردة ، وقلعة أيوب (٥) . هذه

(١) كذا بالأصل ، وفي غيره من المراجع أن سليمان بن هود هذا تلقب بالمستعين ، وابنه بالمقتدر ، وابنه بالموثقن . وهو أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود بن عبد الله بن موسى ، مولى أبي حذيفة الجذامي ، وجدهم هود هو الداخل إلى الأندلس .

(٢) في الأصل : الجنوبية .

(٣) مدينة جميلة على نهر أبره ، اسمها الروماني درتوزه ( Dertosa ) استولى عليها العرب في بداية الفتح ، ثم عاد الأسبان فلسكوها ، فاسترجعها عبد الرحمن بن الحكم في عهد أبيه الحكم بن هشام الرضي ؛ ولوجودها في طرف بلاد المسلمين كان الخلفاء يجعلونها منقلى لمن يرون لإبعاده من أهل الثنتنة ؛ ولما انحلت وحدة الدولة ونجم ملوك الطوائف ، صارت طرطوشة لإمارة مستقلة يحكمها مولى من موالى بنى عامر اسمه نبيل الصقلي ، ويحكم معها بلنسية ؛ وفي سنة ٤٥٢ ثارت طرطوشة بأمرها هذا الصقلي ، فلجأ إلى المقتدر بن هود صاحب سرقسطة ؛ ودخلت طرطوشة منذ ذلك اليوم في طاعة بنى هود .

ثم كان استيلاء النصارى عليها في منتصف شعبان سنة ٥٤٣ هـ ، وكان الذى استولى عليها هو ريموند بيرانجه صاحب برشلونة ، بمساعدة فرسان الهيكل الصليبيين وأساطيل بيزن وكنوة ؛ كما استولى في السنة نفسها على أفراغة ولاردة ؛ وتقع أفراغة ولاردة مما يلي طرطوشة نحو الشمال على ساحل بحر الروم .

(٤) مدينة كبيرة على نهر أبره ، ترتفع عن البحر ١٨٤ مترا ، تمدق بها البساتين ، فتحها العرب سنة ٩٤ واتخذوها قاعدة من قواعدهم في الأندلس ؛ وكان صاحب الأمر فيها لعهد بنى مروان أمير من بنى قصى ، وهى أسرة أسبانية دانت بالإسلام وكان منها أمراء وقواد فى جيش الدولة . ثم توارثها بعد محمد بن لب آخر أمراء بنى قصى الأسباني الأصل ، أمراء من بنى تميم ، وبنو تميم : أسرة عربية كانت تقيم بسرقسطة منذ أول الفتح .

فلما كانت أيام الفتنة ، وثب أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود عامل لاردة على سرقسطة ، فاستخلصها لنفسه من بنى تميم ، وجعلها حاضرة ملكه ، وتسمى أبو أيوب هذا بالمستعين ؛ وهذا مبدأ دولة بنى هود ؛ وتوفى المستعين فى سنة ٤٣٨ هـ ، خلفه ابنه أحمد المقتدر سيف الدولة إلى سنة ٤٧٤ هـ ، وتسلل الملك فى بنى هود إلى أن استولى النصارى على سرقسطة سنة ٥١٢ هـ .

(٥) مدينة من أعمال سرقسطة ، بالقرب من مدينة لبلة ، بنى قلعتها أيوب بن حبيب اللخمي بن أخت موسى بن نصير الفاتح ، وإليه تنسب ؛ وكان سقوطها فى يد الأسبان أوائل القرن السادس .

اليوم كلُّها بأيدي الأفرنج ، يملكها صاحب برشونة لعنه الله ؛ وهي البلاد التي تسمى أرْغُن ، حد هذا الاسم آخر مملكة البرشونوني مما يلي بلاد إفرنسة .

\*\*\*

[<sup>(١)</sup> ويجاور بني هود هؤلاء رجل آخر اسمه عبد الملك بن عبد العزيز يكنى أبا مروان ، قديم الرياسة ، هو أحق ملوك الأندلس بالتقدم لشرف بيته ، ولا أعلم له لقباً ، كان يملك بلنسية وأعمالها <sup>(١)</sup> ] .

\*\*\*

وكان يلي الشجر رجل آخر يقال له أبو مروان بن رزين ، كان يملك إلى أول أعمال طليطلة .

\*\*\*

وكان الذي يملك طليطلة وأعمالها : الأمير أبو الحسن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون . وأبو الحسن هذا أقدم ملوك الأندلس رياسة وأشرفهم بيتاً وأحقهم بالتقدم ، تلقب بالمأمون ؛ كان أبوه إسماعيل هو الذي تغلب على طليطلة من قبل واستبد بملكها أول الفتنة .

(١) أثبت العلامة دوزي هذه الزيادة في طبعته تقلا عن هامش المخطوط ، وقد أثبتناها حذوه ، ونظنه يعنى بأبي مروان هذا المذكور : عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي عامر ، حفيد المنصور بن أبي عامر ، ولقبه المظفر ، وقد ولي أمر بلنسية منذ مات أبوه المؤتمن سنة ٤٥٢ إلى أن استولى عليها المأمون بن ذى النون سنة ٤٥٧ ...

وكان عبد الملك بن عبد العزيز هذا صهراً لمجاهد العامري صاحب دانية والجزائر المرقية . انظر « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذارى .

ولم يزل أبو الحسن هذا يملك طليطلة وأعمالها كما ذكرنا ، إلى أن أخرجه عنها الأدفنش لعنه الله (١) ، واستولى عليها النصارى في شهر سنة ٤٧٨ (٢) ، فهي قاعدة ملك النصارى إلى وقتنا هذا .

\*\*\*

وكان يملك قرطبة وأعمالها إلى أول الثغر : جهور بن محمد بن جهور المتقدم ذكره ونسبه (٣) إلى أن غلبه عليها صاحب طليطلة إسماعيل بن ذى النون والد أبي الحسن المذكور آنفا .

\*\*\*

وكان يملك أشيلية وأعمالها القاضى أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد اللخمي (٤) ، تغلب عليها بعد أن أخرج عنها القاسم بن حمود وابنيه محمداً والحسن على ماسياتى الإيماة إليه إن شاء الله عز وجل .

\*\*\*

وكان يملك مالقة والجزيرة وغرناطة وما والى ذلك : البربر بنو برزال

(١) هو ألفونس السادس ملك قشتالة .

(٢) في الأصل : سنة ٣٧٦ ، وهو خطأ صوابه ما أثبتناه ؛ وطليطلة من أول ما استرد الإفرنج من مدن الأندلس العظيمة ، وفي ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي :

يا أهل أندلس حشوا مطبكمو فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفسط ؟

(٣) انظر ص ٥٧ ، ٥٩ - ٦٠

(٤) انظر ص ٥١

الصَّنْهَاجِيُّونَ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ .

\*\*\*

وتغلب على المِريَّة وأعمالها زهير العامري الخادم ، ثم ملكها بعده خيران العامري أيضا الخادم ، ثم تغلب عليها بعدهما أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح المتلقب بالمعتصم ؛ فلم يزل فيها إلى أن أخرجه عنها يوسف بن تاشفين اللمتوني في شهر سنة ٤٨٤ .

\*\*\*

وكان يملك دانية وأعمالها مجاهد العامري ، أصله رومي مولى لأبي عامر محمد بن أبي عامر ، ثم ملكها بعده ابنه علي بن مجاهد وتلقب بالموفق ، لأعلم في المتغلبين على جهات الأندلس أصون منه نفسا ولا أظهر عرضا ولا أنقى ساحة ، كان لا يشرب الخمر ولا يقرب من يشربها ، وكان مؤثرا للعلوم الشرعية مكرما لأهلها ، توفي قبل فتنة المرابطين ببسبر ، لا تحقق تاريخ وفاته (١) .

\*\*\*

وكان يملك الثغر الذي من الجهة المغربية (٢) من الأندلس وبعض المدن المجاورة للبحر الأعظم : ابن الأفطس المتلقب بالمظفر ، ذهب عنى اسمه (٣) ، ثم كان له ابن اسمه عمر ، يكنى أبا محمد ، تلقب بالمتوكل على الله ، كان يملك

(١) ظل على بن مجاهد يلى أمر دانية حتى غلبه عليها المقننر أحمد بن سليمان بن هود ، صاحب سرقسطة ، سنة ٤٦٨ ، فخرج عنها وكان آخر العهد به .

(٢) فى الأصل : الشمالية .

(٣) هو محمد بن عبد الله .

بَطْلَيْسوس وأعمالها ، ويابرة ، وشنترين ، والأشبونة .

كان المظفر هذا أحرص الناس على جمع علوم الأدب خاصة من النحو والشعر ونوادير الأخبار وعيون التاريخ ، انتخب مما اجتمع له من ذلك كتاباً كبيراً ترجمه باسمه ، على نحو الاختيارات للروحي ، وعيون الأخبار لأبي محمد ابن قتيبة ؛ جاء هذا الكتاب في نحو من عشرة أجزاء ضخمة <sup>(١)</sup> وقفت على أكثره ، ترجمته المظفرى .

وكان لابنه المتوكل قدم راسخة في صناعة النظم والنثر ، مع شجاعة مفرطة وفروسية تامة ، وكان لا يُغيبُ الغزو ولا يشغله عنه شيء ، واتصلت مملكته إلى أن قتله المرابطون أصحاب يوسف بن تاشفين ، وقتلوا ولديه الفضل والعباس صبراً : ضربوا أعناقهم في غرة سنة ٤٨٥ .

وكانت أيام بنى المظفر بمغرب الأندلس أعياداً ومواسم ، وكانوا ملجأ لاهل الآداب ، خلدت فيهم ولهم قصائد شادت مآثرهم وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم ؛ وفيهم يقول الوزير الكاتب الأبرع ذو الوزارتين أبو محمد عبد المجيد ابن عبدون ، من أهل مدينة يابرة ، قصيدته الغراء ، لابل عقيلته العذراء ، التي أزرّت على الشعر ، وزادت على السحر ، وفعلت في الألباب فعل الخمر ، فجَلَّتْ

(١) قال ابن بسام : كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق ، والتأليف الفائق ، المترجم بالتذكرة ، والمشتهر أيضاً اسمه بالكتاب المظفرى ، في خمسين مجلداً ، يشتمل على فنون وعلوم ، من مناز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الأدب . ويقول ابن الأبار لأنه كان كثير الأدب جم المعرفة محبا لأهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة . وحكى الشنقى أن كتاب « المظفرى » في نحو مائة مجلدة !

عن أن تُسَامِحِي ، وأنفت من أن تُتَظَاهِي ؛ فقل لها النظير ، وكثر إليها المشير ،  
وَتَسَاوَى فِي تَفْضِيلِهَا وَتَقْدِيمِهَا بِأَقْلٍ وَجَرِيرٍ ؛ فَاللهُ هِيَ مِنْ عَقِيلَةِ خَدْرِ قَرُبَتْ  
بِسَهولَتِهَا حَتَّى أَطْمَعَتْ ؛ وَبَعُدَتْ حَتَّى عَزَّتْ فَامْتَمَعَتْ ؛ أوردتها في هذا  
المصنف وإن كان فيها طولٌ مُخْرَجٌ عَنِ الْحَدِّ الَّذِي رَسَمْتَهُ ؛ مُخِلٌّ بِالتَّلْخِصِ  
الَّذِي شَرَطْتَهُ ؛ لَصِحَّةِ مَبَانِيهَا ؛ وَرِشَاقَةِ أَلْفَاظِهَا وَجُودَةِ مَعَانِيهَا ؛ سَلَكَ فِيهَا أَبُو مُحَمَّدٍ  
رَحِمَهُ اللهُ طَرِيقَةً لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا ؛ وَوَرَدَ شَرْعَةً لَمْ يُزَاحِمِ عَلَيْهَا ؛ فَلِذَلِكَ قَلَّ  
مِثْلُهَا لِأَبْلِ مُعَدِّمٍ ، وَعَزَّ نَظِيرُهَا فَمَا تَوَوَّجْتُمْ وَلَا عُلِمَ ، وَهِيَ (١) :

الدَّهْرُ يُفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ \* فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ ؟  
أَنَّهُكَ أَنَّهُكَ لَا أَلْوَكُ مَوْعِظَةٌ \* عَنِ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ  
فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبَدَى مُسَالِمَةٌ

وَالْبَيْضُ وَالشُّوْدُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالشُّمْرِ  
وَلَا هُوَادَةَ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ \* يَدُ الضَّرَابِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ  
فَلَا تَغَيَّرْنَاكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا \* فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنِهَا سِوَى السَّهْرِ  
مَا لِلْيَالِي - أَقَالَ اللهُ عَثْرَتْنَا \* مِنَ اللَّيَالِي وَخَانَتُهَا يَدُ الْبَغِيرِ  
فِي كُلِّ حِينٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ \* مِثْلَ جِرَاحٍ وَإِنْ زَاعَتْ عَنِ النَّظْرِ  
تَسْرُّ بِالشَّيْءِ لَكِنَّهُ كَيْ تَعَرَّبَ بِهِ \* كَالْإِيْمِ ثَارًا إِلَى الْجَانِي مِنَ الزَّهَرِ

(١) اقتصرنا فيما سبق من الكتاب على إيراد النصوص الأدبية التي ذكرها المؤلف دون شرح لها أو تعليق عليها ؛ إذ كان في معاجم اللغة ما ينفى عن ذلك ؛ ولكننا في هذه القصيدة - دون غيرها - قد آثرنا أن نخرج عن هذا النطاق إلى حد ما ؛ لتوضيح الرموز التاريخية التي أشار إليها ابن عبدون في تضاعيف قصيدته .

- كم دولةٍ ووليتُ بالنصرِ خدمتها \* لم تبقِ منها وسئل ذكر الك من خبر<sup>(١)</sup>  
 كهوتُ بدارا وفلئتُ غرِبَ قاتله \* وكان عَضْباً على الأملاكِ ذا أثرٍ<sup>(٢)</sup>  
 واسترجعتُ من بني ساسان ما وهبتُ \* ولم تدعُ لبني يونانَ من أثرٍ<sup>(٣)</sup>  
 وألحقتُ اختها طسماً ، وعادَ على \* عادٍ وجُرُّهمُ منها ناقضُ المررِ<sup>(٤)</sup>  
 وما أقالت ذوى الهيئات من يمينٍ \* ولا أجارت ذوى الغايات من مُضَرِّ<sup>(٥)</sup>

(١) الضمير هنا أيضا يعود على الليالي . والمعنى : كم دولة هيأت لها الليالي أسباب النصر والتأييد ، ثم كرت عليها فسلبتها كل مامنحت ولم تبق لها خيرا .

(٢) دارا : ملك من ملوك الفرس ، قالوا إنه لبث في الملك ثلاثين سنة ، ثم قتله الإسكندر ؛ والفل : الكسر ؛ والغرب : الحد ؛ والعضب : السيف ؛ والأملاك : جمع ملك ؛ والأثر بضم الهجزة والناء : فرند السيف ؛ والمعنى : أن الليالي سقطت بدارا عن عرشه ، وكان على أعدائه من الملوك سيقاً قاطعا ؛ ثم لم تبق على قاتله فخطمت سيفه وجرعته منيته . وقد تغلب الإسكندر على سائر ملوك عهده ، وبسط سلطانه على أكثر المعمور ، ومات وله من العمر بضع وثلاثون سنة !

(٣) بنو ساسان : الأكاسرة من ملوك فارس ، حكموها بعد ملوك الطوائف إلى عهد الفتح العربي ، وكانت مدة حكمهم أربعة قرون ونصف قرن .

(٤) طسم ، وأختها جديس : من قبائل العرب البائدة ، كان موطنها باليامة ، ولها خبر مشهور في تاريخ الجاهلية ؛ فقد كان ملك القبيلتين رجلا من طسم اسمه عملوق ، وكان غشوما ظالما متقاداً لصفواته ، مجترأ على حرمان الناس ، وكانت جديس تلقى من شره مالا طاقة لأحد به ، فأجعت أمرها - بتدبير امرأة منها اسمها عفيرة - على الفتك به ؛ فكان من ذلك إبادة طسم وجديس . و « عاد » التي ورد ذكرها في البيت : هي التي عنها الله سبحانه بقوله : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » . « وأما جرهم » فقبيلة من بني يعرب بن قصطان ، هاجرت من اليمن إلى الحجاز انتجاعاً للرزق ، وأصهر إليهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقد كثرت عديدهم في الحجاز حتى صاروا ذوى قوة وسلطان ، ثم بنوا وضلوا فأبادهم الله وأذهب ريحهم . والمرر بكسر الميم : جمع صرة ، وهي القوة وشدة الخلق ، وناقض المرر : هو الدهر ، لأنه لا يدع ذا قوة على قوته !

(٥) كانت الرياسة والملك وترف الحضارة في اليمن ، وكان المضرئون من أهل الشمال أصحاب مثل وغايات وأهداف بعيدة ؛ ولأمر ما كان محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه - مضرباً ؛ ولكن الليالي لم تبق على أحد من هؤلاء ولا من أولئك !

ومزقت سباً في كل قاصية \* فما التقي رايح منهم بمبتكر<sup>(١)</sup>  
 وأنفذت في كليب حكماً، ورمت \* مهلهلاً بين سمع الأرض والبصر<sup>(٢)</sup>  
 ولم ترد على الضليل صحته \* ولا ننت أسداً عن ربها حجير<sup>(٣)</sup>  
 ودوخت آن ذبيان وإخوتهم \* عبساً، وعصت بني بدر على النهير<sup>(٤)</sup>

(١) يشير إلى قوله تعالى : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال : كلوا من رزق ربكم واشكروا له ؛ بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ... » الآيات إلى قوله تعالى : « وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ... » وكانت أرضهم « مأرب » من بلاد اليمن . والابتكار ، والبكور : ضد الرواح ؛ والمعنى أنهم تفرقوا في أقاصى البادية فلم يلتق رايح منهم بغاد !

(٢) كليب : هو كليب بن ربيعة الذي يقال فيه « أعز من كليب وائل » وبلغ من عزه أنه كان لا يوقد أحد ناراً مع ناره ، ولا يورد أحد لإبلا مع إبله ؛ وكانت أخته زوجاً لابن عمها جساس بن مرة ، الذي يقال له حامي الجار ومانع الدمار ، وكان لجساس جارة اسمها البسوس تدل بجواره وحمايته ، وكان لها ناقة اسمها السراب ؛ فبينما لإبل كليب ذات يوم على الحوض تروى ، إذ لمح كليب بنتها هذه الناقة ، فنوق لإيها سمها فأصاب ضرعها ؛ فرأى جساس في ذلك انتهاكاً لحرمة ، فخرج إلى كليب معتقلاً رمحه فصرعه ، فشبث الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ، ودامت فيما يقال أربعين سنة ، وتشتهر في تاريخ الجاهلية باسم حرب البسوس ؛ وكان السامى لتأركليب أخاه الحارث ، ولقبه مهلهل - وإنما لقب كذلك لأنه أول من هلهل الشعر ، أي رققه ، وهو حال امرئ القيس - فلما وضعت الحرب أوزارها ، ذهب المهلهل في الأرض حتى نزل بقوم من مزحج ، فأقام بين أظهرهم ، وأصهر لإيهم ، واطمأنت به الدار ؛ ولكن القدر كان يترص به ؛ فبينما هو ذات يوم في بعض القفار ومعه عبدان من عبيده ، إذ بدا لعبيده أن يقتلاه لسبب ما ، فأثفا ما اعترما ؛ ومات سيد ربيعة في بلد فقير لم يدبر به أحد ؛ فذلك قول ابن عبدون : وأناذت في كليب ... البيت .

(٣) الضليل : هو امرؤ القيس بن حجر ملك كندة ، وكانت أسد قد قتلت أباه حجراً ، فحمل امرؤ القيس عبء التأثر له ، ومضى على وجهه ينتقل بين البلاد مستعبداً على بني أسد ، حتى بلغ بلاماً قيصر ، ثم اعتل علة لابره منها ، وأدركه أجله - فيما يقال - بأخرة من بلاد الروم .

(٤) ذبيان ، وعبس : أخوان من بني بغيض بن ريث بن غطفان ؛ وبنو بدر : بطن من ذبيان ؛ وكانت بين عبس وذبيان في الجاهلية حرب كحرب البسوس ، تشتهر باسم حرب داحس والغبراء ؛ وداحس والغبراء : فرسان ذكر وأنتى لقيس بن زهير العبسي ، وحمل بن بدر الذيباني ؛ فأجرياها ذات مرة في السباق على رهان ؛ ثم تلاحيا ووقع بينهما دم ، فنشبث تلك الحرب ؛ =



وَأَلْحَقَتْ بِعَدِيِّ بِالْعِرَاقِ عَلَى هَيْدِ ابْنِهِ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرِ (١)  
 وَاهْلَكَتْ لِإِبْرَوِيْزَ بِابْنِهِ وَرَمَتْ هَيْدَ بَيْزِدَ جُرْدَ إِلَى مَرَوْ فَلَمْ يَخْرُ (٢)  
 وَبَلَغَتْ يَزْدُجُرْدَ الصَّيْنَ وَأَخْتَرَكْتُ  
 عَنْهُ سَوَى الْفَرَسِ جَمَعَ التُّرْكِ وَالْحَزَرَ

== وكان من قتلاها حمل بن بدر ، وأخوه حذيفة ، وكانا عندما دهمتهما خيل عيس يستقنعان في ماء بموضع اسمه جفر الهباءة ؛ وظلت الحرب ناشبة زماناً بين عيس وذيان ، وفيها اشتهر عنتره ابن شداد العبسي .

(١) هو عدى بن زيد الشاعر ، وكان نصرانيا في الجاهلية ، ومقامه بالخيرية من أرض العراق ، وقد حبسه النعمان بن المنذر ملك الخيرة ثم قتله ؛ وكان له ولد اسمه زيد بن عدى ، قد أحفظه مصرع أبيه على النعمان ، فلم يزل يلتمس الأسباب إلى كسرى لإبرويز ملك فارس حتى صار له في بلاطه شأن ، فانهز فرصة أمكنته وأوغر صدر كسرى على النعمان ، فتوعده بالشر ؛ وعلم النعمان بذلك ففر عن عرشه وقاعدة ملكه يتنقل بين القبائل في بادية الجزيرة ... ثم مشى إلى كسرى ، يأمل أن يحمّله على الصنح ؛ فلقه ثمة زيد بن عدى شامتا ؛ وانتهى أمره إلى القتل ؛ أمر به كسرى فرمى بين أرجل القبيلة فوطئته حتى مات ؛ وكان بالنعمان برص ؛ فهذا معنى قول ابن عبدون «أحمر العينين والشعر» .

(٢) لإبرويز : هو كسرى لإبرويز بن هرمز ، من أشد ملوك الفرس وأغذم رأيا ، غدر أباه وولى العرش بعده ، ثم خشي أن يفعل به ولده ما فعل هو بأبيه ، فنفاهم ؛ وثقل على الرعية أمره فأرادوا الخلاص منه ؛ فقصدوا ابنه شيرويه في بابل ، فبايعوه بالملك ؛ ولقى لإبرويز على يدي ولده شيرويه مثل ما لقي أبوه هرمز على يديه .

أما يزدجرد : فهو يزدجرد بن شهريار لإبرويز ، آخر ملوكهم ، وقد فر عن عرشه وقاعدة ملكه حين وطىء جيش سعد بن أبي وقاص أرض بلاده ، وأمر أن تنقل أمواله إلى الصين ؛ وقد ظل الأمل يداعبه في العودة إلى عرشه مستين ؛ فلما كانت أيام عثمان بن عفان وخرج الأحنف ابن قيس إلى الصين غازيا ، بدا ليزدجرد أن يقاوم ، فعقد مع الترك والصغد والحزر حلفا ، وكان مقام كسرى في ذلك الوقت بمرو الروذ ، قد عاد إليها من الصين على أمل ؛ فلما التقت جيوش المسلمين بمجيش كسرى وحلفائه من الترك والصغد والحزر ، انحزل حلفاء كسرى وخلفوه ؛ ففر على وجهه فلم ير بعدها إلا قتيلا .

فهذا ما عناه ابن عبدون في هذا البيت والبيت الذي يليه . ولم يحر : لم يرجع ؛ فعله :  
 حار ، يحور .

ولم تردّ مواضى رُستمٍ وِقْنَا \* ذِي حَاجِبٍ عَنْهُ سَعْدَانِي ابْنَةُ الْغَيْرِ (١)  
 يَوْمَ الْقَلَيْبِ بَنُو بَدْرِ فُسُوا وَسَعَى \* قَلَيْبُ بَدْرِ بِنِ فِيهِ إِلَى سَقَرِ (٢)  
 وَمَزَقَتْ جَمْفَرًا بِالْبَيْضِ وَاخْتَلَسَتْ \* مِنْ غِيْلِهِ حَمْرَةَ الظَّلَامِ لِلْجُزُرِ (٣)  
 وَأَشْرَفَتْ بِحُبَيْبٍ فَوْقَ فَارِعَةَ \* وَأَلْصَقَتْ طَلْحَةَ الْفِيَاضَ بِالْعَفْرِ (٤)  
 وَخَضَّبَتْ شَيْبَ عَثْمَانَ دَمًا وَخَطَمَتْ \* إِلَى الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمَرَ (٥)  
 وَلَا رَعَتْ لِأَبِي الْيَقْظَانَ مُصْحَبَتَهُ \* وَلَمْ تُزَوِّدْهُ إِلَّا الضَّيْحَ فِي الْعُمُرِ (٦)

(١) رستم : هو رستم الأرميني قائد جيش الترس يوم القادسية ؛ وذو حاجب : هو خرزاد حامل رايتهم ؛ وسعد : هو ابن أبي وقاص قائد جيش المسلمين في فارس ؛ وابنة الغير : الداهية .  
 (٢) يشير إلى غزوة بدر وما أصاب المشركين فيها من انكسار وذلة .

(٣) يعني جعفر بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ؛ وقد استشهد أولهما يوم مؤتة ، واستشهد حمزة يوم أحد . والجزر : جمع جزور ، وهو الجمل ؛ وظلام الجزر : الكريم .

(٤) يشير إلى مصرع خبيب بن عدي الأنصاري ، وطلحة بن عبيد الله التيمي ؛ أما خبيب فكان من خبره أنه أسر يوم الرجيع - في السنة الثالثة بعد الهجرة - فذهب به إلى مكة حيث اشتراه بعض موالى عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ؛ وكان خبيب قد قتل أباه الحارث يوم بدر فأراد أن يقتس منه ؛ وقد صلبه المشركون على خشبة في النعم من أرض مكة ؛ والفارعة : الطويلة ؛ والمقصود خشبة الصلب .

وأما طلحة فقتل يوم الجمل ، قتله مروان بن الحكم ؛ وهو أحد العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكان من أجواد قريش ؛ ويقال له طلحة الخير ، وطلحة الفياض ، وطلحة الطلحات أيضا .

(٥) يعني عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعمر بن الخطاب ؛ وكان مصرع عثمان في الفتنه يوم الجمعة صبيحة عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، ولم يعرف قاتله على التحقيق ؛ وأما الزبير فقتله ابن جرموز في غير حرب يوم الجمل ؛ وذلك أن الزبير يومئذ كان من حزب عائشة ؛ فلما تراءى الجمعات دعاه على إليه فتقاولا ؛ فكأتما بدا للزبير بعد حديثه مع علي أن الاستمرار في الحرب خطيئة ؛ فأزعم اعتزال الحرب ، وحينئذ اعترضه ابن جرموز يلحاه ؛ ثم اتهم منه غرة فقتله ؛ وأما عمر فقتله أبو لؤلؤة النصراني غلام المغيرة بن شعبه ، وخبره مشهور .

(٦) أبو اليقظان : عمار بن ياسر ، وقد قتل بأيدي أصحاب معاوية يوم صفين سنة ست وثلاثين ؛ والضيح : اللبن ؛ وكان قد عطش ودعا بشربة ماء ؛ فأتى بضيحة فصرها ، ثم قال : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللبن آخر شربة أشربها في الدنيا !

وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن هـ وأمكنت من حسين راحتي شمر (١)  
وليبتها إذ فدت عمرأً بجارحة هـ فدت علياً بمن شامت من البشر (٢)  
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن هـ أتت بمعضلة الألباب والفكر (٣)  
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد

وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر (٤)

وأردت ابن زياد بالحسين فلم هـ يئؤ بشسع له تطاح أو ظفر (٥)

(١) أبو حسن : علي بن أبي طالب ؛ وأشقاها : عبد الرحمن بن ملجم النجبي ، قاتل علي ؛  
فقد ورد في بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا علي ، أشقاها الذي يخضب  
هذه من هذه » وأشار إلى لحية علي ورأسه . وحسين : هو ابن علي بن أبي طالب ؛ وشمر :  
هو ابن الجوشن ، وكان من أعان علي قتل الحسين بكر بلاء علي شاطيء القرات .

والمعنى : أتاحت الليالي لسيف ابن ملجم أن يقتل عليا ، وأمكنت شمر بن الجوشن من قتل الحسين .  
(٢) عمرو : هو عمرو بن العاص حليف معاوية وصاحب مصر ؛ وخارجة : رجل من  
رهبط عمرو بن العاص في مصر . والبيت يشير إلى قصة ومثل ؛ وتفصيل الأمر أن الخوارج في  
أيام الفتنة قالوا : إن عليا ومعاوية وعمرو بن العاص قد أسدوا أمر هذه الأمة ، ولو قتلناهم لعاد  
الأمر إلى حقه ؛ فوكل إلى عبد الرحمن بن ملجم أن يقتل عليا ؛ وإلى الحجاج بن عبد الله الصرمي  
المعروف بالبرك ، أن يقتل معاوية ؛ وإلى زادويه الفارسي أن يقتل عمراً ؛ علي أن يكون قتل الثلاثة  
في موعد واحد ؛ أما علي فقتله ابن ملجم اغتيالاً ، وأما معاوية فأصاب الحجاج ألبته ونجا ؛ وأما  
عمرو بن العاص فقد اشتكى وجعاً في الليلة الموعودة لقتله ، لأمر أراده الله ؛ فخرج خارجة ليصلي  
بالناس بدله ، حين رآه زادويه علاه بسيفه فصرعه ، وسبق إلى مجلس عمرو ، فلما رأى الناس  
يخاطبونه بالإمرة قال : أو ما قتلت عمراً ؟ قال : لا ، إنما قتلت خارجة . فقال : « أردت  
عمراً وأراد الله خارجة » فذهبت مثلاً . وقيل هو خارجة بن غانم ، قرشي من بني عدى ، شهد  
فتح مصر ، وكان على شرطة عمرو بن العاص ، أو قاضياً له .

(٣) ابن هند : معاوية بن أبي سفيان ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة ؛ وحسن : هو الحسن بن علي .  
(٤) الحصر : العمى ، وهو يشير إلى ارتياب بعض المسادين في ميتة الحسن بن علي وزعمهم أن  
امراته جعلت بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته سما بدسياسة معاوية ، ليخلص العرش لولده يزيد !  
(٥) ابن زياد : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ؛ وكان أميراً على الكوفة من قبل الأمويين  
حين وفد إليها الحسين يستنصر شيعته للمطالبة بالخلافة ؛ فدبر عبيد الله مقتله في كربلاء ؛ ثم  
لم يلبث ابن زياد أن لقي مثل مصرع الحسين على يد إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وكان على جيش =

وَعَمَّتْ بِالطُّبِيِّ فَوَدَىٰ أَبِي أَنَسٍ ۝ وَلَمْ تَرُدَّ الرَّدَىٰ عَنْهُ قَنَا زُفَرٌ (١)  
 وَأَنْزَلَتْ مُضْعَبًا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ ۝ كَانَتْ بِهَا مَهْجَةُ الْمُخْتَارِ فِي وَزَرَ (٢)  
 وَلَمْ تَرَأِ مَكَانَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا ۝ رَاعَتْ عِيَاذَتَهُ بِالْبَيْتِ وَالْحِجْرِ (٣)  
 وَأَعْمَلَتْ فِي لَطِيمِ الْجَنِّ حِيلَتَهَا  
 وَأَسْتَوَسَقَتْ لِأَبِي الذَّبَّانِ ذِي الْبَخْرِ (٤)

== المختار بن عبيد الثقفي، وابن زياد على جيش لعبد الملك ابن مروان .

ويبوء : يرجع ؛ والشع : رباط النعل ؛ والمعنى : أن الليالي اقتضت للحسين من ابن زياد ، وإن لم يساو شع نعله أو قلامة ظفره !

(١) أبو أنس : هو الضحاك بن قيس النهري ، وكان يدعو لعبد الله بن الزبير ، ومعه صاحبه زفر بن الحارث الكلابي ، فخرج لقاتلها عبد الملك بن مروان ، فالتق جيشاها بمرج راهط من أرض الشام سنة ٦٤ ؛ فدارت الدائرة على الضحاك ، قتله دحية بن عبد الله الكلابي ، وفر عنه زفر بن الحارث .

(٢) يعني مصعب بن الزبير ، وكان على الكوفة من قبل أخيه عبد الله ؛ فخرج عبد الملك ابن مروان لقتاله ، فالتقيا في موضع يعرف بالجانليق ؛ فغذل مصعباً أصحابه ولم يناصره إلا قلة ، ثم قتل وحمل رأسه إلى عبد الملك ، فخر عبد الملك لله ساجدا .

وأما المختار : فهو المختار بن عبيد الثقفي ، رجل من أهل الفتنة ؛ كان يدعو تارة لمحمد ابن الحنفية ، وطورا لعبد الله بن الزبير ، وحيناً لنفسه ؛ فلما انكشف سوء قصده ، خرج لحربه مصعب بن الزبير ، فتحصن المختار بقلعة الكوفة ، وحاصره مصعب في القلعة حتى أوشك أن يموت هو وأصحابه ظمأ وجوعا ؛ فخرج يقاتل حتى قتل .

وقلعة الكوفة هذه ، هي الشاهقة التي كانت وزراً وملجأً للمختار ، والتي نزل منها مصعب فيما بعد ليلتي حنفة بالجانليق ، وقد كان منها في منعة لو أنه بقى !

(٣) يريد عبد الله بن الزبير ، وكان يسمى العائد ، لأنه كان يقول : أنا العائد بالبيت ؛ ولكن عيادته بالبيت لم تمنع الحجاج بن يوسف الثقفي من نصب المجانيق لرمي الكعبة وهو عائد بها ، ثم من احتراز رأسه وصلبه من كسأ على خشبة قد أسكت رجله وتدل منها جسده !

(٤) لطيم الجن : عمرو بن سعيد الأموي ، نيزهتما ليل كان في فمه ، وبه أيضاً سمي الأشدق ، وقيل سمي الأشدق ، لثشادقه في الكلام ، وكان من فصحاء قريش وأهل الخطابة ؛ وقد استدرجه عبد الملك بن مروان بجيلته حتى خلا به في داره ، فذبحه بيده وهو يقول كالمسوخ لقلته : «لوعلمت يا أبا أمية أنك تبقى ويسلم لي ملكي لعديتك بدم النواظر ، ولكن قلما اجتمع غلان ==

ولم تدع لأبي الذبَّان قاضيه \* ليس اللطيم لها عمرٌو بمنصر<sup>(١)</sup>  
وأحرقت شلو زيد بعدما احترقت \* عليه وجراداً قلوب الآي والشور<sup>(٢)</sup>  
وأظفرت بالوليد بن يزيد ولم \* تبقى الخلافة بين الكأس والوتر<sup>(٣)</sup>  
حباية حب رومان أتيح لها \* وأحمر قطرته نفحة القطر<sup>(٤)</sup>  
ولم تعد قضب السفاح نائبة  
عن رأس مروان أو أشياعه الفجر<sup>(٥)</sup>

== في ذود لإعدا أحدهما على الآخر ! « ثم رمى برأسه إلى أصحابه المحتشدين على الباب ونثر على رءوسهم الدنانير ؛ فبردت سميتهم ؛ واستوسق الملك بمقتل عمر لعبد الملك ، وكان عبد الملك أبجر ، وينبئ بأبي الذبان !

(١) قاضيه : سيفه ؛ والمعنى : لم تدع الليالي لعبد الملك سيفه الذي طالما قضب الأعناق واحتر الرءوس .

(٢) الشلو : العضو ؛ وزيد : هو زيد بن علي بن الحسين ، خرج إلى الكوفة في سنة ١٢٢ في عهد هشام بن عبد الملك ، وبايعه أهلها بالخلافة ؛ ونشبت الحرب بينه وبين عمال بني أمية ، فانفض عنه من كانوا معه ، فقال لصاحبه نصر بن خزيمه : « يا نصر بن خزيمه ، أنا أخاف أن يكونوا قد فعلوها حسينية ! » يعني أن أهل الكوفة قد خدعوه ، ودعوه ثم أسلموه ، كما فعلوا مع الحسين من قبل ؛ وكذلك كان ؛ ولقي زيد مصير جده ، ودفن بمجرى ماء ؛ ثم دل عليه عامل بني أمية ، فنبشه ، واحتر رأسه فبعث به إلى دمشق حيث صلب على باب المدينة ، وصلب جسده بالكوفة ، وظل على خشبته ثلاث سنين ، ثم أنزل فأحرق !

(٣) يشير إلى مصرع الوليد بن يزيد ؛ وكان صاحب كأس ووتر ، مسرفاً في شهوراته ، متهماً في دينه !

(٤) حباية : قينة كانت ليزيد بن عبد الملك - وكان كذلك صاحب كأس ووتر - وقد عشقها عشقاً ملك عليه نفسه ؛ فبينما هو ذات يوم في خلوة بها وقد صفت لها الدنيا وطاب المكان ، إذ تناولت رمانة فصرقت ببعض حياتها فانت ؛ فحزن عليها يزيد حزناً هلك به بعد أسابيع ؛ ويعني بالأحمر الذي قطرته نفحة القطر : الحجر ؛ وقد جاء هذا البيت هنا موهماً أن حباية كانت صاحبة الوليد المذكور في البيت الذي سبقه ، وإنما هي صاحبة أبيه يزيد بن عبد الملك ؛ وكان بينهما في الخلافة ، هشام بن عبد الملك ، وقد لبث على عرش أمية عشرين سنة !

وحباية هذه أخبار مشهورة بين الجوارى المغنيات ، هي وسلامة القس ؛ وكانت مثلها من جوارى يزيد .

(٥) السفاح : هو عبدالله بن محمد بن علي ، أول خلفاء الدولة العباسية ؛ وسمى السفاح ، ==

وَأَسْبَلَتْ دَمْعَةَ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَى هـ دَمِ بَفْحِ لَّالِ الْمِصْطَفَى هَدَرَ (١)  
 وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا وَالْفَضْلُ يَنْظُرُهُ هـ وَالشَّيْخُ يَحْيَى بَرِيقَ الصَّارِمِ الذَّكْرَ (٢)  
 وَأَخْفَرَتْ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدَ، وَأَتَدَبَّتْ هـ لَجَعْفَرِ بَابْنِهِ وَالْأَعْبُدِ السُّعْدَ (٣)  
 وَمَا وَفَّتْ بِعُهُودِ الْمُسْتَعِينِ وَلَا هـ بِمَا تَأَكَّدَ لِلْمَعْتَرِّ مِنْ مِرْرٍ (٤)

— لما سفح من دم بني أمية ، أولئكروه وما سفح من المال ؛ والقضب : السيف ؛ ومروان المذكور في البيت : هو مروان بن محمد ، آخر خلفاء الدولة الأموية ، وقد فر إلى مصر بعد ذهاب ريشه ، وكان مصرعه بقرية من قرى الفيوم يقال لها «بوصير» ثم احترق رأسه وبعث به إلى السفاح ، شر السفاح ساجداً لله وتمثل بشعر العدواني :

لو يمشرون دى لم يرو شاربههم ولا دماؤهم للغيظ تروينى !

وبقتل مروان استتب الملك لبني العباس .

(١) فح : موضع على فرسخ من مكة ، قتل به من بني الحسن بن علي : الحسين بن علي بن الحسن ، والحسن بن محمد بن الحسن ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن ؛ وكان مقتلهم في أيام المهدي العباسي ؛ وذهب دمهم هدرا ..

(٢) جعفر ، والتفضل : ابنا يحيى بن خالد البرمكي ؛ وأشرفت : أغصت ؛ يعنى : سقت الليالي جعفرًا بريق السيف ، وجاءته النكبة بغتة ، وأخوه وأبوه ينظرانه ؛ يعنى تعلقت آمالهما به وهو في عنوان عزه وسلطانه ؛ ونكبة البرامكة مشهورة في التاريخ فلا حاجة بنا إلى الحديث عنها .  
 (٣) الأمين : هو محمد بن هرون الرشيد ، وكان الرشيد قد ولاه العهد من بعده ، وجعل العهد من بعده لأخيه المأمون ، وأخذ عليهما المواثيق ألا ينذر أحدهما صاحبه ؛ فلما ولي الأمين الخلافة ، بدا له أن يخلع أخاه من ولاية العهد ليجعلها من بعده لابنه موسى ؛ فكان ذلك أول الصر بين الأخوين ، واستمرت الفتنة حتى انتهت بمقتل الأمين وتولى أخيه العرش . أما جعفر المذكور بعده فهو جعفر بن المعتمد الملقب بالتوكل ، عاشر خلفائهم ، أعان على قتله ابنه المنتصر ، وكان قتله من عبيده ؛ والأعبد : العبيد ؛ والغدر : جمع غادر ؛ وكان سبب مقتله أنه أراد أن تكون الخلافة من بعده لولده المعتز ، دون أخيه المنتصر ؛ فخفظها له ؛ وكان مقتل التوكل أول ما ظهر من تسلط الموالى والعبيد في الدولة العباسية .

(٤) المستعين : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتمد ، ولي الخلافة بعد المنتصر بن التوكل ، سنة ٢٤٨ ثم نشبت الفتنة بينه وبين المعتز بن التوكل فخلع في سنة ٢٥٢ ثم قتل بعد خلعها بأشهر ، وتولى المعتز بعد خلعها ، فاجتمعت له الكلمة وبايعه الناس ، ولكنه لم يلبث في الخلافة إلا ثلاث سنين وأشهرًا ثم قتل .

وأوثقت في عُراها كل مُعتمدٍ \* وأُشْرقتْ بِقِذاها كلُّ مُقتدرٍ  
ورَوَّعتْ كلَّ مأمونٍ ومؤتمنٍ \* وأسلبتْ كلَّ منصورٍ ومُنْتَصِرٍ<sup>(١)</sup>  
وأعْثرتْ آلَ عَبَّادٍ لَعاً لَهُمْ \* بذَيْلٍ [زَبَاءٍ] لم تَنْفِرْ من الذُّعْرِ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

بني المظفر والأيامُ - لا نُزلتْ - \* مراحِلُ، والورى منها على سفر<sup>(٣)</sup>  
مُحقاً ليومكم يوماً ولا حملتْ \* بمثله ليلة في غابر العُمر  
من للأسرَّةِ، أو من للأعنةِ، أو \* من للأسنةِ يهديها إلى الشجر  
من للظبي وعوالى الخط قد عُقدتْ \* أطرافُ ألسنها بالعيِّ والحصر  
وطوقت بالمنايا السودِ بِيصِّهم \* فأعجب لذلك وما منها سوى الذكر  
من للبراعة أو من للبراعة أو \* من للسماحة أو للنفع والضرر  
أو دفع كارثةٍ أو ردع آزرقةٍ \* أو وقع حادثةٍ تعيياً على المُدْرِ

(١) المعتمد، والمقتدر، والمأمون، والمؤتمن، والمنصور، والمنتصر: ألقاب خلافية، لا يعنى بها الشاعر - فيما أرى - أحداً بعينه، وأحسبه أراد أن يقول: إن الأيام لا تفي بهمد الخديفة ولا تبقى على نعمة للملك!

(٢) «لعاً»: كلمة توجع تقال للعائر؛ والزباء: الداهية الشديدة، أو الناقة قد كثر الشعر في وجهها وتحابلت ظلالة أمام عينيها أشباحاً فتذعر وتنفّر؛ وموضع هذه الكلمة يباح بالأصل؛ وقوله «لم تنفر من الذعر» إشارة إلى المثل المشهور «كل أزب نور»؛ ويروى البيت على وجه آخر، وهو:

وأعْثرتْ آلَ عباس - لعاً لهم - بذيل رياء من يبيض ومن سمر

وقال ابن بدرون في تفسيرها: «قوله بذيل رياء من يبيض ومن سمر» تنبيها على كثرة عدد عبيدهم - يعنى العباسيين - وقدرتهم على السلاح» قلت: وتنبيها على تعدد ألوان هؤلاء العبيد؛ فمنهم الترك والعجم والروم والزيغ، والبيض والسمر.

(٣) يبدأ الشاعر من هذا البيت حديثه في رثاء بني الأنطس؛ إذ كانوا أول القصد ومدار

القول وسبب الادكار ومبعث الاعتبار.

- وَيْبُ السَّمَاحِ وَوَيْبُ الْبَأْسِ لَوْ سَلِمَا \* وَحَسْرَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى مُعْمَرٍ (١)  
 سَقَتْ ثُرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةً \* تُعْزَى إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لِأَيِّ الْمَطَرِ (٢)  
 ثَلَاثَةٌ مَارَأَى السَّعْدَانَ مِثْلَهُمْ \* وَأَخْبَرَ لَوْ عَزَزَا فِي الْحَوْتِ بِالْقَمَرِ (٣)  
 ثَلَاثَةٌ مَارَتْ تَقَى النَّسْرَانَ حَيْثُ رُقُوا \* وَكُلُّ مَاطَرٍ مِنْ نَسْرٍ وَلَمْ يَطِيرِ  
 ثَلَاثَةٌ كَذَوَاتِ الدَّهْرِ مِنْذُ نَاوَا \* عَنَى ، مَضَى الدَّهْرُ لَمْ يَرْبَعِ وَلَمْ يَحْمِرِ (٤)  
 وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ \* حَتَّى التَّمَشُّعُ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرِ  
 أَيْنَ الْجَلَالُ الَّذِي غَضَّتْ مَهَابَتَهُ \* قُلُوبُنَا وَعُيُونُ الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ (٥)  
 أَيْنَ الْإِبَاءُ الَّذِي أَرَسُوا قَوَاعِدَهُ \* عَلَى دَعَائِمٍ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ ظَفَرِ  
 أَيْنَ الْوَفَاءُ الَّذِي أَصْفَقُوا شَرَائِعَهُ \* فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهَا عَلَى كَدَرِ  
 كَانُوا رِوَايَ أَرْضِ اللَّهِ ، مِنْذُ مَضَوْا \* عَنْهَا اسْتَطَارَتْ بَيْنَ فِيهَا وَلَمْ تَقْرِ  
 كَانُوا مَصَائِيحَهَا فَذُ خَبُوا عَثْرَتْ \* هَذَى الْخَلِيقَةِ يَا لَلَّهِ فِي سَدْرِ (٦)  
 كَانُوا سَجَى الدَّهْرِ فَاسْتَهْوَتْهُمْ مُخْدَعٌ \* مِنْهُ بِأَحْلَامِ عَادٍ فِي خَطَى الْحَضَرِ (٧)  
 وَيُلْبَسُهُ مِنْ طُلُوبِ الثَّأْرِ مُدْرِكِهِ \* مِنْهُمْ بِأَسَدٍ سُرَاةٍ فِي الْوَعْنَى صُبْرِ (٨)

(١) هو أبو محمد عمر التوكل بن المظفر .

(٢) الفضل والعباس : ابنا التوكل ، وقد قتلها المرابطون حين اجتاحتها أرض بطليوس .

(٣) كذا بالأصل ، وفي غيره :

ثلاثة مارأى العصران مثلهمو فضلا ولو عززوا بالشمس والقمر

(٤) لم يربيع بفتح الباء : لم يقف .

(٥) مهابة : منصوب على السببية ؛ معنى : غضت لمهابة قلوبنا .

(٦) السدر : الحيرة .

(٧) في رواية أخرى : « في خطى الخطر » .

(٨) ويروى عجز البيت « لو كان دينا على الأيام ذى عسر » .



مَنْ لِي وَلَا مَنْ بِهِمْ إِنْ أَظْلَمَتْ نُوبٌ \* ولم يكن ليلُها يُفِضِي إلى سَحَرٍ (١)  
 مَنْ لِي وَلَا مَنْ بِهِمْ إِنْ عَطَلَتْ سُنُنٌ \* وَأُخْفِيَتْ أَلْسُنُ الْأَثَارِ وَالسَّيْرِ  
 مَنْ لِي وَلَا مَنْ بِهِمْ إِنْ أَطْبَقَتْ مِحْنٌ \* ولم يكن ورْدُها يدعو إلى صَدْرٍ  
 على الفضائلِ إِلَّا الصبرَ بَعْدَهُمْ \* سلامٌ مُرْتَقِبٍ لِلأَجْرِ مُنْتَظِرٍ  
 يرجو عسى وله في أختها أَمَلٌ \* والدهرُ ذو عُقَبٍ شَتَّى وذو عُغَيْرٍ  
 قَرَّطَتْ أَدَانَ مَنْ فِيهَا بِفَاضِحَةٍ

على الحسانِ حَصَى الياقوتِ والدَّرَرِ

سَيَّارَةٌ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ قَاطِعَةٌ

شَقًّا شَقًّا هَدَرَتْ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

مُطَاعَةٌ الْأَمْرِ فِي الْأَبَابِ قَاضِيَةٌ \* من المِسامعِ مالم يُقْضَ مِنْ وَطَرِ

وكان أبو محمد هذا (٢) يكتب للمتوكل على الله ، ونمّت حاله معه ؛ وهو

أحد كتّاب المغرب ، ومن جمع منهم فضيلتي الكتابة والشعر ، على أنه مُمِقلٌ

من النظم ، لم يثبت له منه إلا يسير بالنسبة إلى غزارة آدابه ونباهة قدره ؛

وسيمر من مختار رسائله في موضعه من هذا الكتاب ما يدل على ما وصفناه به .

حكى عن نفسه رحمه الله أنه كان بين يدي مؤدّبه ، وسنه إذ ذاك ثلاث

عشرة سنة ، فعن للمؤدّب أن قال :

\* الشَّعْرُ خَطَّةٌ خَسْفِ \*

وجعل يردد هذا القول . قال الوزير أبو محمد رحمه الله : فكتبت في

(١) ويروي صدر البيت « من لي ومن لهو إن أظلمت نوب » .

(٢) يعني ابن عبدون . ناظم هذا الشعر .

لوحى مجيزاً له :

« لكل طالبٍ عُرفٍ »

ثم خطر لي بيت ثان ، وهو :

للشيخ عَيْبَةَ عَيْبٍ \* وللفتي ظَرْفُ ظَرْفٍ

قال : فنظر إلى المؤدب وقال : يا عبدالمجيد ، ما الذى تكتب ؟ فأرسته اللوح ؛ فلما رآه لطمني وعرك أذني وقال : لا تشتغل بهذا ! وكتب البيتين عنده (١) .  
ومن غزارة حفظه رحمه الله ما حدثت الوزير الأجل أبو بكر محمد ابن الوزير أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر - وكان أبو بكر هذا قد مات عن سن عالية ، نيّف على الثمانين (٢) - قال :

(١) مؤدبه هذا - كما جاء في نصح الطيب - هو أبو الوليد بن ضابط النحوى السالتي ؛ وكان في ذلك الوقت شيخاً يستجدي بالشعر ؛ فكأنما أراد ابن عبدون - وهو لم يزل صيباً بعد - التعريض به لاتخاذ الشعر سبباً إلى طلب العرف .  
وروى ابن خاقان في الفلاذ ، أن الذى نظم صدر البيت « الشعر خطة خسف » هو المتوكل ابن الأفلس ، ثم أرتج عليه ، فأجازه ابن عبدون .  
أما ابن بسام في التدخيرة فيروى الخبر على نحو ما رواه المراكشي .  
والعبية : الظرف والوعاء .

(٢) كان مولده - فيما يروى - سنة ٥٠٧ . وتوفى سنة ٥٩٥ وهى السنة التى لقيه فيها المراكشي بمرآكش كما سيأتى بعد .

وقد ذكره ابن دحية في كتابه « المطرب من أشعار المغرب » فقال : كان شيخنا الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب عذب معين ، وكان يحفظ شعر ذى الرمة وهو ثلث لغة العرب ، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب ، والمزلة العليا عند أصحاب المغرب ، مع سمو النسب ، وكثرة الأموال والنسب . ومن شعره الدائع قوله :

وَمُوسِّدِينَ عَلَى الْإَكْفِ خَدُودَهُمْ قَدْ غَاظَهُمْ نَوْمُ الصَّبَاحِ وَغَالِي

مَازَلْتُ أَسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ فَضْلَهُمْ حَتَّى سَكَّرْتُ وَنَالَهُمْ مَا نَالِي =

« بينا أنا قاعد في دهليز دارنا وعندى رجل ناسخ أمرته أن يكتب لى كتاب الأغاني ، فجاء الناسخ بالكراريس التي كتبها ؛ فقلت له : أين الأصل الذي كتبت منه لأقابل معك به قال : ما أتيت به معي ؛ فبينما أنا معه في ذلك إذ دخل الدهليز علينا رجلٌ بذُ الهيئة ، عليه ثياب غليظة أكثرها صوف ، وعلى رأسه عمامة قد لائها من غير إتقان لها ؛ فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية ، فسلم وقعد وقال لى : يا بنى ، استأذن لى على الوزير أبى مروان ؛ فقلت له : هو نائم ؛ هذا بعد أن تكلفتُ جوابه غايةً التكلف ؛ حملنى على ذلك نزوة الصبا وما رأيته من خشونة هيئة الرجل ؛ ثم سكت عنى ساعة ، وقال : ماهذا الكتاب الذي بأيديكما ؟ فقلت له : ماسؤالك عنه ؟ فقال : أحب أن

== والخمر تعلم كيف تأخذ ثأرها إني أملتُ إناؤها فأمالنى ا

وروى أنه كان بمراكش في أواخر القرن السادس ، وقد فارق بأشبيلية طفلاً له ، فذكره وحن إليه ، فأنشأ يقول متشوقاً :

ولى واحد مثلُ فرخ القطا صغيرٌ تخلف قلبى لديه

وأفردتُ عنه ، فيا وحشتاً لذاك الشخيصُ وذاك الوُجيه ا

تشوّقنى وتشوّقتُه فيبكى علىّ وأبكى عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا فنه إلىّ ومنى إليه ا

فبلغت هذه الأبيات أبا يوسف المنصور سلطان المغرب ، فأخذته لذلك رقة ، وأراد أن يخاصه أبا بكر بما يسره ، من غير أن يفارق حضرته بمراكش ، فأرسل مهندسين إلى أشبيلية ، وأمرهم أن يحيطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارته ، ثم بينوا مثلها في مراكش ؛ ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة ، وفرشها بمثل فرشه ، وجعل فيها مثل آله ؛ ثم أمر أن ينقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه إلى تلك الدار ؛ ثم احتال عليه حتى جاء إلى ذلك الموضع ، فرآه أشبه شىء ببيته وحارته ؛ فتعير لذلك وظن أنه نائم وأن ذلك أحلام ، فقيل له ادخل البيت الذى يشبه بيتك ، فدخله ، فإذا ولده الذى تشوق إليه يلعب فى البيت ، فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه ا

أعرف اسمه ، فإنني كنت أعرف أسماء الكتّاب ! فقلت : هو كتاب الأغاني ؛ فقال : إلى أين بلغ الكاتب منه ؟ قلت : بلغ موضع كذا ، وجعلت أحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قائله ، فقال : وما لكاتبك لا يكتب ؟ قلت : طلبتُ منه الأصل الذي يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق ، فقال لم أجد به معنى ؛ فقال : يا بني ، مُخذ كراريسك وعارض ؛ قلت : بماذا ؟ وأين الأصل ؟ قال : كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباي ؛ قال : فتبسمت من قوله ، فلما رأى تبسّمي قال : يا بني أمسك عليّ ؛ قال : فأمسكت عليه وجعل يقرأ ، فوالله إن أخطأ واوًّا ولا فاء ؛ قرأ هكذا نحواً من كراستين ، ثم أخذت له في وسط السفر وآخره ، فرأيت حفظه في ذلك كله سواء .

« فاشتد عجبى ، وقت مسرعا حتى دخلت على أبي فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل ؛ فقام كما هو من قوره ، وكان ملتفتاً برداء ليس عليه قميص ، وخرج حاسر الرأس حافي القدمين لا يترفقُ على نفسه ، وأنا بين يديه ، وهو يُوسعني لوماً ، حتى ترامى على الرجل وعانقه ، وجعل يقبّل رأسه ويديه ويقول : يا مولاي اعذرني ، فوالله ما أعلمني هذا الجلف إلا الساعة ؛ وجعل يسبّني ، والرجل يُخفّض عليه ويقول : ما عرقتي ؛ وأبي يقول : هبهُ ما عرفتك ، فما عذرهُ في حسن الأدب .

« ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدّثا طويلا ؛ ثم خرج الرجل وأبي بين يديه حافيا حتى بلغ الباب ، وأمر بدابته التي يركبها فأسرّجت ، وحلف عليه ليركبها ثم لا ترجع إليه أبدا .

« فلما انفصل قلت لأبي : من هذا الرجل الذي عظّمته هذا التعظيم ؟  
قال لي : اسكت ويحك ! هذا أديب الأندلس وإمامها وسيّدُها في علم الآداب ،  
هذا أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، أيسرُ محفوظاته كتابُ الأغاني ؛ وما  
حفظُهُ في ذكاه خاطره وجودة قريحته ؟ »

سمعت هذه الحكاية من أبي بكر بن زهر رحمه الله حين دخلت عليه وقد  
وفد على مراکش لتجديد بيعة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف  
في شهر سنة ٥٩٥ .

وأُشدني الوزير أبو بكر المذكور في هذا التاريخ لنفسه - بعد أن سألتني عن  
اسمي وعن نسبي فتسمّيت وانتسبت ، وتسمّى لي هو رحمه الله وانتسب  
من غير استدعاء ، تواضعاً منه وشرفَ نفس وتهذيبَ خلق ، قدس الله  
روحه وسأحه - :

لأحّ المشيبُ على رأسي فقلت له : « الشَّيبُ والعَيْبُ لا والله ما اجتمعا  
ياساقى الكأس لا تعدل إلىّ بها » فقد هجرتُ الحميّا والحميمَ معا !  
وأُشدني رحمه الله وقال احفظ عني :

إني نظرتُ إلى المرأة إذ جليت « فأنكرتُ مقلّتي كلّ ما رأنا  
رأيت فيها شَيْخاً لست أعرفه » وكنت أعرفُ فيها قبل ذلك قتي (١)

(١) أورد فتح الطيب بعد هذين البيتين :

فقلت أين الذي بالأمس كان هنا متى ترّحل من هذا المكان متى ؟  
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة  
كانت سُليمي تنادى : يا أخى ! وقد  
صارَت سُليمي تنادى اليوم : يا أبتا !

هذا ما أنشدني لنفسه بلفظه ، رحمه الله ؛ وله شعر كثير أجاد في أكثره ؛  
وأما الموشحات خاصة فهو الإمام المقدم فيها ، وطريقته هي الغاية القصوى التي  
يجرى كلُّ من بعده إليها ؛ هو آخر المجيدين في صناعتها ، ولولا أن العادة لم  
تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلاة (١) لأوردتُ له بعض ما بقي على  
خاطري من ذلك .

### [رجع القول إلى ملوك الطوائف]

ثم رجعت بنا القول إلى ذكر أحوال الأندلس ؛ فهؤلاء الرؤساء الذين ذكرنا  
أسماءهم هم الذين ملكوا الأندلس بعد الفتنة وضبطوا نواحيها ؛ واستبد كلُّ  
رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات ، وانقطعت الدعوة للخلافة وذكر  
اسمها على المنابر ؛ فلم يُذكر خليفة أموي ولا هاشمي بقطر من أقطار الأندلس ،  
خلا أيام يسيرة دُعي فيها لهشام المؤيد بن الحكم المستنصر بمدينة أشبيلية  
وأعمالها ، حسبما اقتضته الحيلة واضطر إليه التدبير ، ثم انقطع ذلك حسبما يأتي  
بيانه إن شاء الله تعالى (٢) فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتنة حال ملوك

(١) قلت : يظهر أن الموشحات إلى ذلك العهد - سنة ٦٢١ - لم تكن عندهم من الأدب  
الرفيع الذي يستحق التدوين والتخليد ، وإنما كانت فنا شعبيا لا يبلغ مقام الشعر ؛ هذا إلى أن  
موازين الأدب في الأندلس كانت تجعل الأدب المشرق هو القدوة وعلم المشاركة هو العلم ، كما  
ينظر بعضنا اليوم إلى الثقافة الأوربية ، جهلا بمقدار نفسه ؛ وقد أشرت إلى بعض هذا فيما كتبت  
عن ابن عبد ربه في مقدمة طبعة كتاب العقد التي أخرجتها المكتبة التجارية سنة ١٩٤١ - وعلى  
هذا الأساس كانوا ينظرون إلى الموشحات ؛ إذ كانت فنا أندلسيا خاصا ليس من فنون المشاركة !  
انظر نماذج من موشحات ابن زهر في الجزء الأول من نفع الطيب .

الطوائف من الفرس بعد قتل دارا بن دارا (١).

ولم يزلوا كذلك وأحوال الأندلس تضعف وثغورها تختلّ، ومجاوروها من الروم تشدّ أطماعهم ويقوى تشوّفهم : إلى أن جمع الله الكلمة ، ورأب الصدع ، ونظّم السّمل ، وحسّم الخلاف ، وأعزّ الدين ، وأعلى كلمة الإسلام ، وقطع طمع العدو ؛ يُسَمّن نقيبة أمير المسلمين وناصر الدين أبي يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني ، رحمه الله ؛ ثم استمر على ذلك ابنه عليّ ، وأعادنا إلى الأندلس معهود أمنها وسالف نصارة عيشها ؛ فكانت الأندلس في أيامهما حرماً آمناً ؛ وأولُ دعاءٍ دُعِيَ للخلافة العباسية - أبقاها الله - على منابر الأندلس في أيامهما ؛ ولم تزل الدعوة العباسية وذكر خلفائها على منابر الأندلس والمغرب ؛ إلى أن انقطعت بقيام ابن تومرت مع المصامدة في بلاد السوس (٢) ، على ما يأتى بيانه إن شاء الله عز وجل .

## فصل

[ في ملك بني عباد بأشبيلية ]

وإذ ذكرنا أحوال ملوك الأندلس المتغلبين عليها بعد الفتنة على ما شرطنا من الإجمال ، فلنرجع إلى ذكر مملكة أشبيلية خصوصاً من جزيرة الأندلس ، وذكر من مملكتها ؛ فبذلك يتصل نسقُ الأخبار عما نريده ، ويتطرق لنا القول فيما نقصده ؛ لأن ملك أشبيلية هو كان السبب في دخول يوسف بن

(١) قتله الإسكندر الأكبر . انظر الهامش رقم ٢ ص ٧٧ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ما كتبناه في المقدمة عن البلد الذي ألف فيه المراكشي كتابه .

تاشفين مع المرابطين الأندلس ، على ما سيُذكر إن شاء الله تعالى ، فنقول :  
 أما أحوال أشبيلية فإنها كانت في طاعة الفاطميين ، أعني : علي بن حمود ،  
 والقاسم بن حمود ، ويحيى بن علي بن حمود : أيام كان الأُمراء يبنهم على ما تقدم  
 ذكره (١) : فلما زحف يحيى بن علي بالبرابر إلى قرطبة ، وهرب القاسم بن حمود  
 منها وقصد أشبيلية - وقد كان ابناه محمد والحسن مقيمين (٢) بها - اجتمع أمر  
 أهل أشبيلية واتفق رأيهم على إخراج محمد والحسن عنها قبل وصول القاسم  
 أبيهما : فأخرجوهما : وجاء القاسم فنعوه دخول البلد أيضا ، واتفقوا على  
 تقديم رجل منهم يرجع إليه أمرهم وتجتمع به كلمتهم : فتوارد اختيارهم بعد  
 مخض الرأي وتنقيح التدبير ، على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد  
 اللخمي (٣) : لما كانوا يعملونه من حصافة عقله ، وسعة صدره ، وعلو همته ،  
 وحسن تدبيره : فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك ، فتهيب الاستبداد ، وخاف  
 عاقبة الانفراد أولا ، وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم رجلا  
 سماهم ، لسكى يكونوا له أعوانا ووزراء وشركاء : لا يقطع أمراً دونهم ، ولا  
 يحدث حدثا إلا بمشورتهم - وهؤلاء المسمون هم : الوزير أبو بكر محمد بن  
 الحسن الزبيدي ، ومحمد بن يريم الألهاني ، وأبو الأصغ عيسى بن حجاج

(١) انظر ص ٤٣ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٢) يعنى : ابني القاسم .

(٣) كان قاضياً لمدينة أشبيلية . أصله من لحم ؛ من ولد النعمان بن المنذر آخر ملوك الحيرة ،  
 وقد جدده السابع ، واسمه نعيم ، إلى الأندلس ؛ وكان قبل ذلك مصريا من أهل العريش ؛ فأقام  
 بقرية بقرب تومين من إقليم طشانة من أرض أشبيلية . ومحمد بن إسماعيل هذا أول من نبغ من  
 ولده ؛ فلما ولي قضاء أشبيلية أحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم ، فرمقته القلوب ؛ فلما  
 كانت الفتنة وانقضى أمر يحيى بن علي المستعلى ، ولاة أهل أشبيلية أمرهم .



الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن علي الهوزني ، في رجال آخرين ذهب غنى  
أسمائهم إلا أني أعرف قبائلهم وبيوتهم - ففعلوا ذلك وأجابوه إلى ما أراد ؛  
ولم يزل يدبر أمر أشييلية وهؤلاء المذكورون وزراؤه .

وكان له من الولد إسماعيل ، وهو الأكبر ، يكنى أبا الوليد ؛ وعباد ، يكنى  
أبا عمرو ؛ فأما إسماعيل فخرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه أمل في التغلب  
على ما كان البربر يملكونه من الحصون القريبة من أشييلية ، بعسكر من جنود  
أشييلية ، فالتقى هو وصاحب صهاجة : فأسلمت إسماعيل عساكره وكان أول  
قتيل ، وقطع رأسه وسير به إلى مالفة ، إلى إدريس بن علي الفاطمي كما تقدم (١) .  
وبقي الأمر كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور أحسن تدبير ، وكان  
صالحا مصالحا ، إلى أن مات في شهر سنة ٤٣٩ .

### ولاية المعتضد بالله العبادي

ثم ولي ما كان يليه بعده من أمور أشييلية وأعمالها ، ابنه أبو عمرو عبّاد  
ابن محمد بن إسماعيل بن عباد ؛ جرى على سنن أبيه في إثبات الإصلاح وحسن  
التدبير وبسط العدل ، مدة يسيرة ؛ ثم بدا له أن يستبد بالأمور وحده ؛ وكان  
شهما صارما حديد القلب شجاع النفس بعيد الهمة ذا دهاء ، وواتته مع هذا  
المقادير ؛ فلم يزل يعمل في قطع هؤلاء الوزراء واحدا واحدا ، فنهزم من قتله صبورا ،  
ومنهم من نفاه عن البلاد ، ومنهم من أماته خمولا وفقرا ؛ إلى أن تم له ما أراد  
من الاستبداد بالأمر ، وتلقب بالمعتضد بالله .

وقيل إنه ادعى أنه وقع إليه هشام المؤيد بالله ، ابن الحكم المستنصر بالله ؛ وكان الذي حمله على تدبير هذه الحيلة مارآه من اضطراب أهل أشيلية ، وخاف قيام العامة عليه ، لأنهم سمعوا بظهور من ظهر من أمراء بني أمية بقرطبة ؛ كالمستظهر ، والمستكني ، والمعتد ؛ فاستقبحوا بقاءهم بغير خليفة ، وبلغه أنهم يطلبون من أولاد بني أمية من يقيمونه ؛ فادعى ما ادعاه من ذلك ؛ وذكر أن هشاماً عنده بقصره ، وشهد له خواصٌ من حشمه ، وأنه في صورة الحاجب له المنفذ لأمره ؛ وأمر بالدعاء له على المنابر ؛ فاستمر ذلك من أمره سنين ، إلى أن أظهر موته ونعاه إلى رعيته في سنة ٥٥ ؛ واستظهر بعهدٍ عهدته له هشام المذكور فيما زعم ، وأنه الأمير بعده على جميع جزيرة الأندلس (١) .

ولم يزل المعتضد هذا يدوخ الممالك وتدين له الملوك من جميع أقطار الأندلس ، وكان قد اتخذُ خشباً في ساحة قصره جلالها برؤس الملوك والرؤساء

(١) ينسب أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب « نقت العروس » هذه الواقعة إلى أبيه القاضي محمد بن عباد ، وبروبها على الوجه الآتي :

« أخلوقه لم يقع في الدهر مثلها ، فإنه ظهر رجل يقال له خلف المصري ، بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت بالمؤيد ، وادعى أنه هشام ؛ فبوع وخطب له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى ، وسفكت الدماء وتصادمت الجيوش في أمره ، وأقام المدعى أنه هشام نيفاً وعشرين سنة ، والقاضي محمد بن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه ، والأمراء إليه . . . » .

ونسبة هذه الواقعة إلى القاضي أبي القاسم تحتاج إلى تحقيق ، فقد ذكر ابن حزم أن ذلك المدعى قد ظهر بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام ، وأنه أقام بعد ذلك نيفاً وعشرين سنة أخرى والقاضي في رتبة الوزير بين يديه ؛ وقد علمنا أن موت هشام كان في سنة ٤٠٣ ؛ وكانت وفاة القاضي سنة ٤٣٩ ، وما بين التاريخين لا يزيد على بضعة ثلاثين سنة ، وهي أقل من مجموع نيف وعشرين ونييف وعشرين !

وانظر ص ٤٤ : نعمة حادثة مماثلة !

عوضاً عن الأشجار التي تكون في القصور ؛ وكان يقول : في مثل هذا البستان فليتنزه .

وجملة أمر هذا الرجل أنه كان أوحد عصره شهامة وصرامة وشجاعة قلب وحرمة نفس ؛ كانوا يشبهونه بأبي جعفر المنصور من ملوك بني العباس ؛ كان قد استوى في مخافته ومهابته القريب والبعيد ، لاسيما منذ قتل ابنه وأكبر ولده المرشح لولاية عهده صبراً ؛ وكان سبب ذلك أن ولده المذكور - وكان اسمه إسماعيل - كان يبلغه عنه أخبار مضمونها استطالة حياته وتمني وفاته ، فيتغاضى المعتضد ويتغافل تغافل الوالد ، إلى أن أدى ذلك التغافل إلى أن سكر إسماعيل المذكور ليلة وتسور سور القصر الذي فيه أبوه ، في عبثان وأراذل معه ، ورام الفتك بأبيه ؛ فانتبه البوابون والحرس ، فهرب أصحاب إسماعيل ، وأخذ بعضهم فأقر وأخبر بالكائنة على وجهها ؛ وقيل إن إسماعيل لم يكن معهم وإنما بعثهم على ذلك وجعل لمن قتل أباه المعتضد جعلاً سبياً ، فالله أعلم ؛ فقبض المعتضد على ابنه إسماعيل هذا واستصفي أمواله وضرب عنقه ؛ فلم يبق أحد من خاصته إلا هابه من حينئذ .

وبلغني أنه قتل رجلاً أعمى بمكة كان يدعو عليه بها ؛ كان هذا الرجل من بادية أشيلية ؛ كان المعتضد قد وضع يده على بعض مال لهذا الرجل الأعمى ، وذهب باقي ماله حتى افتقر ؛ ورحل إلى مكة ، فلم يزل يدعو على المعتضد بها إلى أن بلغه عنه ذلك ، فاستدعى بعض من يريد الحج وناوله حتمًا فيه دنانير مطلية بالسم ، وقال : لا تفتح هذا حتى تدفعه إلى فلان الأعمى بمكة ؛ وسلم عليه عتًا ؛ فاتفق أن سلم الرجل ومعه الحق ، فحين وصل مكة لقي الأعمى

ودفع إليه الحق ، وقال : هذا من عند المعتضد ؛ فأنكر ذلك الأعمى ، وقال : كيف يظلمنى بأشيلية ويتصدق علىّ بالحجاز؟ فلم يزل الرجل يُخفّضه إلى أن سكن وأخذ الحق ، فكان أول شيء فعله أن فتح الحق وعمد إلى دينار من تلك الدنانير فوضعه في فمه ، وجعل يقلّب ساورها بيده ، إلى أن تمكّن منه السم ، فما جاء الليل حتى مات ؛ فأعجب لرجل بقاصية المغرب يعنى بقتل رجل بالحجاز ؛ وقتل على هذه الصورة رجلاً من المؤذنين من أهل أشيلية ؛ فز منه إلى طليطلة ، فكان يدعو عليه بها في الأسفار ، مقدراً أنه قد أمن غائلته إذ صار في مملكة غيره <sup>(١)</sup> ؛ فلم يزل يُعمل فيه الحيلة إلى أن بعث من قتله فجاءه برأسه . وكان أكبر من يناويه من المتغلبين المجاورين له وأشدّهم عليه ، البربر ؛ مُصنّاجة وبنو برزال الذين بقرمونة وأعمالها من نواحي أشيلية ؛ فلم يزل يصرف الحيلة تارة ويجهّز الجيوش أخرى إلى أن استنزهم ؛ ففرق كلتهم وشدّت منتظم أمرهم ونفاهم عن جميع تلك البلاد وصنمت له أموره .

كان له عينٌ بقرمونة يكتب له بأخبار البربر ؛ بلّغ من لطف حيلة المعتضد وقد أراد أن يكتب إلى ذلك الرجل الذي جعله عيناً له بقرمونة كتاباً في بعض أمره ، أن استدعى رجلاً من بادية أشيلية شديد البكّة كثير الغفلة ، وقال له : اخلع ثيابك ؛ وألبسه مُجبة جعل في جيها كتاباً وخاط عليه ، وقال له : اخرج إلى قرمونة ، فإذا وصلت بقرمونة فاجمع حزمة حطب وادخل بها البلد وقف حيث يقف أصحاب الحطب ، ولا تبعتها إلا لمن يشتريها منك بخمسة دراهم ؛ وكان قد قرر هذا كلفه مع صاحبه الذي بقرمونة ؛ فخرج البدوي كما أمره المعتضد ، فلما

(١) كان على طليطلة في ذلك الوقت بنو ذى النون .

قرب من قرمونة جمع حزمة من الحطب ، ولم يكن قبل هذا يعانى جمعه ؛ فجمع  
 حزمة صغيرة ودخل بها البلد ، ووقف في موقف الخطابين ، فجعل الناس يبرون  
 عليه ويسومون منه حزمته ، فإذا قال لا أبيعها إلا بخمسة دراهم ، ضحك من  
 يسمع هذا القول منه ومرّ عنه ؛ فلم يزل كذلك إلى أن أجنّه الليل والناس  
 يسخرون منه ، فبعضهم يقول : هذا آبنوس ! ويقول الآخر : لابل هو عود  
 هندي ! وما أشبه هذا ؛ حتى مرّ به صاحب المعتضد ، فقال له : بكم تبيع حزمته  
 هذه ؟ فقال : بخمسة دراهم ! فقال : قد اشتريتها فأحملها إلى البيت ؛ فقام يحملها  
 والرجل بين يديه حتى بلغ بيته ، فوضع الحزمة ودفع إليه الخمسة الدراهم ؛ فلما  
 أخذها وهمّ بالانصراف قال له : أين تريد في هذا الوقت وقد علمت خوف  
 الطريق ؟ فيت الليلة عندي ، فإذا أصبحت رجعت إلى منزلك ؛ فأجابته ؛  
 فأدخله إلى بيت وقدم له طعاما ، وسأله كأنه لا يعرفه : من أين أنت ؟ فقال :  
 أنا من بادية أشيلية ؛ قال : يا أخي ، ما الذي جاء بك إلى هذا الموضع وقد  
 علمت نكد البربر وشؤمهم وهوان الدماء عليهم ؟ فقال : حملتني على هذا  
 الحاجة ! ولم يظهر له أن المعتضد أرسله ؛ فلم يزل الرجل يحادثه إلى أن أخذه  
 النوم ، فلما رأى غلبة النوم عليه قال له : تجرّد من ثوبك هذا فهو أهنا لنومك  
 وأرواحُ جسمك ! فتجرّد الرجل ونام ، وأخذ صاحب المعتضد الجبة ففتق  
 جيها ، واستخرج الكتاب فقرأه وكتب جوابه ، وجعله في جيب الجبة وخاط  
 عليه كما كان ؛ فلما أصبح الرجل لبس جبته ، ورجع إلى أشيلية وقصد باب دار  
 الإمارة واستأذن ، فأدخل على المعتضد ، فقال له : اخلع تلك الجبة ؛ وكساه  
 ثيابا حسنا فرح بها البدوي ، وخرج من عنده فرحا يرمى أنه قد خلع عليه ؛ ولم

يعلم فيم ذهب ولا بم جاء ١ وأخذ المعتضد الكتاب من جيب الجبة فقرأه وتم ما أراد من أمره .

وله في تدبير ملكه وإحكام أمره حيل وآراء عجبية لم يسبق إلى أكثرها ، يطول تعدادها ويخرج عن حد التلخيص بسطها .

ولما قتل ابنه اسماعيل - كما تقدم - وكان قد لقبه المؤيد ، عهد بعده إلى ابنه أبي القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد ، ولقبه بالمعتمد على الله ؛ فحسنت سيرة أبي القاسم هذا في حياة أبيه وبعد وفاته .

### [ أولية المرابطين في مراکش ]

وفي إمارة المعتضد بالله هذا نزل لمثونة<sup>١</sup> ومسوقة<sup>٢</sup> - قيلتان عظيمتان من البربر - رجة<sup>٣</sup> مراکش ؛ فتخيروها دار ملكهم لتوسطها البلاد ؛ وكانت إذ نزلوها غيضة لا عمران بها ، وإنما سميت بعبد أسود كان يستوطنها يخيف الطريق اسمه مراکش<sup>(١)</sup> ؛ فاستوطنها البربر كما ذكرنا ، وقدموا عليهم رجلا منهم اسمه تاشفين بن يوسف .

وكان المعتضد في كل وقت يستطلع أخبار العُدوة ؛ هل نزل البربر رجة مراکش ؟ وذلك لما كان يراه في ملحمة كانت عنده أن هؤلاء القوم خالعوه أو خالعو ولده ومخرجوه من ملكه ؛ فلما بلغه نزولهم جمع ولده وجعل ينظر إليهم مصعبا ومصوبا ويقول : ياليت شعري من تناله معرفة هؤلاء القوم ، أنا أو أتم ؟ فقال له أبو القاسم من يذنبهم : جعلني الله فداك وأنزل بي كل مكروه

(١) ويروي ابن خلكان أن « مراکش » معناها « امش مسرعا » بلغة المصامدة ؛ وكان موضعها مأوى للصوم ، وكان السارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة ، نعرف الموضع بها !

يريد أن يُنزله بك ! فكانت دعوة وافقت المقدار .

وكان نزول المتونة ومسوفة قبيلتي المرابطين رحبةً مراکش ، في صدر سنة ٤٦٣ ، وانفصلهم عنها جملةً واحدة في وسط سنة ٥٤٠ ؛ فكانت مدة إقامتهم في الملك منذ نزولوا رحبةً مراکش إلى أن انفصلوا عنها وأخرجهم عنها المصامدة ، نحواً من ست وسبعين سنة .

ثم توفي المعتضد بالله في شهر رجب من سنة ٤٦٤ ، واختُلف في سبب وفاته ، فقيل إن ملك الروم سمّه في ثياب أرسل بها إليه ؛ وقيل إنه مات حثفَ أنفه ، فالله أعلم .

### ولاية أبي القاسم بن عباد المعتمد على الله

ثم قام بالأمر بعده ، ابنه أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد ؛ وزاد إلى المعتمد على الله : الظافر بحول الله ؛ وكان المعتمد هذا يشبّه بهارون الواثق بالله من ملوك بني العباس ، ذكاءً نفس وغزارةً أدب ؛ وكان شعره كأنه الحلال المنشرة ، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس ؛ وكان مقتصرًا من العلوم على علم الأدب وما يتعلق به وينضمُّ إليه ؛ وكان فيه مع هذا من الفضائل الذاتية ما لا يحصى ، كالشجاعة والسخاء والحياء والنزاهة ، إلى ما يناسب هذه الأخلاق الشريفة ؛ وفي الجملة فلا أعلم خصلةً تُحمد في رجل إلا وقد وهبه الله منها أوفر قسم ، وُضرب له فيها بأوفى سهم ؛ وإذا عُدتُ حسناتُ الأندلس من لدن فتحها إلى هذا الوقت فالمعتمد هذا أحدُها ، بل أكبرها .

ولي أمرٍ أشبيلية بعد أبيه ، وله سبع وثلاثون سنة (١) ؛ واتفقت له المحنة الكبرى بخلعه وإخراجه عن ملكه في شهر رجب الكائن في سنة ٤٨٤ ؛ فكانت مدة ولايته إلى أن خلع وأسر : عشرين سنة ؛ كانت له في أضعافها مآثر أعيان على غيره جمعها في مائة سنة أو أكثر منها ؛ كانت له رحمه الله همة في تخليد الشاء وإبقاء الحمد .

[ عبد الجليل بن وهبون الشاعر ]

كان من جملة شعرائه رجل من أهل مدينة مُرسية اسمه عبد الجليل بن وهبون ، كان حسن الشعر لطيف المأخذ حسن التوصل إلى دقيق المعاني ؛ أنشد يوماً بين يدي المعتمد رحمه الله بعض الحاضرين بيتين لعبد الجليل بن وهبون هذا قالهما قديماً قبل وصوله إلى المعتمد ، وهما :

قلّ الوفاء فما تلقاه في أحدٍ ۝ ولا يمرُّ لمخلوقٍ على بالٍ  
وصار عندهم عنقاءٌ مغربةٌ ۝ أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقالٍ ا

فأعجب المعتمد بهما وقال : لمن هذان البيتان ؟ فقالوا : هما لعبد الجليل بن وهبون أحد خدم مولانا ! فقال المعتمد عند ذلك : هذا والله اللؤم البسحت ؛ رجلٌ من خدامنا والمنقطعين إلينا يقول : « أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال ، ا وهل يتحدث أحدٌ عنا بأسوأ من هذه الأحذوثة ؟ وأمر له بألف مثقال ؛ فلما دخل عليه يتشكر له قال له : يا أبا محمد ، هل عاد الخبرُ عياناً ؟ قال : إى والله يامولاي ؛ ودعا له بطول البقاء ؛ فلما هم بالانصراف قال له : يا عبد الجليل ،

(١) لعل صوابها : سبع وعشرون سنة .



الآن حدث بها لاعتها ، يعني ألف مشقال (١) .

\*\*\*

وله رحمه الله (٢) شعر كثير برز في أكثره وأجاد ما أراد ، وسيمر منه في أضعاف أخباره ما يشهد له بالتبريز ، عند ذوى التميز ؛ فما اختاره من شعره قوله :

عَلَّلَ فَوَادَكَ قَدْ أَبَلَ عَليُّ \* وَأَغْنَمَ حَيَاتِكَ فَالْبِقَاءُ قَليلُ  
لَوْ أَنَّ مُعْمَرَكَ أَلْفُ عَامٍ كَامِلٍ \* مَا كَانَ حَقًّا أَنْ يُقَالَ طَويلُ  
أَكْذَابًا يَقُودُ بِكَ الْأَسَى نَحْوَ الرَّدَى \* وَالْعُودُ عُودٌ وَالشَّمُولُ شَمُولُ  
لَا يَسْتَبِيكَ أَلْهُمُ نَفْسَكَ عَنُودَةً \* وَالكَأْسُ سَيْفٌ فِي يَدَيْكَ صَقيلُ  
بِالْعَقْلِ تَزْدَحْمُ أَلْهُمُومٌ عَلَى الْخِشَاءِ \* فَالْعَقْلُ عِنْدِي أَنْ تَزُولَ عُقُولُ !

ومن شعره السيار ، لابل الطيار ، قوله في مملوك له صغير كان يتصرف بين يديه ، أهدها له صاحب طليطلة ؛ اسم المملوك سيف :

سَمَّوْهُ سَيْفًا وَفِي عَيْنَيْهِ سَيْفَانِ \* هَذَا الْقَتْلَى مَسْلُوكٌ وَهَذَا  
أَمَا كَفَّتْ قَتْلَهُ بِالسَّيْفِ وَاحِدَةً \* حَتَّى اتَّيْحَ مِنَ الْأَجْفَانِ ثَلْتَانِ

(١) كان ابن وهبون صديقاً لابن عمار ؛ فقلعه هو الذي أنشد المعتمد من شعره ووصل به جبهه حتى صار من جلسائه . وقد حكى المقرئ أن ابن وهبون كان يوماً في مجلس المعتمد وهو ينشد قول المتنبي في سيف الدولة مستحسناً :

إِذَا ظَفَرْتُ مِنْكَ الْعَيُونَ بِنَظْرَةٍ \* أَثَابَ بِهَا مُعَيِ الْمَطَى وَرَازِمَهُ

فقال ابن وهبون مرتجلاً :

لَسْتُ جَادَ شَعْرَ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا \* تُجَمِّدُ الْعَطَايَا ، وَاللَّيْثُ تَفْتَحُ اللَّيْثُهَا  
تَدْبَأُ مُعْجَبًا بِالْقَرِيضِ ، وَلَوْ دَرَى \* بِأَنَّكَ تَرَوِي شَعْرَهُ لَتَأَلَّيْثُهَا !

(٢) يعني المعتمد بن عباد .

أَسْرُهُتُهُ وَتَنَانِي عُنْجُ مُقْلِيَتِهِ ۝ أَسِيرَهُ ، فَكَلَانَا أَسْرُهُ عَانِي  
يَاسِيفُ أَمْسِكْ بِمَعْرُوفِ أَسِيرِهِ هَوِي

لا يبتغي منك تسريحاً يا حسان !

ومن شعره الرشيق المليح الخفيف الروح ، الذي حكى الماء سلاسة والصخر  
ملاسة ، قوله في هذا المملوك وقد عذّر :

تَمَّ لَهُ الْحَسَنُ بِالْعِذَارِ ۝ وَاقْتَرَنَ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ  
أَخْضَرُ فِي أَيْضٍ تَبَدَّى ۝ ذَلِكَ آسِي وَذَا بَهَارِي  
فَقَدْ حَوَى مَجْلِسِي تَمَامًا ۝ إِنْ كَانَ مِنْ رَيْقِهِ عُقَارِي

وبينا هو يوماً في قبة له يكتب شيئاً ، أو يطالع ، وعنده بعض كرائمه ،  
فدخلت عليه الشمس من بعض الكؤوس الكائنة فيها ، فقامت دونه تستره  
من الشمس ، فقال رحمه الله بديهاً :

قَامَتْ لِتَحْجَبَ ضَوْءَ الشَّمْسِ قَامُهَا

عَنْ نَاطِرِي ، مُحْجِبَتْ عَنْ نَاطِرِ الْغَيْرِ

عَلِمًا لِعَمْرِكَ مِنْهَا أَنَّهَا قَرُّ

هَلْ تَكْسِفُ الشَّمْسَ إِلَّا صُورَةَ الْقَمْرِ !

وبينا جارية من كرائمه قائمة على رأسه تسقيه والكأس في يدها ، إذ لمع  
البرق فارتاعت ؛ فقال رحمه الله بديهاً :

رِيَعَتْ مِنَ الْبَرَقِ وَفِي كَفِّهَا ۝ بَرَقٌ مِنْ الْقَهْوَةِ كَمَاعُ

عَجِبْتُ مِنْهَا وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَا ۝ كَيْفَ مِنَ الْأَنْوَارِ تَرْتَاعُ !

وله مع هذا مَقَاطِعُ حسانٍ كان يرتجلها في مجالس أنسه ولا استدعاء خاصة جلسائه، منعى من استيفائها قلة ما على خاطري منها (١).

وسيمّر من شعره الذي قاله في أيام محنته ما يفجر الصم، ويزرع الشم؛ وكان لا يستوزر وزيراً إلا أن يكون أديباً شاعراً حسن الأدوات، فاجتمع له من الوزراء الشعراء ما لم يجتمع لأحد قبله.

[ أبو الوليد بن زيدون ]

فمن جملة وزرائه الوزير الأجلّ ذو الرياستين أبو الوليد أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن زيدون (٢)، ذو الأدب البارِع والشعر الرائع، أحد شعراء الأندلس المجيدين وفحولها المبرزين، كان إذا نسب أنسك كثيرًا، وإذا مدح

(١) كتب إلى الطبيب أبي محمد المصري يستدعيه:

أيها الصاحبُ الذي فارقتُ عيني ونفسي منه السنا والسناء  
نحن في المجلس الذي يَهَبُ الراحة والسمع والغنى والغناء  
نتعاطى التي تُسمّى من اللذة والرقّة الهوى والهواء  
فأنته مُتلفٍ راحةً ومُحيًا قد أعدّا لك الحيا والحياء  
وعلم أن طائفة من كتابه ووزرائه مجتمعون بالزهراء في مجلس أنس ومسرة، فكتب إليهم:  
حَسَدَ القصرُ فيكُم الزهراء ولعمري وعمركم ما أساء  
قد طلعتُم بها شمسًا صباحًا فاطلعوا عندنا بدورًا مساءً!

(٢) كان ابن زيدون من أبناء وجوه الفقهاء قرطبة، وزر لابن جهور، ثم فسد ما بينهما فحبه ابن جهور؛ واحتال ابن زيدون في طلب صفحة فلم يظفر بطائل؛ ففر من محبسه إلى أشبيلية، فاستخلصه ابن عباد لنفسه؛ وله تاريخ مع ولادة بنت المستكفي تزخر به كتب الأدب. وقد توفي سنة ٤٦٣، بأشبيلية؛ وكان له ولد يكنى أبا بكر، ولى الوزارة للمعتمد بن عباد بعد أبيه، وقتل يوم سقوط قرطبة في يد المرابطين.

أزرى بزُهَيْر ، وإذا نخر أناف على امرئ القيس ؛ فمن جملة مقاطعه التي تشهد له بجودة الطبع وإتقان الصنعة قوله :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع \* سر إذا ذاعت الأسرار لم يدع  
يا بائعاً حظّه مني ولو بذلت \* لي الحياة بحظي منه لم أبع  
يكفيك أنك إن حملت قلبي ما \* لا تستطيع قلوب الناس يستطع  
تة أحتمل ، وأستطل أصير ، وعزّأهن

وولّ أقبل ، وقل أسمع ، ومُر أطلع ا

وهو القائل - رحمه الله - يخاطب بني جهور ، وكان قد وزّر لهم قبل وزارته للمعتمد ؛ لأن أصله من مدينة قرطبة ، فالثمة منهم محنة ، فخرج عن قرطبة إلى أشبيلية وافداً على المعتمد ، فعلت رُبته عنده ؛ فكان يبلغه عن بني جهور ما يسوءه في نفسه وقرابته بقرطبة ، فقال يخاطبهم :

بني جهورٍ أحرقتُمو بجفائكم \* فؤادي ، فما بال المدائح تعبّق  
تعدّوتني كالعبر الورد ، إنما \* نفوح لكم أنفاسه حين يُحرق

ومن نسيبه الذي يختلط بالروح رقة ويمتزج بأجزاء الهواء لطافة ، قصيدته التي قالها يتشوق ابنة المهدي « ولادة » (١) ، وهي بقرطبة وهو بأشبيلية (٢) :

[ أضحى التنائي بديلاً من تدانينا \* وناب عن طيب لقيانا تجافينا ]  
بتّم وبنا فما آبتلت جوانحنا \* شوقاً إليكم ولا جفّت ما قينا

(١) كذا بالأصل ، وإنما هي ولادة بنت المستكفي محمد بن عبد الرحمن الأموي . انظر ص ٥٥ - ٥٧ .

(٢) أثبت المؤلف من القصيدة مختارات ؛ فأثرنا إثبات ما أغفله بين علامتي الزيادة [ ] عرفاناً بقدر القصيدة .

تَكَادَ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا ۝ يَبْقِضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا  
حَالَتُ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَغَدَتُ ۝ مُسَوِّدًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لِيَالِينَا  
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَّقُ مِنْ تَالِفِينَا ۝ وَمَوْرِدُ اللَّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا  
وَإِذْ هَصَرْنَا غُصُونَ الْأُنْسِ دَانِيَةً ۝ قَطُوفُهَا فَجَيْنَا مِنْهُ مَا شِينَا  
لِيُسْتَقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ السَّرُورِ فَا ۝ كُنْتُمْ لِأُرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِنَا  
مَنْ مُبْلِغٌ مُلْبِسِينَا بِانْتِرَاحِهِمْ ۝ حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْكِي وَيُبْلِينَا :  
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَازَالَ يُضِحُّكُنَا ۝ أَنْسَاءً بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا !  
غِيظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا

بِأَنَّ نَعَصَّ فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا

فَأَنحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِينَا ۝ وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا  
وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخَشَى تَفَرُّقُنَا ۝ فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِنَا  
[ مَا حَقَّقْنَا أَنْ تُقَرَّرُوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ ۝ بِنَا ، وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِحًا فِينَا  
يَالَيْتَ شَعْرَى وَلَمْ تُعْتَبِ أَعَادِيكُمْ ۝ هَلْ نَالَ حِطًّا مِنَ الْعُسْبِيِّ أَعَادِينَا  
لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ ۝ رَأْيًا وَلَمْ تَقْلُدْ غَيْرَهُ دِينَنَا  
كَتَبْنَا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّينَا عَوَارِضَهُ ۝ وَقَدْ يَتَسَّنَا فَمَا لِيَأْسٍ يُفَرِّقُنَا ]  
يَاسَارِيَّ الْبَرْقِ عَادِ الْقَصْرِ فَاسْقِ بِهِ

مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدَّ يَسْقِينَا

[ وَاسْأَلْ هُنَاكَ هَلْ عَيْنِي مُتَذَكَّرُنِي ۝ إِنْ لَمْ تَذَكَّرْهُ أَمْسَى يُعْنِينَا ]  
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا ۝ مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا

[ مَنْ لَا يَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مَسَاعِفَهُ \* فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَنَا يَقَاضِينَا ]

\*\*\*

[ وَبَيْتِ مُلْكٍ كَانَ اللهُ أَنْشَأَهُ \* مِسْكَاً وَتَدَّ أَنْشَأَ اللهُ الْوَرَى طِينَا  
أَوْ صَاعَهُ وَرِقّاً مَحْضاً وَتَوَجَّهَهُ \* مِنْ نَاصِعِ التَّبْرِ إِبْدَاعاً وَتَحْسِينَا  
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رَفَاهِيَةً \* مُتَدِمِي الْعُقُولِ وَأَدَمْتُهُ الْبُرَى لِينَا  
كَأَنَّمَا نَبَتَ فِي صَحْنٍ وَجَنَّتَهُ \* زُهْرُ السُّكُوكِ تَعْوِيذاً وَتَزِينَا  
مَاضِرٌ أَنْ لَمْ نَكُنْ أَكْفَاءَهُ شَرْفَاً \* وَفِي الْمَوْدَةِ كَافٍ مِنْ تَكَافِينَا ]

\*\*\*

[ لَا تَحْسَبُوا نَزِيْمَكُمْ عَنَا يُنَيِّرُنَا \* إِذْ طَالَ مَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا  
وَاللهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَاؤَنَا بَدَلًا \* مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِينَا  
[ وَلَا اسْتَفَدْنَا خَلِيلاً عَنْكَ يَشْغَلُنَا \* وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلاً مِنْكَ يُسَلِّينَا ]  
يَارَوْضَةَ طَالَ مَا أَجْنَتِ لَوَاحِظُنَا \* وَرَدَّ أَجْنَاهُ النَّصْبَا غَضًّا وَكَسْرِينَا  
وَيَا حَيَاةَ تَمَلَّنَا بِزَهْرَتِهَا \* مُنَى مُضْرُوبًا وَكَذَاتِ أَفَانِينَا  
[ وَيَا نَعِيمَا حَضَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ \* فِي وَشْيِ نَعْمَى تَحْبُّنَا ذِي لَهَا حِينَا ]  
لَسْنَا نُسَمِّيكِ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً \* فَقَدْرُكَ الْمَعْتَلِي عَنِ ذَاكَ يُغْنِينَا  
إِذْ انْفَرَدَتْ فَمَا سُورِكْتِ فِي صِفَةٍ \* فَحَسْبُكَ الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينَا  
يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبْدَلْنَا بِسَلْسَلِيهَا \* وَالْكُوْثِرِ الْعَذْبِ زُقُومًا وَغَسَلِينَا (١)  
كَأَنَّمَا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلَ ثَالِثِنَا \* وَالسَّعْدُ قَدْ تَعَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَإِشِينَا ]

(١) موضع هذا البيت من الأصل بعد البيتين التاليين .

سِرَّانِ فِي خَاطِرِ الظَّلَامِ يَكْتُمُنَا ۞ حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا  
[ لَا عَرَوْا فِي أَنْ ذَكَرْنَا الحَزْنَ حِينَ نَهَتْ

عنه النهى ، وتركنا الصبر ناسينا ]

إِنَّا قرأنا الأسمى يوم النَّوَى سُوراً ۞ مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا  
[ إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا اللِّقَاءَ فِي ۞ مَوَاقِفِ الحِشْرِ نَلْقَاكُمْ ، وَيَكْفِينَا  
أَمَا هَوَاكُ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ ۞ شَرِبْنَا وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِينَا  
لَمْ يَخْفَ أَفْقُ جَمَالِ أَنْتِ كَوَكْبِهِ ۞ سَالِينَ عَنْهُ ، وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا  
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَنَّبْنَاكَ عَنْ كَتَبٍ ۞ لَكِنْ عَدْنَا عَلَى كُرْهِ عَوَادِينَا  
نَأْسَى عَلَيْكَ إِذَا حِثَّ مَشْعُوعَةٌ ۞ فِيهَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مَعْنِينَا  
لَا أَكْوَسُ الرَّاحِ تُبَدِّدِي مِنْ شَمَائِلِنَا ۞ سِيمَا آرِيَاحٍ وَلَا الْاوتَارُ تُلْهِينَا  
دُومِي عَلَى الْعَهْدِ ، مَا دُمْنَا ، مُحَافِظَةٌ ۞ فَالْحُرُّ مِنْ دَانَ لِإِنصَافًا كَمَا دِينَا  
فَمَا ابْتَغِينَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا ۞ وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يُغْنِينَا  
وَلَوْ صَبَا نَحُونَا مِنْ عُلوِّ مَطْلَعِهِ ۞ بَدْرُ الدُّجَا لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُصْبِينَا  
أَوَّلِي وَفَاءً وَإِنْ لَمْ تَبْدِلِ صِلَةً ۞ فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا وَالطِّيفُ يَكْفِينَا  
وَفِي الجَوَابِ قِنَاعٌ لَوْ شَفَعْتِ بِهِ ۞ بِيضَ الْاِيَادِي الَّتِي مَازَلَتْ تُتَوَلِّينَا  
عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامٌ اللهُ مَا بَقِيَتْ ۞ صِبَابَةٌ مِنْكَ تُخَفِّئُنَا فَتُخَفِّئُنَا ]  
أوردتها على الاختيار لاعلى النسق ، ولعل في كثير مما تركت منها أحسن

مما أوردت ، وإنما معنى من استيفائها الوفاء بشرط التلخيص (١) .

ومن شعره رحمه الله ، مما قاله في مدة صباه :

أخذتُ ثلثَ الهوى غَصْباً ولى ثلثُ \* وللمحبِّين فيما بينهم ثلثُ  
تالله لو حلف العشاقُ أنهممو \* مَوَّتى من الوجد يوم ما حَسِبُوا  
قومٌ إذا هَجروا من بعد ما وُصِّلوا \* ماتوا ، فإن عاد من يهْوُونَه بُعِثوا  
ترى المحبِّين صرَّعى في عِراصِهِم \* كِفْتِيَّةِ الكهفِ ما يدُرُون ما لِسِثوا  
وبما قال رحمه الله يتشوق ابنة المهدي المذكورة (١) ومعاهدَه بقرطبة ،  
وضمَّنها بيتَ أبي الطيب في أول قصيدته الكافورية :

بِمِ التعلُّ لا أهلٌ ولا وطنٌ \* ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنٌ ، ا  
قصيدة أولها :

هل تذكرون غريباً عادَهُ شجَنُ \* من ذِكرِكم وجفا أجفانَه الوَسَنُ  
يُخْفِي لواعجته والشوقُ يفضحه \* فقد تساوى لديه السرُّ والعلنُ  
يا ويلتاهُ ! أيسقَى في جوانحه \* فؤادُه وهو بالأطلالِ مرتهنُ  
وأرقَّ العينَ والظلماءَ عاكفه \* ورقاء قد شفَّها ، أو شفَّنى ، حزنُ  
قبتُ أشكو وتشكو فوق أَيْكتها \* وبات يهفو آرتياحاً بيننا الغُصنُ  
يا ههلُ أجالسُ أقواماً احبهم \* كُنَّا وكانوا على عهدٍ فقد ضغِنُوا  
أو تحفظون عهوداً لا أضيُّعُها \* إن الكرامَ يحفظُ العهدَ تمتحنُ

ومنها :

إن كان عادكم عيدٌ قُرباً فتنى \* بالشوق قد عادته من ذِكرِكم حزنُ  
وأفردته الليلي من أحبَّته \* فبات يُنشدُها بما جنى الزمنُ :



« بِمِ التعلُّ لأهلُ ولا وطنُ هـ ولا نديمُ ولا كأسُ ولا سكنُ ،

[ أبو بكر بن عمار ]

ومنهم الوزير أبو بكر محمد بن عمار ، ذو النفس العصامية ، والآداب الأهمية ؛ كان أحد الشعراء المجيدين على طريقة أبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي (١) ، وربما كان أحلى منزعاً منه في كثير من شعره ؛ ولشعره ديوان يدور بين أيدي أهل الأندلس ، ولم أَلِفِ أحداً من أدركته سِتي من أهل الآداب الذين أخذتُ عنهم إلا رأيتُه مقدِّماً له مؤثراً لشعره ، وربما تغالى بعضهم فشبهه بأبي الطيب ، وهيات !

فن قصائده المشهورة التي أجاد فيها ما أراد : قصيدته التي كتب بها من سرقة سطة حين فرق المعتضد بالله بينه وبين المعتمد - لأنه شغله عن كثير من أمره فنفاه - وهي :

عَلَى ، وإلا ما بكاء الغنائمِ وفي ، وإلا ما نباحُ الحمامِ  
وعنى آثار الرعدُ صرخة طالبٍ لثأرٍ وهزَّ البرقُ صفحة صارمِ  
وما لبستُ زُهر النجوم حدادها لغيري ولا قامت له في مآتمِ

(١) هو أبو الحسن محمد بن هاني الأزدي ، من ولد المهلب بن أبي صفرة ؛ كان أبوه يقيم في المهديّة بالمغرب ، ثم ترح إلى الأندلس في أيام الحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر ؛ فولد له محمد هذا في أشبيلية ؛ وحصل له حظ وافر من الأدب ، ومهر في الشعر ؛ وكانوا يعدونه في المغرب كالنبي في المشرق ، وكانا متعاصرين . . .

وكان ابن هاني غالياً في مدائحه ، فاتهم بالكفر وساء فيه رأى الناس ، حتى اضطر إلى الهجرة ، واتصل بالمعز لدين الله العبيدي ؛ ومات في ظروف غامضة سنة ٣٦٢ ولم يزل شاباً في عنفوانه !

وفي هذه القصيدة يقول يمدح المعتضد بالله (١) :

[إذا ركبوا فانظروه أول طاعنٍ وإن نزلوا فارصده آخر طاعم]  
أبي أن يراه الله إلا مُقلِّداً حميلة سيفٍ أو حمالة غارم

ومن جيد نسيبه قوله في قصيدة يمدح بها المعتضد بالله :

جاه الهوى - فاستشعروه - عارُهُ ونعيمه - فاستعذبه - اوارُهُ ا  
لا تطلبوا في الحب عزاً إنما عُبد أنه في محكمه أحراره  
قالوا أضر بك الهوى فأجبتهم يا حبيذاً وحبيذاً إضراره  
قلبي هو اختار السقام جسمه زيا ، فخلوه وما يختاره  
غير تمونى بالشحول وإنما شرف المهدي أن ترق شفاره  
وسمتم لفراق من آكفته ولربما حجب الهلال سراره  
أحسبتم السلوان هب نسيمة أو أن ذاك النوم عاد غراره  
إن كان أعيال القلب من حرب الجوى خذلت من دمي إذن أنصاره  
من قد قلبي إذ تشي قداه وأقام عذري إذ أطل عذاره

(١) ومنها في مدح بني عباد :

ملوك أناخ العيز في عرصاتهم ومشوى المعالي بين تلك المعالم  
هم البيت ما غير الضبا لبناته بأس ، ولا غير القنا بدعائم  
إذا قصر الروع الخطا نهضت بهم طوال العوالى في طوال المعاصم  
وأيد أبت من أن تثوب ولم تفز بجز النواصي أو بجز الغلاصم  
ندامى الوغى ، يجر ون بالموت كأسها إذا رجعت أسيا فهم بالجمام  
هناك القنا مجرورة من حمائظ وثم الضبا مهزوزة من عزائم

أم من طوى الصبح المنيرِ نقابه      وأحاط بالليل البهيمِ خماره  
 عُصْنٌ ولكن النفوسَ رباؤه      رَشَأٌ ولكن القلوبَ عراره  
 سَخِرَتْ بيدرِ التَّمِّ عُذْرُهُ كما      أذرتْ على آفاقه أزراره  
 مازال ليلُ الوصلِ من قَتَكَاته      آسرى إلى بَعْرِفِهِ أسحاره  
 ويجودُ رَوْضَ الحسنِ من وجناته      دمعى فيَنَدَى رَنَدُهُ وبَهَارُهُ  
 حتى سقاني الدهرُ كأسَ فراقه      فسكِرْتُ سُكْرًا لا يُفِيقُ خماره  
 ووقفت في مثلِ المحصَّبِ موقفا      للبين من حَبِّ القلوبِ جِماره  
 حيرانَ أعمى الطرفَ وهو سماءه      وأذاب فيه القلبَ وهو قراره  
 ولئن يُذِبهُ وهو مشواه فكم      قد أحرقتْ مُعوَدَ العفارةِ نارهُ  
 إن يَهِنِهِ أنى أضعتْ لِحُبِّهِ      قلبي وذاعتِ عنده أسرارهُ ...  
 ... فليَهِنِ قلبي أن شكاه وشأه      لسوارِهِ فاقتصَّ منه سوارهُ ١  
 فوَحْسِنِهِ لقد انتدبتُ لوصفه      بالبُخْلِ لولا أن حِمَصًا دارهُ (١)  
 بلد رمئني بالمنى أغصانه      وتفجرتْ لي بالندى أنهارهُ

ولابن عمار هذا مع المعتمد أخبار عجيبة عني بجمعها أهل الأندلس ، وأنا  
 إن شاء الله مُوردٌ منها مالا يُخلِّ بالشرط الذي التزمته ، ولا يخرج عن الحد  
 الذي رسمته ، حسبما بقى على خاطري من ذلك ؛ لأنى كنت في حدائته سنى قد  
 صرفتُ عنايتى إلى أخبار ابن عمار هذا مع المعتمد ، لما تضمنته من الآداب ؛  
 وقد فتشتُ خزانة حفظى فلم أَلْفِ فيها إلا نبذة يسيرة ، وأنا مُوردُها

(١) يعنى أشبيلية ، وكانوا يسمونها حمص ، تشبها لها بجمص الشام .

إن شاء الله عز وجل .

فابن عمار هذا هو محمد بن عمار ، يكنى أبا بكر ، أصله من شلب ، من قرية من أعمالها يقال لها شنبوس ، مولده ومولد آبائه بها . كان حامل البيت ليس له ولا لأسلافه في الرياسة في قديم الدهر ولا حديثه حظ ولا ذكر منهم بها أحد ؛ وردت مدينة شلب طفلاً فذشأ بها ، وتعلم علم الأدب على جماعة ، منهم أبو الحجاج يوسف بن عيسى الأعمى ؛ ثم رحل إلى قرطبة فتأدب بها ، ومهر في صناعة الشعر ، فكان قصاراه التمسك به ، فلم يزل يحول في الأندلس مستترفاً لا يخصص بمدحه الملوك دون غيرهم ، بل لا يبالي بمن أخذ ولا من استعطف من ملك أو سوقة ، وله في ذلك خبر ظريف :

وذلك أنه ورد في بعض سفراته شلب ، لا يملك إلا دابة لا يجرد علفها ، فكتب بشعر إلى رجل من وجوه أهل السوق ، فكان قدره عند ذلك الرجل أن ملأ له المخلاة شعيراً ووجه بها إليه ؛ فرآها ابن عمار من أجل الصلات وأسنى الجوائز ؛ ثم اتفق أن علست حال ابن عمار وساعده الجد ونهض به البخت ، وانتهى أمره أن ولاه المعتمد على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما أفضى الأمر إليه ، فدخلها ابن عمار في موكب ضخمة وجملة عبيد وحشم ، وأظهر نخوة لم يظهرها المعتمد على الله حين وليها أيام أبيه المعتضد بالله ؛ فكان أول شيء سأل عنه ، الرجل صاحب الشعير ، فقال : ما صنع فلان ، أهو حي ؟ قالوا : نعم ؛ فأرسل إليه بمخلاته بعينها بعد أن ملأها دراهم ، وقال لرسوله : قل له : لو ملأتموها برباً ملأناها تبراً .

ولم يزل ابن عمار على الحال التي ذكرناها ، من التقلب في بلاد الأندلس للاستجداء والاستعطاف ، إلى أن ورد على المعتضد بالله أبي عمرو ، فامتدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

أدر الزجاجة فالنسيمُ قد انبرى والنجمُ قد صرف العنان عن الشرى  
والصبحُ قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبراً (١)

وفيها يقول يمدح المعتضد :

عبادُ المخضِرُ نائلُ كَفِّهِ والجوُّ قد لبس الرداءَ الأغبرا  
قد أحْ زَنْدِ المجدِ لا ينفكُ من نارِ الوغى إلا إلى نارِ القيرى

يختارُ أن يهبَ الخمرِيدةَ كاعبا

والطَّرْفَ أجردَ والحسامَ مجوِّهرا

(١) بعده :

والرَّوضُ كالْحُسْنِ كَسَاهُ زَهْرُهُ وشياً ، وقلده نداء جوهرا  
أو كالغلام زها بوردي رياضه خجلا ، وتاه بأسهق مُعذِّرا  
رَوْضُ كَأَنَّ النهر فيه معصمُ صافٍ أطلَّ على رداء أخضرا  
ومَهْزُهُ رِيحُ الصبا فتخاله سيفَ ابنِ عبادِ يبتدُ عسكرا  
عبادُ المخضِرُ .....

ملكٌ إذا ازدحم الملوك بموردي ونحاه لا يردون حتى يصدرا  
أندى على الأكبَادِ من قطر الندى وألذَّ في الأجفان من سِنَةِ الكرى  
لا خلقَ أفرسى من سفارِ حسامه إن كنت شَبَّهتَ المواكب أسطرا  
أيقنتُ أنى من ذراه بجنةٍ لما سقاني من نداء الكوثرا  
وعلمتُ حقا أن ربي مُخِصِبُ لما سألتُ به الغمامَ الممطرا =

وفي هذه القصيدة يقول في وصف وقعة أوقعها المعتضد بالبربر :

شقيت بسيفك أمة لم تعتقد  
إلا اليهود وإن تسموا بربرا  
أثرت رُمحك من رموس كوماتهم  
لما رأيت الغصن يعشق مُثمرا

= من لا توازنه الجبال إذا احتبي  
ماضٍ وصدر الرّيح يكبهم والظبا  
قاد الكتائب كالكوكب فوقهم  
من كل أبيض قد تقلد أيضا  
ملك يروك خلقه أو خلقه  
أقسمت باسم الفضل حتى شمته  
وجهلت معنى الجود حتى زرته  
فاح الثرى متعطرًا بثنائه  
وتوجت بالزهر صلح هضابه  
هصرت يدي غصن الندى من كفه  
حسبي على الصنع الذي أولاه أن  
السيف أفصح .....

مازلت تغني من عتاك راجيا  
حتى حللت من الرياسة محجرا  
شقيت بسيفك .....

نمقتها وشيا بذكرك مذها  
من ذا اينافخني وذكرك صندل  
فلئن وجدت نسيم حمدي عاطرا  
وإليكها كالرؤض زارته الصبا

تنبو وأيدي الخيل تعثر في البري  
من لا ميمهم مثل السحاب كتهورا  
عصبا وأسمرا قد تأبط أسمرا  
كالروض يحسن منظرا أو مخبرا  
فرايته في بردائه مصورا  
فقراته في راحتيه مفسرا  
حتى حسبنا كل تراب عنبريا  
حتى ظننا كل هضب قيصريا  
وجنت به روض السرور منورا  
أسعى بجدي أو أموت فأعدرا  
.....

وَفَتَّقْتُهَا مِسْكَ بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا  
أوردته من نارِ فِكْرِي بِحُمْرَا  
فَلَقَدْتُ وَجَدْتُ نَسِيمَ بَرِّكَ أَعْطَرَا  
وَحَنَّا عَلَيْهِ الطَّلُّ حَتَّى نَوَّرَا .

وَحَضَبْتَ سَيْفَكَ مِنْ دَمَاءِ نُحُورِهِمْ لَمَّا عَاهَدْتَ الْحَسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرًا  
 وَمِنْ آيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَيْتٌ لَمْ أَسْمَعْ لِمُتَقَدِّمٍ وَلَا مُتَأَخِّرٍ يَمِثُّهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :  
 السِّيفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادٍ<sup>(١)</sup> خُطْبَةً فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنْبِرًا  
 وَلَمَّا أَنْشَدَ الْمُعْتَضِدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسِنَهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ وَثِيَابٍ  
 وَمَرْكَبٍ ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي دِيْوَانِ الشُّعْرَاءِ ؛ فَكَانَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ تَعَلَّقَ  
 بِالْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ شَابٌ ، فَلَمْ تَزَلْ حَالُهُ مَعَهُ تَتَزَيَّدُ ، وَمَوَاتٌ  
 خَدَمَتْهُ لَهُ تَقْوَى وَتَمَأْكُدُ ، إِلَى أَنْ صَارَ ابْنُ عِمَارٍ أَلْزَقَ بِالْمُعْتَمِدِ مِنْ شَعْرَاتِ  
 قَصَّصِهِ ، وَأَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ ؛ كَانَ الْمُعْتَمِدُ لَا يَسْتَغْنَى عَنْهُ سَاعَةً  
 مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ .

ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ وَلِيَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ شِلْبَ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ ، فَاسْتَوَزَرَ ابْنَ  
 عِمَارٍ هَذَا فِي تِلْكَ الْوَالِيَةِ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ جَمِيعَ أُمُورِهِ ، فَعَلَّبَ عَلَيْهِ ابْنُ عِمَارٍ  
 غَلْبَةً شَدِيدَةً ، وَسَامَتِ السَّمْعَةُ عَنْهُمَا ... فَاقْتَضَى نَظْرَ الْمُعْتَضِدِ التَّفْرِيقَ بَيْنَهُمَا ،  
 وَنَفَى ابْنَ عِمَارٍ عَنْ بِلَادِهِ حَسْبَمَا تَقَدَّمَ الْإِيْمَاءُ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> ؛ فَلَمْ يَزَلْ ابْنُ عِمَارٍ مُعْتَرِبًا فِي  
 أَقْصَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، إِلَى أَنْ تُتَوَفَى الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ ، فَاسْتَدْعَاهُ الْمُعْتَمِدُ ، وَقَرَّبَهُ  
 أَشَدَّ تَقْرِيْبٍ ، حَتَّى كَانَ يَشَارِكُهُ فِيْمَا لَا يَشَارِكُ فِيهِ الرَّجُلُ أَخَاهُ وَلَا أَبَاهُ .

وَلَهُ مَعَهُ أَيَّامٌ كَوْنَهُمَا بِشِلْبَ خَبْرٌ عَجِيبٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ اسْتَدْعَاهُ لَيْلَةً  
 إِلَى مَجْلِسِ أَنْسِهِ ، عَلَى مَا كَانَتْ الْعَادَةُ جَارِيَةً بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ زَادَ فِي  
 التَّحَنُّنِ بِهِ وَالْبُرِّ لَهُ عَلَى الْمُعْتَادِ ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ النَّوْمِ أَقْسَمَ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ : لِتَضَعَنَّ  
 رَأْسَكَ مَعِيَ عَلَى وَسَادٍ وَاحِدٍ فَكَانَ ذَلِكَ . قَالَ ابْنُ عِمَارٍ : فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ

(١) يعني زياد ابن أبيه .

(٢) انظر ص ٢١١

في النوم يقول : « لا تغترّ أيها المسكين ؛ إنه سيقتلك ولو بعد حين ! » قال :  
فانتبهت من نومي فزِعاً ، وتعوّذت ، ثم عدت ، فهتف بي الهاتف على حالته  
الأولى ؛ فانتبهت ، ثم عدت ، فسمعته ثالثة ؛ فانتبهت فتجردت من أثوابي  
والتفت في بعض الحُصُر ، وقصدت دهليز القصر مستخفياً به ، وقد أزمعت  
على أني إذا أصبحت خرجت مستخفياً حتى آتي البحر فأركبه وأقصد بلاد  
العدوة فأكون في بعض جبال البربر حتى أموت ؛ فانتبه المعتمد فاقتدني فلم  
يجدني ، فأمر بطلي ، فطلبت له في نواحي القصر ، وخرج هو بنفسه يتوكأ على  
سيفه والشمعة تحمل بين يديه ؛ فكان هو الذي وقع على ؛ وذلك أنه أتى دهليز  
القصر يفتقد الباب هل فُتح ؛ فوقف يازاء الحُصير الذي كنت فيه ، فكانت  
منى حركة فأحسّ بي ، وقال : ما هذا يتحرك في هذا الحُصير ؟ ثم أمر به فنفض ،  
فخرجت مُعريانا ليس عليّ إلا السراويل ! فلما رأني فاضت عيناه دموعاً وقال :  
يا أبا بكر ، ما الذي حملك على هذا ؟ فلم أر بُدّاً من أن صدقته ، فقصصت  
عليه قصتي من أولها إلى آخرها ، فضحك وقال : يا أبا بكر ، أضغاث أحلام ،  
هذه آثار الحُمار ، ثم قال لي : وكيف أقتلك ؟ أرأيت أحداً يقتل نفسه ؟ وهل  
أنت عندي إلا كنفسي ؟ فتشكر له ابن عمار ودعا له بطول البقاء ، وتناسى  
الامر فنتسيه ، ومرت على ذلك الأيام والليالي ، إلى أن كان من أمره ما سيأتي  
الإيماء إليه ، فصدقت رؤيا ابن عمار ، وقتل المعتمد نفسه كما قال :

ولما أفضى الأمر إلى المعتمد كما ذكرنا ، سأله ابن عمار ولاية سِلب ،  
وهي كانت بلده وملشأه كما تقدم ؛ فأجاب المعتمد إلى ذلك وولاه إياها أُنْبَه ولاية ؛



جعل إليه جميع أمورها ، خارجها وداخلها ؛ فاستمرت ولاية ابن عمار عليها إلى أن اشتد شوق المعتمد إليه ، وضعف عن احتمال الصبر عنه ؛ فاستدعاه وعزله عنها واستوزره ؛ فكانت حاله معه شديدة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد . ولم يزل المعتمد يُعده لكل أمر جليل ، ويؤهله لكل رتبة عالية ؛ وكان ابن عمار مع هذا لا يُنابط به أمرٌ إلا اضطلع به وكان فيه كالسكة المحمأة ؛ واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الروم الأدفنش إذا ذكر عنده ابن عمار قال : هو رجل الجزيرة ! وكان ابن عمار هو الذي رده عن قصد أشيلية وقرطبة وأعمالها ؛ وذلك أنه خرج في جيوش ضخمة يقصد بلاد المعتمد طامعا فيها ، يخافه الناس ، وامتلات صدور أهل تلك الجهات رعبا منه ، وتيقنوا ضعفهم عن دفاعه ؛ فتولى ابن عمار رده بالطف حيلة وأيسر تدبير ؛ وذلك أنه أقام سفرة شطرنج في غاية الإتقان والإبداع ، لم يكن عندهمك مثلها ، جعل صورها من الآبنوس والعود الرطب والصندل ، وحلاها بالذهب ، وجعل أرضها في غاية الإتقان ؛ فخرج من عند المعتمد رسولا إلى الأدفنش ، فلقيه في أول بلاد المسلمين ، فأعظم الأدفنش قدومه وبالغ في إكرامه ، وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خبائه والمسارة في حوائجه ؛ فأظهر ابن عمار تلك السفرة ، فرآها بعض خواص الأدفنش ، فنقل خبرها إليه ؛ وكان العليج - أعني الأدفنش - مولما بالشطرنج ، فلما لقي ابن عمار سأله : كيف أنت في الشطرنج ؟ وكان ابن عمار فيه طبقة عالية ، فأخبره بمكانه منه ؛ فقال له : بلغني أن عندك سفرة في غاية الإتقان ! قال ابن عمار : نعم ؛ فقال : كيف السبيل إلى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار

لترجمانه : قل له أنا آتيك بها على أن ألعب معك عليها ، فإن غلبتني فهي لك ، وإن غلبتني فليُحكمني ! فقال له الأدفنش : هل لها لتنظر إليها ؛ فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وُضعت بين يدي العليج صلب وقال : ما ظننت أن إتقان الشطرنج يبلغ إلى هذا الحد ! ثم قال لابن عمار : كيف قلت ؛ فأعاد عليه السلام الأول ، فقال له الأدفنش : لا ألعب معك على حكم مجهول لا أدري ما هو ، ولعله شيء لا يمكنني ! فقال ابن عمار : لا ألعب إلا على هذا الوجه ! وأمر بالسفرة فطويت ؛ وكشف ابن عمار سرّاً ما أراد له لرجالٍ وثق بهم من وجوه دولة الأدفنش ، وجعل لهم أموالاً عظيمة على أن يؤازروه على أمره ، ففعلوا ؛ فتعلقت نفس العليج بالسفرة ، وشاور خاصته فيما رسمه ابن عمار ، فهوّنوا عليه وقالوا له : إن غلبته كانت عندك سفرة ليس عند ملك مثلها ، وإن غلبك فما عساه أن يحتكم ؛ وقبحوا عنده إظهار الملك العجز عن شيء يُطلب منه ، وقالوا له : إن طلب ابنُ عمار مالا يمكن فتحن لك بردّه عن ذلك ؛ ولم يزالوا به حتى أجاب ، وأرسل إلى ابن عمار فجاء ومعه السفرة ، فقال له : قد قبلتُ مارسمته ! فقال له ابن عمار : فاجعل بيني وبينك شهوداً أسماهم له ؛ فأمر الأدفنش بهم فحضروا ، واقتنحوا يلعبان ؛ وكان ابن عمار - كما ذكرنا - طبقةً بالآندلس ؛ لا يقوم له أحدها ؛ فغلب الأدفنش غلبةً ظاهرة لجميع الحاضرين ، لم يكن للعليج فيها مطعن ؛ فلما حقّت الغلبة قال له ابن عمار : هل صحّ أن لي حكماً ؛ قال : نعم ، فما هو ؛ قال : أن ترجع من ههنا إلى بلادك ! فأسود وجه العليج وقام وقعد ، وقال لخواصه : قد كنت أخاف من هذا حتى هوّنتموه علي !

في أمثال لهذا القول ؛ وهم بالنسك والتمادى لوجهه ، فقبحوا ذلك عليه ، وقالوا له : كيف يجمُلُ بك الغدر وأنت ملكُ ملوكِ النصارى في وقتك ! فلم يزالوا به حتى سكن ، وقال : لا أراجع حتى آخذ أتاوة عامين خلاف هذه السنة ! فقال ابن عمار : هذا كله لك ! وجاءه بما أراد ، فرجع وكفَّ الله بأسه ، ودفعه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين ؛ ورجع ابن عمار إلى أشيلية وقد امتلأت نفس المعتمد سروراً به .

ثم إن المعتمد حدث له أمل في التغلب على مُرسية وأعمالها ، وهي التي تُعرف بِسُدَيْر<sup>(١)</sup> ؛ وكانت بيد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر ، كان هو

(١) تدمير : كورة في شرق الأندلس قاعدتها مرسية ، وكان يحكمها قبل الفتح العربي أمير قوطى من قرابة لذريق اسمه تودمير ( Thiodmir ) وكان له مع العرب إبان الفتح قصة من أطرف قصص المقاومة ؛ وباسم هذا الأمير سمي العرب هذه الكورة ، وقيل بل سموها تدمير تشبيهاً لها بتدمير من بلاد الشام . أما مرسية فمدينة مستحدثة بعد الفتح العربي ، بناها العرب في زمن عبيد الرحمن بن الحكم سنة ٢٠٩ للهجرة ، ثم ازدادت عمراناً وأصبحت من حواضر الأندلس في زمن عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر ( سنة ٣٠٠ إلى ٣٦٦ ) .

ولما نشبت الفتنة وتمزقت وحدة الأندلس ، استغل بمرسية فتى من موالى المنصور بن أبي عامر اسمه خيران الصقلي ، وخلفه عليها بعد موته زهير الصقلي العامري أيضاً ، فظل يحكمها بضع سنين ، ثم نشبت معركة بينه وبين باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، حقت فيها الهزيمة على زهير ، ففر من وجه خصمه إلى حيث لا يعلم أحد ! وقام في الأمر من بعده في مرسية جماعة من أبناء البيوتات بها ، منهم الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق ، وأبو بكر أحمد بن طاهر ، وغيرها ، ثم صارت إمرةً لأحمد بن طاهر ، ثم من بعده لولده أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر ؛ وفي عهده بدا للمعتمد بن عباد صاحب أشيلية أن يستولى عليها ويضمها إلى ملكه ؛ وكان شاعره ابن عمار على رأس الحملة ، ويقود جنده الأمير عبد الله بن رشيق ؛ فتغلب ابن عمار على المدينة ، وخلع أميرها ابن طاهر ؛ ثم بدا له أن يستولى عليها لنفسه ؛ وكان ابن عمار على ولاء مع الأدفونس السادس ملك قشتالة ، ولعله كان ينتظر منه معونة على ذلك ، ولكن . . . ولكن! الأمور سارت على غير ما أراد !

المتغلب عليها والمدبر لأمرها ؛ فجهاز المعتمد جيوشاً عظيمة ، وتكفل له ابن عمار بأخذها وإخراج ابن طاهر عنها ؛ فولاه ماتولى من ذلك ؛ وخرج ابن عمار حتى نزل على مرسية ، فأخذها وأخرج ابن طاهر عنها <sup>(١)</sup> ؛ فلحق ابن طاهر حين خرج من مرسية ببني عبدالعزيز ببلنسية <sup>(٢)</sup> ؛ فكان بها إلى أن مات رحمه الله .

ولما تغلب ابن عمار على مرسية دار ملك بني طاهر كما ذكرنا ، حدثته نفسه وسؤل له سوء رأيه أن يستبد بأمره ، وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ؛ فلم يزل يصرف الحيلة في ذلك إلى أن تم له بعضه ودانت له مرسية وأعمالها ، وطمع في ملك بلنسية ؛ إلى أن قام عليه رجل من أهل مرسية يقال له ابن رشيق ، كان أبوه من عرفاء الجند بها <sup>(٣)</sup> ؛ وكان ابن عمار قد خرج لبعض أمره ، فدعا ابن رشيق هذا إلى نفسه ، وقامت معه العامة وبعض الجند ، فسمع ابن عمار بذلك ، فجاء يركض حتى أتى المدينة وقد غلقت أبوابها دونه ؛ فحاصرها بمن معه أياما ، فامتنع عليه ولم يقدر على دخولها ؛ فبقي حائراً لا يدري

(١) يذكر بعض المؤرخين أن ابن عمار اعتقله في قلعة مونت قوط ، ثم عاد فقتله ؛ ولكن الفتح بن خاقان يذكر في القلائد أنه شهد وفاته سنة ٥٠٧ في بلنسية وقد جاوز التسعين ، ويذكر إلى ذلك ما يفيد أنه كان في وقت ما معتقلا في مونت قوط .

(٢) بلنسية : حاضرة من حواضر الأندلس الكبرى ، متصلة بالبحر والجبل ؛ وكانت قاعدة الحكم في شرق الأندلس أيام بني أمية ؛ فلما كانت الفتنة استقل بها صقليان من موالى المنصور ابن أبي عامر ، هما : مبارك ومظفر ، فتقاسما سلطنتها ، مات أولهما ، ونار الأهالي بالآخر فطردوه ، وبايعوا صقلياً آخر من العامريين اسمه لبيب ، ثم آل أمر بلنسية إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن ، من أحفاد المنصور بن أبي عامر ، فطالت مدته بها ، (انظر ص ٧٢) ثم خلفه المنظر بن عبد العزيز ، وهو الذي لجأ إليه ابن طاهر حين أخرجه ابن عمار عن بلنسية .

(٣) هو عبد الله بن رشيق المار ذكره في التعليق رقم ١ ص ١٢٢ ؛ عايناه في

مايصنع ولا أين يتوجه ؛ وقد كان بلغ المعتمد قيامه عليه وخلع يده من طاعته ، فلم ير إلا الهروب ملجأ ، فهرب حتى لحق ببني هود بسر قُسْطَة (١) ، فأقام عندهم حتى ثقل عليهم وخافوا غائلته ؛ وبغضه في عيونهم ما فعل مع صاحبه وولي نعمته ، فأخرجوه عن بلادهم .

ولم تزل البلاد تتقاذفه ، وملوكها تتشأنه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في غاية المنعة يدعى شقورة (٢) ، كان المتغلب عليه رجلاً يقال له ابن مبارك ، فأكرم وفادته وأحسن نزله (٣) ، ثم بدا له بعد أيام فقَبَض عليه وقيدته وجعله في سجنه ؛ فلما رأى ابن عمار ذلك منه قال له : لا عليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوفي عندك وتعرضني عليهم ، فامنهم إلا من يرغب في ؛ فمن كان أشدهم رغبة جعل لك مالا ووجهت بي إليه ! ففعل ابن مبارك ذلك ، فما عرضه على أحد من ملوك الأندلس إلا رغب فيه ؛ وكتب فيمن كتب إلى المعتمد ...

وفي ذلك يقول ابن عمار :

أصبحت في السوق يُنادى على رأسي بأنواعٍ من المال

(١) كان أميرها وتتمثذ هو المؤمن .

(٢) شقورة : حصن كالمدينة ، عاصر بأهله ، شمالي مرسية ، وهو رأس جبل عظيم متصل منبع الجهة ، ويخرج من أسفله نهران ، أحدهما النهر الكبير الذي يمر بقرطبة ، والثاني هو النهر الأبيض الذي يمر ببلنسية . قال ياقوت : وكان بها دار لإمارة همشك .

(٣) رواية ابن خاقان في القلائد ، أن ابن عمار لما لجأ إلى المؤمن بن هود ، زدوده بمال ، وأرسله على رأس طائفة من الجند إلى شقورة ليمنحها ؛ فقصد إليها وهو يظن أن سيملكها ، فلما بلغها احتال عليه صاحبها وأظهر له المودة ودعاه إلى النزول عنده ؛ فلما صار في يده وقد فرغ عنه أصحابه ، أنقله بالحديد !

والله ما جازَ علي مالِه من صَمْنَى بالثمنِ الغالى !  
 وفي هذا السجن يقول ابن عمار وقد استدعى نورة يستنظف بها فتعذرتُ  
 عليه ، فاستدعى موسى فأتى بها ؛ فقال في ذلك :

بُوسَى شَقُورَةٌ عِنْدِي أَرَبِّي عَلِي كُلُّ بُوَسَى

فَقَدْتُ « هَارُونَ » ، (١) فِيهَا فَظَلْتُ أَطْلُبُ « مُوسَى » !

وبعث المعتمدُ علي الله من رجاله من تسلم ابن عمار من يد ابن مبارك ، بعد أن  
 بعث إليه بمال وخيل ، وأمر المعتمدُ الذين تسلموا ابن عمار أن يزيدوا في الاحتياط  
 عليه وتقييده ؛ فخرجوا به حتى واقوا قرطبة ، ووافق ذلك كون المعتمد بها ،  
 فدخلها ابن عمار أشنع دخول وأسوأه ، علي بغل بين عدلي تبين ، وقيوده  
 ظاهرة للناس ؛ وقد كان المعتمد أمر بإخراج الناس خاصة وعامة حتى ينظروا  
 إليه علي تلك الحال ؛ وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له وخرج إليه  
 وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساؤهم ، فالسعيد منهم من يصل إلى تقبيل يده أو يردُّ  
 عليه ابن عمار السلام ، وغيرهم لا يصل إلا إلى تقبيل ركابه أو طرف ثوبه ،  
 ومنهم من ينظر إليه علي بعد لا يستطيع الوصول إليه ؛ فسبحان تحيل  
 الأحوال ومديل الدول !

فدخل ابن عمار قرطبة كما ذكرنا ، بعد العزة القعساء والملك الشامخ ،  
 والرياسة الفارعة ، ذليلاً خائفاً فقيراً لا يملك إلا ثوبه الذي عليه ؛ فسبحان من  
 سلبه ما وهبه ، ومنعه ما كان به أمتعه .

(١) يعني بهارون : أخا يؤزاره !

وأخبر بعض الموكلين به ما اتفق لهم معه من فرط ذكائه وسرعة فطنته ، قال : لما قُربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارسٌ من البلد يركض يقصدنا ، فلما رآه ابن عمار - وكان معتمًا - أزال العمامة عن رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن عمار ودخل معنا في الصف قمشي ، فسألناه فيم جاء ؟ فقال : الذي جئتُ فيه صنعه هذا الرجل قبل أن أصل إليه ! فعلنا أنه ارسل ليزيل عمامته .

فأدخل على المعتمد على الله على الحالة التي ذكرت ، يرسف في قيوده ؛ فجعل المعتمد يعدد عليه أياديه ونعمه ، وابن عمار في ذلك كله مطرقٌ لا ينبس ، إلى أن انقضى كلام المعتمد ؛ فكان من جواب ابن عمار أن قال : ما أنكر شيئاً مما يذكره مولانا أبقاه الله ، ولو أنكرته لشهدت عليّ به الجمادات فضلاً عن ينطق ؛ ولكني عثرتُ فأقل ، وزلتُ فاصفح ! فقال المعتمد : هيات ؛ إنها عثرة لا تقال ! وأمر به فاحدر في النهر إلى أشيلية ، فدُخل به أشيلية على الحال التي دخل عليها قرطبة ، وجعل في غرفة على باب قصر المعتمد المعروف بالقصر المبارك - وهو باق إلى وقتنا هذا - فطال سجنه هناك .

كُتبت عنه في هذا السجن قصائد لو توسَّل بها إلى الدهر لنزع عن جوره ، أو إلى الفسك لكفَّ عن دوره ؛ فكانت رُقي لم تنجع ، ودَعواتٍ لم تُسمع ، وتمائم لم تنفع ؛ فمنها قوله :

سبأياك إن عافيتَ أندى وأصبح ٥ وعذرك إن عاقبتَ أجلى وأوضح  
وإن كان بين الخطتين مزية ٥ فأنت إلى الأدنى من الله تجنح

حنانك في أخذني برأيك، لا تطع \* عدای ولو أثنوا عليك وأفصحوا  
فإن رجائي أن عندك غير ما \* يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح  
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة \* يكران في ليل الخطايا فيصبح  
وهبني وقد أعقت أعمال مفسد \* أما تفسد الأعمال ثمّت تصلح  
أقلني بما بيني وبينك من رضى \* له نحو روح الله باب مفتح  
وعف على آثار مجرم سلكتها \* بهبة رحمتك تمحو وتمصح  
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم \* فكل إناء بالذى فيه يرشح  
سيأتك في أمرى حديث وقد أتى \* يزور بنى عبد العزيز موشح (١)  
وما ذاك إلا ما علمت فإننى \* إذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح  
كأنى بهم لا دز لله درهم \* أشاروا تجاهى بالشتمات وصرحوا  
وقالوا سيجزيه فلان بفعله \* فقلت وقد يعفو فلان ويصفح  
ألا إن بطشاً للوئيد يرتى \* ولكن حلماً للوئيد يرشح  
وماذا عسى الواشون أن يتزيدوا \* سوى أن ذنبى واضح متصح  
نعم لى ذنب غير أن حلله \* صفاة يزل الذنب عنها فيسفع  
عليه سلام كيف داربه الهوى \* إلى فيدى أو على فينزح  
ويهنيه إن مت السؤل فإننى \* أموت ولى شوق إليه مبرح  
وبين ضلوعى من هواه تميمة \* ستدفع لو أن الحمام يجلح  
ولما بلغت المعتمد هذه القصيدة وانشدت بين يديه، كان بحضرته رجل

(١) يعنى أصحاب بلنسية . انظر التعليق رقم ٢ ص ١٢٢



من البغداديين ، فجعل يُزْرِي على هذا البيت « وبين ضلوعي ... » ويقول :  
 ما أَرَادَ بهذا المعنى ؟ فكان من جواب المعتمد - رحمه الله - أن قال : أما لأن  
 سلبه الله المروءة والوفاء ، كما أعدمه الفطنة والذكاء ؛ إنما نظر إلى بيت  
 أُلْهِدَ لِي من طرف خفي ، وهو :

وَإِذَا الْمَيْتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُهَا

ولم يزل ابن عمار هذا بسجن المعتمد ، إلى أن قتله صبراً في شهر سنة ٤٧٩ .  
 وتلخيص خبر قتله ، أنه لما طال سجنه كتب إليه بالقصيدة التي تقدم  
 إنشادها ، فأدركت المعتمد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلا وهو في بعض مجالس  
 أنسه ، فأثنى به يرسف في قيوده ، فجعل المعتمد يعدد منته عليه وأيديه قبله ، فلم  
 يكن لابن عمار جواب ولا عذر ، غير أنه أخذ في البكاء ، وجعل يترقق  
 للمعتمد ويمسح عطفه ويستجلب من الألفاظ كل ما يقدر إنه يزرع له الرأفة  
 في قلب المعتمد ؛ فتم له بعض ما أراد من ذلك ، وعظفت المعتمد عليه سابقته  
 وقديم حرمة ؛ فقال له قولا يتضمن العفو عنه تعريضاً لا صريحاً ؛ وأمر برده  
 إلى محبسه ؛ فكتب ابن عمار من فوره بما دار له مع المعتمد إلى ابنه الراضى  
 بالله ، فوافاه الكتاب وبحضرة قوم كانت بينهم وبين ابن عمار إحسن قديمة ؛  
 فلما قرأ الراضى الكتاب قال لهم : ما أرى ابن عمار إلا سيتخلص ؛ فقالوا له :  
 ومن أين علم مولانا ذلك ؟ فقال : هذا كتاب ابن عمار يُخبرني فيه أن مولانا  
 المعتمد قد وعده بالخلاص ؛ فأظهر القوم الفرح وهم يبطنون غيره ؛ فلما قاموا  
 من مجلس الراضى نشروا حديث ابن عمار أقبح نشر ، وزادوا فيه زيادات

قبيحةٌ مُصنّت هذا الكتاب عن ذكرها ، فبلغ المعتمد ذلك ، فأرسل إلى ابن  
عمار وقال له : هل أخبرت أحداً بما كان بيني وبينك البارحة ؟ فأنكر ابن  
عمار كلَّ الإنكار ، فقال المعتمد للرسول : قل له : الورقتان استدعيتهما ،  
كتبت في إحداهما القصيدة ، فما فعلت بالأخرى (١) ؟ فادعى أنه يبيّض فيها  
القصيدة ؛ فقال المعتمد : هلمّ المسودة ! فلم يجد جواباً ، فخرج المعتمد خنياً  
ويده الطبرزين حتى صعد الغرفة التي فيها ابن عمار ، فلما رآه علم أنه قاتله ،

(١) يلاحظ أن السجناء في ذلك الوقت كان يؤذن لهم في الكتابة وتبأ لهم أسبابها ؛ فهل  
يحدث مثل هذا اليوم في بلاد كثيرة !

وقد ذكر ابن خاقان في القلائد ، أن صاحب شقورة لما كان ابن عمار معتقلاً عنده ، كان يأذن  
له في الكتابة إلى أصحابه ويأذن لهم في زيارته ومسامحته ؛ وأثبت لنا من هذا الباب قصيدة ممتعة  
كتب بها ابن عمار إلى صديقه أبي الفضل بن حسداى الشاعر ، يستريره في معتقله من حصن شقورة  
ويصف له بعض ما هو فيه !

وفيها يقول :

أدرك أخاك ولو بتمافية كالظلّ يوقظ نائم الزهر  
فلقد تقاذفت الركاب به في غير موماة ولا بحر !

ومنها في وصف الحصن :

عالٍ كأن الجن إذ مردت جعلته مرقاةً إلى النسر  
وحشٌ تناكرت الوجوه به حتى استربتُ بصفحة البدر  
قصر تمهد بين خافقتي نسرين من فلك ومن وكر  
متجبر سأل الوقار على عطفه من كبير ومن كبير  
ملكك عنان الریح راحتُه بجيادها من تحته تجرى

ثم يقول له داعياً إلى مواصلته ، أو مراسلته :

دع ذا وصلنا غير مؤتمير مستأثراً بالحمد والشكر  
واكتب إلينا إنها ليدي تمحو الذي كتبت يد الدهر !

فجعل ابن عمار يزحف وقيوده مُثقله ، حتى انكبت على قدمي المعتمد يقبلهما ، والمعتمد لا يثنيه شيء ؛ فعلاه بالطبرزين الذي في يده ، ولم يزل يضربه به حتى برد . ورجع المعتمد فأمر بغسله وتكفينه ، وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك ؛ فهذا ما انتهى إلينا من خبر ابن عمار ملخصاً حسبما بقي على خاطري .

[ رجع الحديث عن بني عباد ]

ولم يزل المعتمد هذا في جميع مدة ولايته والأيام تساعده ، والدهر على ما يريده يؤازره ويعاضده ، إلى أن انتظم له في ملكه من بلاد الأندلس مالم ينتظم لملك قبله ، أعني من المتغلبين ، ودخلت في طاعته مدنٌ من مدائنها أعيّت الملوك وأعجزتهم ، وامتدت مملكته إلى أن بلغت مدينة مرسية ، وهي التي تُعرف بتدمير ، بينها وبين أشبيلية نحو من اثنتي عشرة مرحلة ، وفي خلال ذلك مدن متسعة وقرى ضخمة .

وكان تغلبه على قرطبة وإخراجه ابن عكاشة منها يوم الثلاثاء لسبع بقين من صفر سنة ٤٧١<sup>(١)</sup> ، ثم رجع إلى أشبيلية

(١) كانت قرطبة بعد زوال الخلافة عنها لبني جهور ؛ فطعم المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة في استخلاصها لنفسه ؛ فسبر إليها جيشه ، ولم يكن ذلك بعيداً من تدبير ابن عباد ؛ فلما رأى عبد الملك بن جهور تهديد مملكته ، طلب إلى المعتمد بن عباد أن يعينه ؛ فوافق جيشه قرطبة ، ونزل برضها المشرق . ولم يتم للمأمون ما أراد ، ففرح عن قرطبة ؛ وخلا الجو بذلك لابن عباد ، فأحسق جيشه بقصر ابن جهور ، وقبض عليه وعلى إخوته ، وأخرجوا عن قرطبة ، ودخلت حاضرة الأندلس منذ ذلك اليوم في ملك ابن عباد ، وصارت تابعة لأشبيلية ، وتولى أمرها الظافر بن المعتمد ؛ ولسكن إمارتها لم تخلس له طويلاً ؛ فقد كان أهلها مستسكين بدعوة الخلفاء ، يأملون أن تعود مدينتهم حاضرة لخليفة من بني مروان ؛ فلم تلبث أن ثارت على الظافر ، وكان ابن عكاشة على رأس الثائرين ، فبرز له الظافر ليلاً ، منفرداً عن جنده ، فلم يزل يدافع =

واستخلف عليها (١) ولده عبّاداً ولقبه بالمأمون ، وهو أكبر ولده ، وُلد له في حياة أبيه المعتضد ، وسماه عبّادا ، فكان المعتضد يضمه إليه ويقول : يا عبّاد ، ياليت شعري من المقتولُ بقرطبة ، أنا أو أنت ؟ فكان المقتولُ بها عبّادُ هذا في حياة أبيه المعتمد وفي السنة التي زال عنهم الملك فيها .

[ أول أمر المرابطين بالأندلس ]

ولما كانت سنة ٤٧٩ هـ جاز المعتمد على الله البحر قاصداً مدينة مراکش إلى يوسف بن تاشفين ، مستنصراً به على الروم (٢) : فلقبه يوسف المذكور أحسن لقاء ، وأنزله أكرم نُزُل ، وسأله عن حاجته ، فذكر أنه يريد غزو الروم ، وأنه يريد إمداد أمير المسلمين إياه بخيلٍ ورُجُلٍ ليستعين بهم في حربه ؛ فأسرع أمير المسلمين المذكور إجابته إلى مادعاه إليه ؛ وقال له : أنا أول

== الثائرين ويدافعونه ، حتى سقط صريعاً ، وظل جسده ماقى على الأرض حيث سقط حتى مر بئحته قبيل الصبح أحد الأئمة المغلسين ، نخلع رداءه عن منكبيه وستره به ، وأذاع نبأ مصرعه ... وبلغ النبأ المتمد في أشبيلية فأوجعه ، ولكن خيعة في ولده لم تله عن التدبير لملكه ؛ فلم يزل يسعى حتى استأصل دعاة الفتنة ، وأخرج ابن عائشة عن قرطبة ، وجعل ولايتها إلى ولده المأمون خافاً للظافر ؛ فلم يزل والياً عليها حتى قتله المرابطون يوم دخولهم قرطبة ! (١) يعني على قرطبة .

(٢) كان سبب ذلك أنه لما استولى الأذفونس سنة ٤٧٨ هـ على طليطلة من يد القادر بن ذي النون ، قوى سلطانه وعظام أماله في الاستيلاء على أشبيلية وقرطبة وغيرهما من قواعد الأندلس ؛ فأجمع ملوك الطوائف - وكبيرهم ابن عبّاد - أن يستعينوا بيوسف بن تاشفين ملك المغرب ؛ فدعوه لنصرتهم ، على ما راود نفوسهم من خوفه وما يتوقعونه من طمعه في الاستئثار بملك الأندلس دونهم ؛ وقد كان ما توقعوا وتوقع ابن عبّاد معهم ؛ وكانت نكبة المعتمد على يدي نصيره الذي استجار به ، يوسف بن تاشفين .

وكما فعل ابن عبّاد ببني جهور حين استعانوه لدفع المأمون بن ذي النون عن قرطبة فنكسبهم واستخلصها لنفسه ، فعل يوسف بن تاشفين ببني عبّاد .

منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر أحدٌ إلا أنا بنفسى !  
فرجع المعتمد إلى الأندلس مسروراً بإسعاف أمير المسلمين إياه في طلبته ،  
ولم يدر أن تدميره في تدييره ؛ وسلّ سيفاً يحسبه له ولم يدر أنه عليه ؛ فكان كما  
قال أبو فراس :

إذا كان غيرُ الله للمراءِ عُدَّةً أتته الرزايا من وجوه الفوائد  
كما جرتُ الحنفاء حَتَفَ حذيفةً وكان يراها عُدَّةً للشدائد<sup>(١)</sup>  
فأخذ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أهبة العبور إلى جزيرة  
الأندلس ؛ وذلك في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة ، فاستنفر من قدر  
على استنفره من القواد وأعيان الجند ووجوه قبائل البربر ؛ فاجتمع له نحو  
من سبعة آلاف فارس في عدد كثير من الرّجل ؛ فعبّر البحر بعسكر ضخم ،  
وكان عبوره من مدينة سبّته ، فنزل المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ،  
وتلقاه المعتمد في وجوه أهل دولته ، وأظهر من بره وإكرامه فوق ما كان  
يظنه أميرُ المسلمين ، وقدم إليه الهدايا والتحف والذخائر المملوكية ما لم يظنه  
يوسف عند ملك ؛ فكان هذا أول ما أوقع في نفس يوسف التشوّف إلى  
ملكه جزيرة الأندلس .

ثم إنه فصل عن الخضراء بجيوشه قاصداً شرقاً الأندلس ، وسأله المعتمد  
دخول أشيلية دار ملكه ليسترخ فيها أياماً حتى تزول عنه وعشاء السفر ثم  
يقصد قصده ، فأبى عليه وقال : إنما جئت نواياً جهاد العدو ، فحيثما كان

(١) الحنفاء : فرس حذيفة بن بدر الفزاري ، وكانت مباراته بها سبباً إلى شر كثير بين عيس  
وذبيان ، وحروب استمرت سنين ، وكان فيها مقتل حذيفة يوم الهباءة . انظر التعليق رقم ٧٨ ص

العدو توجّهت وجهه .

وكان الأدفنش (١) - لعنه الله - محاصراً لحصن من حصون المسلمين يعرف بحصن الليط ؛ فلما بلغه عبور البربر أقلع عن الحصن راجعاً إلى بلاده مستنفرأ عساكره ليلقى بهم البربر .

وتوجه يوسف المذكور إلى شرقي الأندلس يقصد ذلك الحصن المحاصر ، والإصلاح بين المعتمد على الله وبين رجل كان تغلب على مرسية يقال له ابن رشيق ، قد تقدّم ذكره في أخبار ابن عمار (٢) ؛ فأصلح بينهما يوسف أمير المسلمين ، على أن يخرج له ابن رشيق عن مرسية ، ويعوّضه المعتمد عن ذلك مالاً جعله له ، ويوليه في جهة أشبيلية ولالية ؛ فأجاب ابن رشيق إلى ذلك ؛ وتسلم المعتمد مرسية وأعمالها .

ولقى يوسف أمير المسلمين ملوك الأندلس الذين كان عليهم طريقه ، كصاحب غرناطة (٣) ، والمعتمد بن صمّاح صاحب المرية ، وابن عبد العزيز أبو بكر صاحب بلنسية .

### [ وقعة الزلاّقة ]

ثم إن يوسف المذكور استعرض جنده على حصن الرقة ؛ فرأى منهم ما يسرّه ، فقال للمعتمد على الله : هلمّ ما جئنا له من الجهاد وقصد العدو ؛ وجعل يُظهر التأفف من الإقامة بجزيرة الأندلس ، ويتشوق إلى مراكش ،

(١) هو ألفونس السادس ملك قشتالة .

(٢) لم تخلص إمرة مرسية لواحد بعد خروج ابن عمار عنها ، بل كانت دولة بين أمراء عدة .

ونظر من ١٢٢

(٣) هو ابن باديس عبد الله بن بلكين الصنهاجي .

وَيَصْغُرُ قَدْرَ الْأَنْدَلُسِ ، وَيَقُولُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ : « كَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ عِنْدَنَا عَظِيماً قَبْلَ أَنْ نَرَاهَا ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا وَقَعْتُ دُونَ الْوَصْفِ ! » وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ « يُبَسِّرُ حَسْبُواً فِي ارْتِغَاءِ (١) » ، فَخَرَجَ الْمُعْتَمِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَاصِداً مَدِينَةَ طَلِيْطَلَةَ ، وَاجْتَمَعَ لِلْمُعْتَمِدِ أَيْضاً جَيْشٌ ضَخْمٌ مِنْ أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ .

وَإِتَّدَبَ النَّاسُ لِلجِهَادِ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَأَمَدَّ مُلُوكُ الْجَزِيرَةِ يَوْسُفَ وَالْمُعْتَمِدَ بِمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَرِجَالٍ وَسِلَاحٍ ، فَتَكَامَلَ عِدَدُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَتَطَوِّعَةِ وَالْمُرْتَزِقَةِ زُهَاهُ عَشْرِينَ أَلْفًا ؛ وَالتَّقَوُّوا هُمْ وَالْعَدُوُّ بِأَوَّلِ بِلَادِ الرُّومِ .

وَكَانَ الْأَدْفَنَشُ - لَعْنَةُ اللَّهِ - قَدْ اسْتَنْفَرَ الصَّغِيرَ وَالسَّكْبِيرَ ، وَلَمْ يَدَعْ فِي أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى النَّهْوِ إِلَّا اسْتَهْضَمَهُ ، وَجَاءَ بِحَرْثِ الشُّوكِ وَالشُّجْرِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ مَقْصُودُهُ الْأَعْظَمُ قَطْعَ تَشَوُّفِ الْبِرَابِرَةِ عَنِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَالتَّهْيِيبِ عَلَيْهِمْ ؛ فَأَمَّا مُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا يُوَدِّعُ إِلَيْهِ الْإِتَاوَةَ ، وَهُمْ كَانُوا أَحْقَرَ فِي عَيْنِهِ وَأَقْلَّ مِنْ أَنْ يَحْتَفِلَ لَهُمْ !

وَلَمَّا تَرَامَى الْجَمْعَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى ، رَأَى يَوْسُفَ وَأَصْحَابَهُ أَمْرًا عَظِيماً هَالِكًا ؛ مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِهِ ، وَجُودَةِ سِلَاحِهِ وَخَيْلِهِ ، وَظَهْوَرِ قُوَّةِهِ ؛ فَقَالَ لِلْمُعْتَمِدِ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا الْخَنْزِيرَ - لَعْنَةُ اللَّهِ - يَبْلُغُ هَذَا الْحَدَّ !

وَجَمَعَ يَوْسُفَ أَصْحَابَهُ وَنَدَبَ لَهُمْ مِنْ يَعْظَمُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ ؛ فَظَهَرَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَ النِّيَّةَ وَالْحِرْصَ عَلَى الْجِهَادِ وَاسْتَسْهَلَ الشَّهَادَةَ مَا سُرَّ بِهِ يَوْسُفَ وَالْمُسْلِمُونَ .

(١) « يسر حسواً في ارتغاء » : مثل يضرب لمن يريك أنه يعينك وهو إنما يقصد الشجع لنفسه ؛ كشأن من يؤتى بوعاء من اللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة لا يريد غيرها ؛ وهو في أثناء ارتغائه يحسو اللبن جرة جرة !

وكان تراثيهم يوم الخميس ، وهو الثاني عشر من شهر رمضان ؛ فاختلفت  
الرسُلُ بينهم في تقرير يوم الزحف ليستعدَّ الفريقان ؛ فكان من قول الأدفنش  
لعنه الله : الجمعة لكم ، والسبت لليهود وهم وزراؤنا وكتائبنا وأكثرُ خدم  
العسكر منهم فلا غنى بنا عنهم ، والأحد لنا ؛ فإذا كان يوم الاثنين كان ما نريده  
من الزحف . وقصد - لعنه الله - مخادعة المسلمين واغتيالهم ، فلم يتم له ما قصد ...  
فلما كان يوم الجمعة تأهب المسلمون لصلاة الجمعة ولا أمارة عندهم للقتال ،  
وبنى يوسفُ بن تاشفين الأمرَ على أن الملوك لا تغدِر ؛ فخرج هو وأصحابه  
في ثياب الزينة للصلاة ؛ فأما المعتمد فإنه أخذ بالحزم ، فركب هو وأصحابه شاكي  
السلاح ، وقال لأمير المسلمين : صلِّ في أصحابك ؛ فهذا يومٌ ما تطيب نفسي  
فيه ، وها أنا من ورائكم ؛ وما أظن هذا الخنزير إلا قد أضمر الفتك بالمسلمين .  
فأخذ يوسف وأصحابه في الصلاة ، فلما عقدوا الركعة الأولى ثارت في وجوههم  
الخيال من جهة النصارى ، وحمل الأدفنش - لعنه الله - في أصحابه ؛ يظن أنه  
قد انتهز الفرصة ؛ وإذا المعتمد وأصحابه من وراء الناس ، فأغنى ذلك اليوم غناء  
لم يُشهد لأحد من قبله ؛ وأخذ المرابطون سلاحهم فاستووا على متون الخيل ،  
واختلط الفريقان ؛ فأظهر يوسف بن تاشفين وأصحابه من الصبر وحسن البلاء  
والثبات ما لم يكن يحسبه المعتمد ؛ وهزم الله العدو ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم  
في كل وجه ، ونجا الأدفنش - لعنه الله - في تسعة من أصحابه (١) ؛ فكان هذا

(١) لم يتفق مؤرخو هذه الواقعة في تحديد عدد الناجين مع الأدفنش من عسكره ، وإن كانوا يجمعون على أن جيشه قد باد كله ، قادة وجنوداً ، إلا أنه لا يكاد يخطئها الإحصاء ؛ وأصيب الأدفنش نفسه في إحدى ركبتيه إصابة لزمه أثرها ما بقي من حياته .



أحد الفتوح المشهورة بالأندلس ، أعزَّ الله فيه دينه وأعلى كلمته ، وقَطَّعَ طمَعَ الأَدَفْنَش - لعنه الله - عن الجزيرة ، بعد أن كان يقدرُّ أنها في ملكه ، وأن رءوسها خدم له ؛ وذلك كله بحسن نية أمير المسلمين .

وتسمى هذه الوقعة عندهم وقعة الرِّلاقة ؛ وكان لقاء المسلمين عدوهم كما ذكرنا في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان الكائن في سنة ٤٨٠ (١) ورجع يوسف بن تاشفين وأصحابه عن ذلك المشهد منصورين مفتوحا لهم وبهم (٢) ؛ فسُرَّ بهم أهل الأندلس ، وأظهروا التيمن بأمر المسلمين والتبرك به ، وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر ، وانتشر له من الشناء بجزيرة الأندلس ما زاده طمعا فيها ؛ وذلك أن الأندلس كانت قبله بصدد السِّلاف ، من استيلاء النصارى عليها وأخذهم الإتاوة من ملوكها قاطبة ؛ فلما قهر الله العدو وهزمه على يد أمير المسلمين ، أظهر الناس إعظامه ، ونشأ له الود في الصدور .

ثم إنه أحب أن يجول في الأندلس على طريق التفرج والتنزه ، وهو يريد غير ذلك ؛ فجال فيها ونال من ذلك ما أحب ، وفي خلال ذلك كله يُظهر إعظام المعتمد وإجلاله ، ويقول مصرِّحا : إنما نحن في ضيافة هذا الرجل وتحت أمره وواقفون عند ما يحته .

[ بين المعتمد بن صمادح والمعتمد بن عباد ]

وكان ممن اختص بأمر المسلمين من ملوك الجزيرة وحِظَى عنده واشتد

(١) كذا بالأصل ، والمؤرخون جميعا على أن وقعة الرِّلاقة كانت سنة ٤٧٩ ، في منتصف

رجب ، أو في أوائل رمضان .

(٢) قالوا : وقد عفا يوسف بن تاشفين عن الغنائم فلم يأخذ شيئا منها يومئذ ، وآثر بها

ملوك الأندلس !

تقريبُ أمير المسلمين له : أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح المعتصم صاحب  
 المِريَّة (١) ؛ وكان المعتصم هذا قديماً الحسد للمعتد ، كثير النفاسة عليه ؛  
 لم يكن في ملوك الجزيرة من يناويه غيره ، وربما كانت بينهما في بعض الأوقات  
 مراسلات قبيحة ، وكان المعتصم يعيبه في مجالسه وينال منه ؛ ويمنع المعتد  
 من فعل مثل ذلك مروءةً ونزاهةً نفسه وطهارةً سريرته وشدةً ملوكيته ؛ وقد  
 كان المعتد قبل عبور أمير المسلمين ييسير ، توجه إلى شرقي الأندلس يتطوَّف  
 على مملكته ويطلع أحوال عماله ورعيته ؛ فلما داني أول بلاد المعتصم ، خرج  
 إليه في وجوه أصحابه ، وتلقاه لقاء نبيلاً ، وعزم عليه ليُدخلن بلاده ؛ فأبى  
 المعتد ذلك ، ثم اتفقا بعد طول مُراودة على أن يجتمعا في أول حدود بلاد  
 المعتصم وآخر حدود بلاد المعتد ، فكان ذلك واصطلحا في الظاهر ؛ واحتفل  
 المعتصم في إكرامه ، وأظهر من الآلات السلطانية والذخائر الملوكية المعدَّة  
 لمجالس الأئس ما نظنه مُكَمِّداً للمعتد مُثيراً لغمته ؛ وقد أعاد الله المعتد  
 من ذلك وصانُ خلقه الكريم عنه وعصمه بفضلته منه ؛ ثم افترقا بعد أن  
 أقام المعتد عنده في ضيافته ثلاثة أسابيع ، ورجع المعتد إلى بلاده ؛ وبأثر ذلك  
 عبر إلى مراکش ؛ ولم يزل ما بينه وبين المعتصم معموراً إلى أن عبر أمير المسلمين  
 كما ذكرنا ، فلقية المعتصم بهدايا فاخرة ومُحف جليلة ، وتلطف في خدمته حتى  
 قرَّبه أمير المسلمين أشدَّ تقرب ؛ وكان يقول لأصحابه : هذان رُجلا هذه

(١) المرية : مدينة على ساحل البحر الرومي ، كانت قاعدة الأسطول الإسلامي ، وكان بها  
 خيران العامري من ملوك الطوائف ، ثم زهير من بعده ؛ فلما هلك زهير آلت إلى عبد العزيز بن  
 أبي عامر صاحب بلنسية ؛ وغلبه عليها غدرأ صهره ووزيره معن بن صمادح والد المعتصم المذكور ؛  
 فاستتب له الأمر بها وأورثها خلقه المعتصم ...

الجزيرة ! يعنى المعتصم والمعتمد ؛ وكان أكبر أسباب تقريب أمير المسلمين إياه ، ثناء المعتمد عليه عند أمير المسلمين ، ووصفه إياه عنده بكل فضل ؛ ولم يكن المعتصم بعيداً من أكثر ما وصفه به .

ولما اشتد تمكن المعتصم من أمير المسلمين ، بدا له أن يسعى في تغيير قلبه على المعتمد وإفساد ما بينهما - حسّن له ذلك سوء رأيه ودنس سريره وضعف بصره بعواقب الأمور ، وليقضى الله أمر أكان مفعولاً ، وليبلغ القدر ميقاته ؛ وإذا أراد الله تمام أمر هياً له أسباباً - فشرع المعتصم فيما أراده من ذلك ؛ ولم يدرك أنه ساقط في البئر التي حفر ، وقتيل بال سلاح الذي شهّر (١) ، فكان من جملة ما ألقى إلى أمير المسلمين ، أن جعل يُقرر عنده مُعجب المعتمد بنفسه ، وفرط كبره ، وأنه لا يرى أحداً كفوّاً له ؛ وزعم أنه قال له في بعض الأيام - وقد قال له المعتصم : طالّت إقامة هذا الرجل بالجزيرة ، يعنى أمير المسلمين - : « لو عوجت له إصبعي ما أقام بها ليلة واحدة هو ولا أصحابه ؛

(١) آل أمر المعتصم هذا مع يوسف بن تاشفين إلى مثل ما آل إليه أمر ملوك الطوائف جميعاً ؛ فقد اقتحمت عساكر المرابطيين بلاده سنة ٤٨٤ ؛ وكان في الاحتضار ، فنقضت عليه ساعاته الأخيرة ، إذ كان أكثر القتال تحت مجلسه الذي كان به مضجعه ؛ قالت أروى حليته : « إنى لعنده وهو يوصى ، وقد غلب على أكثر يده وسلطانه ، ومعسكر أمير الساهين يومئذ بحيث نعد خيامهم ونسمع اختلاط أصواتهم ، إذ سمع وجبة من وجباتهم ، فقال : لا إله إلا الله ! نفس علينا كل شيء حتى الموت ! ... قالت أروى : فلا أنسى طرفاً إلى يرفعه ، وإنشاده لى بصوت لا أكاد أسمعه :

تَرَفَّقْ بِدَمْعِكَ لَا تُفَنِّهْ      فَبَيْنَ يَدَيْكَ بَكَاءٌ طَوِيلٌ !

وكان ذلك في ربيع الأول سنة ٤٨٤ قبل إنزال المعتمد عن عرش أشيلية بيضة أشهر ! وكذلك كانت آخره غيره من ملوك الطوائف : بنى هود بروطة ، وبنى طاهر بمرسية ، وبنى الأطلس بسرقسطة ... ثم كانت آخره بنى عباد كما سيأتى !

وكانك تخافُ غائلته ؛ وأى شيءٍ هذا المسكينُ وأصحابه ؛ إنما هم قوم كانوا في بلادهم في جهدٍ من العيش ، وغلاء من السَّعر ، جئنا بهم إلى هذه البلاد نُطعمهم حَسْبَةَ واثتجارا ، فإذا شبعوا أخرجناهم عنها إلى بلادهم ، إلى أمثال هذا القول من تحقير أمرهم ؛ وأعانه على ذلك قومٌ من وجوه الأندلس ، إلى أن بلغوا ما أرادوه من تغْيِير قلب يوسف أمير المسلمين على المعتمد .

وقد كان أمير المسلمين ضربَ لنفسه ولأصحابه أجلا وحدَّ له ولهم مدَّةً يقيمونها في الجزيرة لا يزيدون عليها ؛ وإنما فعل ذلك تطييباً لقلب المعتمد وتسكيناً لحاظره ؛ فلما انقضت تلك المدَّة أو قاربت ، عبَّر أمير المسلمين إلى العدو وقد وَغَرَ صدره وتغيَّرت نفسه .

وما النفس إلا نطفةٌ في قرارةٍ إذا لم تكدر كان صفواً غديرُها هذا مع ما ذكرنا من طمعه في الجزيرة وتشوِّفه إلى مملكتها ؛ وظهرت للمعتمد قبل عبوره أشياء عَرَف بها أنه تُغَيِّر عليه !

[ نكبة بنى عباد ]

ورجع أمير المسلمين إلى مراکش وفي نفسه من أمر الجزيرة المقيم الملقَّب بالملقَّب ؛ فبلغني أنه قال لبعض ثقاته من وجوه أصحابه : كنت أظن أني قد ملكت شيئاً ، فلما رأيت تلك البلاد ، صغُرت في عيني مملكتي ؛ فكيف الحيلة في تحصيلها ؛ فاتفق رأيهم ورأى أصحابه على أن يرأسوا المعتمد يستأذنونه في رجالٍ من مُصلِحاء أصحابهم رغبوا في الرِّباط بالأندلس ومجاهدة العدو والكفِّون ببعض الحصون المصاحبة للروم إلى أن يموتوا ؛ ففعلوا ، وكتبوا إلى المعتمد

بذلك ، فأذن لهم ، بعد أن وافقه على ذلك ابن الألفس المتوكل صاحب الثغور ؛ وإنما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قومٌ من شيعتهم مبعوثين بالجزيرة في بلادها ، فإذا كان أمرٌ من قيام بدعوتهم أو إظهارٍ لمملكتهم وجدوا في كل بلد لهم أعوانا (١) .

وقد كانت قلوب أهل الأندلس - كما ذكرنا - قد أُشْرِبتْ حبَّ يوسف وأصحابه ، فجهز يوسف من خيار أصحابه رجالا انتخبهم ، وأمر عليهم رجلا من قرابته يسمى بُلُجَّين ، وأَسْرَ إليه ما أراده ، فجاز بُلُجَّينُ المذكور ، وقصد المعتمد من ملوك الجزيرة فقال له : أين تأمرني بالكوّن ؟ فوجه معه المعتمد من أصحابه من يُنزله ببعض الحصون التي اختارها لهم ، فنزل حيث أنزلوه هو وأصحابه . وأقاموا هناك إلى أن ثارت الفتنة على المعتمد ، وكان مبدؤها في شوال من سنة ٤٨٣ بأخذ جزيرة طريف المقابلة لطنجة من العدو ، دون مقدمة ظاهرة توجب ذلك ، فتشعبت جموعه وأهواؤها ملتئمة ، وانتثرت بلادُه وقلوبُ أهلها على محبته منتظمة .

ولما أخذ المرابطون جزيرة طريف ونادوا فيها بدعوة أمير المسلمين ، انتشر ذلك في الأندلس ، وزحف القوم الذين قدمنا ذكرهم ، الكاثنون في الحصون ، إلى قرطبة ؛ فحاصروها وفيها عبَّادُ بن المعتمد الملقب بالمأمون ، وقد تقدّم ذكره (٢) ، وهو من أكبر ولده ؛ فدخلوا البلد ، وقتل عبَّادُ هذا

(١) « الطابور الخامس » في أسبانيا منذ تسعة قرون !

(٢) انظر ص ١٣٠

بعد أن ألبى عذراً ، وأظهر في الدفاع عن نفسه جسداً وصبراً ؛ وذلك في مستهل  
صفر الكائن في سنة ٤٨٤ ؛ فزادت الإحنة والمحنة ، واستمرت في عُكُلِها الفتنه .  
وأجمعت على الثورة بحضرة أشيلية طائفة ، فاعلم المعتمد بما اعتقدته  
الطائفة المذكورة ، وكُشف له عن مرادها ، وأثبت عنده سوء اعتقادها ،  
وأُغرى بتمزيق أديمها وسفك دمها ، ومُحضَّ على هتك حريمها وكشف  
مُحرمها ؛ فأبى له ذلك مجده الأثيل ، ورأيه الأصيل ، ومذهبه الجميل ،  
وما حباه الله به من حسن اليقين ، وصحة العقل والدين ؛ إلى أن أمكتهم الغرة  
يوم الثلاثاء منتصف رجب من السنة المذكورة ، فقاموا بجيش غير مستنصر ،  
واستسروا بُغائاً غير مستفسر ؛ فبرز هو من قصره ، سيفه يده (١) ، وغلالته  
ترف على جسده ، لا دَرَقَه له ولا دِرْع عليه ؛ فلقى على باب من أبواب  
المدينة يسمى باب الفرج ، فارساً من الداخلين مشهور النجدة شاكي السلاح ،  
فرماه الفارس برمح قصير أنايب القناة ، طويل شفرة السنان ؛ فالتوى الرمح  
بغلالته وخرج تحت إبطه ، وعصمه الله منه ، ودفعه بفضلته عنه ؛ وصبَّ  
هو سيفه على عاتق الفارس فشقَّه إلى أضلاعه فخر صريعا ، وانهمزت  
تلك الجموع ، ونزل المتسنِّمون للأسوار عنها ؛ وظن أهل أشيلية أن  
الخناق قد تنفَّس .

فلما كان عصر ذلك اليوم ، عاودهم القوم ، فظهر على البلد من واديه ،  
ويئس من سُكنى ناديه ، وبلغ فيه الأمل حاسده وشانيه ، وسبَّت النار في

(١) قالوا : كان في الحمام حين بلغه النبأ ؛ فخرج للغارة في قيصه ! ...

شوانيه ، فانقطع عندها الأمل والقول ، وذهبت القوة من أيدي أهلها والحوال ؛ وكان الذي ظهر عليها من جهة البر ، رجل من أصحاب يوسف أمير المسلمين يُعرف بجُدَيْر بن وائسُو ؛ ومن الوادي رجل يُعرف بالقائد أبي حمّامة مولى بني مُجَيُّوت ؛ والتوت الحال أياما يسيرة ، إلى أن ورد الأمير سِيرُ بن أبي بكر بن تاشفين - وهو ابن أخي أمير المسلمين - بعساكر متظاهرة ، وحشود من الرعية وافرة ، والناس في خلال هذه الأيام قد خامرهم الجزع ، وخالط قلوبهم الملح ، يقطعون السبل سياحة ، ويعبرون النهر سباحة ، ويتولّجون مجارى الأقدار ، ويترامون من شرفات الأسوار ، حرصا على الحياة ؛ والموفون بالعهد ، المقيمون على صريح الود ، ثابتون ؛ إلى أن كان يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكائنة العظمى ، والطاقة الكبرى ، فيه حمّ الأمر الواقع ، واتسع الحرق على الراقع ، ودخل البلد من واديه ، وأصيب حاضره وباده ، بعد أن سجّد الفريقان في القتال ، واجتهدت الفئتان في النزال ، وظهر من دفاع المعتمد رحمه الله وبأسه ، وتراميه على الموت بنفسه ، ما لا مزيد عليه ، ولا تناء لخلق إليه ؛ وفي ذلك يقول المعتمد بعد ما نزل بالعدوة أسيراً حسيراً :

لما تماسكت الدُموعُ ۞ وتنهت القلبُ الصّديعُ  
قالوا الخضوعُ سياسةٌ ۞ فليبدُ منك لهم خضوع  
وألذ من طعم الخضوعِ ۞ ع على فى السمّ النّقيع

إن تستلب عنى الدُّنَا \* مُلْكِي وَتَسْلِينِي الْجُوعُ (١)  
 فالقلبُ بين ضلوعه \* لم تُسَلِّم القلبَ الضلوع  
 لم استلبُ شرفَ الطبا \* ع أَيَسَلْبُ الشرفُ الرفيع  
 قد رُمْتُ يوم نزالهم \* ألا تُتَحَصَّنِي الدُّرُوع  
 وبرزتُ ليس سوى القميصِ \* عن الحشا شئٌ دفع  
 وبذلتُ نفسى كى تَسِيلَ إذا يسيلُ بها النَّسِيجُ  
 أَجلى تأخَّر ، لم يكن \* بهِوَائِ ذُلِي وَالْحَشُوعُ  
 ما سرتُ قُطْط إلى القتا \* ل وكان من أملى الرجوع  
 شِيمُ الألى أنا منهمو \* والأصلُ تتبَّعُه الفروع !  
 فُشِمَّت الغارة في البلد ، ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبداً ولا لبداءً ،  
 وانتهبت قصور المعتد نهياً قبيحاً ، وأخذ هو قبضاً باليد (٢) \* ومُجبر على مخاطبة  
 ابنيه : المعتد بالله ، والراضى بالله ، وكانا بمتعقلين من معاقل الأندلس المشهورة ،  
 لو شاء أن يمتنعاهما لم يصل أحدٌ إليهما ، أحد الحصنين يسمى رُنْدَة ، والآخر

(١) رواية أخرى لهذا البيت :

إن يسلب القوم العدا ملكي وتسليني الجوع

(٢) لما صار المعتد في أيدي البربر من أصحاب ابن تاشفين ، وضعوا القيود في يديه ورجليه .  
 قال الفتح بن خاقان في الفلاند : « ثم جمع هو وأهله ، وجمعتهم الجوارى المنشآت ، وضممتهم  
 جوانحها كأنهم أموات ، بعد ما ضاق عنهم القصر ، وراق منهم العصر ، والناس قد حمرروا بضعف  
 الوادى ، وبكوا بدموع كالغوادى ، فساروا والنوح يمدوم ، والبوح بالبرعة لا يمدوم ... »  
 وفي ذلك نظم شاعرهم أبو بكر الداني قصيدته التي أولها :

تبكى السماء بمزني رايح غادي على البهاليل من أبناء عبَّاد



ما رُتلة ؛ فكتب [ إليهما ] رحمه الله ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما ، مستعطفين مسترحمين ، مُعَلِّين أن دم الكل منهم مُسْتَرْكَنٌ بثبوتهما ؛ فأنفا من الذل ، وأيا وضع أيديهما في يد أحد من الناس بعد أبيهما ؛ ثم عطفتهما عواطف الرحمة ، ونظرا في حقوق أboيها المقترنة بحق الله عز وجل ، فتمسك كل منهما بدينه ونبد دنياه ، ونزلا عن الحصنين بعد عهد مبرمة ، ومواثيق محكمة ؛ فأما المعتد بالله فإن القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه ، وأما الراضى بالله فعند خروجه من قصره قُتِلَ غيلةً واخفى جسده (١)

(١) كان المعتد بمارتلة ، والراضى برندة ؛ وقد كان ثباتهما في المقاومة سبباً للتضييق على أبيهما في محبسه وإتقاله بالحديد وإعناته بألوان من المشقات لاطاقة له باحثاتها ، حتى اضطره سوء ما يلقي إلى الكتابة لها يدعوها إلى الاستسلام برايه وعظما عليه ؛ ويروى النتح بن خاقان في القلائد أن ولداً ثالثاً للمعتد - واسمه عبد الجبار - ثار بأركش : معقل كان مجاوراً لأشبيلية ، فسار نحوه الأمير سير بن أبي بكر بن تاشفين ، فما زال يقاومه أشهراً وهو ممتنع بمحصنه ، لا يبلغ منه مبلغاً . ثم قال صاحب القلائد يصف حال المعتد حين بلغه ذلك النبأ : إنه « جزع جزعاً مفرطاً ، وعلم أنه قد صار في أنشوطة الشر متورطاً ؛ وجعل يتشكى من فعله - يعني ولده - ويتظلم ، ويتوجع منه ويتألم ، ويقول : عرض بلهجن ، ورضى لي أن أمجن ، ووالله ما أبكي إلا انكشاف من آخلفه بعدى ، ويتحيفه بعدى ... الخ »

وقد لقي هذا التأثير بأركش مصرعه ، كما وجده أخواه المأمون والراضى ، ومن قبلهم الظافر في فتنه ابن عكاشة بقرطبة .

وللمعتد شعر كثير في رثاء ولديه المأمون والراضى ، منه :

يتولون صبرٌ ، لا سبيل إلى الصبرِ      سأبكي وأبكي ما تطاولَ من عمرى  
هوَى الكوكبان الفتح ثم شقيقه      يزيدُ ، فهل بعد السكواكب من صبر  
أفْسَحُ لَقَدْ فَسَّحَتْ لِي بابَ رحمةٍ      كما يزيدَ اللهُ قد زاد في أجرى  
هوَى بكما المقدارُ عنى ولم أمتُ      وأدعى وفيًا قد نكصت إلى الغدر =

ورُحل بالمعتمد وآله ، بعد استئصال جميع أحواله ، ولم يصحب من ذلك  
كله ببلغة زاد ؛ فركب السفين ، وحل بالعدوة محلّ الدفين ؛ فكان نزوله من  
العدوة بطنجة ؛ فأقام بها أياما ، ولقيه بها الحصرى الشاعر (١) ، فجرى معه  
على سوء عادته من قبح السكديّة وإفراط الإلخاف ، فرفع إليه أشعاراً قديمة  
قد كان مدّحه بها ، وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه (٢) :

== توليتما والسنُّ بعدُ صغيرةٌ ولم تلبث الأيامُ أن صغّرت قدرى  
فلو معدتما لاخرتما العودَ فى الثرى إذا أتما أبصرتما فى الأسر  
يُعيد على سمعى الحديدُ نشيده ثقيلًا ، فتبكي العين بالحسِّ والنقر  
معى الأخوات الهالكاتُ عليكما وأثمكا الشكلى المضرمةُ الصدر  
فتبكي بدمع ليس للقطر مثله وترجرها التقوى فتصغى إلى الزجر  
أبا خالد ، أورتتنى البثَّ خالدًا أبا النصر ، مُذ ودّعت ودّعتى نصرى  
وقبلكما ما أودع القلبَ حسرةً تتجددُ طول الدهر ، تُكلُّ أبى عمرو !  
وأبو خالد هو يزيد الراضى ، وأبو النصر هو المأمون ؛ أما أبو عمرو فهو الظاهر القليل  
بقرطبة فى فنة ابن عكاشة !

(١) هو أبو الحسن على بن عبد الغنى الضرير ؛ وهو غير أبى إسحاق الحصرى صاحب زهر  
الآداب ؛ ولكنه ابن خالته .

(٢) يتعمد المؤلف - فيما يبدو - الغض من قدر أبى الحسن الحصرى ويسرف فى معايبه ،  
فينسبه إلى السكديّة وإفراط الإلخاف ؛ ويصف شعره الذى رفعه إلى المعتمد فى طنجة بالقدم ،  
للتدليل على جناء طبيعه وفساد ذوقه ؛ على أن صاحب تنج الطيب يروى هذا الخبر على وجه آخر ،  
فيقول إن الحصرى كان قد أُلّف للمعتمد كتاب « المستحسن من الأشعار » فلم يقض بوصوله إليه  
إلا وهو على تلك الحالة .

وقد كان مقام الحصرى فى طنجة ؛ فهو لم يفسد على المعتمد - وهو فى طريقه إلى منفاه -  
مستجديا كما توهم عبارة المراكشى ؛ بل كان مستقبلا له ، وانهز فرصة وصوله إلى طنجة ليقدم  
إليه كتابا ، يضم مدائحهم ؛ مضيفا إلى ذلك قصيدة استجدها فى مدحه .

ولم يكن عند المعتمد في ذلك اليوم مما زُوِّدَ به فيما بلغني أكثرُ من ستة وثلاثين مثقالاً ، فطَبِعَ عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قَلَّتْهَا - سقطتْ من حفظي - ووجهُ بها إليه <sup>(١)</sup> ؛ فلم يجاوبه عن القطعة ، على سهولة الشعر على خاطره وخفَّتْه عليه . كان هذا الرجل - أعنى الحصرى الأعمى - أسرع الناس في الشعر خاطراً ، إلا أنه كان قليل الجيد منه ؛ فخرَّكه المعتمد على الله على الجواب بقطعة أولها :

قُلْ لِمَنْ قَدْ جَمَعَ الْعِلْمَ وَمَا أَحْصَى صَوَابَهُ

كَانَ فِي الثُّرُوقِ شِعْرُهُ ۖ فَتَنْظَرْنَا جَوَابَهُ

قَدْ أَثْبَنَّاكَ فَهَلَّا ۖ جَلَبَ الشُّعْرُ ثَوَابَهُ ؟

ولما اتصل بزعانفة الشعراء ومُلْحِجِي أَهْلِ الْكُتَيْبَةِ ماصنع المعتمد رحمه الله مع الحصرى ، تعزَّضوا له بكل طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ؛ فقال في ذلك رحمه الله :

شُعْرَاءُ طَنْجَةَ كُلُّهُمْ وَالْمَغْرِبِ ۖ ذَهَبُوا مِنَ الْإِغْرَابِ أَبْعَدَ مَذْهَبِ  
سَأَلُوا الْعَسِيرَ مِنَ الْأَسِيرِ وَإِنَّهُ ۖ بِسَوَاهِمِ لِأَحَقُّ فَاعْجَبْ وَاعْجَبِ  
لَوْلَا الْحِيَاءُ وَعِزَّةُ الْخُمَيْمَةِ ۖ طَىَّ الْحَشَا سَاوَاهِمُ فِي الْمَطْلَبِ  
قَدْ كَانَ إِنْ سُئِلَ النَّدَى يُجْزِلُ وَإِنْ ۖ نَادَى الصَّرِيحُ بِيَابِهِ أَرْكَبُ يَرْكَبِ  
وَلَهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى رَحِمَهُ اللَّهُ :

قُبِّحَ الدَّهْرُ فَمَاذَا صَنَعَا ۖ كَلَّمَا أَعْطَى نَفْسِيَا نَزَعَا

(١) رواية المقرئ : « فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصرى : ارفع ذلك البساط فخذ

ما تحته ، فوالله ما أملك غيره ! فوجد تحته جملة مال فأخذه . »

قد هَوَى ظِلْمًا بِمَنْ عَادُتَهُ \* أَنْ ينادِي كلَّ مَنْ يهوى لَعْنًا !  
 مَنْ إِذَا الغَيْثُ هَمَمَى مِنْهُمِيراً \* أَخجلتْهُ كَفُّهُ فأنْقَطَعَا  
 مَنْ غَمَامُ الجُودِ مِنْ راحَتِهِ \* عَصفتْ رِيحٌ بِهِ فأنْتَشَعَا  
 مَنْ إِذَا قِيلَ الحَنَاتَا صُمَّ وَإِنْ \* نَطَقَ العَا فونَ هَمْسًا سَمِيعَا  
 قَلْ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي نَائِلِهِ \* قَدْ أزالَ اليَأْسُ ذاكَ الطَّمَعَا  
 راحَ لا يَمَلِكُ إِلا دَعْوَةً : \* جَبَرَ اللهُ العُفْفاةَ الضَّيِّعَا !

وأقام المعتمد بطنجة - رحمه الله - أياما على الحال التي تقدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة (١) ، فأقام بها أشهراً ، إلى أن نفذ الأمر بتسييرهم إلى مدينة أنعمات ؛ فأقاموا بها إلى أن توفي المعتمد رحمه الله ، ودفن بها فقبره معروف هناك (٢) وكانت وفاته في شهر سنة ٨٧ وقيل سنة ٨٨ فإله أعلم ، وسنة يوم توفي لإحدى وخمسون سنة (٣) .

(١) مدينة عظيمة بالغرب الأقصى ، تقع إلى الغرب من فاس ، وبينهما نحو ٣٥ ميلا .

(٢) أنعمات : مدينة وراء مهاكش ، بينهما مسافة يوم ؛ ولم يزل قبر المعتمد معروفاً بها حتى القرن الحادى عشر الهجرى ؛ وقد زاره المقرئ صاحب نتج الطيب سنة ١٠١٠ من الهجرة ؛ قال : فرأيت في ربوة حسبا وصفه ابن الخطيب . يعنى لسان الدين ؛ وقد كان زاره قبل ذلك بقرنين وثلاث قرن ، ووصفه فقال : وهو بمقبرة أنعمات ، في نشز من الأرض ، قد حفت به سدره ، وإلى جنبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك ، وعليها هيئة التفرب ، ومعاناة الحول من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما . قال ابن الخطيب : فأثبتت في الحال :

قد زرت قبرك عن طوع بأغمت رأيت ذلك من أولى المهمات  
 لم لا أزورك يا أندى الملوك يداً وياسراج الليالى المدلهمات  
 وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه إلى حياتى لجادت فيه أياتى !

الخ ...

(٣) كذا يروى المراكشى ، وأهل التاريخ مختلفون في تحديد سنة يوم وفاته ؛ بين الحادية =

فمن أحسن ما مر بي ممارثي به المعتمد على الله مقطوعة من شعر ابن اللبابة (١) أولها :

لكل شيء من الأشياء ميقات \* وللشي من منايها من غايات  
والدهر في صبغة الحراب منغمس \* ألوان حالاته فيها استحالات  
ونحن من لعن الشطرنج في يده \* ورُبما قيرت بالبندق الشاة  
فانفض يدك من الدنيا وساكنها \* فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا  
وقل لعالمها الأرضي قد كتمت \* سريرة العالم العلوي أغمات  
طوت مظلتها ، لابل مدلتها \* من لم تزل فوقه للعز رايات  
من كان بين الندى والبأس ، أنصله \* هندية وعطاياه هنيئات  
أنكرت إلا التواء للقيود به \* وكيف تنكر في الروضات حيات  
وقلت هن ذوابات فلم عكست \* من رأسه نحو رجليه الذوابات  
رأوه ليثاً فافوا منه عادية \* عذرتهم فليعدوى الليث عادات (٢)

== والخمسين والخامسة والخمسين . وقد ذكر المؤلف (ص ١٠٢) أن المعتمد تولى العرش وعمره ٣٧ سنة ، وأنه بقى على العرش عشرين سنة ؛ وكانت وفاته بعد خلعه بأربع سنوات ؛ فعلى هذا يبلغ عمره عند وفاته إحدى وستين سنة !

(١) هو أبو بكر الداني محمد بن عيسى بن محمد اللخمي ، من مشاهير شعراء الأندلس في المائة الخامسة ، وكان منقطعاً إلى بني عباد ، وفيهم أجود مدائمه ومرثياته ، ولهم أبداع من نظم من شعره في مختلف الفنون ؛ وقد ألف كتابين في أخبار بني عباد ، أحدهما « السلوك في وعظ الملوك » وقد ضمنه عدة مقطعات وقصائد في البكاء على أيامهم وما انتثر من نظامهم ، والآخر « الاعتماد في أخبار بني عباد » فصل فيه تاريخهم منذ كانوا حتى مضوا ... وله غير هذين كتاب « سقيط الدرر ولقيط الزهر » . توفي بميورقة سنة ٥٠٧ .

قال عنه ابن الأبار في التكملة : « وابن اللبابة هذا هو الذي قال أحسن قصائده في المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية ، وكتب عن آل عباد من النثر ما حفظه الناس حفظ النثر لنفاسته .  
(٢) انظر سائر هذه القصيدة في فلائد العقيان .

وله قصيدة يرثيهم <sup>(١)</sup> بها ، وهي كثيرة الجيد ، أولها :

تبكى السماء بدمعٍ رائجٍ غادى \* على البهاليلِ من أبناءِ عبادِ  
على الجبالِ التي هددتْ قواءدُها \* وكانت الأرضُ منهم ذاتِ أوتادِ  
والراياتُ عليها الياضاتُ ذوتُ \* أنوارُها فغدت في خفضِ أوهادِ  
عريسةٌ دخلتها النائباتُ على \* أساويدٍ لهم فيها وآسادِ  
وكعبةٌ كانت الآمالُ تنعمُرُها \* فاليومَ لا عاكفٌ فيها ولا بادِ  
تلك الرماحُ رماحُ الحنطِ ثقفاها \* خطبُ الزمانِ ثقافاً غيرَ مُعتادِ  
والبييضُ يبيضُ الظبا قلَّت مزاربها \* أيدي الردى وثنتها دونِ إغسادِ  
لما دنا الوقتُ لم تخلفْ له عِدَّةٌ \* وكلُّ شيءٍ لميقاتٍ وميعادِ  
كم من درارىٍ سعدتْ قدهوتُ ووهت \* هناك من دُررٍ للبهجدِ أفرادِ  
نورٌ ونورٌ فهذا بعد نعمته \* ذوى وذاك خبا من بعد إيقادِ  
يا ضيفُ أقفريديتُ المكرماتِ فخذُ \* فى ضمِّ رحلكِ واجمع فضلةَ الزادِ  
ويا مؤملاً وإديهم ليسكنه \* خفَّ القطينُ وجفَّ الزرعُ بالوادي  
ضلتُ سبيلُ الندى بانبِ السبيلِ فسرُ \* لغيرِ قصدٍ فما يهديك من هادى  
وفيهما يقول :

نسيبتُ إلا غداةَ النهرِ كوثهمُ \* فى المنشآتِ كأمواتٍ بالحادِ  
والناسُ قد ملأوا العبرين واعتبروا \* من لؤلؤِ طافياتِ فوق أربادِ  
حطَّ القناعُ فلم تسترْ مخدرةً \* ومزقتُ أوجهُ تمزيقِ أبرادِ

تَفَرَّقُوا جِيرةً من بعدِ ما نشئوا ۞ أَهلاً بأهلٍ وأولاداً بأولادٍ  
حانَ الوَداعُ فَضجَّتْ كلُّ صارخةٍ ۞ وصارخٍ من مُفدّاةٍ ومن فادى  
سارت سفائئُهم والنَّوحُ يتبُعُها ۞ كأنها لابلٌ يحدو بها الحادى  
كم سالَ في الماءِ من دمعٍ وممَّحت ۞ تلكَ القطائعُ من قِطعاتِ أكبادِ  
مَنْ لى بِكم يا بنى ماءِ السَّماءِ إذا ۞ ماءِ السَّماءِ أبى سقياً حشاً الصادى<sup>(١)</sup>  
وهى طويلة جدا<sup>(٢)</sup> ، هذا ما اخترت له منها .

[ أبو بكر الدانى ]

وابن اللبانة هذا هو أبو بكر محمد بن عيسى<sup>(٣)</sup> ، من أهل مدينة دانية ، وهى  
على ساحل البحر الرومى ، كان يملكها مجاهد العامرى وابنه على الموفق  
على ما تقدم<sup>(٤)</sup> .

ولابن اللبانة هذا أخ اسمه عبد العزيز ، وكانا شاعرين ، إلا أن عبد العزيز  
منهما لم يرُضَ الشعر صناعة ولا اتخذه مكسبا ، وإنما كان من جملة التجار ؛  
وأما أبو بكر فرَضِيَه بضاعةً وتخيَّره مكسبا وأكثر منه وقصد به الملوك  
فأخذ جوائزهم ونال أسنى الرتب عندهم ؛ وشعره نبيل المأخذ ، وهو فيه حسن  
المهتِّع ، جمع بين سهولة الألفاظ ورشاقها ، وجودة المعانى ولطافتها ؛ كان  
منقطعا إلى المعتمد ، معدودا فى جملة شعرائه ؛ لم ينفذ عليه إلا آخر مدته ؛  
فلهذا قل شعره الذى يمدحه به .

(١) يشير إلى اتصال نسبهم فى لحم إلى النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، آخر ملوك الحيرة .

(٢) انظر فلائد العقيان ، ونفع الطيب .

(٣) انظر ص ١٤٧ (٤) انظر ص ٧٤

وكان - رحمه الله - مع سهولة الشعر عليه وإكثاره منه ، قليل المعرفة بعلمه ،  
لم يُجيد الخوض في علومه ، وإنما كان يعتمد في أكثره على جودة طبعه وقوة  
قريحته ؛ يدل على ذلك قوله في قصيدة له سيرد ما اختاره منها في موضعه (١) :

مَنْ كَانَ يُنْفِقُ مِنْ سَوَادِ كِتَابِهِ \* فَأَنَا الَّذِي مِنْ نُورِ قَلْبِي أَنْفَقُ  
ولما خلع المعتمد على الله وأخرج من أشيلية ، لم يزل أبو بكر هذا يتقلب  
في البلاد ، إلى أن لحق بجزيرة مُيْرِقَةَ (٢) ، وبها مُبَشِّرُ العاصمى المتقلب  
بالناصر ؛ فخطى عنده وَعَلَّتْ حَالُهُ مَعَهُ ، وله فيه قصائد أجاد فيها ماشاء ؛  
فمنها قصيدة ركب فيها طريقة لم أسمع بها لمتقدم ولا متأخر ، وذلك أنه جعلها  
من أولها إلى آخرها ، صدرُ البيت غزلٌ وجزءه مدح ، وهذا لم أسمع به لأحد ؛  
وأول القصيدة :

وَصَحَّحْتُ وَقَدْ فَضَحْتُ ضِيَاءَ النَّيْرِ \* فَكَأَنَّمَا التَّحَفَّتْ بِبِشْرِ مُبَشِّرِ  
وَتَبَسَّمْتُ عَنْ جَوْهَرٍ فَحَسِبْتُهُ \* مَا قَلَّدَتْهُ مُحَامِدِي مِنْ جَوْهَرِ  
وَتَكَلَّمْتُ فَكَأَنَّ طِيبَ حَدِيثِهَا \* مُثَّعَتْ مِنْهُ بِطِيبِ مَسْكَ أَذْفَرِ  
هَزَّتْ بِنَغْمَةٍ لَفْظَهَا نَفْسِي كَمَا \* مُهَزَّتْ بِذِكْرَاهِ أَعَالَى الْمُنْبَرِ  
أَذْنِبْتُ وَاسْتَغْفَرْتُهَا فَجَرَّتْ عَلَيَّ \* عَادَاتِهِ فِي الْمَذْنِبِ الْمُسْتَغْفِرِ

(١) ص ١٥٢ .

(٢) ميورقة ، ومنورقة ، ويابسة ؛ هي أكبر جزائر الأندلس في بحر الروم ، على ساحلها  
الشرقي ، مصافية لقطونيا وبلنسية ؛ ويسمونها الجغرافيون المحدثون : جزائر البليار .  
وكان مقدم ابن اللبانة إلى ميورقة في آخر شعبان سنة ٤٨٩ - بعد بضعة أشهر ، أو بضعة  
عشر شهرا من موت المعتمد بن عباد بأعمات - وكان عليها مبشر بن سليمان العاصمى ، من موالى  
النصور بن أبي عامر ، فدحه ابن اللبانة بقصيدته التي مطلعها :

مَمْلِكٌ يَرُوعُكَ فِي حَلِي رِيَعَانِهِ رَاقَتْ بِرَوْ تَقِيهِ صِفَاتُ زَمَانِهِ



جادتُ عليّ بوصولها فكأنه ◦ جدّوسى يديه على الملقيل الملقير  
 واشمتُ فاها فاعتقدتُ بأننى ◦ من كفه سوغتُ لثم الحنصر  
 سمحتُ بتعنيق فقلتُ صبيعة ◦ سمحتُ علاه بها فلم تتعذر  
 شهّد كقسوة قلبه في معرك ◦ وحشاً كلين طباعه في محضر  
 ومعاطف تحت الذواب خلطها ◦ تحت الخوافق ما له من سمهري  
 حسنتُ أمانى في خمارٍ مثل ما ◦ حسن الكمي أمانه في مغفر  
 وتوشحتُ فكأنه في جوشن ◦ قد قام عنبره مقام العشير  
 غمزتُ ببعض قسيه من حاجب ◦ ورتتُ ببعض سهامه من حجر  
 أو متُ بمصقول اللّحاظ يخلّته ◦ يومي بمصقول الصفيحة مُشهر  
 وضعتُ حشايها فويق أرائك ◦ وضع السروج على الجياد الضمير  
 من رامة أورومة ، لا علم لي ◦ أتت عن الشعمان أم عن قيصر  
 بنتُ الملوك فقل ليكسرى فارس ◦ تعزى وإلا قل لتبّع حمير  
 عاديتُ فيها غرّ قومي فاغندوا ◦ لأرضهم أرضى ولا هم معشري  
 وكذلك الدنيا عهدنا أهلها ◦ يتعافرون على الثريد الأعفر  
 طافتُ عليّ بجمرة من سمرة ◦ فرأيتُ مرّيحاً براحة مُشترى  
 فكان أمتلها سيوفُ مبشّر ◦ وقد اكدتُ علق النجيع الأحمر  
 ملكُ أزرة برده ضمتُ علي ◦ بأيس الوصي وعزومة الإسكندر  
 هذا ما اخترت له منها .

ومن نسيبه المليلح الخفيف الروح قوله يتغزل ويمدح به بشراً هذا :

هَلَّا كُنَّاكَ عَلَى قَلْبٍ مُشْفِقٍ \* فَتَرَى فَرَّاشًا فِي فِرَاشٍ يُحْرَقُ  
 قَدْ صِرْتُ كَالرَّمَقِ الَّذِي لَا يُرْتَجَى \* وَرَجَعْتُ كَالنَّفْسِ الَّذِي لَا يُلْحَقُ  
 وَغَرِقتُ فِي دَعْوِي عَلَيْكَ وَغَمَّتِي \* طُرْفِي فَهَلْ سَبَبٌ بِهِ أَتَعَلَقُ  
 هَلْ خُدَعَةٌ بِتَحِيَّةٍ خُفِيَّةٍ \* فِي جَنْبِ مَوْعِدِكَ الَّذِي لَا يُصَدَّقُ  
 أَنْتَ الْمَنِيَّةُ وَالْمَنَى، فِيكَ أَسْتَوِي \* ظِلُّ الْغَمَامَةِ وَالْهَجِيرُ الْمُحْرَقُ  
 لَكَ قَدْ ذَابَلَهُ الْوَشِيحُ وَلَوْهَاهَا \* لَكِنْ سِنَانُكَ أَحْلَى لِأَزْرَقِ  
 وَيُقَالُ إِنَّكَ أَيْكَةٌ حَتَّى إِذَا \* غَنَيْتَ قِيلَ هُوَ الْحَمَامُ الْأَوْرَقُ  
 يَأْمَنُ رَسَقَتُ إِلَى الشُّلُوبِ فَرَدَّنِي \* سَبَقْتُ مُجْفُونُكَ كُلَّ سَهْمٍ يُرْسَقُ  
 لَوْ فِي يَدِي سِحْرٌ وَعِنْدِي اخْذَةٌ \* لَجَعَلْتُ قَلْبَكَ بَعْضَ حِينٍ يَعَشَقُ  
 لِتَذُوقِ مَا قَدْ ذُقْتُ مِنْ أَلْمِ الْجَوِي \* وَتَرِقَّ لِي مِمَّا تَرَاهُ وَتُشْفِقُ  
 جَسَدِي مِنَ الْأَعْدَاءِ فِيكَ لِأَنَّهُ \* لَا يَسْتَبِينُ إِطْرَفِ طَيْفٍ يَرُمُّ  
 لَمْ يَدِرْ طَيْفُكَ مَوْضِعِي مِنْ مَضْجَعِي \* فَعَذَرْتَهُ فِي أَنَّهُ لَا يُطْرُقُ  
 جَفَّتْ عَلَيْكَ مَنَابِي وَمَنَابِعِي \* فَالِدَمْعُ يَنْشَعُ وَالصَّبَابَةُ تُورِقُ  
 وَكَانَ أَعْلَامَ الْأَمِيرِ مُبَشِّرِي \* نُشِرَتْ عَلَى قَلْبِي فَأَصْبَحَ يُخْفِقُ (١)

(١) بعده :

الْخَيْرُ رَانَةٌ تَلْتَطِي فِي كَفِّهِ  
 وَكَانَ صَوْبَ حَيًّا وَصَعْقَةَ بَارِقِ  
 مِتْبَاعِدُ الطَّرَفَيْنِ : جُودٌ غَافِلٌ  
 بِأَسُّ كَمَا جَمَدُ الْحَدِيدِ وَرَاهُ  
 لَا تُعْجِبِ الْأَمْلَاكَ كَثْرَةَ مَا لِيهِمْ  
 ضِدَّ أَنْ فِيهِ لِمَعْتَدٍ وَلِمَعْتَفٍ  
 وَالتَّاجُ فَوْقَ جَبِينِهِ يَتَأَلَّقُ  
 مَا ضَمَّ مِنْهُ تَدْيِيهُ وَالْمَازِقُ  
 عَمَّا يَحُلُّ بِهِ ، وَعِزْمٌ مَطْرِقُ  
 كَرَمٌ يَسِيلُ كَمَا يَسِيلُ الزَّبَقُ  
 النَّبْعُ أَصْلَبُ وَالْأَرَاكَةُ أَوْرَقُ  
 السِّيفُ يَجْمَعُ وَالْعَطَاءُ يُفَرِّقُ

وفيها يقول، يصف لعب الأسطول في يوم المهرجان :

بُشْرَى يَوْمِ الْمِهْرَجَانِ فَإِنَّهُ \* يَوْمٌ عَلَيْهِ مِنْ احْتِفَائِكَ رَوْتَقُ  
طَارَتْ بِنَاتُ الْمَاءِ فِيهِ وَرِيْشُهَا \* رِيْشُ الْغَرَابِ وَغَيْرُ ذَلِكَ شَوْذَقُ (١)  
وَعَلَى الْخَلِيْجِ كَتِيْبَةٌ \* جَرَّارَةٌ \* مِثْلُ الْخَلِيْجِ كِلَاهِمَا يَتَدَفَّقُ  
وَبُسُو الْحُرُوبِ عَلَى الْجَوَارِيِ \* الَّتِي \* تَجْرِي كَمَا تَجْرِي الْجِيَادُ السَّبْبُ  
مَلَأَ الْكُمَاةُ ظَهْرَهَا وَبُطْوَهَا \* فَآتَتْ كَمَا يَأْتِي السَّحَابُ الْمَغْدِقُ  
خَاضَتْ غَدِيرَ الْمَاءِ سَابِحَةً بِهِ \* فَكَأَنَّمَا هِيَ فِي سَرَابٍ أَيْسَقُ  
تَجَبَّأَ لَهَا مَا خَلَّتْ قَبْلَ عِيَانِهَا

أَنْ يَحْمِلَ الْأُسْدَ الضَّوَارِيَّ زَوْرَقُ  
هَزَّتْ مَجَادِيْفًا إِلَيْكَ كَأَنَّهَا \* أَهْدَابُ عَيْنٍ لِلرَّقِيبِ تُحَدِّقُ  
وَكَأَنَّهَا أَقْلَامُ كَاتِبِ دَوْلَةٍ \* فِي عَرْضِ قِرطَاسٍ تَحْطُ وَتَمَشِقُ  
وَلَهُ فِيهَا إِحْسَانٌ كَثِيرٌ . وَلَهُ مِنْ قَصِيْدَةٍ يَتَغَزَلُ :

فَوَادِي مَعْنَى بِالْحَسَانِ مَعْنَتْ \* وَكُلُّ مُوَقِّي فِي التَّصَايِي مُوَقَّتُ  
وَلِي نَفْسٌ يَحْنِي وَيَحْنُفُ رِقَّةً \* وَلَكِنْ جَسْمِي مِنْهُ أَخْفَى وَأَخْفَتُْ  
وَبِي مَيِّتُ الْأَعْضَاءِ حَيٌّ دَلَالَهُ \* غَرَامِي بِهِ حَيٌّ وَصَبْرِي مَيِّتُ  
جَعَلْتُ فَوَادِي جَفْنٍ صَارِمٍ جَفْنِهِ \* فَيَا حَرَّ مَا يَنْصَلِي بِهِ حِينَ يُصَلَّتُ  
أَذِلُّ لَهُ فِي هَجْرِهِ وَهُوَ يَنْتَمِي \* وَأَسْكُنُ بِالشُّكُوِي لَهُ وَهُوَ يَسْكُتُ  
وَمَا أَنْبَسَتْ حَبْلٌ مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي يَدِي \* لِرَيْحَانِ رَيْعَانِ الشَّبِيْبَةِ مَنْبَتُ

(١) الشوذق: الصغر، أو الشاهين.

ومن جيّد ماله من قصيدة يمدح بها مبشراً ناصر الدولة أولها :

راق الرّيعُ ورقّ طبعُ هوائه • فانظر نضارة أرضه وسمائه  
 واجعل قرينَ الوردِ فيه سلافةً • يحكى مُشعشعُها مُصعدَ مائه  
 لولا ذُبولُ الوردِ قلتُ بأنه • خدُّ الحبيبِ عليه صبغُ حياته  
 هيّاتَ أين الوردُ من خدِّ الذي • لا يستحيلُ عليك عهدُ وفائه  
 الوردُ ليس صفاته كصفاته • والطيرُ ليس غناؤها كغنائها  
 يتنفس الإصباحُ والرّيحانُ من • حركاتِ معطفِهِ وحسنِ رؤاه  
 ويَجولُ في الأرواحِ روحُ ما سرتُ • رِياهُ من تلقائه بلقائه  
 صرّفَ الهوى جسمي شبيهَ خياله • من فرطِ خفته وفرطِ خفائه  
 ومن أحسن ما على خاطري له بيتان يصف بها خالاً، وهما :

بدا على خدّه خالٌ يُزيّنه • فزادني شغفاً فيه إلى شغفِ  
 كأنّ حبةَ قلبي عند رؤيته • طارتُ فقال لها : في الخدِّ منه قيني !  
 ولابن اللبانة هذا إحسان كثير ، منعى من استقصائه خوفُ الإطالة ،  
 وأيضاً فلأن هذا الكتاب ليس موضوعاً لهذا الباب ؛ وإنما يأتي منه فيه ما تدعو  
 إليه ضرورةُ سياق الحديث .

[رجع الحديث إلى أخبار المعتمد]

ثم رجع بنا القول إلى أخبار المعتمد على الله .

وبلغني أن رجلاً رأى في منامه قبل الكائنة العظمى على بنى عباد بأشهر  
 يسيرة وهو بمدينة قرطبة ، كأن رجلاً أتى حتى صعد المنبر واستقبل الناس

بوجهه يُنشدهم رافعا صوته :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عَيْسَهُمْ \* فِي ذُرَى مَجْدِهِمْ حِينَ بَسَقَ  
سَكَتَ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ \* ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ !  
فَمَا كَانَ إِلَّا أَشْهُرُ يُسِيرَةُ حَتَّى وَقَعَ بِهِمْ وَأَبْكَاهُمُ الدَّهْرُ كَمَا قَالَ .

وبلغ من حال المعتمد على الله بأغمت ، أن آثرَ حظياته وأكرم بناته  
أُلجئت إلى أن تستدعى غزلاً من الناس تسدُّ بأجرته بعض حالها ، وتصلح  
به مآظهم من اختلالها ؛ فادخل عليها فيما أدخل غزلاً لبنت عريفِ مُشرطة  
أبيها ؛ كان بين يديه يزعُ الناس يوم بُروزه ، لم يكن يراه إلا ذلك اليوم ؛  
واتفق أن السيدة الكبرى أمّ بنيه اعتلت<sup>(١)</sup> ، وكان الوزير أبو العلاء زهر بن  
عبد الملك بن زهر بمراكش ؛ قد استدعاه أمير المسلمين لعلاجه<sup>(٢)</sup> ؛ فكتب  
إليه المعتمد راعباً في علاج السيدة ومطالعة أحوالها بنفسه ؛ فكتب إليه الوزير  
مؤدياً حقه ومجيباً له عن رسالته ومُسعفاً له في طلبته ؛ واتفق أن دعا له في أثناء  
الرسالة بطول البقاء ؛ فقال المعتمد في ذلك :

دَعَا لِي بِالْبَقَاءِ وَكَيْفَ يَهْوَى \* أَسِيرٌ أَنْ يَطُولَ بِهِ الْبَقَاءُ  
أَلَيْسَ الْمَوْتُ أَرْوَحَ مِنْ حَيَاةٍ \* يَطُولُ عَلَى الشَّقِيِّ بِهَا الشَّقَاءُ  
فَمَنْ يَكُ مِنْ هَوَاهُ لِقَاءَ حَبِّ \* فَإِنْ هَوَى مِنْ حَتْفِ اللَّقَاءِ

(١) هي السيدة اعتماد الرميكية ، مولاة رميك .

(٢) هو جند أبي بكر بن زهر السابق ذكره وذكر أبيه في ص ٨٨ وما بعدها من هذا  
الكتاب ؛ وقد كان أبو العلاء هذا كما يقول ابن دحية في كتابه المطرب من أشعار أهل المغرب -  
وزير ذلك الدهر وعظيمة ، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمة . وقد توفي بقرطبة سنة ٥٢٥

أرغب أن أعيش أرى بناتي \* عوارِيَ قد أضرَّ بها الحفَاءُ  
 خوادِمَ بنتٍ من قد كان أعلى \* مراتبِهِ إذا أبدُو النداءُ  
 وطَرُدُ الناسِ بين يدي مَمْرِي \* وكفَّهُمو إذا عَصَّ الفِناءُ  
 ورَكَضُ عن يمينٍ أو شمالٍ \* لسنَظْمِ الجيشِ إن رُفِع اللِواءُ  
 يُعنيهِ أمامُ أو وراءُ \* إذا اختلَّ الأمامُ أو الِوراءُ  
 ولكنَّ الدعاءَ إذا دعاه \* ضميرُ خالصٍ نَفَع الدعاءُ  
 جَزِيَتَ أبا العلامِ جزاءَ بَرِّ \* نَوَى يَرًا وصاحبَكَ العَلاءُ  
 سَيْسِلِي النفسَ عما فاتِ عَلي \* بأن الكُلَّ يُدِرِكُه الفِناءُ  
 وورد عليه أغمات ، أبو بكر بن اللبابة المتقدم الذكر ، ملتزمًا عهد الوفاء ،  
 قاضياً ما يجب عليه من شكر الثعمى ؛ فسرَّ المعتمدُ بوروده ، فلما أزمع ابن  
 اللبابة على السفر ، استنفذ المعتمدُ وسعته ووجه إليه بعشرين مثقالاً وثوبين ؛  
 وكتب إليه معها (١) :

إليك النَّزْرُ من كَفِّ الأَسِيرِ \* فإن تقبل تكن عينَ الشُّكُورِ  
 تَقْبَلُ ما يذوبُ له حِماءً \* وإن عذرته حالاتُ الفقيرِ !  
 ولا تَعَجَبْ لخطبِ غَضٍّ منه \* أليس الخسفُ مُلتزمَ البدورِ ؟  
 ورجَّ الحُجْرَه عُقْبِي نَدَاهُ \* فكم جَهِرتُ يداهُ من كَسِيرِ  
 وكم أعلتُ عُلاه من حَضِيضٍ \* وكم حَطَّتْ مُظباه من أميرِ

(١) أرسل المعتمد عطية هذه إلى ابن اللبابة مع ولده شرف الدولة ، وهو - على ما يصفه ابن  
 اللبابة - أحسن الناس سمناً ، وأكثرهم صمتاً ؛ تحججه اللبنة ، وتجرحه اللبنة ، حريص على طلب  
 الأدب ، وسارع في اقتناء الكتب ، مما بر على نسخ الدواوين ، مفتوح فيها من خطه زهر الرياحين...

وكم من منبرٍ حنَّتُ إليه \* أعلى مُرْتَقاه، ومن سرير  
 زَمانَ تراحفتُ عن جانبيه \* جِبادُ الخيلِ بالموتِ المُسيرِ  
 فقد نظرتُ إليه عيونُ نحسٍ \* مَضَّتْ منه بمعدومِ النظرِ  
 نحوسٌ كُنَّ في عُقْبِي سُعودٍ \* كذلكُ تدورُ أقدارُ القديرِ  
 وكم أَحْظَى رضاه من حِظِّي \* وكم شَهَرَتْ مُعْلاه من شَهِيرِ  
 زمانَ تنافَسَتْ في الحِظِّ مِنْه \* مُلوِكٌ قد تجوُّرُ على الدُّهُورِ !  
 بحيثُ يطيرُ بالأبطالِ ذُعرُ \* ويُلبِغِي سُمَّ أَرْجَحَ من تَئِيرِ  
 فامتنع ابن اللبابة من قبول ذلك عليه ، وصرفه بجملة له إليه ؛ وكتب مجيئاً له  
 عن شعره :

سَسَقَطَتْ من الوفاءِ على خبيرِ \* فدَرَنْتِي والذِي لك في ضميرِ  
 تَرَكْتُ هَواكَ وهو شقيقُ ديني \* لئنُ شَقَّتْ بُرُودِي عن غَدُورِ  
 ولا كنتُ الطليقَ من الرِّزايا \* لئنُ أَصْبَحْتُ أَجِيفُ بِالأسيرِ  
 أَسِيرُ ولا أَصيرُ إلى اغتنامِ \* معاذَ الله مِنْ سوءِ المصيرِ  
 إذا ما الشُّكْرُ كان وإن تَنَاهَى \* على نَعَمِي فما فَضْلُ الشُّكُورِ ؟  
 جَذِيمَةٌ أَنْتَ والأيامُ خانتُ \* وما أَنَا مَنْ يَقْصُرُ عن قَصرِ (١)

(١) ويروي هذا البيت :

\* جذيمة أنت والزباء خانت \*

وجذيمة : هو جذيمة بن الأبرش ملك العراق ، وهو لحمي موصل النسب بالعميد ؛ وقصير :  
 هو قصير بن سعد اللخمي الذي يضرب به المثل فيقال : « لأمرها جدع قصير أنه ! » .  
 وجذيمة وقصير قصة مفصلة في كتب الأمثال ، خلاصتها أن الزباء ملكة الجزيرة قتلت جذيمة  
 هذا تاراً لأبيها ؛ فجدع قصير أنه وذهب إليها في دار ملكها يومها أن قوهه جدعوا أنه لأن =

أنا أدري بفضلِك مِنك إني \* لبستُ الظلَّ منه في الحرُّور  
 غنيُّ النفسِ أنت وإن أَلحَّتْ \* على كَفَّيْكَ حالاتُ الفقيرِ  
 تُصرِّفُ في الندى حيلَ المعالي \* فتسْمُحُ من قليلٍ بالكثيرِ  
 أَحَدْتُ مِنْكَ عن نَبْعِ غريبٍ \* تَفْتَحُ عن جَنِي زهرٍ نضيرِ  
 وَأَعْجَبُ مِنْكَ أَنْكَ في ظلامٍ \* وترْفَعُ للعفاةَ منارَ نُورِ  
 رُوَيْدِكَ سوف توَسُغني سُوراً \* إذا عاد ارتقاؤك للسريرِ  
 وسوف تُحِلِّثني رُتَبَ المعالي \* غَدَاةَ تحيلُ في تلك القصورِ  
 تَزِيدُ على ابنِ مروانٍ عطاءً \* بها وَأَنيفِ ثمَّ على جَرِيرِ (١)  
 تَأَهَّبُ أن تعودَ إلى طُلوعٍ \* فليس الحسْفُ مُلتزِمَ البُذورِ  
 فراجعهُ المعتمدُ بهذه الآيات :

ردَّ يرِي بُغِيًّا على وبرِّاً \* وجفا فاستحقَّ لو مآً وشكراً !  
 حاط نزرِي إذْ خَافَ تَأْكِيدَ ضُرِّي  
 فاستحقَّ الجفَاءَ إذْ حاط نزراً  
 فإذا ما طويتُ في البعضِ حَمْداً \* عاد لومي في البعضِ سرّاً وجهرّاً  
 يا أبا بكرِ الغريبِ وفاءً \* لا عَدِ مِنْكَ في المغاربِ ذُخْرّاً  
 أَيَّ نفعٍ يُجِدِي احتياطُ شفيقٍ \* مُتُّ ضُرّاً فكيف أَرهَبُ ضُرّاً؟  
 فأجابه ابن اللبابة رحمه الله :

= إليها ولاءه ؛ فصدقته الزبابة ومنحته ثقتها ، فاحتال حتى أمكن قومه منها فقتلوهما نأراً جديعة ؛  
 فكان عمله هذا مثلاً من أمثلة الوفاء للمليكة المنكوب ؛ وإلى هذه الصورة من صور الوفاء يشير  
 ابن اللبابة في هذا البيت . وابن اللبابة ينتسب إلى لحم كذلك !  
 (١) يعني عبد الملك بن مروان ، وجريراً الشاعر .



أَيُّهَا الْمَاجِدِ السَّمِيدِ عُ عَذْرَاءُ \* صَرِّ فِي الْبِرِّ إِنَّمَا كَانَ بِرَا  
 حَاشَ اللَّهُ أَنْ أَجِيحَ كَرِيماً \* يَتَشَكَّى فَقْرَا وَكَمْ سَدَّ فَقْرَا  
 لَا أَزِيدُ الْجَفَاءَ فِيهِ مُشْقِوْقَا \* عَدَرَ الدَّهْرُ بِي لَنْ رَمْتُ غَدْرَا  
 لَيْتَ لِي قُوَّةٌ أَوْ أَوْى لِرُكْنٍ \* فَتَرَى لِلْوَفَاءِ مَنَى سِرَا  
 أَنْتَ عَلِمْتَنِي السِّيَادَةَ حَتَّى \* نَاهَضْتَ هِمَّتِي الْكَوَاكِبَ قَدْرَا  
 رَجَحْتُ صَفْقَةَ أُزَيْلٍ بُرُودَا \* عَن أَدِيمِي بِهَا وَأَلْبَسْتُ نَخْرَا  
 وَكَفَانِي كَلَامُكَ الرَّطْبُ نَيْلَا \* كَيْفَ أُلْفِي دُرًّا وَأَطْلُبُ تَبْرَا !  
 لَمْ تَمُتْ إِنَّمَا الْمَكَارُمُ مَاتَتْ \* لَا سَقَى اللَّهُ بَعْدَكَ الْأَرْضَ قَطْرَا

ومما قاله المعتمد من الشعر عند موته وأمر أن يكتب على قبره :

قَبْرِ الْغَرِيبِ سِقَاكَ الرَّائِحِ الْغَادِي \* حَقًّا ظِفْرَتْ بِأَسْلَاءِ ابْنِ عَبَّادِ  
 بِالْحِلْمِ بِالْعِلْمِ بِالسُّعْمَى إِذَا اتَّصَلَتْ \* بِالْخُصْبِ إِنْ أَجْدَبُوا بِالرَّيِّ لِلصَّادِي  
 بِالطَّاعِنِ الضَّارِبِ الرَّامِي إِذَا اقْتَتَلُوا \* بِالْمَوْتِ أَحْمَرِ بِالضَّرْغَامَةِ الْعَادِي  
 بِالدهْرِ فِي نِقَمٍ بِالبحْرِ فِي نِعَمٍ \* بِالبدْرِ فِي ظُلْمٍ بِالصدرِ فِي النِّدَادِي  
 نَعْمٌ هُوَ الْحَقُّ حَابَانِي بِهِ قَدَرٌ \* مِنْ السَّمَاءِ فَوَافَانِي لِمِعَادِ  
 وَلَمْ أَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ النَّعْشِ أَعْلَهُ \* أَنْ الْجِبْسَالِ تَهَادَى فَوْقَ أَعْوَادِ  
 كَفَاكَ فَارْفُوقٌ بِمَا اسْتُودِعْتَ مِنْ كَرَمٍ \* رَوَاكُ كُلُّ قَطُوبِ الْبَرْقِ رَعَادِ  
 يَبْكِي أَخَاهُ الَّذِي غَيَّبَتْ وَابِلَهُ \* تَحْتَ الصَّفِيحِ بَدْمَعِ رَائِحِ غَادِي  
 حَتَّى يَجُودَكَ دَمْعُ الطَّلِّ مِنْهَمِرًا \* مِنْ أَعْيُنِ الزَّهْرِ لَمْ تَبْخُلْ بِإِسْعَادِ  
 وَلَا تَزَلْ صَلَوَاتِ اللَّهِ دَائِمَةً \* عَلَى ذَفِينِكَ لَا تُحْصَى بِتَعْدَادِ !

وكان للمعتمد على الله هذا ولد يلقب بفخر الدولة ، رشحه للملك من بعده ،  
وجعله وليّ عهدِهِ ، ولقبه بالمؤيد بنصر الله ؛ فعاقته الفتنةُ عن مراده ، وحالت  
الأقدار بينه وبين إصداره وإيراده ؛ فابرح بفخر الدولة هذا تغَيُّرَ الأيام بعد  
الفتنة ، إلى أن أسلم نفسه في السوق ، وتعلم من الصنائع صنعة الصُّوَاعِ ، فمر به  
محمد بن اللبانة المتقدم الذكر شاعرُ أبيه ، فقال في ذلك :

أذكى القلوبَ أَسَى ، أبكى العيونَ دَمًا \* خطبُ وجدناك فيه يُشبه العَدَمَا  
أفرا دِعْقِدِ المني مِنَّا قد انتثرت \* وَعَقْدُ عُرُونَا الوثقى قد انقَصَمَا  
شكأُتنا فيك يا فخرَ الهدى عَظُمَتْ \* والرَّزءُ يَعْظُمُ فيمن قدره عَظْمَا  
طَوَّقَتْ من نائباتِ الدهرِ مَحْنَقَةً \* ضاقتُ عليك ، وكم طَوَّقْتَنَا نِعَمَا !  
وعاد كورنك في دُكَّانِ قارعة \* من بعد ما كنت في قصرٍ حكي إِرَمَا  
صرَّفتَ في آلة الصُّوَاعِ أَمْسَلَةً \* لم تدرِ إلا النسيءَ والسيفَ والقلبا  
يدُّ عهدُك للتقبيل تبسطها \* قدستقلُّ الثريا أن تكونَ فَمَا  
يا صائغًا كانت العلماُ تصاغ له \* حليًا وكان عليه الحلي مُنتَظِمَا  
للنَّفخِ في الصُّورِ هَوَلٌ ما حكاه سوى \* هَوَلٍ رأيناك فيه تنفخُ الفَحَمَا  
وِددتُ إذ نظرتُ عيني إليك به \* لو أن عيني تشكو قبيل ذاك عَمَى  
ما حطَّك الدهرُ لما حطَّ من شرفٍ \* ولا تحيِّفَ من أخلاقك الكرما  
لُحُ في العُلا كوكبا إن لم تلحُ قرا \* وُقِمَ بها ربوةٌ إن لم تُقِمَ عَلمَا  
واصبر فرَبَّمَا أحمدتُ عاقبةً \* من يلزم الصبرَ يحمَدُ غِبَّ مالزِمَا  
والله لو أنصفتك الشهبُ لانكسفت \* ولو وفى لك دمع المُلزِنِ لانسجما

بكي حديشك حتى الدرُّ حينَ غدا \* يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسماً  
وروضة الحُسنِ من أزهارِ هاعرِيت \* حزنناً عليك لأنَّ أشبهتها شياً  
بعد النعيمِ ذوى الريحانُ حين رأى \* ريحانك الغصَّ يذوى بعد ما نجا  
لم يرَّحمِ الدهرُ فضلاً أنت حاملهُ \* من ليس يرَّحمُ ذاك الفضل لارحما  
شقيقك الصُّبحُ إن أضحى بشارقة \* وأنت في مظلةٍ فالصبحُ قد ظلما

## فصل

[رجع الحديث عن دولة المرابطين بالأندلس]

وإنما أوردنا هذه النبذة اليسيرة من أخبار المعتمد على الله ، مع ما تعلق بها ،  
وإن كانت مُخْرِجة عن الغرض ؛ لندلَّ بها على ما قدمنا من ذكر فضله وجزارة  
أدبه وإيثاره لذلك ؛ وأيضاً فليتصل نسقُ الأخبار عن المملكة ، أعني مملكة  
الأندلس إلى المرابطين أصحاب يوسف بن تاشفين ؛ ولوجه ثالث ؛ وهو أن  
ما آلت إليه حال المعتمد هذا من الخول بعد النباهة ، والضَّعة بعد الرفعة ،  
والقبض بعد البسط ، من جملة العبر التي أرَّتناها الأيام ، والمواعظ التي تصغر  
الدنيا في عيون أولى الأفهام (١) .

(١) أقاض المراكشي في الفصل السابق ما وسعته الإفاضة في الحديث عن ابن عباد منذ كان  
إلى أن طواه ريب الزمان ؛ وفاء بحق الشاعر الملك الذي لم يدفع عنه عز الملك نحس أهل الأدب ،  
فكانت آخرته ما كانت لأنه شاعر لا لأنه ملك !

وأورد المؤلف فيما أورد من أخبار الشاعر الذي ليس النجاج فلم يرتفع به على الشعراء بقدر  
ما ارتفع بشعره على الملوك - أخبار شعراء دولته وسمار تدوته ؛ فذكر ابن وهبون ، وابن  
زيدون ، وابن عمار ، وابن اللبابة ، والحصرى ؛ ولكنه أغفل شاعراً من شعراء دولته يصفه =

ثم إن يوسف بن تاشفين استوسق له أمر الأندلس بعد القبض على المعتمد؛ إذ كان هو كبش كنيبتها، وعين أعيانها، وواسطة نظمها؛ فلم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك بملكه مملكة، إلى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها؛ فأظهروا في أول إمرتهم من الشكاية في العدو، والدفاع عن المسلمين، وحماية الثغور، ما صدق بهم الظنون، وأثلج الصدور، وأقر العيون؛ فزاد حب أهل الأندلس لهم، واشتد خوف ملوك الروم منهم؛ ويوسف بن تاشفين في ذلك كله يمدتهم في كل ساعة بالجيوش بعد الجيوش، والخيل إثر الخيل، ويقول في كل مجلس من مجالسه: «إنما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم، لما رأينا استيلاءهم على أكثرها، وغفلة ملوكهم وإهمالهم للغزو

== ابن خاقان بأنه «شاعره المتصل به، المتوصل إلى النبي» وهو أبو بكر بن عبد الصمد؛ وقد ظل أبو بكر هذا وفيا للمعتمد إلى آخر لحظة من حياته، حفيبا بذكراه بعد مماته؛ فلما كان أول عيد بعد وفاة المعتمد، وقد أبو بكر بن عبد الصمد إلى أعماق يبحج إلى قبره، كعهده به منذ كان في قصره، وفي أسره. قال ابن خاقان: نطاف بقبره والتزمه، وخر على ترابه ولثمه؛ ثم أنشد:

ملك الملوكة أسامعُ فأنادى أم قد عدتْكَ عن السماع عوادى  
لما سخلتْ منك القصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد ...  
... أقبلتُ في هذا التّزى لك خاضعاً وتخيذتُ قبرك موضعَ الإنشارِ !

قال صاحب الفلاذ:

«وهي قصيدة أطال إنشادها، وبنى بها الواعج وشادها، فانحصر الناس إليه وأحفلوا، وبكوا لبكائه وأعولوا، وأقاموا أكثر نهارهم مطيقين به طواف الحجيج، مديمين البكاء والعجيج، ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم، وأقرحوا ما قيهم بفيض شجونهم؛ وهذه نهاية كل عيش، وغاية كل ملك وجيش ...»

قلت: وقد حفلت كتب الأدب والتاريخ بأخبار المعتمد ودولته وشعره ومأساته، نابضة بنض القلب الواجف، متتابعة تتابع الدمع الواكف؛ فإني يصف الواصف ويروي الراوي - مأساة ملك، ولكنها مأساة أمة!

وتواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم الراحة ؛ وإنما همة أحدهم كأس يشربها ،  
 وقينة تسمعه ، وهو يقطع به أيامه ؛ ولئن عشت لأعيدن جميع البلاد التي  
 ملكها الروم في طول هذه الفتنة إلى المسلمين ، ولا ملأنا عليهم - يعني الروم -  
 خيلاً ورجالاً لا عهد لهم بالدعة ، ولا علم عندهم برخاء العيش ؛ إنما كتم أحدهم  
 فرس يروضه ويستفريه ، أو سلاح يستجيده ، أو صريح يلبّي دعوته ...  
 في أمثال لهذا القول ؛ فبلغ ذلك ملوك النصارى ، فيزداد فرقتهم ، ويقوى -  
 مما بأيدي المسلمين ، بل مما بأيديهم - بأنهم .

وحين ملك يوسف أمير المسلمين جزيرة الأندلس وأطاعته بأسرها ولم يختلف  
 عليه شيء منها ، عدّ من يومئذ في جملة الملوك ، واستحق اسم السلطنة ، وتسمّى  
 هو وأصحابه بالمرابطين ؛ وصار هو وابنه معدودين في أكبر الملوك ؛ لأن جزيرة  
 الأندلس هي حاضرة المغرب الأقصى ، وأم قراه ، ومعدن الفضائل منه ؛  
 فعامة الفضلاء من أهل كل شأن منسوبون إليها ، ومعدودون منها ؛ فهي مطلع  
 شمس العلوم وأقمارها ، ومركز الفضائل وقطب مدارها ؛ أعدل الأقاليم هواء ،  
 وأصفها جواً ، وأعذبها ماء ، وأعطرها نباتاً ، وأنداها ظلالاً ، وأطيبها بكرّاً  
 مستعذبة وآصالاً .

أرض يطير فؤادي من قرارته • شوقاً لها ولئن فيها من الناس  
 قومٌ جنيت جنيتي وردي بذكرهم • فهل بلقياسهم أجنبي جنيتي آس ؟  
 فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم نحو له ، حتى أشبهت  
 حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم .

## [ أعيان الكتاب في دولة المرابطين ]

واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار ؛ فمن كتب لأمير المسلمين يوسف : كاتبُ المعتمد على الله أبو بكر المعروف بابن القصيرة ، أحد رجال الفصاحة ، والحائز قصب السبق في البلاغة ؛ كان على طريقة قدماء الكتاب ، من إثارة جزل الألفاظ وصحيح المعاني من غير التفات إلى الأجماع التي أحدثها متأخرو الكتاب ، اللهم إلا ما جاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء ؛ رأيت له عن المعتمد رسائل تدل على ما وصفته به ، ليس على خاطري منها شيء (١) .

## [ وزارة ابن عبدون ]

ثم كتب له ، أو لابنه ، بعد أبي بكر هذا - الوزيرُ الأجل أبو محمد عبد المجيد ابن عبدون . قد تقدم من نعته ما أغنانا عن تكراره ههنا (٢) ؛ وكان يكتب قبل من كتب له منهما ، للأمير سير بن أبي بكر بن تاشفين ، وهو الذي دخل على المعتمد على الله أشيلية (٣) ؛ فلم يزل يكتب له إلى أن اتصل بأمير المسلمين ، باستدعاء منه له .

\* \* \*

فمن رسائله عنه إلى أمير المسلمين ، رسالة يخبر فيها بفتح مدينة شنتيرين (٤)

(١) ذكره الفتح بن خاقان في الفلاذ ، وأورد طائفة من رسائله .

(٢) انظر ص ٧٥ وما بعدها

(٣) انظر ص ١٤١

(٤) مدينة بالأندلس في الشمال الغربي من أشبونة ، على الشاطئ الأيمن من نهر تاجه .

أعادها الله ؛ وكان سيرُ هذا هو الذي تولى فتحها ؛ فكتب عنه أبو محمد كتاباً (١) « أدام الله أحر أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين ، خافقاً بنصرة الدين أعلامه ، نافذة في السبعة الأقاليم أعلامه ، من داخل مدينة شنترين ، وقد فتحها الله تعالى بحسن سيرتك ، وضمن تقيديك على المسلمين .

« والحمد لله رب العالمين ، حمداً يستغرق الألفاظ الشارحة معناه ، ويسبق الألاحظ الطامحة أدناه ، لا يردُّ وجهه نُكوص ، ولا يحدُّ كنهه تخصيص ، ولا يحجزه بقبض ولا يبسطٍ مثالٌ ولا تخمين ، ولا تحصره بخصِّ ولا بعقدٍ شمالٌ ولا يمين ، ولا يسعه أمدٌ يحويه ، ولا يقطعه أبدٌ يستوفيه ، ولا يجمعه عددٌ يحصيه ، إذا سبقت هوأديه ، لحقت توأليه .

« وعلى محمد عبده وأمين وحيه ، الصادع بأمره ونهيه : نظام الأمة ، وإمام الأئمة ، سر آدم من بنيه ، ونفر العالم ومن فيه - صلاةٌ تامة نقضها ، وتحية عامة تؤديها ، ترفض أرفضاض الزهر من كمامه ، وتنفض انفضاض المسك من ختامه ؛ فلقد صدع بتوحيده ، وجمع على وعده ووعيده ، وأوضح الحقَّ وجلاله ، ونصح الخلقَ وهداه ، إلا من حقت عليه كلبة العذاب ، وسبقت له الشقوة في أم الكتاب .

« وأظهر العزيز عزت أسماؤه ، وجلت كبرياؤه - دينه على جميع الأديان ، على رنم من الصلبان ، ووقم من الأوثان ؛ وأنجز لنا تعالى وعده ،

(١) تقتصر فيما يلي من الرسائل على تحقيق عباراتها وضبط كلها ، دون شرح أو تفسير ، إذ كان في معاجم اللغة ما يعني عن ذلك .

ونصرنا معه صلى الله عليه وسلم وبعده ، وجمع في هذه الجزيرة شمل الإسلام  
 بعد انصرامه وانبياته ، وقطع غيل الإشراف بعد انتصابه وثباته ، وأنزل الذين  
 كفروا من أهل الكتاب بأيدينا من صياصيهم ، نأخذ بأقدامهم ونواصيهم .  
 «وكانت قلعة شنترين - أدام الله أمر أمير المسلمين - من أحسن المعامل  
 للبشر كين ، وأثبت المعامل على المسلمين ؛ فلم نزل بسعيك الذي اقتفيناه ،  
 وهديك الذي اكتفيناه ، نخضد شوكتها ، وننحت أثلتها ، ونتناولها عللاً  
 بعد نهل ، ونطاولها بحملاً في مهل ؛ نخرف الحين بعد الحين سرراً  
 رجالها ، ونسرف المرة بعد المرة ممة أبطالها ، ونخوض غمار كفاهم ،  
 وبحار صفاهم ، إلى بسط أشباحهم ، وقبض أرواحهم ، ومهدى للقتل  
 وصدورهم وسهم ، وإلى لظى وسعيرها نفوسهم ، وننقلهم من الشفق  
 اليمانية ، إلى النار الحامية ، ونرفع بالجيد والتشمير حجاب كيدهم الغامض ،  
 ونضعع باستخارة القديم القدير هضاب أيديهم الهاض . ولما رأينا هذه  
 القلعة الشريفة المناسب في القلاع ، المنيفة المناصب على البقاع ، قد استشرى  
 داؤها ، وأعيا دواؤها ، استخرنا الله تعالى على صمدها ، وضرعنا إليه في تسهيل  
 قصدها ؛ وسألناه ألا يكلنا إلى نفوسنا ، وإن كانت في صيانة دياناته مبذولة ،  
 وعلى المكروه والمحجوب في ذاته محمولة ؛ فقصدنا إليها ، وهجمنا هجوم الردى  
 عليها ، في وقت انسدت فيه أبواب السبيل ، وأعييت أهلها بحول الله وجوه  
 الحيل ، والدهر قد كثر عن أنيابه العُصل ، وقام من الوحول والسيول  
 على أثبت رجل ؛ فقلنا بساحة القوم ، فساء صباهم ذلك اليوم ؛ فلم نزل



نصاؤهم مهالوة المحتسب المؤتجر ، ونظاؤهم مطاولة المارتقيب لأمر الله المنتظر ؛ ونشق الغارات ، على جميع الجهات ؛ فترد جيوشنا عليهم خفافا وتصدر إلينا ثقالا ، فتملاً صدور الأعداء أوجالا ، وأيدى الأولياء أموالا ؛ وأمرنا بإقامة سوق سديهم وأموالهم ، على مرأى ومسمع من نساتهم ورجالهم ؛ فازدادت ریحهم بذلك ركوداً ؛ ونارهم خموداً .

« ولما ضمتهم لضيق ولاجه الحصار ، وغشيم بتفريق أمواجه البوار ، وأحاط بهم البلاء ، واستشاط عليهم بغضب الجبار القضاء ، ولم يكن لليل بأسائهم تحرُّ متأملاً ، ولا لورود ضرائهم صدرُّ يؤمل ، اختاروا الدنية على المنية ، ورضوا بالاستسلام للعبودية ، وإسلام الأهل والذرية ، والسلامة من مدارج الكفن ، ومواج الجن ، ولو بجريعة الذقن ؛ وكان القتل كما قدمنا قد أتى على صيد أعيانهم ، وصناديد فرسانهم ، فلم تسبق لإشردمة قليلة ، وعصبة ذليلة ، لا تضر حياتهم موحدًا ، ولا أسر نجاتهم ملحدًا ؛ نقلناهم من يمين المنون ، إلى شمال الهون ؛ ومن أليم الحصار ، إلى لئيم الإسار ؛ وكانوا سألونا الإبقاء عليهم فأجبتهم ، بعد أن قدموا من الخضوع صدقة بين يدي نجواهم ، ووهبنا أولادهم لأخراهم ، وجعلنا العقو عنهم تطريقاً لسواهم ، من يتقىل صنيعهم إذا نحن غداً ياذن الله حاصرناهم .

« وهذه القلعة التي انتهينا إلى قرارها ، واستولينا على أقطارها ، أرحب المدن أمداً للعيون ، وأخصبها بلداً في السنين ، لا يريئها الخصب ولا يتخطاها ، ولا يرومها الجذب ولا يتعاطاها ؛ فروعها فوق الثريا شاححة ، وعروقها تحت الثرى راسحة ، تباهى بأزهارها نجوم السماء ، وتناجى بأسرارها

أُذُنَ الْجُوزَا؛ مواقع القِطَارِ في سواها مُعْبِرَةٌ مُرَبَّدَةٌ، وهي زاهرة تُرَفِّقُ  
أندأؤها؛ ومطالع الأنوار في حشأها مقشِعةٌ مُسَوِّدَةٌ، وهي ناضرة تَشِفُّ  
أضواؤها؛ وكانت في الزمن الغابر، أَعْيَتْ على عظيم القِيَاصرِ، فنازلها  
بأكثر من القَطْرِ عددا، وحاوَلَهَا بأوفر من البحر مَدَدًا؛ فأبَتْ على طاعته  
كل الإبا، واستعصت على استطاعته أشدَّ الاستِعْصَا، ومَرَدَتْ مُرُودَ  
مارِدٍ على الزَبَّاءِ. فأمكننا اللهُ تعالى من ذِروَتِها، وأنزل رُكَّابَها لنا  
عن صَهْوَتِها.

\* \* \*

ومن رسائله الإخوانيات رسالة كتب بها إلى أبي عبد الله محمد بن  
أبي الخصال يخطب مودته، ويستدعي من إخوانه جدته:

«أنا مع عمادى الأعظم - أدام الله علوه - كعزيب طواه الجهد، وآواه من  
تهامة وهند، وماله بريحها العقيم ولا بحرَّها المُقْعِدِ المقيم عهد؛  
فرفضت به من سرايها المغريق وسرايها المبحرق في حمام (١)، فأشرف  
من ذلك الجحيم وضرَّمه، لولا تنفيس الرحيم عنه بكرمه؛ فوأل إلى  
ربوة من رُباها، وسأل جبالَ فاران عن مهَبِّ صباها؛ ليلتقط من أنفاسها  
بوساطة نجد، برِّدًا يُهديه إلى حرِّ الوجد؛ فخيَّته بيليل، من نسيمها العليل،  
فأحيته بعد التعليل.

«وأنا ما قصدتُ فيما خطبت به إليك لأُخَذَ عليك بفضل الابتداء، وإنما

(١) فرفضت به من سرايها ... الخ: كذا بالأصل؛ ويرى دوزي أن صوابها «فرفضت ...»  
كما في ربحان الألباب.

سلكتُ سبيلَ الاقتدا ، واتبعت دليلَ الاهتدا ؛ وأردت أن أستشير  
بأضوائك ، وأستشير من سمائك ، نجومًا تهديني في غسقِ الظلام ، أو رُجومًا  
تُهديني على مُستَبْرِقِ سَمْعِ الكلام ؛ فإن سمح عمادي بالجواب ورَجِّعِهِ ،  
غالبتُ - بما حصل منه لدى ووصل إلى - الحمامَ في سِجِّعِهِ ، والأَنْصارَ  
في حَسَّانِها ، والإعصار في نَيْسانِها ، وطَيْئًا في وِلِيدِها وحَبِيبِها ، وسعدًا  
في خالِدِها وشَبِيبِها ؛ وَخَرَقْتُ - بما أعار من مِراحٍ وأثار من ارتياح -  
جَيْبَ مُخَارِقِ طَرَبِها ، ولم أدع لأبي العتاهية في المغرب وخفيفه المطرب  
أرَبًا ، وطويت كشحًا عن أغاريد عبيد ، وأضربت صفحا عن أناشيد كليلد ،  
وطالبت مُبلِغاءِ العصر ، بالمثل المضروب في جملِ مصر ، وقلت هذه القارّةُ  
فراؤموها وأنصِفوا ، وهذه الغاية فرؤوموها أو نصّفوا ، وإن كانت مُؤَمِّمَةٌ  
البواهرُ ما أُتِحِلَتْ في دَرَجِي . ونجومه الزواهرُ ما حَلَّتْ في بُرْجِي ؛ وإن  
كُنِّي من جَنِّي ثماره لِيصْفُر ، وإن طَرَفِي من سَنّا أقرارها لِقَفْر ، وإني  
بضَنِّهِ على بَدْرَةٍ من بجره ، أو نَفْثَةٍ من سِجره ، كَبِينِ ظَنِّينِ ، لم أحصل  
من تحقيقهما على أثرٍ ولا عين : أحدهما قلت إنه أُجْرِي اسمي على خالِدِهِ ،  
فلم يحدني في أُنْدادِهِ ولا بَلَدِهِ ، فقال : وما أنا وفلان ، وهل هو إلا من الغرب ،  
وإن كان بزعمه في الصميم من العُرب ، وهل الغربُ في الأقطار ، إلا كاللحِّق  
بين الأسطار ؛ والآخر ربما يقول ، مالا تقبله العقول : إني لأنظر من فلانٍ  
بأحدٍ من نظر الزرقا ، إلى أجلٍّ من خطرِ العَسَنَقا ؛ ويلشد قول أبي العلاء  
ابن سليمان ، شاعر معرة النعمان :

✽ أرى العنقاء تكبر أن تصادا ✽

«وأنا أقسم بالربيع الممطر وائتلاف أوانه ، والبقيع المزهرة واختلاف ألوانه ،  
والشباب ودولته ، والمضراب وحصولته ، والمثاني إذا نسقت ، والقناني وما  
وسقت ، وإن أقسمت من بعضها يمين ، لأتلقى رايها بشمال ولا يمين - أن  
اسمى في البلغاء والفههما ، كاسم العنقاء في الأسماء : اسم ما وقع على مسمى ،  
ولفظ ما دل على معنى : فأين أقع مما تريد ، وكتابي بين يدي حمدي أو عتابي  
بريد ، ينفض تهائم ظنوني ، أو ينفض تمام جنوني : وله الرأي العالي في  
الجواب ، على خطي كنت من ظني أو صواب ، إن شاء الله عز وجل .  
«ومن سلامي ، على عمادي الأعظم وإمامي ، أحفظه وأحفظه ، وأجزله  
وأوفده : والسلام الأتم الأعم عليه ورحمة الله وبركاته .»

\*\*\*

فراجعه الوزير أبو عبد الله برسالة لم يكتب مثلها في بابها ، أبدع فيها  
غاية الإبداع ، وإن كان فيها بعض تكلف ، تسمى هذه الرسالة «الحولية»  
منعنى من إيرادها في هذا المرسوم ما فيها من الطول .  
ولأبي محمد عبد المجيد المذكور إحسان قد اشتهر عندنا بتلك الأقطار شهرة  
الأمثال ، وسار ذكره فيها سير الجنوب والشمال .  
واتصلت حال أمير المسلمين يوسف - كما ذكرنا - في إيثار الغزو ، ووقع  
ملوك الروم ، والحرص على ما يعود بالمصلحة على جزيرة الأندلس ، إلى أن توفي  
في شهر سنة ٤٩٣ (١) .

(١) كذا في الأصل ؛ وسائر المؤرخين على أن وفاته كانت سنة ٥٠٠ .

[ ولاية أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ]

وقام بأمره من بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين ، وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين ، وسمى أصحابه « المرابطين » ، فخرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد ، وإخافة العدو ، وحماية البلاد ؛ وكان حسن السيرة ، جيد الطوية ، نزيه النفس ، بعيداً عن الظلم ؛ كان إلى أن يُعَدَّ في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يُعَدَّ في الملوك والمتغلبين ؛ واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ؛ فكان إذا ولى أحداً من قضاة كان فيما يُعْهَدُ إليه ألا يقطع أمراً ولا يبتَّ حكومةً في صغيرٍ من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء ؛ فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس .

ولم يزل الفقهاء على ذلك ، وأمور المسلمين راجعة إليهم ، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم ، طول مدته ؛ فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا ، وانصرفت وجوه الناس إليهم ، فكثرت لذلك أموالهم ، واتسعت مكاسبهم ؛ وفي ذلك يقول أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن البني ، من أهل مدينة سجيان من جزيرة الأندلس (١) :

أهل الرياء لبستموا ناموسكم \* كالذئب أدج في الظلام العاتم  
فلعكتمو الدنيا بمذهب مالك \* وقسمتمو الأموال بابن القاسم (٢)  
وركبتمو شهب الدواب بأشهب \* وبأصبغ (٣) صبغت لكم في العالم

(١) ذكره الفتح بن خاقان في القلائد والطمح .

(٢) من مشاهير علماء المالكية .

ولمّا عرّض أبو جعفر هذا في هذه الآيات بالقاضى أبى عبد الله محمد بن حمدىن قاضى قرطبة ، وهو كان المقصود بهذه الآيات ؛ ثم هجاه بعد هذا صريحاً بأيات أولها :

أَدَجَّالُ هَذَا أَوَانُ الْخُرُوجِ \* وَيَأْتِمُسُ لَوْحِي مِنَ الْمَغْرِبِ  
يُرِيدُ ابْنُ حَمْدِينَ أَنْ يَعْتَنِي \* وَجَدَّوَاهُ أُنَاىَ مِنَ الْكَوْكَبِ  
إِذَا سُئِلَ الْعُرْفَ حَكَّ أَسْتَهُ \* لِيُثْبِتَ دَعْوَاهُ فِي تَغْلِبِ (١)  
في أمثال لهذه الآيات ، وكان القاضى أبو عبد الله بن حمدىن ينتسب إلى تغلب ابنة وائل .

\* \* \*

ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع ، أعنى فروع مذهب مالك ، فنسفت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها ، وكثر ذلك حتى نسى النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتنى بهما كل الاعتناء ، ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شىء من علوم الكلام ؛ وقزر الفقهاء عند أمير المسلمين تقييح علم الكلام وكرهه السلف له وهجرهم من ظهر عليه شىء منه ، وأنه بدعة في الدين وربما أدّى أكثره إلى اختلال في العقائد ، في أشباه هذه الأقوال ، حتى استحکم في نفسه بغض علم الكلام وأهله ، فكان يكتب عنه في كل

(١) يشير إلى قول الشاعر :

والتغليبي إذا تنحّح للقيرى حكّ أسته وتمثّل الأمثالا !

وقت إلى البلاد بالتشديد في نَبْد الخوض في شيء منه ، وتَوَعَّد من وُجد عنده شيء من كُتبه ؛ ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي - رحمه الله - المغرب ، أمر أمير المسلمين بإحراقها ، وتقدّم بالوعيد الشديد ، من سفك الدم واستئصال المال ، إلى من وجد عنده شيء منها ؛ واشتد الأمر في ذلك .

[ أعيان الكتاب في عهد أبي الحسن ]

ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس ، وحصرف عنايته إلى ذلك ؛ حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك ، كأبي القاسم ابن الجتد المعروف بالأحذب ، أحد رجال البلاغة ، وأبي بكر محمد ابن محمد المعروف بابن القَبْطُرْة ، وأبي عبد الله بن أبي الخصال ، وأخيه أبي مروان ، وأبي محمد عبد المجيد بن عبدون المذكور آنفا ؛ في جماعة يكثر ذكرهم .

\*\*\*

وكان من أنبهم عنده ، وأكبرهم مكانة لديه : أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال ، ومُحَقَّ له ذلك ؛ إذ هو آخر الكُتَّاب ، وأحد من انتهى إليه علم الآداب ، وله مع ذلك في علم القرآن والحديث والأثر وما يتعلق بهذه العلوم الباعُ الأرحب ، واليد الطولى .

فما أختار له رحمه الله ، فصولٌ من رسالة كتب بها مراجعا لبعض إخوانه ، عن رسالة وردت عليه منه يستدعى فيها منه شيئا من كلامه ؛ وهذا الرجل صاحبُ الرسالة هو أبو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة :

« وصل من السيد المسترقِّ ؛ وأمالك المستحِقِّ - وَصَلَّ اللهُ إِنْعَامَهُ لَدَيْهِ ،

كما قَصَرَ الفضل عليه - كتابه البليغ ، واستدرجه المُرِيغ ؛ فلولا أن يَصْلُد  
زَنْدُ اقتداحه ، وَيَرُ قَدْ طرفُ افتتاحه ، وتنقبض يدُ انبساطه ، وتغيب  
صفقةُ اغتباطه - لَلزِمْتُ معه مركزَ قدرى ، وُصِدْتُ سريرةَ صدرى ؛ لكنه  
بنفثات سحره يُسمع الثُّمَّ ، ويستنزلُ العُصم ، ويقتاد الصعبَ فيُصْحَب ،  
ويستدرُّ الصخورَ فتُحْلَب .

ولما جفاني ابتداؤه ، وقرع سمعى نداؤه ، فرغت إلى اليُفكر ، وحقق  
القلبُ بين الأمن والحذر ، فطاردتُ من اليُفقر أوابدَ قُفر ، وشواردَ عفر ،  
تَعَبَّر في وجه سائقها ، ولا يتوجه اللاحق لوجيها ولا حقيها ؛ فعلت أنها  
الإهابة والمهابة ، والإصابة والاسترابه ، حتى أياستنى الخواطر ، وأخلفتنى  
المواطر ؛ إلا زبرجاً يُصقِب جوادا ، وبهرجاً لا يَحتمل انتقادا ؛ وأنى لمثلى  
والقريحة مُرْجاة ، والبضاعة مُرْجاة - ببراعة الخطاب ، وبراعة الكتاب ؛  
ولولا دروس معالم البيان ، واستيلاء العفاء على هذا الشأن ، لما فاز لمثلى فيه  
قَدَح ، ولا تحصَّل لى فى سوقه رِبْح ؛ لكنه جوٌّ خال ، ومضمارٌ جهَّال ؛  
وهى حكمة الله فى الخلق ، وقسمته للرزق ؛ وأنا - أعزك الله - أربأ بقدر  
الذخيرة ، عن هذه النُتْفِ الأخيرة ، وأرى أنها قد بلغت مداها ، واستوفت  
حلاها ؛ وأنا أخشى القَدْح فى اختيارك ، والإخلال بمختارك ؛ وعلى ذلك  
فوالله ما من عادتى أن اثبت ما أكتب فى رسم يُنقل ، ولا فى وضع المراتب  
عندنا مخاطب يُتَحَفَّزُ له ويُحْتَفَلُ ؛ وإنما هو عفوُ فِكر ، ويسيرُ ذِكر .  
« وعذراً - أعزك الله - فإنى خططت ما خططته والنوم مُغازل ، والقرءُ مُنازل ،



والريح تلعب بالسراج ، وتصول عليه صولة الحجاج ، فطورا تسدده  
سنانا ، وتارة تحركه لسانا ؛ وآونة تطويه حبابه ، وأخرى تنشره ذؤابة ؛  
وتقيمه إبرة لهب ، وتعطفه برّة ذهب ، أو محمة عقرب ؛ وتقوسه  
حاجب فتاة ، ذات خمزات ، وتسلطه على سليطه ، وتزيله عن خليطه ؛  
وتخلعه نجما ، وتمده رجما ؛ وتسلّ روحه من ذباله ، وتعيده إلى حاله ؛  
وربما نصبته اذن جواد ، ومسخته حدق سجراد ؛ ومسقتنه حروفا  
برق ، بكف ودق ؛ وثبت بسناه قنديله ، وألقت على أعطافه منديله ؛  
فلا حظ منه للعين ، ولا هداية في الطرس لليدين ؛ والليل زنجي الأديم ،  
تبري النجوم ؛ قد جللنا ساجه ، وأغرقتنا أمواجه ؛ فلا مجال للاحظ ،  
ولا تعارف إلا بلفظ ؛ لو نظرت فيه الزرقاء لا كتحت ، أو خضبت به  
الشبية لما نصلت ؛ والكلب قد صافح خيشومه ذنبه ، وأنكر البيت  
وطئبه ؛ والتوى التواء الحباب ، واستدار استدارة الحباب ؛ وسجلده الجليد ،  
وصعد أنفاسه الصعيد ؛ فخاه مباح ، ولا هريز ولا نباح ؛ والنار كالرحيق ،  
أو كالصديق ؛ كلاهما عنقاء مغرب ، أو نجم مغرب . استوى الفصل ، ولك  
في الإغضاء الفضل ؛ والسلام .

\* \* \*

ولأبي عبد الله هذا ديوان رسائل يدور بأيدي أدباء أهل الأندلس ،  
قد جعلوه مثالا يحتذونه ، ونصبوه إماما يقنفونه ؛ معنى من إيراد ما اختار له  
من ذلك ، خوف الخروج إلى التطويل الممل ، والإكثار المخل .

فلم يزل أبو عبد الله هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين، إلى أن أخرج أمير المسلمين أبا مروان عن الكتابة، لموجدة كانت منه عليه؛ سببها أنه أمره وأخاه أبا عبد الله أن يكتبوا عنه إلى جند بلنسية، حين تخاذلوا وتواكلوا حتى هزمهم ابن رزمير - لعنه الله - هزيمة قبيحة، وقتل منهم مقتلة عظيمة؛ فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك؛ وهي رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها، أحسن فيها ما شاء، من معنى من إيرادها ما فيها من الطول؛ وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض، أخش فيها على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة؛ فن فصولها قوله:

«أى بنى اللئيمة، وأعيار الهزيمة، لإلام يزيفكم الناقد، ويردكم الفارس الواحد؟ فليت لكم بارتباط الخيول ضاناً لها حالب قاعد؛ لقد آن أن نوسعكم عقابا، وألا تكلوثوا على وجه نقابا<sup>(١)</sup>؛ وأن نعيدكم إلى صحرائكم، ونظهر الجزيرة من رحضائكم...»

في أمثال لهذا القول؛ فأحرق ذلك أمير المسلمين وأخبره عن كتابته، وقال لأبي عبد الله أخيه: كنا في شك من بغض أبي مروان المرابطين، والآن قد صح عندنا؛ فلما رأى ذلك أبو عبد الله استعفاه فأعفاه، ورجع إلى قرطبة بعد ما مات أخوه أبو مروان بمراكش؛ وأقام هو بقرطبة إلى أن استشهد في داره - رحمه الله - أول الفتنة الكائنة على المرابطين.

(١) يعني ألا يضعوا لثاماً على وجوههم؛ والثام شعار لتونة، وبه يسمون «المثمين»، كما يسمون «المرابطين».

## [ اختلال أحوال المرابطين ]

واختلت حالُ أمير المسلمين رحمه الله بعد الخمسة<sup>(١)</sup> اختلالاً شديداً ،  
 فظهرت في بلاده مناكر كثيرة ؛ وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ،  
 ودعواهم الاستبداد ؛ واتفقوا في ذلك إلى التصريح ؛ فصار كلُّ منهم يصرِّح بأنه  
 خير من عليِّ أمير المسلمين ، وأحقُّ بالأمر منه !  
 واستولى النساء على الأحوال ، وأسندت إليهن الأمور ، وصارت كلُّ امرأة  
 من أكابر المتونة ومسووفة مشتملةً على كل مفسدٍ وشريرٍ وقاطع سبيل وصاحب  
 خمرٍ وماخور ؛ وأميرُ المسلمين في ذلك كله يتزَيّد تغافله ، ويقوى ضعفه ؛  
 وقع باسم إمرة المسلمين ، وبما يرفع إليه من الخراج ؛ وعكف على العبادة  
 والتبشُّل ؛ فكان يقوم الليل ويصوم النهار ، مشتهراً عنه ذلك ؛ وأهمل أمور  
 الرعية غاية الإهمال ؛ فاختلف لذلك عليه كثيرٌ من بلاد الأندلس ، وكادت  
 تعود إلى حالها الأول ، لا سيما منذ قامت دعوة ابن تومرت بالشُّوس .

(١) ذكرنا من قبل ( انظر التعليق رقم ١ ص ١٧٠ ) أن وفاة يوسف بن تاشفين وولاية ابنه  
 أبي الحسن ، كانت سنة ٥٠٠ خلافاً لما يذكره المراكشي ؛ وعلى هذا فلا بد من تصحيح هذا  
 التاريخ كذلك .

## ذكر قيام محمد بن تومرت المتسمى بالمهدى

[وبدء أمر الموحدين بالمغرب والأندلس]

ولما كانت سنة ٥١٥ هـ<sup>(١)</sup> قام بسوس محمد بن عبد الله بن تومرت في صورة أمرٍ بالمعروف ناهٍ عن المنكر .

ومحمد هذا رجلٌ من أهلِ سُوس<sup>(٢)</sup> ، مولده بها بضیعة منها تُعرف بإيجلي أن وارغن ، وهو من قبيلة تسمى هُرَّعة ، من قوم يعرفون بإيسرغيان ، وهم الشرفاء بلسان المصامدة ؛ ولمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وُجِدَتْ بِخَطِّه<sup>(٣)</sup> ؛ وكان قد رحل إلى المشرق في شهور سنة ٥٠١ هـ<sup>(٤)</sup> في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، ولقى أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئاً من أصول الفقه وأصول الدين<sup>(٥)</sup> ، وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار ونظرائه من المحدِّثين ، وقيل إنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزدهده ؛ فآله أعلم<sup>(٦)</sup> .

وُحكي أنه ذكر للغزالي ما فعل أميرُ المسلمين بكتبه التي وصلت إلى

(١) ذكر ابن خلكان أن أول ظهوره وقيامه بالدعوة سنة ٥١٤ .

(٢) جبل السوس : في أقصى المغرب .

(٣) هو - كما نقله ابن خلكان - محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام ابن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ...

(٤) كان عمره في ذلك التاريخ ست عشرة سنة .

(٥) أصول الدين : علم الكلام .

(٦) روى ابن خلكان أنه لقي الغزالي ، والكيما الهراسي ، والطرطوشي ، وغيرهم .

المغرب ، من إحراقها وإفسادها (١) ، وابنُ تومرتَ حاضرٌ ذلك المجلس ؛ فقال الغزالي حين بلغه ذلك : « ليذهبن عن قليل مُلكه ، وليقتلن ولده ، وما أحسب المتولى لذلك إلا حاضرًا مجلسنا ، وكان ابنُ تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم ؛ فقوى طمعه .

وكرر راجعاً إلى الإسكندرية ، فأقام بها يختلف إلى مجلس أبي بكر الشطرطوشي الفقيه ؛ وجرت له بها وقائعٌ في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أفضت إلى أن نفاه متولى الإسكندرية عن البلاد (٢) ؛ فركب البحر ؛ فبلغني أنه استمر على عادته في السفينة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى أن ألقاه أهلُ السفينة في البحر ؛ فأقام أكثر من نصف يوم يجرى في ماء السفينة لم يُصبه شيء ؛ فلما رأوا ذلك من أمره أنزلوا إليه من أخذه من البحر ، وعَظُم في صدورهم ؛ ولم يزالوا مُكْرَمين له إلى أن نزل من بلاد المغرب بِحَيَاة (٣) ، فأظهر بها تدريس العلم والوعظ ؛ واجتمع عليه الناس ،

(١) انظر ص ١٧٣ من هذا الكتاب .

(٢) كان مروره بالإسكندرية في عهد الأمر بن المستعلي من خلفاء العبيديين . وقد حكى ابن خلكان أنه قبل مقدمه إلى الإسكندرية ، كان قد ناله بمكة شيء من المكروه ، لشدة في الإنكار على الناس لما يخالف الشرع ؛ فكان ذلك سبب خروجه من مكة إلى مصر ، ثم كان إبعاده عن الإسكندرية ...

(٣) رواية ابن خلكان أنه نزل أولاً « المهديّة » . وكان وصوله إليها أيام ولاية الأمير يحيى بن تميم بن العزيز باديس الحميري الصنهاجي صاحب أفريقية لذلك العهد ، فنزل من المهديّة في مسجد من مساجدها ، فاجتمع إليه جماعة من أهل المدينة ، وأقرأهم كتاباً في علم أصول الدين ، وشرع في تغيير المنكر ؛ فرفع أمره إلى الأمير يحيى بن تميم ، فأحضره وجماعة من الفقهاء ، فرأى ما هو عليه من الخشوع والتقشف والعلم ، فسأله الدعاء ، فقال له ابن تومرت : « أصلحك الله لرعيتهك ونفع بها ذريتهك ا » .

ومالت إليه القلوب ؛ فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عاديته ؛  
 فخرج منها متوجهاً إلى المغرب ؛ فنزل بضیعةٍ يقال لها ملالة ، على فرسخ من  
 بجاية ؛ وبها لقيه عبد المؤمن بن علي ، وهو إذ ذاك متوجهٌ إلى المشرق في طلب  
 العلم ؛ فلما رآه محمد بن تومرت ، عرفه بالعلامات التي كانت عنده ؛ وكان ابن  
 تومرت هذا أَوْحَدَ عصره في عِلْمِ خَطِّ الرَّمْلِ ، مع أنه وقع بالمشرق على  
 ملاحِمَ من عمل المنجِّمين ومُجفوريٍّ من بعض خزائن خلفاء بني العباس ؛  
 أوصله إلى ذلك كلِّه فرُطَ اعتنائه بهذا الشأن وما كان يحدث به نفسه (١) .

== وأقام بعد ذلك بالمهدية أياماً ، ثم ارتحل عنها إلى المستير ، (على وزن عصيفير) فأقام بها مدة ،  
 ثم انتقل إلى بجاية ...

وروى ابن خلكان في موضع آخر : أنه لما وصل المهديّة ، نزل في مسجد مغلق ، وجلس منه  
 في طاق مشرف على الطريق العام ، ينظر إلى المسارة ، فلا يرى منكراً من آله الملاهي أو أواني  
 الخمر إلا نزل لإليها وكسرها ، فتسامع الناس به في البلد ، فجاءوا إليه ...  
 وأقام في بجاية مدة وهو على حاله في الإنكار ، فأخرج منها ...

(١) روى ابن خلكان أن محمد بن تومرت كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم  
 أهل البيت ، وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى ، يمكن يسمى السوس ، وهو من ذرية  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعو إلى الله ، ويكون مقامه ومدفنه بموضع من الغرب ، هجاء اسمه  
 تى ن م ل ل ، ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكينه ، يكون على يدرجل من أصحابه  
 هجاء اسمه ع ب د م و م ن ، ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة ؛ فأوقع الله - سبحانه وتعالى -  
 في نفسه أنه القائم بأول الأمر ، وأن أوانه قد أذف ؛ فسا كان ابن تومرت يمر بموضع إلا ويسأل  
 عنه ، ولا يرى أحداً إلا أخذ اسمه وتفقد حليته - وكانت حلية عبد المؤمن معه - فبينما هو في الطريق  
 رأى شاباً قد بلغ أشده ، على الصفة التي معه ، فقال له وقد تجاوزه : ما اسمك يا شاب ؟ فقال :  
 عبد المؤمن ؛ فرجع إليه وقال له : الله أكبر ! أنت بنيتي . ونظر في حليته فوافقت ما عنده ...  
 والجفر في اللغة : جلد يتخذ من المسعر ، وكانوا يكتبون عليه ؛ فزعم الروافض أن الإمام جعفرأ  
 الصادق قد كتب لهم في جفر من جلد المسعر كل ما يحتاجون إليه وكل ما هو كائن أو سيكون إلى  
 يوم القيامة ...

وحديث الجفور طويل في بعض كتب الشيعة ومن يعارضهم من أهل الجماعة .

وبلغنى من طرق صحاح أنه لما نزل ملالة - الضيعة التي تقدم ذكرها -  
 سمع وهو يقول : ملالة ! ملالة ! يكررها على لسانه يتأمل أحرفها ، وذلك لما  
 كان يراه أن أمره يقوم من موضع في اسمه ميم ولا مان (١) : فكان - كما ذكرنا -  
 إذا كررها يقول : ليست هي !

وأقام بهذه الضيعة شهرا ، وبها مسجد يعرف به ، وهو باق إلى اليوم ،  
 لأدرى أئبى على عهده أو بعده .

... فاستدعى عبد المؤمن وخلا به ، وسأله عن اسمه واسم أبيه ونسبه ،  
 فتسمى له وانتسب (٢) ؛ وسأله عن مقصده فأخبره أنه راحل في طلب العلم  
 إلى المشرق ؛ فقال له ابن تومرت : أو خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال :  
 شرف الدنيا والآخرة ؛ تصحبنى وتعيننى على ما أنا بصدده ، من إمامة المنكر  
 وإحياء العلم وإخماد البدع . فأجابه عبد المؤمن إلى ما أراده .

وأقام ابن تومرت بملالة شهرا ، ثم رحل عنها ، وصحبه من أهلها رجل  
 اسمه عبد الواحد ، يعرفه المصامدة بعبد الواحد الشرقى (٣) ، وهو أول من  
 صحبه بعد عبد المؤمن ؛ وخرج متوجهاً إلى المغرب .

(١) هو تينبل (بلام مشددة) كما سيأتي ؛ وانظر التعليق السابق ص ١٨٠  
 (٢) رواية ابن الأثير أن ابن تومرت سأله عن اسمه وقبيلته ، فأخبره أنه من قبيل عيلان ،  
 ثم من بني سليم ؛ فقال ابن تومرت : هذا الذى بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « إن الله  
 ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قبيل . فقيل : من أى قبيل ؟ فقال : من بني سليم » .  
 (٣) نظنه يعنى أبا عبدالله الونشريسى ، كما ذكر ابن الأثير ، وأبى عبدالله التومرتى كما يسميه  
 ابن كثير ؛ ويذكره ابن خلكان باسم عبدالله الونشريسى بلا كنية ؛ وأولئك جميعا فيما نرى -  
 شخص واحد ، اسمه عبد الواحد ، وكنيته أبو عبدالله ، وينسب إلى « ونشريس » : بليدة بأفريقية  
 من أعمال بجاية بين باجة وتسطناينة المغرب ، إلى الشرق من جبل المصامدة ، فهو الشرقى ،  
 والونشريسى ، والتومرتى ، من أجل ذلك جميعا .

وقيل إنه <sup>(١)</sup> إنما لقي عبدالمؤمن بموضع يعرف بفنزارة من بلاد مَثَبِجَة ،  
وعبدُ المؤمن يَعْلَمُ صبيان القرية المذكورة ؛ فسأله ابنُ تومرتُ مُحَبَّتَهُ  
والقراءةَ عليه وإعانتَهُ ، بعد أن عرفه بالعلامات كما قد تقدم

وبهذه القرية له حكايةٌ طريفة ؛ وذلك أنه <sup>(٢)</sup> رأى وهو بها في المنام كأنه  
يأكل مع أمير المسلمين على بن يوسف في صحفة واحدة ؛ قال : ثم زاد أكله  
على أكله وأحسست من نفسي شراً إلى الطعام ، ولم يزل ذلك بي إلى أن  
اختلطت الصحيفة من بين يديه وانفردت بها ؛ فلما انتبه قصَّ الرؤيا على  
رجل كان يقرأ عليه ، اسمه عبد المنعم بن عَشِير ، يكنى أبا محمد ، كان يقرأ  
عليه ؛ فلما أتى على آخرها ، قال <sup>(٣)</sup> : يا بني ، يا عبد المؤمن ، هذه الرؤيا  
لا ينبغي أن تكون لك ؛ إنما هي لرجل ثائر ، يثور على أمير المسلمين فيشاركه  
في بعض بلاده ثم يغلبه بعد ذلك عليها كلها وينفرد بمملكها ؛

واتفق له فيها أيضاً من العجائب التي تَثْبُتُ في باب الكَلِمِ المواقفة  
للقدَر ، أن رجلا من وجوه أصحاب الملك العزيز بن المنصور الصنهاجي  
صاحب بجة والقلعة ، ووجد عليه الملكُ العزيز ، فاشتد خوفه ، فهرب منه إلى  
هذه الضيعة التي كان فيها عبد المؤمن ، فكان معه بها يعلم الصبيان ؛ وانتهت  
حال ذلك الرجل إلى غاية الإقلال ؛ ثم اتفق أن صاحبه رضى عنه ، فبلغه ذلك ،  
فسار إلى بجة ، فدخل عليه ، فسأله : أين كنت في هذه الأيام ؟ فأخبره بقصته

(١) يعني ابن تومرت .

(٢) يعني عبدالمؤمن .

(٣) يعني ابن عَشِير .



وكيف كان الصبيان يخيّونه بالكسّر ! فضحك وقال : الضيعة لك وما والاها ! وأمر له بمال ومركب وثياب ، فخرج الرجل إلى الضيعة في خيل ورجال معه ، وخرج إليه أهلها يتلقّونه ؛ فأتى الصبيانُ عبدَ المؤمن وهو قاعد بفناء المسجد ، فقالوا له : أتعرف من هذا الذي اهتزّت له هذه الأرض ؟ قال : لا ! قالوا : هو فلان صاحبك الذي كان يعملنا معك ! فقال : إن كانت حالة فلان انتهت إلى هذا ، فلا بدّ أن أكون أنا غداً أمير المؤمنين ! فكان الأمر كما قال ، ووافقت كلمته القدر .

وخرج ابن تومرت كما ذكرنا متوجّهاً إلى المغرب ، حتى أتى مدينة تيلسان ، فأقام بمسجدٍ بظاهرها يعرف بالعبّاد ، جارياً على عادته ؛ وكان قد وضع له في النفوس هبة وفي الصدور عظمة ، فلا يراه أحدٌ إلا هابه ، وعظّم أمره ؛ وكان شديد الصمت كثير الانقباض ؛ إذا انفصل عن مجلس العلم لا يكاد يتكلم بكلمة . . .

أخبرني بعض أشياخ تيلسان عن رجل من الصالحين كان معتكفاً معه بمسجد العبّاد ، أنه خرج عليهم ذات ليلة بعد ما صلى العتمة ، فنظر إليهم وقال : أين فلان ؟ لرجل كان يصحبهم ؛ فأخبروه أنه مسجون ، فقام من وقته ودعا برجل منهم يمشى بين يديه ، حتى أتى باب المدينة ، فدق على البوّاب دقا عنيفاً ، واستفتح ؛ فأجابه البوّاب إلى الفتح بسرعة من غير تلكؤ ولا إبطاء ، ولو استفتح أمير البلد لتعذر ذلك عليه ؛ ودخل حتى أتى السجن ، فابتدر إليه السجّانون والحرس يتمسحون به ، ونادى : يا فلان ! باسم صاحبهم ؛ فأجابهم :

فقال : اخرج ! فخرج والسجانون ينظرون إليه كأنما افرغ عليهم الماء الحار ، وخرج بصاحبه حتى أتى المسجد ؛ وكانت هذه عادته في كل ما يريد ، لا يتعذر عليه مُراد ، ولا يمتنع عليه مطلوب ، قد مُنَحَّرت له الرعية ، وذُكِّلت له الجبارة .

ولم يزل مقبياً بتلسان وكلِّ مَنْ بها يعظمه من أمير ومأمور ، إلى أن فصل عنها بعد أن استمال وجوه أهلها وملك قلوبها ؛ فخرج قاصداً مدينة فاس ؛ فلما وصل إليها أظهر ما كان يظهره ، وتحدث فيما كان يتحدث فيه من العلم ؛ وكان جلُّ ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية ؛ وكان أهل المغرب - على ما ذكرنا (١) - ينافرون هذه العلوم ، ويُعادون من ظهرت عليه ، شديداً أمرهم في ذلك ؛ فجمع والى المدينة الفقهاء وأحضره معهم ، فجرت له مناظرة كان له الشُّفوف فيها والظهور ؛ لأنه وجد جَوْاً خالياً ، وألْفى قوماً صياماً عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع ؛ فلما سمع الفقهاء كلامه أشاروا على والى البلد بإخراجه لئلا يفسد عقول العوام ؛ فأمره والى البلد بالخروج ؛ فخرج متوجهاً إلى مراکش .

[ ابن تومرت في حضرة ابن تاشفين ]

وكتب بخبره إلى أمير المسلمين على بن يوسف ؛ فلما دخلها احضر بين يديه ، وجمع له الفقهاء للمناظرة (٢) ؛ فلم يكن فيهم من يعرف ما يقول ، حاشا

(١) انظر ص ١٧٢ - ١٧٣

(٢) رواية ابن خلكان أن ابن تومرت لما دخل مراکش - وملكها يومئذ أبو الحسن على ابن يوسف بن تاشفين - شرع في الإنكار على جاري عادته ، حتى أنكروا على ابنة الملك ... قال : =

رجلٍ من أهل الأندلس اسمه مالك بن وهيب كان قد شارك في جميع العلوم ، إلا أنه كان لا يظهر إلا ما يَنْفُقُ في ذلك الزمان ؛ وكانت لديه فنون من العلم ، رأيت له كتاباً سماه «قراضة الذهب» ، في ذكر لثام العرب ، ضمنه لثام العرب في الجاهلية والإسلام ، وضمَّ إلى ذلك ما يتعلق به من الآداب ؛ فجاء الكتاب لا نظيرَ له في فنه ؛ رأيتُه في خزانة بني عبد المؤمن .

ولمالك بن وهيبٍ هذا تحقُّقٌ بكثيرٍ من أجزاء الفلسفة ؛ رأيت بخطه كتاب الثمرة لبطليموس في الأحكام ، وكتاب المجسَّطِي في علم الهيئة ، وعليه حواش بتقييده أيام قرامته إياه على رجل من أهل قرطبة اسمه حمد الذهبي .

ولما سمع مالكٌ هذا كلامَ محمد بن تومرت ، استشعرَ حِدَّةَ نفسه وذكاءَ خاطره واتساعَ عبارته ؛ فأشار على أمير المسلمين بقتله ، وقال : هذا رجلٌ مُفسِدٌ لا تؤمَّنُ غائلته ولا يسمع كلامه أحدٌ إلا مال إليه ، وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شرٌّ كثيرٌ (١) ! فتوقف أمير المسلمين في قتله ، وأبى

== وله في ذلك قصة يعاول شرحها ؛ فبلغ خبره الملك ، وأنه يتحدث في تغيير الدولة ؛ فتحدث ابن تاشفين مع مالك بن وهيب في أمره - وكان عالماً صالحاً - فقال ابن وهيب : نخاف من فتح باب يعسر علينا سده ، والرأى أن تحضر هذا الشخص وأصحابه ، لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد ؛ فأجابهُ الملك إلى ذلك ...

ويذكر ابن الأثير قصة ابنة الملك التي نقلنا الإشارة إليها عن ابن خلكان فيما سبق ، فيقول إنها ابنة الملك يوسف بن تاشفين ، أخذت أبي الحسن ؛ وتفصيل أمرها كما رواه ابن الأثير ، أن ابن تومرت كان في طريقه بمراكش يوماً ، إذ رآها في موكبها ومعها من الجوارى الحسان عدة كثيرة ، وهن مسفرات ، وكانت هذه عادة اللثمين : يسفر نساؤهم وجوههن ويلثم الرجال ! حين رأى ابن تومرت النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن ؛ وضرب هو وأصحابه دوابهن ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها ...

(١) روى ابن خلكان طرفاً من الحوار الذي جرى بين ابن تومرت وفقهاء الحضرة ، نرى ==

ذلك عليه دينه<sup>(١)</sup>؛ وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة، يُعَدُّ في قُورام الليل وُصُورام النهار، إلا أنه كان ضعيفاً مستضعفاً، ظهرت في آخر زمانه مناكر كثيرة وفواحش شنيعة، من استيلاء النساء على الأحوال واستبدادهن بالأمور؛ وكان كل شرير من لص أو قاطع طريق ينتسب إلى امرأة قد جعلها ملجأً له ووَزَرًا على ماتقدم...

... فلما يئس مالك بما أراده من قتل ابن تومرت، أشار عليه بسجنه حتى يموت؛ فقال أمير المسلمين: عَلَامَ نَأْخُذُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَسْجِنُهُ وَلَمْ يَتَعَيْنَ لَنَا عَلَيْهِ حَقٌّ؟ وَهَلِ السَّجْنُ إِلَّا أَخُو الْقَتْلِ؟ وَلَكِنْ نَأْمُرُهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنَا مِنَ الْبَلَدِ وَلِيَتَوَجَّهُ حَيْثُ شَاءَ!

== من الفائدة أن نثبتة بإيجاز:

قال الملك لعلاء بلده: سلوا هذا الرجل ما يبغي منا؟  
فانتدب له قاضي المرية - واسمه محمد بن أسود - فقال: ما هذا الذي ينقل عنك من الأقوال في حق الملك العادل الرحيم، النقاد إلى الحق، المؤثر طاعة الله تعالى على هواه؟  
قال ابن تومرت: أما ما نقل عنى فقد قلته، ولى من ورائه أقوال؛ وأما قولك إنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه وينقاد إلى الحق... فهل بلغك يا قاضي أن الخمر تباع جباراً، وتمس الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى...؟ وعدد من ذلك شيئاً كثيراً.  
فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياءً؛ ففهم الحاضرون من غوى كلامه أنه طامع في الملكة لنفسه؛ ولما رأوا سكوت الملك وانحذاعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم؛ فقال مالك ابن وهيب - وكان كثير الاجترار على الملك -: أيها الملك، إن عندي نصيحة، إن قبلتها حمدت عاقبتها، وإن تركتها لم تأمن غائلتها.  
فقال الملك: ماهي؟

قال: إني خائف عليك من هذا الرجل، وأرى أنك تعتمله وأصحابه وتنفق عليهم كل يوم ديناراً لتكنفى شره؛ وإن لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنتك كلها ثم لا ينفعك ذلك! ...  
(١) ويروى ابن الأثير أن الذي منع أمير المسلمين من الأخذ برأى مالك بن وهيب، رجل من أكابر اللثمين يسمى يان بن عثمان.

نفرج هو وأصحابه متوجهاً إلى سُوس<sup>(١)</sup> ؛ فنزل بموضع منها يُعرَفُ  
بِتَيْنَمَل<sup>(٢)</sup> ...

[ بدء دعوة الموحدين ]

من هذا الموضع قامت دعوته ، وبه قبره ؛ ولما نزله اجتمع إليه وجوه  
المصامدة ، فشرع في تدريس العلم والدعاء إلى الخير ، من غير أن يُظهر إمرةً  
ولا طلباً مُلكاً ؛ وألّف لهم عقيدةً بلسانهم ؛ وكان أفصح أهل زمانه في  
ذلك اللسان ؛ فلما فهموا معاني تلك العقيدة زاد تعظيمهم له ، وأُشربت قلوبهم  
محبته ، وأجسامهم طاعته ؛ فلما استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولاً على  
صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير ، ونهاهم عن سفك الدماء ولم  
يأذن لهم فيها ؛ وأقاموا على ذلك مدة ؛ وأمر رجالاتهم ممن استصلح عقولهم  
بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل ، وجعل يذكر المهدي ويشوق إليه ،  
وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنّفات ؛ فلما قرر في نفوسهم فضيلة  
المهدي ونسبه ونعته ، ادعى ذلك لنفسه ، وقال أنا محمد بن عبد الله ... ورفع  
نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> ؛ وصرح بدعوى العصمة لنفسه ، وأنه  
المهدي المعصوم ؛ وروى في ذلك أحاديث كثيرة ، حتى استقر عندهم أنه  
المهدي ، وبسط يده فبايعوه على ذلك ، وقال : أبايعكم على ما بايع عليه أصحابُ

(١) يروى ابن خلكان وابن الأثير أنه خرج من مراکش إلى أغمات ؛ وهناك لقي رجلاً من  
أعوانه اسمه عبدالحق بن إبراهيم ، من فقهاء المصامدة ، فأشار عبدالحق على ابن تومرت أن ياجأ  
إلى تينمل ، لأنها أكثر حصانة ومنعة .

(٢) انظر ص ١٨١

(٣) انظر التعليق رقم ٣ ص ١٧٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله .

ثم صنف لهم تصانيف في العلم ، منها كتاب سماه « أعز ما يطلب » ، وعقائد في أصول الدين ؛ وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل ، إلا في إثبات الصفات ، فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها ؛ وكان يُبطن شيئا من التشيع ، غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء .

### [ طبقات الموحدين ]

وصنّف أصحابه طبقات : فجعل منهم العشرة ، وهم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته ، وهم المسمّون بالجماعة ؛ وجعل منهم الخمسين ، وهم الطبقة الثانية ؛ وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة ، بل هم من قبائل شتى ؛ وكان يسميهم المؤمنين <sup>(١)</sup> ، ويقول لهم : ما على وجه الأرض من يؤمن بإيمانكم ، وأنتم العصاة المغنيثون بقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله . » ؛ وأنتم الذين يفتح الله بكم فارسَ الروم ، ويقتل الدجال ؛ ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم ، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة ؛ هذا مع جزئيات كان يخبرهم بها ووقع أكثرها <sup>(٢)</sup> ؛ وكان يقول : لو شئت أن أعدّ خلفاءكم

(١) من هذه التسمية اتخذ أميرهم لقب « أمير المؤمنين » ؛ ويسمون الموحدين أيضا ؛ لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام بالمغرب ، وكان ذلك محرماً على الفاربية في عهد الراشدين كما سبق ذكره .

(٢) اختلف مؤرخو المشاركة في الحكم على بعض ما جاء به ابن تومرت أو عزى إليه مما يسمونه بالحوارق ، ونسبه كثير منهم إلى الدجل والشعبذة ، وتعقبوا دعاوى أنصاره وما ينسبون إليه من ذلك بالنفي والإبطال ، محاولين رد كل شيء منه إلى أسباب طبيعية زعموها تهويناً لثأته وشأنه =

خليفة خليفة ...

فزادت فتنة القوم به ، وأظهروا له شدة الطاعة .

وقد نظم هذا الذي وصفناه من قول ابن تومرت في تخليد هذا الأمر ،  
رجلٌ من أهل الجزائر ، مدينةً من أعمال بجاية ، وفدَّ على أمير المؤمنين  
أبي يعقوب (١) وهو بتينمل ؛ فقام على قبر ابن تومرت بمحضري من الموحدين  
وأشد قصيدة أولها :

سلامٌ على قبر الإمام المجدد \* سلاله خير العالمين محمد  
ومشبهه في خلقه ثم في اسمه \* وفي اسم أبيه والقضاء المسدد  
ومحي علوم الدين بعد ماتها \* ومظهر أسرار الكتاب المسدد  
أتنا به البشري بأن يملاً الدنيا \* بقسطٍ وعدلٍ في الأنام مخلد

— خوارقه ؛ ولزم قليل منهم جانب الصمت مكتفياً بسرد ما انتهى إليه من أنباءه ، ماله منها وما عليه ،  
من غير تعليق ولا رأى ؛ ولم يحاول أحد منهم - فيما تعلم - لإصافه أو الدفاع عنه أو الإشادة بعمله  
ذلك - فيما نظن - لأن المغرب الإسلامي - ونعني به الأندلس وما يدينها من بلاد العدو -  
لم يكن يعترف بشيء من الولاء للخليفة العباسي في بغداد ؛ ولم يدع له يوماً على منبر من منابر  
المغرب ، لا في الأندلس ولا في الشاطيء الأفريقي ؛ عدا فترات قليلة منقطعة ؛ وأول دعاء دعي  
للخلافة العباسية على منابره - كما يقول صاحب المعجب - كان في أيام بني تاشفين ؛ ثم انقطع على  
يد الموحدين - أصحاب ابن تومرت - الذين لقبوا أميرهم بـ « أمير المؤمنين » ؛ وهو لقب الخليفة  
في بغداد ؛ فما أحرى هذا أن يحمل مؤرخي المشاركة على النظر بارتياح إلى ابن تومرت وأصحابه ،  
وأن يعتبروهم طلاب ملك يخلعون في سبيله طاعة الخليفة ويخرجون عن الولاء له ؛ ومن ثمّة كان  
رأى مؤرخيهم في شيخ الموحدين ! ...

على أن الرأي مهما يختلف في شأن محمد بن تومرت ، فما لاشك فيه أنه رجل من أهل الإيمان  
والقنطة ، كان له رأى في سياسة الدولة الإسلامية يستند إلى أساس من الدين ؛ فاتخذ أسبابه لتنفيذ  
رأيه والوصول إلى هدفه ؛ وقد بلغ بإيمانه ، وفتنته ، وقوة عزمه ، كثيراً مما أراد .

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن .

ويفتح الأمصارع شرقاً ومغرباً \* ويملك عرباً من مغيرٍ ومنجد  
 فين وصفه: أقننى وأجلى وأنه \* علاماته خمسٌ تبين المهدي :  
 زمانٌ، وإسمٌ، والمسكانُ، ونسبةٌ، \* وفعلٌ له في عصمةٍ وتأيدٍ  
 ويلبثُ سبعاً أو قسعاً يعيشها \* كذا جاء في نصٍّ من النقلِ مُسنَدٍ  
 فقد عاش تسعاً مثل قول نبينا \* فذلكمُ المهديُّ بالله يهتدى  
 وتبعه للنصرِ طائفةُ الهدي \* فأكرمهم إخوان ذى الصدق أحمد  
 هي الثلثةُ المذكور في الذكرِ أمرها \* وطائفةُ المهديِّ بالحق تهتدى  
 ويقدمها المنصورُ والناصرُ الذي \* له النصرُ حزبٌ إذ يروح ويعتدى  
 هو المنتقى من قيسِ عيلانٍ مفخراً \* ومن مُرّةٍ أهلِ الجلالِ الموطنِ (١)  
 خليفة مَهديّ الإله وسيفه \* ومن قد غدا بالعلم والحلم مُرتدى  
 بهم يَقَمع الله الجبابةَ الأولى \* يصدون عن حُكم من الحق مُرشد  
 ويقطع أيامَ الجبابةِ التي \* أبادت من الإسلام كلَّ مشيدٍ  
 فيغزون أعرابَ الجزيرةِ عنوةً \* ويعرؤون منها فارساً وكان قد  
 ويفتتحون الرومَ فتحَ غنيمَةٍ \* ويقسمون المالَ بالترس عن يد  
 ويغدون للدجالِ يغزونه مُضخاً \* يُذيقونه حدَّ الحسامِ المهند  
 ويقتله في بابِ لَدٍ وتنجلى \* شكوكُ أمالتُ قلبَ من لم يوحد  
 وينزلُ عيسى فيهم وأميرُهم \* إمام فيدعوهم لمحرابِ مسجد  
 يصلى بهم ذاك الأميرِ صلاتهم \* بتقديم عيسى المصطفى عن تعهد



فيمسح بالكفين منه وجوههم \* ويخبرهم حقا بعزِّ مجدِّ  
وما إن يزال الأمر فيه وفيهم \* إلى آخر الدهر الطويل المسرِّمِ  
فأبلغ أمير المؤمنين تحية \* على النأي مني والودادِ المؤكِّدِ  
عليه سلام الله ما ذرَّ شارق \* وما صدر الوُرَّادِ عن وِرْدِ موردِ

وقد قيل إن منشئ هذه القصيدة لم يحضر ذلك المشهد ولم ينشدها بنفسه ؛  
منعته عن ذلك الكبرية وبعده الشُّمَّة ؛ وإنما أرسل بها فأنشدت على قبر الإمام ؛  
وكان عمله إياها وعبد المؤمن حتى ؛ فإله أعلم ؛ وهي طويلة ، هذا ما اخترت له  
منها ؛ ولم اوردها في هذا الموضوع لأنها من مختار الشعر ، ولكن لموافقها الفصل  
الذي قبلها .

ولم تزل طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر ، وفتنتهم به تشتد ، وتعظيمهم  
له يتأكد ؛ إلى أن بلغوا في ذلك إلى حدٍّ لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه  
أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء ؛ وأعانهم على ذلك وهونه عليهم ما في  
طباعهم من خفة سفك الدماء عليهم ؛ وهذا أمرٌ جبلت عليه فطرهم واقتضاه  
ميل إقليمتهم .

حكى أبو عبيد البكري الأندلسي ثم القرطبي في كتابه الموسوم بـ « المسالك  
والممالك » عن رجال ، قال : أهديت إلى الإسكندر فرسٌ ببعض بلاد الغرب  
لم تلد الخيل أسبق منها ، لم يكن فيها عيبٌ إلا أنها لم يسمع لها صهيل قط ؛  
فلما حل الإسكندر في تطوافه بـجبال دَرَن ، وهي بلاد المصامدة ، وشربت تلك  
الفرس من مياهها ، صهلت صهلةً اصططكت منها الجبال ؛ فكتب الإسكندر

إلى الحكيم يخبره بذلك : فكتب إليه : أنها بلادٌ شرٌّ وقسوة ، فعجّل  
الخروج منها !

فهذه حال بلاد القوم ؛ وأما خفة سفك الدماء عليهم فقد شهدت أنا منه  
أيامَ كَونِي بسوس ما قضيت منه العجب .

[ الحرب بين المرابطين والموحدين ]

ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً من المصامدة جلّتهم من أهل  
تينمل ، مع من انضاف إليهم من أهل سوس ، وقال لهم : اقصدوا هؤلاء  
المارقين المبدلين الذين تسمّوا بالمرابطين ، فادعوهم إلى إمامة المنكر ،  
وإحياء المعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم ؛ فإن  
أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم ، فقد  
أباحت لكم السنة قتالهم .

وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، وقال : أتم المؤمنون وهذا أميركم .  
فاستحق عبد المؤمن من يومئذ اسم إمرة المؤمنين .

وخرجوا قاصدين مدينة مراکش (١) ، فلقبهم المرابطون قريباً منها بموضع  
يدعى البحيرة ، بجيش ضخم من سرّاة لمتونة ، أميرهم الزبير بن علي بن يوسف  
ابن تاشفين ، فلما تراءى الجمعان أرسل إليهم المصامدة يدعونهم إلى ما أمرهم به  
ابن تومرت ، فردّوا عليهم أسوأ ردّ ، وكتب عبد المؤمن إلى أمير المسلمين عليّ

(١) كانت هذه المعركة - على ما ذكره أهل التاريخ - سنة ٥٢٤ هـ وقد سبقتها معارك أخرى  
لم يذكرها المراكشي .

ابن يوسف بما عَهِدَ إليه محمد بن تومرت ؛ فردَّ عليه أمير المسلمين يَحْتَدِرُه عاقبة مفارقة الجماعة ، ويذكِّره الله في سفك الدماء وإثارة الفتنة ؛ فلم يردع ذلك عبدَ المؤمن ، بل زاده طمعا في المرابطين وحقَّق عنده ضعفهم ؛ فالتقت الفئتان ، فانهزم المصامدة وُقِلت منهم خلق كثير (١) ، ونجا عبد المؤمن في نفرٍ من أصحابه ؛ فلما جاء الخبر لابن تومرت قال : أليس قد نجا عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم . قال : لم يُفقد أحد !

ولما رجع القوم إلى ابن تومرت ، جعل يُهَوِّن عليهم أمر الهزيمة ، ويُقرر عندهم أن قتلهم شهداء ؛ لأنهم ذابُّون عن دين الله ، مُظهرون للسُّنة ؛ فزادهم ذلك بصيرةً في أمرهم ، وحرصاً على لقاء عدوِّهم ؛ ومن حينئذ جعل المصامدة يشنُّون الغارات على نواحي مراکش ، ويقطعون عنها موادَّ المعاش وموصولَ المرافق ، ويقتلون ويسبُّون ، ولا يُبْقُونَ على أحد من قَدَرُوا عليه ؛ وكثر الداخلون في طاعتهم والمنحاشون إليهم ؛ وابن تومرت في ذلك كلِّه يكثر التزهُّد والتقلُّل ، ويظهر التشبُّه بالصالحين ، والتشدُّد في إقامة الحدود ، جارياً في ذلك على السُّنة الأولى .

أخبرني من رآه - ممن أثق إليه - يضرب الناس على الخمر بالأحكام والنعال وعسب النَّخل ، متشبهاً في ذلك بالصحابه .

ولقد أخبرني بعض من شهدته وقد أتى برجل سكران ، فأمر بحده ، فقال رجلٌ من وجوه أصحابه يسمى يوسف بن سليمان : لو شدَّدنا عليه حتى يخبرنا

(١) فقد في هذه المعركة أبو عبد الله الوشرسي .

من أين شربها لِنَحْسِمَ هذه العلةَ من أصلها ... ! فأعرض عنه ؛ ثم أعاد عليه الحديث ، فأعرض عنه ، فلما كان في الثالثة قال له : أرأيتَ لو قال لنا : شربُها في دار يوسف بن سليمان ، مانحن صانعون ؟ فاستحيا الرجل وسكت ، ثم كشف على الأمر ، فاذا عبيدُ ذلك الرجل سَقَوْه ، فكان هذا من جملة ما زادهم به فتنةً وتعظيماً ، إلى أشياء كان يُخبر بها فتقع كما يُخبر .

ولم يزل كذلك وأحواله سالحة ، وأصحابه ظاهرون ، وأحوال المرابطين المذكورين تختلّ ، وانتقاض دولتهم/يتزيد ، إلى أن توفي ابن تومرت المذكور في شهور سنة ٥٢٤ بعد أن أسس الأمور وأحكم التدبير ورسم لهم ما هم فاعلوه .

### ذكر ولاية عبد المؤمن

ثم قام بالأمر من بعده عبدُ المؤمن بن علي ، وبايعه المصامدة ، واتفقت على تقديمه الجماعة ؛ وكان الذين سَعَوْا في تقديمه وهيئوا ذلك له ثلاثة ، وهم من أهل الجماعة (١) : عمر بن عبد الله الصنهاجي المعروف عندهم بعمر أزناج ، وعمر ابن ومزّال - الذي كان اسمه قبل هذا قَصْكَةَ فسماه ابنُ تومرت عمر ، يَعْرِفُونَهُ بعمر إينتي - وعبد الله بن سليمان من أهل تينملّ ، من قبيلة يقال لها مَسْكَالَة ؛ ووافقهم على ذلك سائر أهل الجماعة وأهل خمسين وباقي الموحدين .

### [ وصية ابن تومرت ]

وذلك أن ابن تومرت قبل موته بأيام يسيرة ، استدعى هؤلاء المسمّين بالجماعة ، وأهل خمسين ؛ وهم - كما ذكرنا - من قبائل مفترقة لا يجمعهم إلا اسم

(١) انظر طبقات الموحدين ، ص ١٨٨ من هذا الكتاب .

المصامدة ؛ فلما حضروا بين يديه قام وكان متكئاً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ ثم أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين رضوانُ الله عليهم ، ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم ، والعزيمة في أمرهم ، وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومةُ لائم ، وذكر من حدَّ عمر رضى الله عنه ابنه في الخمر ، وتصميمه على الحق ، في أشباه هذه الفصول ، ثم قال :

« ... فانقرضت هذه العصابة - نَصَرَ الله وجوهها ، وشكر لها سعيها ، وجزاها خيراً عن أمة نبيها - وخبطت الناس فتنةً تركت الحليم حيران ، والعالم متجاهلاً مدهاناً ؛ فلم يفتفع العلماء بعلمهم ، بل قصدوا به الملوك ، واجتلبوا به الدنيا ، وأمالوا وجوه الناس إليهم ... » في أشباه لهذا القول ، إلى هلم جرّاً :

« ثم إن الله - سبحانه وله الحمد - من عليكم آيتها الطائفة بتأييده ، وخصمكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيدِهِ ، وقِيَّضَ لكم من ألقاكم ضللاً لا تهتدون ، وعمياً لا تبصرون ، لا تعرفون معروفًا ، ولا تُنكرون منكراً ، قد فُشَّتْ فيكم السِّدَع ، واستهوتكم الأباطيل ، وزَيَّنَ لكم الشيطان أضاليلَ وتُرَّهاتٍ أُنزَّهَ لسانى عن النطق بها ، وأربأ بلفظى عن ذكرها ؛ فهداكم الله به بعد الضلالة ، وبصركم بعد العمى ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين ؛ وسيُورثكم أرضهم وديارهم ؛ ذلك بما كسبته أيديهم ، وأضمرت قلوبهم ؛ وما ربك بظلام للعبيد ؛ فجددوا لله سبحانه خالص نياتكم ، وأروه من الشكر قولاً وفعلاً ما يزكى به سعيكم ،

ويتقبَّلُ أعمالكم ، وينشر أمركم ؛ واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدة على عدوكم ؛ فإنكم إن فعلتم ذلك هابكم الناس وأسرعوا إلى طاعتكم وكثر أتباعكم وأظهر الله الحقَّ على أيديكم ، وإلا تفعلوا شملكم الذل وعمَّكم الصغارُ واحتقرتكم العامةُ فنحطفتكم الخاصة ؛ وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة ، واللين بالعنف ؛ واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمرٌ آخر هذه الأمة إلا على الذي صلح عليه أمرٌ أولها ، وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ؛ هذا بعد أن بَلَّوْناه في جميع أحواله ، من ليلته ونهاره ، وهدخله ومخرجه ، واختبرنا سريره وعلايته ، فرأيناه في ذلك كله تبتاً في دينه ، متبصراً في أمره ، وإني لأرجو ألا يخلف الظن فيه ؛ وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن ؛ فاسمعوا له وأطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لربه ، فإن بدَّل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ، ففي الموحدين - أعزهم الله - بركةٌ وخير كثير ، والأمرُ أمرُ الله يقلده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت ، ومسح وجوههم وصدورهم واحداً واحداً ؛ فهذا سبب إمرة عبد المؤمن رحمه الله . ثم توفي ابن تومرت بعد عهده بيسير ، واجتمع أمر المصامدة على عبد المؤمن .

## فصل

[ حياة عبد المؤمن وأعماله وعماله ]

وعبد المؤمن هذا ، هو عبد المؤمن بن علي بن عَلاوى الكومى<sup>(١)</sup> ، أمُّه

(١) الكومى : نسبة إلى كومية ، أو كومة : قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان .

مُحرة كومية أيضا، من قوم يقال لهم بنو مُجَبَّر، مولده بضیعة من أعمال تلسان تُعرف بتاجرا<sup>(١)</sup>؛ وقيل إنه كان يقول إذا ذكر كومية<sup>(٢)</sup> : لستُ منهم، وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان<sup>(٣)</sup>، ولكومية علينا حقُّ الولادة بينهم والمنشأ فيهم، وهم الأخوال. وهكذا أدركتُ من أدركتُ من أولاده وأولادِ أولاده ينتسبون لقيس عيلان بن مضر، وبهذا استجاز الخطباء أن يقولوا إذا ذكروه بعد ابن تومرت : « قسيمه رضى الله عنه في النسب الكريم ».

كان مولده في آخر سنة ٤٨٧ في أيام يوسف بن تاشفين؛ وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٥٨، ومدة ولايته من حين استوسق له الأمر بموت على بن يوسف أمير المسلمين - في سنة ٣٧ على التحقيق - إحدى وعشرين سنة، إلى أن توفى في التاريخ المذكور.

وكان أبيض ذا جسمٍ عظيمٍ تعلوه حمرة، شديدٍ سوادِ الشعر، معتدل القامة، وضىء الوجه، جهوَرِيَّ الصوت، فصيح الألفاظ، جزل المنطق؛ وكان محبباً إلى النفوس؛ لا يراه أحدٌ إلا أحبه بديهة؛ وبلغنى أن ابن تومرت كان يُنشد كلما رآه:

تكاملتُ فيك أخلاقٌ خُصِصتَ بها • فنكلنا بك مسرورٌ ومُغتبط  
فالسُّنُّ ضاحكةٌ، والكفُّ مانحةٌ • والصَّدْرُ مُشرِحٌ، والوجهُ مُنْبسط

(١) في ابن خلكان وغيره: تاجرة.

(٢) في الأصل: كمية؛ وسماها ابن خلكان: كومة.

(٣) انظر التعليق رقم ٢ ص ١٨١

## أولاده

كان له من الولد ستة عشر ذكراً، وهم : محمد ، وهو أكبر ولده ووليُّ عهده وهو الذي خلع ؛ وعلي ، وعمر ، ويوسف ، وعثمان ، وسليمان ، ويحيى ، وإسماعيل ، والحسن ، والحسين ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعيسى ، وموسى ، وإبراهيم ، ويعقوب .

## وزراؤه

وزر له في أول الأمر أبو حفص عمر أزناج ، إلى أن استقر الأمر واستقلَّ عبد المؤمن ؛ فأجلى أبا حفص هذا عن الوزارة وربَّأ بقدره عنها ، إذ كان عندهم فوق ذلك ؛ واستوزر أبا جعفر أحمد بن عطية ، فجمع بين الوزارة والكتابة ، فهو معدود في الكتاب والوزراء ، فلم يزل عبد المؤمن يجمعهما له إلى أن افتتحوها بجاية ، فاستكتب عبد المؤمن من أهلها رجلاً من نُبهاء الكتاب يقال له أبو القاسم القالمى - وسيأتى ذكره في كتابه - واستمرت وزارة أبي جعفر إلى أن قتله عبد المؤمن في شهر سنة ٥٣ واستصفي أمواله ، ثم وزر له عبد السلام الكومى ، وكان يدعى المُقَرَّب ، لشدة تقرب عبد المؤمن إليه ، فاستمرت وزارة عبد السلام هذا إلى أن أرسل إليه عبد المؤمن من قتله خنقاً في شهر سنة ٥٥٧ ، ثم وزر له ابنه عمر إلى أن توفي عبد المؤمن .

## كتابه

أبو جعفر أحمد بن عطية المذكور في الوزراء ، كان قبل اتصاله بعبد المؤمن



وفي الدولة اللّمتونية ، يكتب لعلّى بن يوسف في آخر أيامه ، وكتب عن تاشفين بن على بن يوسف ؛ فلما انقرض أمرهم هرب وغيّر هيئته وتشبّه بالجند ، وكان محسناً للرّمي ، وكان في الجند الذين خرجوا إلى سُوس لقتال ثائر قام هناك ؛ كان الأمير على هذا الجند أبو حفص عمر إبنى المتقدم الذكر في أهل الجماعة ، فلما انهزم أصحاب ذلك الثائر وُقُتل هو وانفَضَّت تلك الجموع ، طلب أبو حفص من يكتب عنه صورة هذه الكائنة إلى الموحدين الذين بمراكش ، فدُلَّ على أبي جعفر هذا ونُبِّه على مكانه ، فاستدعاه ، وكتب عنه إلى الموحدين رسالة في شرح الحال ، أجاد في أكثرها ما شاء ، منعى من رسمها في هذا الموضوع ما فيها من الطول ؛ فلما بلغت الرسالة عبد المؤمن استحسناها واستدعى أبا جعفر هذا واستكتبه ، وزاده إلى الكتابة الوزارة ؛ لما رآه من شجاعة قلبه وحصافة عقله ؛ فلم يزل وزيره كما ذكرنا إلى أن قتله في التاريخ الذي ذكر ؛ وكان سبب قتله - فيما بلغنى - أنه كانت عنده بنت أبي بكر بن يوسف بن تاشفين ، التي تُعرف ببنت الصحراوية ؛ وأخوها يحيى فارس المرابطين المشهور عندهم ، يُعرف أيضا يحيى ابن الصحراوية (١) ؛ فخطب يحيى هذا عند الموحدين ، وقوَّدوه على من وحَّد من لمتونة ، ولم يزل وجيهاً عندهم مُكْرَماً لديهم - وكان خليفاً بذلك - إلى أن نُقلت عنه إلى عبد المؤمن أشياء كان يفعلها وأقواله كان يقولها أحنَقَتْه عليه ، فتحدّث عبد المؤمن ببعض ذلك في مجلسه ، ورُبّما

(١) هو يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين ، وكان له بلاء شديد في مقاومة الموحدين دفاعاً عن دولة بني تاشفين ؛ حارب في تلمسان ، وفي فاس ؛ ثم انقاد حين لم يجد بداً من الانقياد كما انقاد كثير من لمتونة وانضوا تحت لواء الموحدين ؛ فقوده عبد المؤمن على من وحده من قومه .

كهم بالقبض على يحيى هذا؛ فرأى الوزير أبو جعفر أن يجمع بين المصلحتين :  
 من نصح أميره ، وتحذير صهره ؛ فقال لامرأته أخت يحيى المذكورة: قولي  
 لأخيك يَتَحَفَّظْ ، وإذا دعونا غداً فليَعْتَلْ وَيُظْهِرِ المَرَضَ ، وإن  
 كَدَرَ على الهروب واللحاق بجزيرة مُيْرَقَةَ فليَفْعَلْ ! فأخبرته أخته بذلك ،  
 فتمارض وأظهر أنَّ الْمَأْبَهُ ، فزاره وجوه أصحابه وسألوه عن عِلَّتِهِ ، فأَسْرَأَ  
 إلى بعضهم - ممن كان يثق به - ما بلغه عن الوزير ، فخرج ذلك الرجلُ الذي أَسْرَأَ  
 إليه فنقل ذلك كله بحملته إلى رجل من ولد عبد المؤمن ، فكان هذا هو السببُ  
 الأكبر في قتل أبي جعفر المذكور ؛ وأمر أميرُ المؤمنين عبد المؤمن بتقييد يحيى  
 المذكور وتجنُّه ، فكان في سجنه إلى أن مات !

ثم كتب له بعد أبي جعفر هذا : أبو القاسم عبد الرحمن القالمى ، من أهل  
 مدينة بجاية ، من ضيعة من أعمالها تعرف بقالم ، وكتب له معه أبو محمد عيَّاش  
 ابن عبد الملك بن عيَّاش من أهل مدينة قرطبة .

### قضائه

أبو محمد عبد الله بن جبل ، من أهل مدينة وُهران من أعمال تلمسان ؛ ثم  
 عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالمالقي ، لم يزل قاضياً له إلى أن توفي عبد  
 المؤمن ، وصدرأً من خلافة أبي يعقوب .

[ رُجِعَ الحديث إلى أخبار عبد المؤمن ]

وكان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم ، مُجَابِ لهم ، مُحَسِناً إليهم ، يستدعيهم من  
 البلاد إلى السكون عنده والجوار بحضرته ، ويُجْرِ عليهم الأرزاق الواسعة ،

ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم ؛ وقسم الطلبة طائفتين : طلبة الموحدين ، وطلبة الحضر ؛ هذا بعد أن تسمى المصامدة بالموحدين ، لتسمية ابن تومرت لهم بذلك لأجل خوضهم في علم الاعتقاد الذي لم يكن أحد من أهل ذلك الزمان في تلك الجهة يخوض في شيء منه (١) .

وكان عبد المؤمن في نفسه سرى الهمة ، نزية النفس ، شديد الملوكة ، كأنه كان ورثها كبراً عن كابر (٢) ، لا يرضى إلا بمعالي الأمور .

أخبرني (٣) الفقيه المتفنن أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي جعفر الوزير ، عن أبيه عن جده الوزير أبي جعفر ، قال : دخلت على عبد المؤمن وهو في بستان له قد أينعت ثماره ، وتفتحت أزهاره ، وتجاوبت على أغصانها أطياره ، وتكامل من كل جهة حسنه ؛ وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان ، فسلمت وجلست ، وجعلت أنظر يمينه وشأمة ، متعجباً مما أرى من حسن ذلك البستان ، فقال لي : يا أبا جعفر ، أراك كثير النظر إلى هذا البستان ! قلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ، والله إن هذا المنظر حسّن ! فقال : يا أبا جعفر ، المنظر الحسن هذا ؟ قلت : نعم ؛ فسكت عني ، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة ، أمر بعرض العسكر آخذى أسلحتهم ، وجلس في مكان مُطلّ ، وجعلت العسكر تمرّ عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة إثر كتيبة ، لا تمرّ كتيبة إلا والتي

(١) انظر من ١٧٢-١٧٣ ، والتعليق رقم ١ ص ١٨٨

(٢) كان والد عبد المؤمن صانعاً في عمل الطين ، يعمل منه الأواني والجرار فيبيعها ؛ وذلك كل مرتزقة ؛ ثم كان من أمر ابنه عبد المؤمن ما كان !

(٣) من هنا يبدأ عبد الواحد رواية التاريخ عن محدثيه رواية مباشرة ، وكان من قبل ناقل آثار وناسخ كتب . انظر ما أثبتناه في المقدمة عن مصادر عبد الواحد في كتاب المعجب .

بعدها أحسنُ منها ، جَوْدَةٌ سِلَاح ، وفراهة خيل ، وظهور قوة ؛ فلما رأى ذلك التفت إلى وقال ؛ يا أبا جعفر ، هذا هو المنظر الحسن ، لا ثمارك وأشجارك ! ولم يزل عبد المؤمن - بعد وفاة ابن تومرت - يطوى الممالك مملكةً مملكةً ، ويُدوِّخ البلاد ، إلى أن ذلّت له البلاد ، وأطاعته العباد .

[نهاية المرابطين وآخر من ولى الأمر منهم]

وكان آخر ما استولى عليه من البلاد التي يملكها المرابطون ، مدينة مراکش ، دار ملك أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين ؛ وهذا بعد وفاة أمير المسلمين المذكور حَتَفَ أَنفِيهِ فِي شَهْرِ سَنَةِ ٥٣٧ (١) ؛ وكان قد عهد في حياته إلى ابنه تاشفين ، فعاثته الفتنة عن تمام أمره ، ولم يتفق له ما أمله من استقلال ابنه تاشفين المذكور بشيء من الأمور .

وخرج تاشفين بعد وفاة أبيه قاصداً تلمسان ، فلم يتفق له من أهلها ما يريد ، فقصده مدينة وهران - وهي على ثلاث مراحل من تلمسان - فحاصره الموحدون بها ؛ فلما اشتد عليه الحصار خرج راكباً فرساً شهباء ، عليه سلاحه ، فاقتحم البحر حتى هلك (٢) ؛ ويقال إنهم أخرجوه من البحر وصلبوه ثم أحرقوه ؛

(١) كان فتح الموحدين لمدينة مراکش في سنة ٥٤٢ هـ ؛ وكان أميرها يومئذ ، إسحاق بن علي ابن يوسف بن تاشفين ، وهو صبي ؛ وأول ما دان من البلاد لعبد المؤمن قبل مراکش : وهران ، ثم تلمسان ، ثم فاس ، ثم طنجة ، ثم مكناسة ، ثم سلا ، ثم سبتة .

(٢) يروى في وصف مهالك تاشفين بن علي ، أنه لما تيقن أن دولتهم إلى زوال ، أتت مدينة وهران - وهي على البحر - يريد أن يتخذها مقراً ، فإن غلبه الموحدون على الأمر ركب البحر منها إلى الأندلس حيث يأمل أن تكون له دولة ، كما قامت دولة بني أمية بالأندلس بعد انقراض دولتهم بالشام ؛ وكان بظاهر وهران ربوة على البحر ، بأعلاها رباط يأوى إليه المتعبدون ؛ فلما كانت ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ - وهي ليلة يعظمها أهل المغرب - صعد تاشفين =

فإنه أعلم بصحة ذلك .

فكانت ولاية تاشفين هذا من يوم وفاة أبيه إلى أن قتل - كما ذكرنا - بمدينة وهران ، ثلاثة أعوام إلا شهرين ؛ وكان قتله سنة ٥٤٠ هـ (١) ؛ وكان طول هذه الولاية لا يستقر به قرار ولا تستقيم له حال ، تذبذباً به البلاد ، وتدنكراً له الرعية ؛ فلم تزل هذه حاله إلى أن كان من أمره ما ذكر (٢) .

وبعد دخول عبد المؤمن - رحمه الله - مراکش ، طلب قبر أمير المسلمين ، وبحث عنه عبد المؤمن أشدَّ البحث ؛ فأخفاه الله وستره بعد وفاته كما ستره في أيام حياته ؛ وتلك عادة الله الحسنى مع الصالحين المصلحين .

وانقطعت الدعوة بالمغرب لبني العباس بموت أمير المسلمين وابنه ، فلم يُذكروا على منبر من منابرها إلى الآن ، خلا أعوام يسيرة بأفريقية ، كان قد ملكها يحيى بن غانية الثائر من جزيرة مُيرقة على ما سيأتي بيانه .

وكانت مدة المرابطين - من حين نزولهم رحبة مراکش إلى أن انقرض ملكهم جملةً واحدة بموت أمير المسلمين وابنه - نحواً من ست وسبعين سنة .

== إلى ذلك الرباط ليشارك أولئك المتعبدين في الاحتفال بتلك الليلة العظيمة ؛ وعلم الموحدون - وكانوا غير بعيد - بأفراد تاشفين في ذلك الرباط ، فقصده وأحاطوا به وأحرقوا بابه ؛ فأيقن الذين فيه بالهلاك ؛ وأراد تاشفين أن يخلص من تلك الحيلة ؛ فكأنما خيل إليه أنه مستطيع - حين يستمكن من ظهر فرسه - أن يثب وثبة فارس فوق النار فيتجاوزها ويتجو ، فاعتلى صهوة فرسه وشد لجامه ووثب ... ولكن الفرس ترمى نازياً من الدعر ولم يمسه اللجام ؛ فتردى من جرف هنالك إلى جهة البحر على حجارة في وعر ، فهشم الفرس وهاك فارسه !

(١) انظر التعليق السابق ، وفيه أن مهلك تاشفين بن علي كان في رمضان سنة ٥٣٩ .

(٢) لما توفي تاشفين بن علي ، جعل المرابطون أمرهم من بعده لأخيه إسحاق بن علي ، وكان صبياً ، وعليه دخل الموحدون مراکش في سنة ٥٤٢ هـ بعد حصار استمر أحد عشر شهراً ، فقتلوه صبراً ؛ فهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرض دولتهم .

[تغلب عبد المؤمن على بجاية وقلعة بني حماد]

ولما دان لعبد المؤمن جميع أقطار المغرب الأقصى مما كان يملكه المرابطون - على ما قدمنا - وأطاعه أهلها ، جمع جموعا عظيمة وخرج من مراكش يقصد مملكة يحيى بن العزيز بن المنصور بن المنتصر الصنهاجي (١)

(١) يعني مملكة بني حماد ؛ وأول ملوكهم حماد بن بلسكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ، أخو المنصور صاحب أفريقية ؛ وكان لبني مناد هؤلاء جاه قديم في أفريقية من قبل أن تكون دولة العبيديين في المهديّة ؛ واستعان بهم بنو عبيد حين استوسق لهم الأمر في تلك البلاد ؛ فلما هم المعز لدين الله العبيدي « الفاطمي » أن يتوجه إلى مصر حين اتخذها قاعدة للملكة بعد انهيار الدولة الأخشيدية بها ، استخلف على أفريقية بلسكين بن زيري ؛ فكان له الحكم في تلك البلاد إلى أن مات في سنة ٣٧٣ ، ولم تكن تبعيته للعبيديين في القاهرة إلا تابعة اسمية . ثم ولى من بعده أمر البلاد المنصور بن بلسكين ، فقام بالأمر مقام أبيه وزاد عليه ، إلى أن توفي سنة ٣٨٦ .

وخلفه على عرش أفريقية ولده باديس ؛ وكان له - كما كان لأبيه وجده من قبل - تعيين الولاة والعمال في البلاد التي تخضع لحكمه ، فأقطع عمه حماد بن بلسكين « أشير » ، فأنشأ بها حماد قلعته سنة ٣٨٦ وأقام بها ملكا يتمتع بكثير من مظاهر الاستقلال ، ولكنه يقر بالولاء لابن أخيه بالقيروان والمهديّة وتونس .

ومنذ الوقت الذي أنشئت فيه تلك القلعة صار بنو مناد فرقتين : بني حماد بقلعتهم ، وبني باديس بالقيروان والمهديّة . وتوفي باديس سنة ٤٠٦ .

ثم خلف باديس على عرش أفريقية ولده المعز بن باديس ، وهو مؤسس دولتهم الحقيقي ؛ فقد أعلن انفصاله صريحا عن العبيديين في القاهرة ، وخلع طاعتهم ، وقطع خطبة الخليفة العبيدي المنتصر بالله في القاهرة ، وخطب للإمام القائم بأمر الله العباسي صاحب عرش الخلافة في بغداد سنة ٤٣٥ ؛ ولما بعث إليه المنتصر يتهدده لم يعأ به ، وقال لرسوله : قل له إن لنا ملك أفريقية قبل أن يكون للعبيديين ذكر !

ولما استقل المعز بن باديس بملك أفريقية ، بدأ استقلال بني حماد كذلك بما تحت أيديهم من البلاد ؛ ووقف أبناء العم بعضهم بإزاء بعض متنافسين ، يريد كل فريق أن يوسع سلطانه ؛ فنشأت بينهما سلسلة من الحروب أضعفت الفريقين جميعا وهيأت للفرنجية أن يستولوا على صقلية - وكانت حتى ذلك الوقت جزءا من مملكة أفريقية - ثم ولى الفرنجية وجههم بعد ذلك نحو أفريقية نفسها ؛ فاستولوا على طرابلس وكثير من الأطراف الممرية لمملكة بني باديس .

وكان يملك بجاية وأعمالها إلى موضع يعرف بسيوسيرات ، وهذا الموضع

== وتوالى على عرش أفريقية طائفة من ولد المعز بن باديس :

تيم بن المعز : من سنة ٤٥٤ إلى سنة ٥٠١

ويحي بن تيم : من ٥٠١ إلى ٥٠٩ وفي عهده وصل ابن تومرت إلى المهديّة قادماً من المشرق في طريقه إلى المغرب الأقصى كما ذكر . انظر التعليق رقم ٣ ص ١٧٩

ثم على بن يحيى إلى سنة ٥١٥

ثم أبو يحيى الحسن بن علي ، وهو آخر ملوكهم ، وفي عهده استولى الفرنجة على طرابلس عنوة سنة ٥٤١ ، ثم على المهديّة حاضرة الدولة سنة ٥٤٣ ، وهي السنة التي انتهى فيها ملكهم . وفر أبو يحيى هذا إلى قلعة محرز بن زياد ، فأقام عنده حيناً ، ثم بدا له أن يفارقه إلى مصر ملتجئاً إلى الحافظ العيدي ، ولكن صاحب صقلية كان يتربس به في البحر ؛ فعدل عن السفر إلى القاهرة وقصد إلى ابن عمه يحيى بن العزيز - المذكور - ملك بجاية ووارث ملك بني حماد ؛ فسيره يحيى بأهله إلى جزائر بني مرغان ، فأقام بها هو ومن معه من أهله ممنوعين من التصرف كالخجور عليهم في أسر ابن عمهم ؛ فلم يزالوا كذلك حتى ملك عبدالمؤمن بجاية وقضى على مملكة بني حماد ، كما اتفق من قبل ذلك ملك بني عمهم خلفاء المعز بن باديس على يد صاحب صقلية وإنما ذكرنا هذا لنكشف عن أولية بني حماد الصنهاجيين أصحاب بجاية وقلعة بني حماد وما ولى ذلك من البلاد .

ثم نعود من حيث بدأنا الحديث عن حماد بن بلكين بن مناد ، فنقول إن رغبته في الانفصال عن صاحب عرش القيروان بدت منذ سنة ٣٩٠ ، وتوالت الحروب بين بني العم بسبب ذلك ؛ وأعان على اشتداد الخلاف وتواتر أسبابه بين الدولتين الشقيقتين ، مادبره العبيديون في القاهرة من كيد الأفرقة ، بسبب قطع المعز بن باديس خطبهم وخلعه طاعتهم - كما قدمنا - فدعا العبيديون قبائل من العرب : بني زغبة ، وبني رياح ، وبني الأبيج ، وبني عدى ، وبني سليم : بني هلال بن عامر ، إلى النزوح إلى المغرب ، ليناثروا الصنهاجيين من بني المعز وبني حماد جميعاً ، فعاثوا في البلاد عيثاً شديداً ، وأعانوا بعضاً من أهلها على بعض ؛ فهم حيناً من أنصار بني المعز على بني حماد ، وحيناً من أنصار بني حماد على بني المعز ؛ وأحياناً يتقاسمون الجبهتين ، فبعضهم مع هؤلاء وبعضهم مع أولئك ، وتنشب الحرب بين أبناء العم ومع كل فريق منهما فريق من العرب ، وكان الربح دائماً للعرب ، سواء أكانوا مع الغالبين أم كانوا مع المغلوبين ؛ إذ كان موقفهم في كثير من تلك المعارك موقف المرتزقة ، لهم الأجر والغنيمة في حالتي النصر والهزيمة ...

وتوالى ملك بني حماد بعد وفاة حماد في سنة ٤١٧ ، فلما بعده ولده « القائد » إلى أن توفي سنة ٤٤٦ ، ومالك بعد القائد ابنه « محسن » ثم ملك بعد محسن ابن عمه « بلكين » ، ثم « الناصر » بن علناد بن محمد بن حماد ، إلى أن ملك يحيى بن العزيز المذكور ؛ فظل على عرش ==

هو الحدّث فيما بينه وبين لمتونة ؛ فقصدته عبد المؤمن - كما ذكرنا - في شهر سنة ٥٤٠ ، فحاصر عبد المؤمن بجاية وضيّق عليها أشدّ التضيق ، فلما رأى يحيى ابن العزيز أن لا طاقة له بدفاع القوم ولا يدان بمنّعهم ، هرب في البحر حتى أتى مدينة بونة ، وهي أول حدّ بلاد أفريقية ، ثم خرج منها حتى أتى قسطنطينة المغرب ، فأرسل إليه عبد المؤمن - رحمه الله - بالجيوش ، فاستنزل وأتى به عبد المؤمن ، هذا بعد أن عاهد عبد المؤمن أن يؤمن يحيى في نفسه وأهله .

ودخل عبد المؤمن بجاية ومملكتها ، ومملك قلعة بني حماد ، وهي معقل صنهاجة الأعظم وحرزهم الأمان ، فيها نشأ ملكهم ، ومنها انبعث أمرهم .

وكان يحيى هذا وأبوه العزيز وسجداه المنصور والمنتصر ، وجدّهم الأكبر حماد - من شيعة بني عبيد وأتباعهم والقائمين بدعوتهم ؛ ومن بلادهم - أعنى صنهاجة - قامت دعوة بني عبيد ؛ وهم الذين أظهروها ونشروها ونصروها (١) ؛ فلم يزل ملك بني حماد هؤلاء مستمرا ، ودولتهم قائمة ، وأمرهم نافذا ، لا ينازِعهم أحدٌ شيئا بما في أيديهم ؛ إلى أن أخرجهم من ذلك كله ومملكتهم بأسره وضمّه إلى مملكته : أبو محمد عبد المؤمن بن علي في التاريخ الذي تقدم !

ولما مملكت عبد المؤمن بجاية والقلعة وأعمالها ، رتب من الموحّدين من

== بجاية حتى استولى عليها وعلى قلعة بني حماد وسائر تلك النواحي ، أمير الموحّدين عبد المؤمن بن علي .  
ويذكر ابن الأثير وابن كثير أن مسير عبد المؤمن نحو بجاية ومملكة بني حماد ، كان في سنة ٥٤٦ ، وتمت له الغلبة عليها في سنة ٥٤٧ خلافاً لما يذكره المراكشي .

(١) كذلك كانوا قبل أن يقطع المعز بن باديس الصنهاجي خطبة المنتصر سنة ٤٣٥ ويخلع



يقوم بحماية تلك البلاد والدفاع عنها ؛ واستعمل عليها ابنه عبد الله ؛ وكرز  
راجعا إلى مراکش ومعه وفي مُجنده يحيى بن العزيز ملك صنهاجة وأعيان  
دولته ؛ فحين وصلوا إلى مراکش أمر لهم بالمنازل المتسّعة والمراكب النبيلة  
والكسّى الفاخرة والأموال الوافرة ؛ ونُخصَّ يحيى من ذلك بأجزله ، وأسناه  
وأحْفَلِه ؛ ونال يحيى هذا عنده رتبة عالية وجاها ضخما ، وأظهر عبد المؤمن  
عنايةً به لا مزيدَ عليها ...

بلغنى من طُرقِ عدة أن يحيى بن العزيز كان في مجلس عبد المؤمن يوما ،  
فذكروا تعذّرَ الصرف ؛ فقال يحيى : أما أنا فعلى من هذا كُلفه شديدة ،  
وعبيدى في كل يوم يشكون إلى ما يلقون من ذلك ، ويذكرون أن أكثر  
حوادثهم تعذر لقلة الصرف - وذلك أن عاداتهم في بلاد المغرب أنهم يضربون  
أنصافَ الدراهم وأرباعها وأثمانها والخرايب ، فيستريحُ الناس في هذا  
وتجرى هذه الصروف في أيديهم فتتسع بياعاتهم - فلما قام يحيى بن العزيز من  
ذلك المجلس ، أتبعه عبد المؤمن ثلاثة أكياسٍ صروفٍ كلُّها ، وقال لرسوله :  
قل له لا يتعذرُ عليك مطلوبٌ مادمت بحضرتنا إن شاء الله عز وجل !

وأقام عبد المؤمن رحمه الله بمراكش ، مرتباً للأُمور المختصة بالمملكة ،  
من بناء دور ، واتخاذِ قصور ، وإعدادِ سلاح ، واستنزالِ مُستعصم ، وتأمينِ  
سُبُل ، وإحسانِ إلى رعية ، وما هذا سبيله .

## فصل

[ أحوال الأندلس بعد سقوط دولة المرابطين ]

فأما أحوال جزيرة الأندلس ، فإنه لما كان آخر دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف ، اختلّت أحوالها اختلالاً مُفْرِطاً ، أوجب ذلك تخاذلُ المرابطين وتواكلهُم ، وميلُهُم إلى الدّعة ، وإيثارُهُم الراحة ، وطاعتُهُم النساء ؛ فهاوا على أهل الجزيرة ، وقتلوا في أعينهم ، واجترأ عليهم العدو ، واستولى النصراني على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم ؛ وكان أيضاً من أسباب ما ذكرناه من اختلالها ، قيامُ ابن تومرت بسوس ، واشتغالُ علي بن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة .

ولما رأى أعيان بلاد تلك الجزيرة ما ذكرناه من ضعف أحوال المرابطين ، اخرجوا من كان عندهم من الولاة ، واستبدت كلُّ منهم بضبط بلده ؛ وكادت الأندلس تعود إلى سيرتها الأولى بعد انقطاع دولة بني أمية ؛ فأما بلاد أفرانجة فاستولى عليها ملك ارغن لعنه الله (١) ، وممّلك مع ذلك سرقسطة (٢) - أعادها الله للمسلمين - وكثيراً من أعمال تلك الجهات .

واتفق أمر أهل بلنسية ومرسية وجميع شرق الأندلس على تقديم رجل

(١) هوريمونديبرنج الرابع ، استولى في سنة ٥٤٣ هـ على طرطوشة ، وملك معها جميع فلاعها ، وحصون لاردة وأفرانجة .

(٢) كان استيلاء الأسبان على سرقسطة سنة ٥١٢ هـ - قبل الاستيلاء على أفرانجة بإحدى وثلاثين سنة - في عهد الأذنونش الأول ملك أرغون .

من أعيان الجند اسمه عبد الرحمن بن عياض ؛ وكان عبد الرحمن هذا من  
 صلحاء أمة محمد وخيارهم ؛ بلغني عن غير واحد من أصحابه أنه كان مجاب  
 الدعوة ؛ ومن عجائب أمره أنه كان أرقّ الناس قلباً وأسرعهم دمعة ، فإذا  
 ركب وأخذ سلاحه لا يقوم له أحد ولا يستطيع لقاءه بطل ؛ كان النصراري  
 يعدونه وحده بمائة فارس ، إذا رأوا رايته قالوا : هذا ابن عياض ! هذه مائة  
 فارس ! فحى الله تلك الجهات ودفع عنها العدو ببركة هذا الرجل الصالح ؛  
 وانتشر له من الهيبة في صدور النصراري ما ردّهم عن البلاد . وأقام ابن عياض  
 هذا بشرق الأندلس يحفظ تلك البلاد ويذود عنها إلى أن توفي ، رحمه الله  
 ونصر وجهه وشكر له سعيه ؛ لا أتحقق تاريخ وفاته (١) .

وقام بأمر تلك الجهات بعده رجل اسمه محمد بن سعد ، المعروف عندهم  
 بابن مردنيش (٢) ؛ كان محمد هذا خادماً لابن عياض ، يحمل له السلاح  
 ويتصرف بين يديه في حوائجه ؛ فلما حضرته الوفاة اجتمع إليه الجند وأعيان  
 البلاد فقالوا له : إلى من تسند أمورنا وبمن تشير علينا ؟ وكان له ولد ، فأشاروا

(١) مات من جراح أصابته في فتنة نشبت في مرسية ، سنة ٥٤١ هـ

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش ، ينتسب إلى جذام - من قبائل  
 اليمن - ولكن أهل العلم ينكرون نسب في العرب ، ويرجعون أنه من أصل أسباني ؛ وأن اسم  
 جده الأعلى « مردنيش » محرف عن مرتينيس Martinez أى ابن مارتين ، ويقولون إن  
 والد جده « أحمد بن مردنيش » هو أول من أسلم من آبائه ؛ وكان يترع به عرق إلى الأسبانية ،  
 لأنه كان ينسبه بملوك النصراري في لباسه وسلاحه ، وكان أكثر جنده من مرتزقة الأسبان ، وكان  
 لذلك متهما في دينه ؛ وكان على صلة بملوك النصراري ، يهاديهم بالتحف والألطاف ، وربما استعان  
 بهم على المسلمين في حروبه ! .

وكان بين ابن مردنيش هذا والأمير ابن عياض صهر هيا له السبيل إلى الإمارة من بعده في مرسية  
 وشرق الأندلس .

به عليه ؛ فقال : إنه لا يصلح ، لأنى سمعت أنه يشرب الخمر وَيَغْفُلُ عن الصلاة ، فإن كان ولا بد فقدّموا عليكم هذا - وأشار إلى محمد بن سعد - فإنه ظاهر النجدة كثير الغناء ، ولعل الله أن ينفع به المسلمين !  
فاستمرت ولاية ابن سعد على البلاد إلى أن مات في شهر سنة ٥٦٨ (١) .

\* \* \*

وأما أهل المِثْرِيَّة فأخرجوا من كان عندهم أيضا من المرابطين ؛ واختلفوا فيمن يقدمونه على أنفسهم ؛ فندبوا إليها القائد أبا عبد الله بن ميمون ، ولم يكن منهم ، إنما هو من أهل مدينة دانية ؛ فأبى عليهم وقال : إنما أنا رجلٌ منكم ، ووظيفتى البحرُ وبه عُرفت ؛ فكل عدوٍ جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به ؛ فقدّموا على أنفسكم من شئتم غيرى ! فقدّموا على أنفسهم رجلا منهم اسمه عبد الله بن محمد ، يُعرف بابن الرميى (٢) ؛ فلم يزل عليها إلى أن دخلها عليه

(١) في الإحاطة : أنه مات وهو محصور بمرسية سنة ٥٦١ هـ وفي فتح الطيب : أن وفاته كانت سنة ٥٦٦ هـ

(٢) يكنى أبا يحيى ، وكان أديبا ظريفا طيب النفس ، وأصل بنى الرميى من بنى أمية ملوك الأندلس ؛ وينسبون إلى رميمة : قرية من أعمال قرطبة . وكان يتولى المرية قبله عامل من قبل الموحدين اسمه ابن مخلوف ؛ فخلع أهل المرية طاعة الموحدين وقتلوا عاملهم ذاك ، وولوا عليهم أبا يحيى ابن الرميى ؛ فلما دخل النصارى المرية وفعّلوا بها ما فعلوا ، فرأى ابن الرميى إلى فاس ، وعاش بها ضائعا خاملا ، يسكن في غرفة مفردة ويعيش من نسخ الكتب ؛ وفي ذلك يقول :

أمسيتُ بعد الملك في غرفةٍ ضيّقةٍ الساحلِ والمدخلِ  
تستو حشُّ الأرزاقُ من وجهها فما تزالُ الدهرَ في معزِلِ  
السخنِ بالقوتِ كدَيْها ولا تَقْرُعُها كفُّ أخٍ مُفضِّلِ !

فبينما هو ذات ليلة في غرفته تلك ينسخ في ضوء السراج ، سمع قرعاً بالباب ، ففتحه ، فإذا شخص متكررا يعرفه وقد مده إليه بصرة فيها دنانير ، ويقول : خذها من كف أخ ... وأنت =

النصارى من البر والبحر؛ فقتلوا أهلها وسبوا نساءهم وبنيتهم واتهبوا أموالهم في  
خبر يطول ذكره (١).

\*\*\*

وَمَلَكَ بَجِيَّانَ وَأَعْمَالَهَا إِلَى حِصْنِ شَقُورَةَ وَمَا إِلَى تِلْكَ الشُّغُورِ ، رَجُلٌ  
اسمه عبد الله ، لا أعرف اسم أبيه ، هو معروف عندهم بابن هَمْشِكْ ؛  
وربما ملك عبد الله (٢) هذا قرطبة أياما يسيرة .  
وأقامت على طاعة المرابطين أغرناطة وأشبيلية .

\*\*\*

فهذه جملة أحوال الأندلس في آخر دعوة المرابطين ؛ وفي ضمن هذه الجملة  
مُجْرِيَّاتٍ من أخبار الحصون والقلاع والمدن الصغار أُضْرِبْتُ عن ذكرها  
خوفاً من الإطالة ، لأنها نكرةٌ والتعريف بها مُخْرَجٌ إلى الطول .  
وقام بمغرب الأندلس دُعاة قنن ورموس ضلالات ؛ فاستفزوا عقول

== المفضل ا يشير إلى آياته تلك . فأخذها أبو يحيى وحسنت بها حاله . وله غير هذا شعر جيد .  
(١) روى المقرئ أن عدد من سبي من أبنكار المرية في هذه الغارة بلغ ١٤ ألفاً ا  
(٢) كذا يسميه المراكشي : عبد الله ابن همشك ؛ وفي غيره : لإبراهيم بن محمد بن مفرج بن  
همشك ؛ وهمشك جده نصراني أسلم على يد بني هود بسرقتلة ؛ وقد اتصل ابن همشك بالأمير  
ابن عياض أمير شرق الأندلس ، فتهماً له بهذه الصلة أن يتأمر على شقورة وقلاعها ، وغلظ أمره  
حتى ساوى ابن مردنيش ، وداخله حتى زوجه بنته ، ثم فسد ما بينهما بسبب هذا الصهر فتعاديا ؛  
وكان جباراً عنيفاً شديد النكال عظيم الجرأة ، وقد صفا ما بينه وبين الموحدن في آخره أمره ،  
فأقطعوه بمكناسة أملاكا ذات خطر ، وأقام بها إلى أن مات .  
ويروى ابن الأبار في « تحفة القادام » شعراً لأبي بكر اليعمرى ، من أهل بدة يهجو به لإبراهيم  
ابن همشك :

هَمْشِكٌ مُضَمٌّ مِنْ حَرَفَيْنِ : مِنْ كَهْمٍ ، وَمِنْ شِكْ  
فَعَيْنُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا لِإِمْرِيَّتِهِ أَسَى تَبْكِي ا

الجهال ، واستمالوا قلوبَ العاقمة ؛ من جملتهم رجل اسمه أحمد بن قيسى ؛ كان في أول أمره يدعى الولاية ، وكان صاحبَ حيلٍ وربَّ شَعْبِذَة ، وكان مع هذا يتعاطى صنعة البيان وينتحل طريق البلاغة ؛ ثم ادعى الهداية ؛ بلغنى ذلك عنه من طرق صحاح ؛ ثم لم يستقم له شيء مما أراد ، واختلف عليه أصحابه ؛ وكان قيامه بحصن مارتلة - وقد تقدم اسم هذا الحصن في أخبار الدولة العَبَّادِيَّة (١) - فأسلمه - كما ذكرنا - أصحابه ، واختلفوا عليه ، ودسوا إليه من أخرجوه من الحصن بحيلة حتى أخذه الموحدون قبضاً باليد ؛ فعبروا به إلى العدو ، فأتوا به عبدَ المؤمن رحمه الله ، فقال له : بلغنى أنك ادعيت الهداية ! فكان من جوابه أن قال : أليس الفجر فجران (٢) : كاذب وصادق ؟ فأنا كنت الفجرَ الكاذب ! فضحك عبد المؤمن وعفا عنه ؛ ولم يزل بحضرته إلى أن قتله بعض أصحابه الذين كانوا معه بالأندلس ؛ ولا بن قيسى هذا أخبار قبيحة ، مضمونها الجريمة على الله سبحانه ، والتهاون بأمر الولاية ؛ منغى من ذكرها صرف العناية إلى ما هو أهم منها .

### [ عبور الموحدين إلى الأندلس ]

ولما انتشرت دعوة المصامدة - كما ذكرنا - بالمغرب الأقصى ، تشوَّف إليهم أعيانُ مغرب الأندلس ؛ فجعلوا يفيدون في كل يوم عليهم ، ويتنافسون في الهجرة إليهم ؛ فدخل في ملكهم كثيرٌ من جزيرة الأندلس ، كالجزيرة

(١) انظر ص ١٤٢ - ١٤٣

(٢) كذا قال ؛ وهو غلط نحوى .

الخضراء ، ورندة ؛ ثم أشيلية ، وقرطبة ، وأغرناطة ؛ وكان الذي فتح هذه البلاد الشيخ أبو حفص عمر إبنى المتقدم الذكر في أهل الجماعة (١) ؛ واجتمع على طاعتهم أهل مغرب الأندلس .

فلما رأى عبد المؤمن ذلك ، جمع جموعاً عظيمة ، وخرج يقصد جزيرة الأندلس ؛ فسار حتى نزل مدينة سبتة ، فعبر البحر ، ونزل الجبل المعروف بجبل طارق ، وسماه هو جبل الفتح ؛ فأقام به شهراً ، وابتنى به قصوراً عظيمة ، وبني هناك مدينة هي باقية إلى اليوم ؛ ووفد عليه في هذا الموضع وجوه الأندلس للبيعة ، كأهل مالقة ، وأغرناطة ، ورندة ، وقرطبة ، وأشيلية ، وما إلى هذه البلاد وانضم إليها ؛ وكان له بهذا الجبل يوم عظيم ، اجتمع له وفي مجلسه فيه من وجوه البلاد ورؤسائها وأعيانها وملوكها من العُدوة والأندلس ما لم يجتمع ملك قبله ، واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداءً ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك ، إنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم .

[محمد بن جوس الفاسي الشاعر]

وكان على بابهم طائفة أكثرهم مجيدون ؛ فدخلوا ، فكان أول من أنشد :  
 أبو عبد الله محمد بن جوس من أهل مدينة فاس ؛ وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هاني الأندلسي ، في قصد الألفاظ الرائعة والقواعد المهولة وإيثار التعبير ؛ إلا أن محمد بن هاني كان أجود منه طبعاً وأحلى مهجاً ؛  
 فأنشد في ذلك اليوم قصيدة أجاد فيها ما أراد . [أولها] :

بلغ الزمانُ بهديكم ما أملاه وتعلمت أيامه أن تعدلا  
وبحسبه أن كان شيئا قابلا ه وجد الهداية صورة قشكلا  
لم يبق على خاطرى منها أكثر من هذين البيتين .

ولابن حبسوس هذا قصائد كثيرة ؛ وكان حِظيا عنده (١) ، نال في أيامه ثروة ،  
وكذلك في أيام ابنه أبي يعقوب ؛ وكان في دولة لمتونة (٢) مقدما في الشعراء ،  
حتى نُقلت إليهم عنه حماقات ؛ فهرب إلى الأندلس ، ولم يزل بها مستخفيا  
يقتل من بلد إلى بلد ، حتى انتقلت الدولة المرابطية .

قرأ على ابنه عبد الله من خط أبيه هذه الحكاية ، قال :

دخلت مدينة شلب من بلاد الأندلس ، ولى يوم دخلتها ثلاثة أيام  
لم أطمع فيها شيئا ؛ فسألت عن يقصد إليه فيها ، فدلتني بعض أهلها على  
رجل يُعرف بابن الملح ؛ فعمدت إلى بعض الوراقين فسألته سحابة ودواة ،  
فأعطانيهما ؛ فكتبت آياتا أمتدحه بها ، وقصدت داره ، فإذا هو في الدهلين ؛  
فسلمت عليه ، فرحب بي ورد علي أحسن رد ، وتلقاني أحسن لقاء ، وقال :  
أحسبك غريبا اقلت : نعم ؛ فقال لي : من أى طبقات الناس أنت ؛ فأخبرته  
أنى من أهل الأدب ، من الشعراء ؛ ثم أنشدته الآيات التي قلت ؛ فوقع منه  
أحسن موقع ؛ فأدخلني إلى منزله ، وقدم إلى الطعام ، وجعل يحدثني ؛ فأرأيت  
أحسن محاضرة منه ؛ فلما آن الانصراف ، خرج ثم عاد ومعه عبدان يحملان

(١) يعنى عند المؤمن

(٢) يعنى دولة المرابطين .



صندوقاً حتى وضعه بين يديّ ؛ ففتحه فأخرج منه سبعمائة دينار مُرابِطِيَّة ،  
فدفعها إليّ وقال : هذه لك ! ثم دفع إليّ مُصرَّةً فيها أربعون مثقالاً ، وقال :  
هذه من عندي ! فتعجبت من كلامه وأشكَل عليّ جداً ، وسألته : من أين  
كانت هذه لي ؟ فقال لي : سأحدثك : إنني أوقفتُ أرضاً من جملة مالى للشعراء ،  
غلَّتها في كل سنة مائة دينار ؛ ومنذ سبع سنين لم يأتني أحد لتوالى اليفتن  
التي دكمت البلاد ؛ فاجتمع هذا المال حتى سيقَ إليك ؛ وأما هذه فمن حُرِّ مالى !  
يعنى الأربعين دينار ؛ فدخلتُ عليه جائعاً فقيراً ، وخرجت عنه سبعان غنياً<sup>(١)</sup> .

[الأصم المرواني الشاعر ، ابن الطليق]

وأُنشده في ذلك اليوم رجل من ولد الشريف الطليق المرواني<sup>(٢)</sup> ، كان

(١) انظر قصة ابن عمار في « شلب » ، والسوق الذي ملأ مخلاته شعيراً ، ص ١١٤  
(٢) لما انتشرت دولة بني مروان بالأندلس وتغلب ملوك الطوائف على مابأيديهم من البلاد ،  
تفرق من بقي من بني مروان في البلاد وانبثوا في الشعب وعاشوا كما يعيش سائر الناس ، بلا جاه  
ولا سلطان ؛ ولكن أوليتهم ظلت تحفظ لهم الهيبة في نفوس العامة والخاصة على السواء ، ولقبهم  
الناس بالعرفاء ؛ فكل من نسل من بني مروان فهو عندهم « الشريف المرواني » ، وقد حفظت  
كتب الأدب والتاريخ أسماء طائفة من أعلام العرفاء المروانيين ، منهم الشاعر ، والكاظم ، والفارس ،  
والزاهد ، والمشتغل بتحصيل العلم والتأليف في أصوله وفروعه ؛ فن هؤلاء هذا الشريف المرواني  
الذي يروى المراكشي مدحه لعبدالمؤمن .  
ويسمى المقرئ هذا الشاعر : الأصم المرواني ؛ ويقول إنه أنشده هذه القصيدة في مدح عبدالمؤمن  
يعارض بها بائية أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب

وسبور المراكشي فيما بعد ، حديثاً عن الشريف المرواني الطليق جد الشاعر ، معللاً تسميته  
بالطليق ، طليق النعام . وقد أورد المقرئ حديثاً يشبهه عن الشريف مروان بن عبد الرحمن بن  
عبد الملك بن الناصر الأموي ، ويسميه « الطليق » أيضاً ؛ ثم يعلل هذه التسمية قائلاً : « إنه لما  
قتل أباه - وقد وجدته مع جارية له كان يهواها - سجنه المنصور ابن أبي عامر مدة ، إلى أن رأى =

شريفًا من جهة أمه :

ما لِلْعَدَا مُجَنَّةٌ أَوْ قَى مِنَ الْهَرْبِ \* ... ..

فقال عبد المؤمن رافعا صوته : إلى أين ... إلى أين ؟ فقال الشاعر :

... .. \* أين المفرُّ وخيلُ الله في الطلب !

وَأَيْنَ يَذْهَبُ مِنْ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ \* وَقَدْ رَمَتْهُ سَمَاءُ اللَّهِ بِالشُّهُبِ

حَدَّثَ عَنْ الرُّومِ فِي أَقْطَارِ أَنْدَلُسِ \* وَالبَحْرُ قَدْ مَلَأَ الْعِيبَرِينَ بِالْعَرَبِ (١)

فلما أتم القصيدة قال عبد المؤمن : بمثل هذا تمدح الخلفاء ! فسمي نفسه

خليفةً كما ترى ...

وجد هذا الشاعر هو الشريف الطليق ، طليق النعامه ؛ وإنما سمي بذلك

لأنه كان محبوبا في مطبق أبي عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور القائم

في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بإطلاقه ، فأطلقه ، فن أجل ذلك عرف بالطليق ... »

ولسنا ندري أهذا الطليق الذي يسميه المقرئ هو الطليق الذي يعنيه المراكشي ، اختلف الرواة في سبب تسميته بالطليق ، أم هو طليق مروان آخر من طلقاء المنصور بن أبي عامر ؟.

ثم اعجب لتصرف الأقدار ؛ فإن هذا المنصور بن أبي عامر الذي يستعبد ويعتق ، ويسجن ويطلق ، ويتصرف في حريات بني مروان ومعايشهم - لم يكن في أوليته إلا عاملا من عمالهم وصنيعة من صنائعهم ؛ والملك لله يورثه من يشاء من عباده !

واقظر خبر ابن عطف اليفرنى مع شريف مروان آخر ، هامش ص ٥٢ - ٥٣ .

(١) أورد المقرئ من هذه القصيدة قوله :

و طَوْدٌ طَارِقٌ قَدْ حَلَّ الْإِمَامُ بِهِ \* كَالطَّوْرِ كَانَ لِمُوسَى أَيْمَنَ الرَّتَبِ

لو يعرف الطَّوْدُ ما غشَّاهُ مِنْ كَرِيمٍ \* لَمْ يَبْسُطِ النُّورَ فِيهِ الْكَفَّ لِلْسَّحَبِ

و لو تَيْقَنَ بِأَسَا حَلَّ ذِرْوَتَهُ \* لَغَارَ كَالْعَيْنِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ رَهَبِ

منه يُعَاوَدُ هَذَا الْفَتْحُ ثَانِيَةً \* أَضْعَافَ مَا حَدَّثُوا فِي سَالَفِ الْحَقْبِ

و يلبس الدينُ غَضًّا ثَوْبَ عِزَّتِهِ \* كَأَنَّ أَيَّامَ « بَدْرِ » عَنْهُ لَمْ تَغِيبِ .

بدعوة هشام المؤيد ، أقام في ذلك المحبس سنين ، فكتب يوماً قصة يذكر فيها ما آلت إليه حاله من ضيق الحبس وضنك العيش ، فرُفعت إلى ابن أبي عامر ؛ فأخذها في جملة رِقاع ودخل إلى داره ، فجاءت نعامةٌ كانت هناك ، فجعل يُلقى إليها الرقاع ، فتبتلع شيئاً وتلقى شيئاً ؛ فألقى إليها رقعة هذا الشريف في جملة الرقاع وهو لم يقرأها ، فأخذتها ثم دارت وألقته في حجره ، فرمى بها إليها ثانية ، فدارت القصرَ كلّه ثم جاءت وألقته في حجره ، فرمى بها إليها ثالثة ... وفعلت ذلك مرارا ؛ فتعجب من ذلك ، وقرأ الرقعة ، وأمر بإطلاقه ؛ فسُمي بذلك طليقَ النعامة !

\*\*\*

وأنشد في ذلك اليوم رجلٌ من أهل أشيلية يُعرف بابن سيّد ، ويلقب باللص :

غمّض عن الشمس واستقصر ممدى زُحَلِ

وانظر إلى الجبلِ الراسي على جبلِ

أَنِّي اسْتَقَرَّ بِهِ ، أَنِّي اسْتَقَلَّ بِهِ ه ه أَنِّي رَأَى شَخْصَهُ الْعَالِي فَلَمْ يَزُلْ

فقال له عبد المؤمن : لقد ثقَلتَنا يا رجل ! فأمر به فأجلس ؛ وهذه

القصيدة من خيار ما مدح به ؛ لولا أنه كدَّرَ صفوها بهذه الفاتحة .

[ الرصافي الرفاء الشاعر ]

وأنشده في ذلك اليوم الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن غالب البلسنسي

المعروفُ بالرَّصافي ؛ كان مستوطناً مدينة مالقة (١) :

(١) منسوب إلى رصافة بطنسية ؛ وكان شاعر عصره ؛ اقتصر على العيش من صناعة احترفها =

لوجئت نار الهدى من جانب الطور \* قبست ما شئت من علم ومن نور  
من كل زهراء لم ترفع ذوابتها \* ليلاً لِسارٍ ولم تُشَبِّبْ لَمَقْرُور  
فِيضِيَّةَ القَدْحِ من نور النُّبُوتِ أو \* نور الهداية تجلو ظلمة الزُّور  
ما زال يُقْضِمُهَا التقوى بِمَوْقِدِهَا \* صَوَامُ هاجرة قَوَامُ دِيْجُورِ  
حتى أضاءت من الإيمان عن قَبَسِ \* قد كان تحت رَمَادِ الكفر مكفورِ  
نورُ طوى الله زَندَ الكونِ منه على \* سقط إلى زمن المهدي مذخورِ  
وآية كآيات الشمس بين يدي \* غزوه على الملك القيسي منذورِ  
يادارُ دارُ أمير المؤمنين بسفح الطودِ طودِ الهدى ، بُورِ كَتِ في الدُّورِ  
ذات العبادين من عزِّ ومملكة \* على الأساسين من مُقدس وتطهير  
ما كان بانك بالواني الكرامة عن \* قصرٍ على مجمع البحرين مقصورِ  
مواطئٍ من نبيِّ طالما وُصِلَتْ \* فيها الخُطَا بين تسبيحٍ وتكبيرِ  
حيث استقلتُ به تعلاه بُورِ كَتَا \* فطَيَّبَتْ كُلَّ موطوءٍ ومعبورِ  
وحيث قامت قناة الدين ترْفُلُ في \* لواء نصر على البرين مشورِ  
في كفِّ مَشْمِرِ البُرْدَيْنِ ذِي وَرَعِ \* على التَّقَى وصفاء النفس مفظورِ

== وهي رفء الثياب ، ترفع عن التكسب بشعره ، فأمداحه لذلك قليلة ؛ وكانوا يسمونه « ابن رومي الأندلس » توفي سنة ٥٧٢ بمالقة .

ومن شعره في الترفع عن امداح الملوك :

على أنى لأرضى الشعرَ خطَّةً      ولو صيرتُ خضرًا مسارحى العُبرِ  
يقول أناس : لورفعت قصيدةً      لأدركت حتما في الزمان بها أمرا  
ومن دون هذا غيرة جاهليةٌ      وإن هي لم تلزم فقد تلزم الحُرَّا  
ألم يأتهم أنى وأدتُ بحُكْمِها      بُنيَّاتِ صدرى قبل أن تبرح الصدرَا ؟

يلقاك في حال غيب من سريره \* بعالم القدس مشهود ومحضور  
تسّم السّمك من سخط المارر وقد \* تؤدين ياخير أفلاك العلا سيري (١)  
فيسرن يحملن أمر الله من ملك \* بالله مستنصر في الله منصور  
يومي له بسجود كل محرّكة \* منها، ويؤليه حمداً كل تصرير  
لما تسابقن في بحر الزقاق به \* تركن شطّيه في شك وتحمير  
أهز من موجه أثناء مسرور؟ \* أم خاض من لجه أحشاء مذعور؟  
كانه سالك منه على وشل \* في الأرض من مهج الأسياف مقطور  
من الشيوف التي ذابت لسطوته \* وقد رمى نار هينجاها بتسعير  
ذو الممشآت الجوارى في أجرتها \* شكل الغدائر في سدل وتضفير  
أعدى المياة وأنفاس الرياح لها \* مافي سجاياه من لين وتعطير  
من كل عذراء محبلى في تراثها \* ردعان من عنبر ورد وكافور  
نجأها بين أيدي من بجاذفها \* يغرقن في مثل ماء الورد من مجور  
وربما خاضت التيارات طائرة \* بمثل أجنحة الفتح الكواسير  
كأنما عبرت تحتال عائمة \* في زاخر من يدى يمناه معصور  
حتى رمت جبل الفتحين من كشب \* بساطع من سناه غير مهور  
لله ما جبل الفتحين من جبل \* معظم القدر في الأجيال المذكور  
من شامخ الأنف في سخناه طلّس \* له من العيم جيب غير مزور  
معبراً بذراه عن ذرى ملك \* مستمطر الكف والأكناف بمطور

(١) كذا بالأصل؛ ولم تتين وجهه، أو صوابه.

تُمَسِّي الشُّجُومَ عَلَى إِكْلِيلِ مَفْرِقِهِ \* فِي الْجَوِّ حَائِمَةٌ مِثْلَ الدَّنَائِرِ  
 وَرَبْمَا مَسَّحَتْهُ مِنْ ذَوَائِبِهَا \* بِكُلِّ فَضْلٍ عَلَى قَوْدَيْهِ بِجُرُورِ  
 وَأَذْرَدٍ مِنْ تَنَائِيهِ بِمَا أَخَذَتْ \* مِنْهُ مَقَاحُ أَعْوَادِ الدَّهَارِ بِرِ  
 مُحَنِّكَ حَلَبِ الْأَيَّامِ أَشْطَرَهَا \* وَسَاقَهَا سَوْقَ حَادِي الْعِيرِ لِلْعِيرِ  
 مُقَيَّدِ الحَطَّوِ جَوَّالِ الحَوَاطِرِ فِي \* عَجِيبِ أَمْرِيهِ مِنْ مَاضٍ وَمَنْظُورِ  
 قَدِ وَاصِلِ الصَّمْتِ وَالْإِطْرَاقِ مُفْتَكِرًا \* بِأَدَى السَّكِينَةِ مُغْبَرًا الْأَسَارِ بِرِ  
 كَأَنَّهُ مُكَمِّدٌ بِمَا تَعَبَّدَهُ \* سَخُوفُ الوَعِيدَيْنِ مِنْ دَكِّ وَتَسْيِيرِ  
 أَخْلِقَ بِهِ وَجِبَالُ الْأَرْضِ رَاجِفَةٌ \* أَنْ يَطْمئنَّ غَدَاً مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ  
 كَفَّاهُ فَضْلًا أَنْ أَنْتَابَتْ مَوَاطِنُهُ \* تَعْلَامِيكَ كَرِيمِ السَّعْيِ مَشْكَورِ  
 مُسْتَنْشِيًا بِهَمَا رِيحَ الشَّفَاعَةِ مِنْ \* تَرَى إِمَامٍ بِأَقْصَى الْغَرْبِ مَقْبُورِ  
 مَا أَنْفَكَ آمَلَ أَمْرٍ مِنْهُ بَيْنَ يَدَيْ \* يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَحْتُومِ وَمَقْدُورِ  
 حَتَّى تَصَدَّى مِنَ الدُّنْيَا عَلَى رَمَقٍ \* يَسْتَنْجِزُ الوَعْدَ قَبْلَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ  
 مُسْتَقِيلَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مَرْتَبِيًا \* كَأَنَّهُ بَاهَتْ فِي جِوِّ اسْمِيرِ (١)  
 لِبَارِقٍ مِنْ حُسَامٍ سَلَّهُ قَدْرٌ \* بِالْغَرْبِ مِنْ أَفْقِ الْبَيْضِ الْمَشَاهِيرِ  
 إِذَا تَأَلَّقَ قَيْسِيًّا أَهَابَ بِهِ \* إِلَى شَقِيٍّ مِنْ مُضَاعِ الدِّينِ مَوْتُورِ  
 مَلِكُ أُنَى عِظْمًا فَوْقَ الزَّمَانِ فَمَا \* يَمُرُ فِيهِ بِشَيْءٍ غَيْرِ مَحْقُورِ  
 مَا عَنَّ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا لَهُ أَرَبٌ \* إِلَّا تَأْتَى لَهُ مِنْ غَيْرِ تَعْذِيرِ  
 وَلَا رَمَى مِنْ أَمَانِيهِ إِلَى غَرَضٍ \* إِلَّا هَدَى سَهْمَهُ نَجْحُ الْمَقَادِيرِ

(١) كذا بالأصل ، ولم تتبين وجهه ، أو صوابه .

حتى كأنَّ له في كل آوِيَةٍ ٥ مُسلطانُ رِقِّ على الدنيا وتسخير  
 مُكَيَّرُ الجَيْشِ ، مُلْتفما مواكِبِه ٥ من كلِّ مثلولِ عرشِ الملكِ مقهور  
 من الأولى خَضَعُوا قسراً له وَعَنَوْا ٥ لأمرِه بين مَنْهِيٍّ ومأمور  
 من بعد ما عاندُوا أُمراً فماتَرَكُوا ٥ إذ أمكنَ العَفْوُ ميسوراً لمعسور  
 بِقِيَّةِ الحَرْبِ ، فاتوها وما بهم ٥ في الضَّرْبِ والطعنِ سِيماً لتقصير  
 لا ينكر القومُ مما في أَكْفَهيمُ ٥ يعضُ مَمَّاليلِ أو مُسَمِّرِ مكاسيرِ (١)  
 إذا صَدَّعتَ بأمرِ الله مجتهداً ٥ ضربتَ وحدكَ أعناقَ الجاهيرِ  
 لا يذهبنَ لتقليلِ أخو سببِ ٥ من الأمورِ ، ولا يرُكنُ لتسكيرِ  
 فالبحرُ قد عادَ من ضربِ العَصا يَبَساً ٥ والأرضُ قد غرِقَت من فوَرِ تَنورِ  
 وإنما هو سيفُ الله قَلَدُهُ ٥ أقوى الهداةِ يداً في دفعِ محذورِ  
 فإن يكنُ بيدِ المهديِّ قائمُهُ ٥ فموضعُ الحدِّ منه حَدُّ مشهورِ  
 والشمسُ إنْ ذكرتُ موسى فأنسيتُ ٥ فتاهُ يوشعُ قَمَّاعَ الجبابيرِ  
 وكان الرُّصافي يومَ أنشد هذه القصيدة لم تكمل له عشرون سنة (٢) ؛ وهو  
 من مُجيدى شعراء عصره ، لاسيما في المقاطيع : كالخمسَةِ الأبياتِ فما دونها ؛  
 وقد رويتُ شعره عن جماعةٍ ممن لقيه ، وقد رأيتُ أن أورد منه هاهنا نبذة  
 يسيرة تدلُّ على ما وصفناه به ، فمن ذلك قوله يصف نهر أشيلية الأعظم ، وهو  
 نهر لا نظير له في الدنيا :

(١) كذا بالأصل ؛ ولو استقام له معنى لم يستقم له إعراب !

(٢) قلنا : وهذه القصيدة على ما في بعض أبياتها من ركاكة وسخف ولحن ، تدل على شاعرية  
 مبكرة ، وخاصة الأبيات التي يصف فيها الجبل ، جبل طارق ، في وقتها ، وصنعت ، وشموخ أنفه .

وَمُهْدَلِ الشَّطِينِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ \* مُتَسَايِلٌ مِنْ دُرَّةٍ لَصْفَاءِ  
فَأَمَتْ عَلَيْهِ مَعَ الْهَجِيرَةِ سَرَّحَةٌ \* صَدِئَتْ لَفَيْئَتِهَا صَفِيحَةٌ مَائِهِ  
فَقَرَاهُ أَزْرَقَ فِي عُسْلَالَةِ مُسْمَرَةٍ \* كَالدَّارِعِ اسْتَلَقَ بِظِلِّ لَوَائِهِ  
وَلَهُ وَقَدْ اجْتَمَعَ مَعَ إِخْوَانٍ لَهُ فِي بَعْضِ الْعَشَايَا فِي بَسْتَانِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ  
مُوسَى بْنِ رَزَقٍ :

مَا مِثْلُ مَوْضِعِكَ ابْنَ رَزَقٍ مَوْضِعُ

رَوْضُ بَرِّقٍ \* وَجَدَوْلٌ يَتَدَفَّقُ  
فَكَأَنَّمَا هُوَ مِنْ حَاجِرٍ عَادَةٍ \* فَالْحُسْنُ يَنْبُتُ فِي ثَرَاهُ وَيَنْبُعُ  
وَعَشِيَّةٍ لِبَسْتٍ رَدَاءٍ مُشْجُوبِهَا \* وَالْجَوْثُ بِالْغَيْمِ الدَّقِيقِ مُقَنَّعُ  
بَلَعَتْ بِنَا أَمَدَ الشُّرُورِ تَأَلُّفًا \* وَاللَّيْلُ نَحْوَ فِرَاقِنَا يَتَطَّلَعُ  
فَابْلُلُ بِهَارِمَقِ الْغَبُوقِ فَقَدْ أَتَى \* مِنْ دُونَ قُرْصِ الشَّمْسِ مَا يُتَوَقَّعُ  
سَقَطَتْ فَلَمْ يَمَلِكْ نَدِيمُكَ رَدَّهَا \* فَوَدِدْتُ يَا مُوسَى لَوَانِكَ يُوسَعُ  
وَلَهُ يَصِفُ عَشِيَّةً أَيضًا فِي مَوْضِعِ هَذَا الرَّجُلِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ :

بَحَلُّ ابْنِ رَزَقٍ سَجَّرَ فِيهِ ذُبُولَهُ \* مِنَ الْمَزْنِ سَاقٍ يُحْسِنُ الْجَرَّ وَالشَّقِيَا  
ذَكَرْتُ عَشِيَّةً فِيكَ لَا ذَمَّ عَهْدُهُ \* وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَهْتَعْ بِبَهْجَتِهِ لُقِيَا  
وَلَمْ يَعْتَلِقْ بِي مِنْكَ عِنْدَ افْتِرَاقِنَا \* سِوَى عَبَقِي مِنْ مَسْكِ قَيْئِكَ اللَّامِيَا  
وَكُنْتُ أُرَانِي فِي الْكُرَى وَكَأَنِّي \* أَنَاوَلُ كَالدِّينَارِ مِنْ ذَهَبِ الدُّنْيَا  
فَلَمَّا انطوى ذاك الأصيلُ وحسنه \* عَلَى سَاعَةٍ مِنْ أَنْسَانَا، تَحَيَّتِ الرَّؤْيَا  
وَلَهُ يَصِفُ دَوْلَابَا :



وذى حنين يكاد شوقاً • يَحْتَلِسُ الأَنْفُسَ اختلاسا  
لما غدا للرياض جاراً • قال له المكحلُ لا مِسَاسَا  
يبتسم الرّوضُ حين يبكي • بأدْمَعٍ مارأين بُاسَا  
من كل جفن يسُلُّ سيفاً • صار له غمده رِئاسَا

وله وقد رأى صيبا يتباكي ويجعل من ريقه على عينيه ، يحكى بذلك الدموع :  
عذيرى من جدلان يُبدي كآبة • وأضلعه مما يُحايِ وله صِفْرُ  
اميلدُ مَيَّاسُ إذا قاده الصِّبَا • إلى مُلَحِ الإِدْلالِ أَيْدُهُ السَّحْرُ  
يَيْلٌ مَاتى زَهْرَتَيْهِ بِرَيْقِهِ • وَيَحكى البُكا عمداً كما ابتسم الزَّهْرُ  
ويُوهمُ أن الدمعَ بلَّ جُفونَهُ • وهل عُصرتُ يوماً من النرجس الخمرُ ؟  
وقال يصف نائماً قد تحبب العرق على خده :

ومُهْفَهْفٍ كالغُصنِ إلا أنه • سلب التثنى النوم عن أثنائه  
أضحى ينامُ وقد تحبَّبَ خدُهُ • عرقاً فقلتُ الوردُ رُشَّ بمائه  
وللرصاصي هذا افتنان في الآداب : وكان رحمه الله عفيف الطعنة نزيه  
النفس ، لا يحب أن يشتم بالشعر مع إجادته في كثير منه .

[ وصل الحديث عن عبد المؤمن بن علي ]

وأقام عبد المؤمن بجبل الفتح ، مرتباً للأموار ، متهتداً للمملكة : وأعيانُ  
البلاد يفيدون عليه في كل يوم ، إلى أن تم له ما أراد من إصلاح ما استولى  
عليه من جزيرة الأندلس .

فوالى مدينة أشيلية وأعمالها ابنه يوسف ، وهو الذى ولى الأمور بعده

على ماسياتى بيانه ؛ وترك معه بها من أشياخ الموحدين وذوى الرأى والتحصيل  
منهم من يرجع إليه فى أموره ، ويعول عليه فيما ينويه .  
وولى قرطبة وأعمالها أبا حفص عمر إبنىتى .

وولى أغرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن ، يكنى أبا سعيد ، وكان  
من نباء أولاده ونجبائهم وذوى الصرامة منهم ؛ وكان محبا فى الآداب ، مؤثراً  
لأهلها ، يهتز للشعر ويثيب عليه ، اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان  
الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده .

ثم كثر عبد المؤمن راجعاً إلى مراكش ، بعد ماملأ ما مملك من أقطار جزيرة  
الأندلس خيلاً ورجالاً من المصامدة والعرب وغيرهم من أصناف الجند .

[ منازل العرب الهلالية فى المغرب والأندلس ]

وقد كان حين أراد العبور إلى جزيرة الأندلس ، استنفر أهل المغرب  
عامة ؛ فكان فيمن استنفره العرب الذين كانوا ببلاد يحيى بن العزيز (١) ؛ وهم  
قبائل من هلال بن عامر ، خرجوا إلى البلاد حين خلى بنو عبيد بينهم وبين  
الطريق إلى المغرب ؛ فعاثوا فى القيروان عيثاً شديداً أوجب خرابها إلى اليوم ؛  
ودوخوا مملكة بنى زيرى بن مناد (٢) ، وهذا بعد موت المعز بن باديس ؛ فاتقل  
تيمم إلى المهديّة (٣) ، وسار هؤلاء العرب حتى نزلوا على المنصور بن المنتصر ؛

(١) يعنى مملكة بنى حماد بأفريقية ؛ وانظر التعليق ص ٢٠٤ - ٢٠٦

(٢) بنو حماد أصحاب بجاية ، وبنو باديس أصحاب القيروان والمهديّة : ينسبون جميعاً إلى زيرى

ابن مناد الصنهاجى الحميرى ، وقد فصلنا حديثهم فى التعليق رقم ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٦

(٣) يعنى تيمم بن المعز بن باديس ، وقد أزعجه هؤلاء العرب عن مقر ملكه ، حتى اضطر إلى

الزوح من القيروان - حاضرة ملكه - إلى المهديّة .

فصالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد ، من تتمرها ووبرها وغير ذلك ؛ فأقاموا على ذلك باقى أيامه ، وأيام ابنه الملقب بالعزيز ، وأيام يحيى ؛ إلى أن ملك البلاد أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله ، فأزال ذلك من أيديهم ، وصيرهم جنداً له ، وأقطع رؤسائهم بعض تلك البلاد .<sup>(١)</sup>

فكتب إليهم رسالة يستنفرهم إلى الغزو بجزيرة الأندلس ، وأمر أن تكتب في آخرها آيات قالها - رحمه الله - في ذلك المعنى ، وهى :

أقيموا إلى العلياء هرج الرواحِلِ \* وقودوا إلى الهيجا مجرد الصواهل  
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر \* ومشدوا على الأعداء شدة صائل  
فما العز إلا ظهر أجرد ساجح \* يفوت الصبا في شدة المتواصل  
وأبيض مأثور كأن فرندة \* على الماء منسوج وليس بسائل  
بنى العم من عليا هلال بن عامر \* وما جمعت من باسل وابن باسل  
تعالوا فقد شدت إلى الغزو نية \* عواقبها منصور بالأوائل  
هى الغزوة الغراء والموعود الذى \* تنجز من بعد المدى المتناول  
بها تفتح الدنيا ، بها تبلغ المنى ، \* بها ينصف التحقيق من كل باطل  
أهبتنا بكم للخير والله حسبنا \* وحسبكمو والله أعدل عادل  
فاهمنا إلا صلاح جميعكم \* وتسريحكم فى ظل أخضر هائل

(١) استمر هؤلاء العرب من بنى هلال بن عامر مصدر قلق فى شمال أفريقيا أكثر من قرن وهم وقائع مذكورة تفتح بها كتب التاريخ ؛ ومن وقائعهم هذه استمد القصاص الشعبي لإمامه فى « سيرة أبى زيد الهلالى سلامة » التى ما تزال تلاوتها حتى اليوم مادة من مواد السمر المحبوب فى الجامع الشعبي .

وتسويِعُكُمْ نِعْمَتِي تَرَفُّ ظِلَالُهَا ۝ عَلَيْكُمْ بِخَيْرٍ عَاجِلٍ غَيْرِ آجَلٍ  
 فَلَا تَتَوَانَوْا فَالْبِدَارُ غَنِيمَةٌ ۝ وَلِلْبُدُجِ السَّارِي صَفَاءُ الْمَنَاهِلِ  
 فَاسْتَجَابَ لَهُ مِنْهُمْ جَمْعٌ ضَخْمٌ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْفِصَالَ عَنِ الْجَزِيرَةِ رَتَبَهُمْ فِيهَا ؛  
 فَجَعَلَ بَعْضَهُمْ فِي نَوَاحِي قُرْطَبَةَ ، وَبَعْضَهُمْ فِي نَوَاحِي أَشْبِيلِيَّةٍ مِمَّا يَلِي مَدِينَةَ  
 شَرِيشٍ وَأَعْمَالَهَا ؛ فَهَمَّ بِهَا بِاقْوُونَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا - وَهُوَ سَنَةُ ٦٢١ - وَقَدْ انْتَشَرَ  
 مِنْ نَسْلِهِمْ بِتِلْكَ الْمَوَاضِعِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ؛ وَزَادَ فِيهِمْ أَبُو يَعْقُوبَ وَأَبُو يَوْسُفَ  
 حَتَّى كَثُرُوا هُنَاكَ ؛ فَبِالْجَزِيرَةِ الْيَوْمَ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ زُغْبَةٍ وَرِيَّاحٍ وَجُحْمٍ  
 ابْنِ بَكْرٍ وَغَيْرِهِمْ نَحْوُ مِنْ خَمْسَةِ آلَافٍ فَارِسٍ سَوَى السَّرَّجَالَةِ .

\* \* \*

وكان عبورُ عبد المؤمن - رحمه الله - إلى الجزيرة ونزوله بجبل الفتح في  
 سنة ٥٣٨ ، ثم كثر - كما ذكرنا - راجعاً إلى مراکش ؛ فأخبرني غير واحد من  
 أرضى نقله ، أنه لما نزل مدينة سَلا - وهي مدينة على البحر الأعظم المحيط ،  
 ينصبُّ إليها نهر عظيم يصب في البحر المذكور - عبّر النهر ، وُضِرَّتْ لَهُ خِيْمَةٌ  
 عَلَى الشَّاطِئِ ؛ وَجَعَلَتْ الْعَسَاكِرُ تَعْبُرُ قَبِيلَةً بَعْدَ قَبِيلَةٍ ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى كَثْرَةِ الْعَدَدِ  
 وَاتِّشَارِ الْعَالَمِ ، خَرَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدَّ بِلِّ الدَّمْعِ لِحَيْتِهِ ؛ وَالتَفَتَ  
 إِلَى مَنْ عِنْدَهُ وَقَالَ : « أَعْرِفُ ثَلَاثَةَ أَشْخَاصٍ وَرَدُّوا هَذِهِ الْمَدِينَةَ لَا شَيْءَ لَهُمْ  
 إِلَّا رَغِيفٌ وَاحِدٌ ، فَرَامُوا مُعْبُورَ هَذَا النَّهْرِ ، فَأَتَرَا صَاحِبَ الْقَارِبِ وَبَدَّلُوا لَهُ  
 الرَغِيفَ عَلَى أَنْ يَعْبرُوا ثَلَاثَتَهُمْ فَقَالَ : لَا آخِذْهُ إِلَّا عَلَى اثْنَيْنِ خَاصَّةً ؛ فَقَالَ  
 لَهُمْ أَحَدُهُمْ - وَكَانَ شَابًا جَدًّا - : خَذَا ثِيَابِي مَعَكُمْ وَأَعْبُرْ أَنَا سَبَاحَةً ! فَأَخَذَا ثِيَابَهُ

معهما ، وصعدا في القارب ؛ فجعل الشاب يسبح ، فكلما أعيانا من القارب ووضع يديه عليه ليستريح ، ففصر به صاحبه بالمجداف الذي معه حتى يؤلمه ؛ فما بلغ البر إلا بعد جهد شديد ! .

فما شك السامعون للحكاية أنه العابر سباحة ، وأن الاثنين المذكورين هما ابن تومرت وعبد الواحد الشرقي .

ثم سار حتى أتى مراکش ، فزلها ، وأخذ في البناء والغراسة وترتيب القصور ، غير مُخْلِ بِشَيْءٍ مما تحتاج إليه المملكة من السياسة وتدبير الأمور وبسط العدل والتحبُّب إلى الرعية وإخافة من تجب إخافته .

وأخبرني السيد حقيقة والماسجد خلقا وخليقة ، أبو زكريا يحيى ابن الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن الإمام أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي ؛ أنه رأى على ظهر كتاب الحماسة بخط الخليفة عبد المؤمن هذين البيتين ، وقال لي رحمه الله : لا أدري هماله أو لغيره (١) :

وَحَكَمَ السَّيْفَ لَا تَعْبًا بِعَاقِبَةٍ ۞ وَخَلَّهَا سِيرَةً تَبْقَى عَلَى الْحَقَبِ  
فَمَا تُتَالُ بِغَيْرِ السَّيْفِ مَنزَلَةٌ ۞ وَلَا تُرَدُّ مُدَوَّرُ الْخَيْلِ بِالْكَتُبِ  
وقد كان عبد المؤمن حين فصل عن بحاية وولَّى عليها ابنه عبد الله -  
حسبا تقدم (٢) - عهد إليه أن يشن الغارات على نواحي أفريقية ؛ (٣) وأن

(١) نحسبهما من شعر الأصب الرواني ، من تصديده التي أولها :

۞ مَا لِلْعِدَا مُجَنَّةٌ أَوْ قِيَّ مِنَ الْهَرْبِ ۞

انظر ص ٢١٥ - ٢١٦

(٢) انظر ص ٢٠٧

(٣) كان ذلك بعد انتثار عقد دولة بني باديس ، وفرار آخر ملوكها أبي يحيى الحسن بن علي .

انظر التعليق ص ٢٠٤ - ٢٠٦

يضيقي على تونس ويمنع عنها المرافق التي تصل إليها على طريقه ؛ ففعل ذلك .

[ غزو الموحدين لأفريقية ]

ثم إن عبد الله تجهز في جيش عظيم من المصامدة والعرب وغيرهم ، وسار حتى نزل على مدينة تونس ، وهي حاضرة أفريقية بعهد القيروان ، وكرسى مملكته ، ومقر تديرها ، وإياها يستوطن والى أفريقية ، لم يزل هذا معروفا من أمرها إلى وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ - فحاصرها عبد الله المذكور ، وأخذ في قطع أشجارها وتعوير مياهها ؛ وكان الذي يملكها في ذلك الوقت لوجار بن لوجار المعروف بابن الدوقة الرومي صاحب صقلية ، لعنه الله ! وكان عامله عليها رجل من المسلمين اسمه عبد الله ؛ يعرف بابن خراسان (١) ؛ لم يزل عاملا عليها حتى أخرجه الموحدون في التاريخ الذي سيذكر ؛ فلما طال على ابن خراسان الحصار ، أجمع رأيه ورأى أهل البلد من الجند على الخروج لقتال المصامدة ؛ ففعلوا ذلك ، وخرجوا بجيـل ضخمة ؛ فالتقواهم وأصحاب عبد الله (٢) ؛ فانهزم أصحاب عبد الله ، وقُتل منهم خلق كثير ؛ ورجع عبد الله ببقية أصحابه إلى بجاية ؛ فكتب إلى أبيه يخبره بذلك .

[ فتح المهديـة واسترجاعها من يد الصقليين ]

فلما كان في آخر سنة ٥٥٣ أخذ عبد المؤمن في الحركة إلى أفريقية ؛ فجمع جموعا عظيمة من المصامدة وغيرهم من مجند المغرب ؛ وسار حتى نزل على

(١) في ابن الأثير : أحمد بن خراسان .

(٢) يعني عبدالله بن عبد المؤمن .

مدينة تونس ، فافتتحها عُمُوة : وقَصَلَ عنها إلى مهدية بنى عبيد (١) : وفيها الروم أصحابُ ابن الدوقه ، وفيها معهم يحيى (٢) بن حسن بن تميم بن المعز بن باديس ابن المنصور بن بُلجّين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، ملوك القسروان : فنزل عبد المؤمن عليها فحاصرها أشد الحصار ، وهي من معاقل المغرب المنيعه ؛ لأن بنائها في غاية الإحكام والوثاقه : بلغني أن عرض حائط سورها تمشى ستة أفراس في صف واحد ، ولا طريق لها من البر إلا على باب واحد ، والبحر في قبضة من في البلد : يدخل الشينى كما هو بمقالتيه إلى داخل دار الصناعة ، لا يقدر أحد ممن في البر على منعه ؛ فهذا قدر الروم على الصبر على الحصار : لأن النجدة كانت تأتيمهم من صقلية في كل وقت ؛ وأقام عبد المؤمن وأصحابه عليها سبعة أشهر إلا أياما ؛ وأصابهم عليها شدة شديدة من غلام

(١) تسمى مهدية بنى عبيد ، لأن بابها هو المسمى بالمهدى رأس دولة العبيدين ، وكانت حاضرتهم قبل أن ينتقلوا إلى القاهرة .

(٢) ذكرنا في التعليق ص ٢٠٥ أن أبا يحيى حسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز ، آخر ملوك بني باديس ، لجأ إلى ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية ، بعد انتهاء ملكه واستيلاء صاحب صقلية على المهديّة ؛ فالآن نذكر أن أبا يحيى هذا في أثناء سيره إلى ابن عمه ببجاية ؛ فقيه بالطريق أمير من العرب اسمه حسن بن نعلب ، فطالب أبا يحيى بمال كان له عنده ؛ فدفع إليه أبو يحيى ولده يحيى رهينة ؛ ثم سار في طريقه ... قبل هو يحيى بن حسن الذي يعنيه المراكشي هنا ويقول إنه كان بالمهدية مع الروم حين قصد إليها عبدالمؤمن غازيا ؟ نعتي : هل دفعه حسن بن نعلب أمير العرب إلى خصوم أبيه في المهديّة فظل بها معهم حتى جاء عبدالمؤمن لاستردادها من يد النصارى بعد اثني عشر عاماً من احتلالهم لها ؟

إن صح هذا فهو لاذن : يحيى بن حسن [ بن علي ] بن تميم بن المعز ... ابن بلكين . ويلاحظ أن المراكشي يسميه ابن بلجين ، بالجم لا بالكاف .

ثم نقول : إن أبا يحيى حسن بن علي آخر ملوك أفريقيا ، كان في جيش عبدالمؤمن هذا الذي سار لحصار المهديّة واستردادها من يد الروم الصقليين ؛ فلما من الله عليهم بالفتح ، ظل أبو يحيى في المهديّة ، وأقطع به عبدالمؤمن رزقا جزيلا ، وأمر نائبه عليها أن يتخذ أبا يحيى له معينا ومشيروا ...

السعر : بلغنى عن غير واحد أنهم اشتروا الباقلاء فى العسكر ، سبع باقلات بدرهم مؤمنى ، وهو نصف درهم النصاب : ثم افتتحها عبد المؤمن - رحمه الله - بعد أن آمن النصارى الذين بها على أنفسهم ، على أن يخرجوا له عن البلد ويلحقوا بصقلية بلادهم حيث مملكة صاحبهم : ففعلوا ذلك ، ودخل عبد المؤمن وأصحابه المهديّة فملكوها .

وبعث إلى قابس من افتتحها ، وفيها الروم أيضا .

[ امتداد مملكة الموحدين إلى الشرق ]

ثم افتتح طرابلس المغرب ، وأرسل إلى بلاد الجريد ، وهى توزر ، وقفصة ، ونفطة ، والحامة ، وما والى هذه البلاد : فافتتحت كلها ، وأخرج الإفرنج منها وألحقهم ببلادهم كما تقدم : فحبا الله به الكفر من أفريقية ، وقطع عنها طمع العدو : فانتبه بها الدين بعد خموله ، وأضاء كوكب الإيمان بعد انطهاسه وأفوله .

وتم لعبد المؤمن - رحمه الله - ملك أفريقية كلها منتظما إلى مملكة المغرب : فملك فى حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة ، وأكثر جزيرة الأندلس ؛ وهذه مملكة لم أعلمها انتظمت لأحد قبله منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته .

[ ألوان من شكر النعمة ]

ثم كثر عبد المؤمن راجعا من أفريقية ، بعد ما استولى على بلادها ودان له أهلها : فأخبرنى بعض أشياخ الموحدين من ذوى التحصيل منهم والثقة ، أن



عبد المؤمن مرّ في طريقه راجعاً من أفريقية ببجاية؛ فدخل البلد متزهاً فيه،  
 فتر بسويقة بناحية باب من أبوابها يدعى باب تأطنت؛ فوقف ووقفت معه  
 وجوه دولته؛ فسأل عن بيّاع بها سمّاه باسمه؛ فأخبره أهل السويقة بوفاته،  
 فقال: هل خلف عقيباً؟ قالوا: نعم؛ فأمر بشراء جميع الدكاكين التي بتلك  
 السويقة وأوقفها عليهم، وأمر لهم بمال كثير؛ ثم التفت إلى بعض خواصه  
 وقال له: أتيت إلى هذا البيّاع ولى وللإمام - يعني ابن تومرت - ولجماعة من  
 أصحابنا من الطلبة أيام لم نطعم فيها، وما معي إلا سكين الدّواة؛ فأخذت  
 منه خبزاً وإداماً، ثم وضعت عنده السكين رهناً على ذلك، فأبى قبولها وقال لي:  
 إني توّسّمتُ فيك الخير؛ فتي أعوزك شيءٌ فهلمّ الدكان فهو بين يديك وبحمك!  
 فحقه على أكثر من هذا.

\*\*\*

ونظر في هذا اليوم الذي ركب فيه مخترقاً ببجاية إلى يحيى بن العزيز<sup>(١)</sup>  
 يمشى بين يديه راجلاً وقد علاه الغبار؛ فدمعت عيناه، واستدعاه فقال له:  
 أتذكر يوماً خرجت إلى بعض متزهاتك، فأذكر أني جمعت وإياك هذا الباب،  
 فوطئت دابّتك عقيباً، فلما نظرت إليك أمرت بعض عبيدك فوكزني وكزة  
 كدت أقع منها ليني! فاستجيا يحيى وتغيّر لونه وأطرق، وجعل يقول:  
 الله الله يامولاي! وظن أنه الشر؛ فلما رأى ذلك منه قال له: إنما ذكرت لك  
 ذلك على طريق الاعتبار؛ ولتذكّر وتنظر كيف تقلّب الأيام بأهلها!

(١) صاحب عرش بجاية قبل عبدالمؤمن؛ وكان يصحبه في أثناء مسيره إلى بجاية؛ كما كان  
 حسن بن علي صاحب عرش المهديّة الأول يصحبه في مسيره إلى المهديّة!

وأمر له بما زال به رَوْعُه .

\*\*\*

ومرَّ في طريقه هذا ما بين البطحاء وتلسان بموضع قد التفَّ فيه الدوح ،  
فجاءت منه دَوْحَةٌ عظيمة في وسطها رَحْبَةٌ نقيّة ؛ فأمر أن يُضرب خبأؤه  
هنالك ؛ وهو غيرُ منزلٍ معروف ، فلما نزل ونزلت العساكر واستقر بهم  
النزول ، قال لبعض خواصه : أتدرون لِمَ آثرتُ النزولَ بهذا المكان ؟ قالوا :  
لا ؛ قال : ذلك لأنِّي بَتُّ بهذا الموضع في بعض الليالي جائعاً مقروراً ، وكانت  
ليلةً ممطورة ؛ فما زال هذا الدوح وقائي حتى أصبحت ؛ فأردت النزول هنا على  
هذه الحالة لأشكر الله سبحانه على الفرقِ ما بين المنزلتين والفصلِ ما بين  
المبيتين ! ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين شكراً لله عز وجل . وجدتُ هذه  
الحكاية بخط رجل من ولدِ ولدِ عبدالمؤمن اسمه موسى بن يوسف بن عبدالمؤمن .

\*\*\*

وبدأ له في هذا الوجه أن يمر على القرية التي تُسمّى تاجرا - وبها كان  
مولده كما تقدم (١) - لزيارة قبر أمه وصلةً منْ هُناك من ذوى رَحْمِهِ ؛ فلما  
أُطلَّ عليها والجيشُ قد انتشرت بين يديه وقد خفقتْ على رأسه أكثرُ من  
ثلاثمائة راية ما بين بنود وألوية ، وهزّتْ أكثرُ من مائتي طبل - وطبولهم في  
نهاية الكبر وغاية الضخامة ، يخيل لسامعها إذا ضربت أن الأرض من تحته  
تهتزُّ ويحسُّ قلبه يكاد يتصدع من شدة دَوِيِّها - فخرج أهل القرية للقائه  
والتسليم عليه بالخلافة ؛ فقالت امرأةٌ عجوزٌ من عجائز القرية ، ممن كانت تصحب  
أُمَّه : هكذا يعود الغريب إلى بلده ! تقول ذلك رافعةً صوتها ...

[وفاء وفداء]

ونازع عبد المؤمن الأمر قوم من قرابة ابن تومرت يُعرفون بأيت  
ومغار - معناه بالعربية : بنو ابن الشيخ - وانتهوا في ذلك إلى أن أجمع رأيهم  
ورأى من وافقهم على سوء صيدهم على أن يدخلوا على عبد المؤمن خباءه  
ليلا فيقتلوه ؛ وظنوا أن ذلك يخفى من أمرهم ، وأن عبد المؤمن إذا فقد  
ولم يعلم من قتله صار الأمر إليهم ؛ لأنهم أحق به ؛ إذ كانوا أهل الإمام  
وقرابتة وأولى الناس به ؛ فأعلم بما أرادوه من ذلك رجل من أصحاب ابن  
تومرت ، من خيارهم ، اسمه اسماعيل بن يحيى الهزرجي ؛ فأتى عبد المؤمن  
فقال له : يا أمير المؤمنين ، لي إليك حاجة ! قال : وما هي يا أبا إبراهيم ؛ فجميع  
حوادثك عندنا مقضية ! قال : أن تخرج عن هذا الخباء وتدعني أبيت فيه !  
ولم يعلمه بمراد القوم ؛ فظن عبد المؤمن أنه إنما يستوهبه الخباء لأنه أعجبه ؛  
فخرج عنه وتركه له ؛ فبات فيه اسماعيل المذكور ؛ فدخل عليه أولئك القوم  
فتمولوه بالحديد حتى برد ؛ فلما أصبحوا ورأوا أنهم لم يصبوا عبد المؤمن ؛  
فروا بأنفسهم حتى أتوا مراكش وراموا القيام بها ؛ فأتوا البوابين الذين على  
القصور فطلبوا منهم المفاتيح ، فأبوا عليهم ؛ فضربوا عنق أحدهم وفر باقيهم ؛  
وكادوا يغلّبون على تلك القصور ؛ ثم إن الناس اجتمعوا عليهم ، من الجند  
وخاصة العبيد ، فقاتلوهم قتالا شديدا من لدن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ؛  
ثم إن العبيد غلبوهم على أمرهم ؛ ولم يزل الناس يتكاثرون عليهم إلى أن أخذوا  
قبضاً باليد ، فقيّدوا ومجّلوا في السجن إلى أن وصل أبو محمد عبد المؤمن -

رحمه الله - إلى مراکش؛ فقتلهم صبورا، وقتل معهم جماعة من أعيان هرغة، بلغه أنهم قادحون في مملكة متر بصون به.

ولما أصبح أبو إبراهيم إسماعيل المتقدم الذكر في الخباء مقتولا على الحال التي ذكرنا، أعظم ذلك عبداً المؤمن ووجد عليه وجداً مفرطاً أخرجه عن حد التماسك إلى حيز الجزع، فأمر بغسله وتكفينه، وصلى عليه بنفسه، ودُفن. ولم يترك إسماعيل هذا من الولد سوى ولد واحدٍ ذكر، اسمه يحيى. نال يحيى هذا في أيام أبي [يوسف] يعقوب جاهاً متسعا ورتبة عالية، وكذلك في أيام أبي عبد الله [محمد]؛ كانت أكثر أمورهم ترجع إليه؛ لم يزل كذلك إلى أن مات في شهور سنة ٦٠٢ وترك بنتاً واحدة تزوجها أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، اسمها فاطمة، لا عقب له منها؛ طال عمرها، تركها بالحياة حين فصلتُ عن مراکش في شهور سنة ٦١١.

\*\*\*

ولإسماعيل هذا مع ابن تومرت خبر يقربُ مما قدّمنا في النصيح والتحذير، تكلّف فيه إسماعيل غاية التلطف؛ وذلك أن ابن تومرت حين خرج من مراکش على الحال التي تقدمت من إخراج أمير المسلمين لإياه عنها<sup>(١)</sup>، سار حتى نزل الضيعة التي فيها أبو إبراهيم؛ فدخل المسجد، فاجتمع أهل الضيعة على باب المسجد ينظرون إلى ابن تومرت ويقول بعضهم لبعض همسا: هذا الذي نفاه أمير المسلمين عن بلاده لإفساده عقول الناس؛ ونحو

(١) انظر من ١٨٦

هذا القول ؛ وهُمّوا بقتله تقرُّباً بذلك إلى أمير المسلمين ؛ فلما رأى ذلك أبو إبراهيم من أمرهم ، تقدم إلى ابن تومرت فسأله عن إعراب هذه الآية : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين . » ففهم ابن تومرت ما أراد ، وخرج عن تلك الضيعة ، وعرف لأبي إبراهيم نصحه ؛ ثم لحق به أبو إبراهيم هذا بعد ما اشتهر أمره بتينمل ؛ فهو معدود في أهل الجماعة .

\* \* \*

ولما قتل عبد المؤمن أولئك القوم الذين قدمنا ذكرهم صبراً ، هابه المصامدة وسائر أهل دولته ، وعظم أمره في صدورهم .

وأقام عبد المؤمن بمراكش بقية سنة ٥٥ وسنة ٦ وسنة ٧ وفي أول سنة ٥٨ خرج أمره إلى الناس كافة بالغزو إلى بلاد الروم من جزيرة الأندلس ؛ وكُتبت عنه الكتب إلى سائر الجهات يستنفر الناس ويحثّهم على الجهاد ويرغبهم فيه ؛ فاجتمعت له جموع عظيمة ؛ وخرج يقصد جزيرة الأندلس مُظهراً للغزو والاحتساب ، ويتم أيضاً مع ذلك ما بقى عليه من مملكته مما ييد محمد بن سعد المتقدم الذكر (١) ؛ فسار بالجيوش حتى نزل مدينة سلا ؛ فأقام بها ينتظر تكامل العساكر ؛ فاعتلّ علته التي مات منها رحمه الله .

[ وفاة عبد المؤمن وعهده لولده ]

وكانت وفاته كما تقدم في السابع والعشرين من جمادى الآخرة من هذه

السنة ، أعنى سنة ٥٨ .

(١) محمد بن سعد بن مردنيش ، ملك شرق الأندلس . انظر ص ٢٠٩

وكان قد عهد في حياته إلى أكبر أولاده محمد ، وبإيعه الناس ، وكتب  
بييعته إلى البلاد : فأبى تمامَ هذا الأمرَ لمحمدِ هذا ما كان عليه من أمور لا تصلح  
معها الخِلافة ، من إدمان شرب الخمر ، واختلال الرأى ، وكثرة الطيش ، وجبن  
النفس ؛ ويقال إنه مع هذا كان به ضربٌ من الجُذام ، فإله أعلم .  
ولما مات عبد المؤمن ، اضطرب أمر محمد هذا واختُلف عليه اختلافا  
كثيراً : فكانت ولايته إلى أن خلع خمساً وأربعين يوماً ، واتفقوا على خلعه في  
شعبان من هذه السنة ؛ وكان الذى سعى فى خلعه - مع ما قدمنا من استحقاقه  
لذلك - أخواه يوسف وعمر .

### ذكر ولاية أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

وما يتعلق بها

ولما تم خلع محمد فى التاريخ المذكور ، بعد اتفاق من وجوه الدولة على  
ذلك ، دار الأمر بين اثنين من ولد عبد المؤمن : يوسف ، وعمر ؛ وهما من  
نهباء أولاده ونجبائهم وذوى الرأى والعناء منهم ؛ فأباها عمر منهما وتأخر عنها  
مختاراً ؛ وبإيع لأخيه أبى يعقوب ، وسلم له الأمر ؛ سحمله على ذلك فرط عقله  
وإثار دينه وحب المصلحة للمسلمين ؛ لأنه كان يعلم من نفسه أشياء لا يصلح  
معها لتدبير المملكة وضبط أمور الرعية ؛ فبايع الناس أبى يعقوب ، واتفقت  
عليه الكلمة ؛ فلم يختلف عليه أحد من الناس من إخوته ولا غيرهم ؛ وذلك  
كله بحسن سعى أبى حفص عمر بن عبد المؤمن ، وشدّة تليطفه ، وجمود  
رأيه ؛ فاستوسق لأبى يعقوب هذا أمره ، وتمت بيعته فى التاريخ المذكور ؛

وكان الساعى فيها والقائم بها وهديرها إلى أن تمت - كما ذكرنا - أخوه لأبيه وأمه ، أبو حفص المتقدم الذكر .

وأبو يعقوب هذا هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي ؛ أمه وأمُّ أخيه أبي حفص ، امرأة حرة اسمها زينب ابنة موسى الضيرير ؛ كان [موسى هذا] من [شيوخ] أهل تينمل وأعيانهم ، [من ضيعة يقال لها: أنسا] ؛ وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراکش إذا خرج عنها ، وكانت مصاهرته إياه أيام كان عبد المؤمن بتينمل ، برأى ابن تومرت ؛ وخلف موسى هذا من الولد المذكور ثلاثة : إبراهيم ، وعليا ، ومحمدا ؛ وبنات .

### صفة أبي يعقوب

كان أبيض تعلوه حمرة ، شديد سواد الشعر ، مستدير الوجه ، أفوة ، أعين ، إلى الطول ماهو ؛ في صوته جهارة ، رقيق حواشى اللسان ، حلو الألفاظ ، حسن الحديث ، طيب المجالسة ، أعرف الناس كيف تكلمت العرب ، وأحفظهم لأيامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام ؛ صرف عنايته إلى ذلك أيام كونه بأشبيلية والياً عليها في حياة أبيه ؛ ولقى بها رجلا من أهل علم اللغة والنحو والقرآن ؛ منهم الأستاذ اللغوى المتقن أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الملك المعروف عندهم بابن مُلْكون ؛ فأخذ عنهم جميع ذلك وبرع في كثير منه .

أخبرني من لقيته من ولده ، كأي زكريا ، وأبي عبد الله ، وأبي إبراهيم إسحاق ، وغيرهم من لقيته وشافهته منهم ، أنه كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن ،

وأسرعهم نفوذَ خاطر في غامض مسائل النحو ، وأحفظهم للغة العربية ؛ وكان شديد الملوكية ، بعيد الهمة ، سخيا جوادا ، استغنى الناس في أيامه وكثرت في أيديهم الأموال ؛ هذا مع إثثار للعلم شديد ، وتهطش إليه مُفرط ؛ صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين - الشك مني ؛ إما البخارى أو مسلم ، وأغلب ظنى أنه البخارى - حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن ؛ هذا مع ذكرُ مجمل من الفقه ؛ وكان له مشاركة في علم الأدب ، واتساعُ في حفظ اللغة ، وتبحرُ في علم النحو حسبما تقدم ؛ ثم طمح به شرفُ نفسه وعلوُّ همته إلى تعلم الفلسفة ، فجمع كثيراً من أجزاءها ، وبدأ من ذلك بعلم الطب ، فاستظهر من الكتاب المعروف بالملسكى أكثره ، مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل ؛ ثم تخطى ذلك إلى ماهو أشرفُ منه من أنواع الفلسفة ، وأمر بجمع كتبها ؛ فاجتمع له منها قريبٌ مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموى (١) .

أخبرني أبو محمد عبد الملك الشذونى (٢) ، أحد المتحققين بعلمى الطب وأحكام النجوم ، قال : كنت في شيبتي أستعير كتب هذه الصناعة - يعنى صنعة الأحكام - من رجل كان عندنا بمدينة أشيلية ، اسمه يوسف ، يُكنى أبا الحجاج ، يعرف بالمرانى (بتخفيف الراء) ، كانت عنده منها جملة كبيرة وقعت إلى أبيه في أيام الفتنة بالأندلس ؛ فكان يُعيرني إياها في غرائر : أحمل غرارة وأجىء بغرارة ؛ من كثرتها عنده ؛ فأخبرني في بعض الأيام أنه عدم تلك الكتب بحيلتها ؛ فسألته عن السبب الموجب لذلك ، فأسرَّ إلى : إن خبرها أنهى إلى

(١) انظر التعليق رقم ٣ ص ٢٥

(٢) نسبة إلى شذونة : بلد من أعمال أشيلية .



أمير المؤمنين ، فأرسل إلى داري وأنا في الديوان لا علم عندي بذلك ؛ وكان الذي أرسل كافور الحصى مع جماعة من العبيد الخاصة ، وأمره ألا يرُوعَ أحدا من أهل الدار ، وألا يأخذ سوى الكتب ؛ وتوَعَّدَه والذين معه أشدَّ الوعيد إن نقص أهل البيت لبرةً فما فوقها ؛ فاخبرت بذلك وأنا في الديوان ؛ فظننته يريد استصفاء أموالى ؛ فركبتُ وما معى عقلى ، حتى أتيتُ منزلى ؛ فإذا الحصىُّ كافور الحاجبُ واقفٌ على الباب والكتبُ تخرج إليه ؛ فلما رآنى وتبيَّنَ دُعرى قال لى : لا بأس عليك ! وأخبرنى أن أمير المؤمنين يسلم على ، وأنه ذكرنى بخير ! ولم يزل يبسطنى حتى زال ما فى نفسى ؛ ثم قال لى : سلْ أهل بيتك هل راعهم أحدٌ أو نقصهم شيءٌ من متاعهم ؟ فسألتهم ، فقالوا : لم يرُعنَّا أحدٌ ولم ينقصنا شيءٌ : جاء أبو المسك حتى استأذن علينا ثلاثَ مرات ، فأخلى لنا له الطريق ، ودخل هو بنفسه إلى خزانة الكتب فأمر بإخراجها . فلما سمعتُ هذا القول منهم زال ما كان فى نفسى من الرُوع .

وولَّوه بعداً أخذهم لهذه الكتب منه ولايةً ضخمة ما كان يُحدِّث بها نفسه . ولم يزل <sup>(١)</sup> يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ، ويبحث عن العلماء ، وخاصةً أهل علم النظر ، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من مَمَلِك المغرب .

[ أبو بكر بن طفيل ]

وكان ممن صحَّبه من العلماء المتفنين ، أبو بكر محمد بن طفيل ، أحد فلاسفة

(١) يعنى الأمير أباً يعقوب .

المسلمين : كان متحققا بجميع أجزاء الفلسفة : قرأ على جماعة من المتحققين  
يعلم الفلسفة ، منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف عندنا بابن باجة وغيره ؛ ورأيت  
لابن بكر<sup>(١)</sup> هذا تصانيفاً في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك ؛  
فمن رسائله الطبيعيات رسالة سماها رسالة « حى » بن يقظان ، غرضه فيها بيان مبدأ  
النوع الإنسانى على مذهبهم ؛ وهى رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة فى ذلك الفن ؛  
ومن تصانيفه الإلهيات رسالة فى النفس رأيتها بخطه رحمه الله ؛ وكان قد صرف  
عنايته فى آخر عمره إلى العلم الإلهى ونبت ما سواه ؛ وكان حريصاً على الجمع بين  
الحكمة والشريعة ، معظماً لأمر الشبوتات ظاهراً وباطناً ؛ هذا مع اتساع  
فى العلوم الإسلامية ؛ وبلغنى أنه كان يأخذ الجامكية مع عدة أصناف من  
الخدمة ، من الأطباء والمهندسين والكتّاب والشعراء والرثامة والأجناد ، إلى  
غير هؤلاء من الطوائف ؛ وكان يقول : لو نفق عليهم علم الموسيقى لآنفقته  
عندهم ! وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب شديد الشغف به والحب له ؛ بلغنى أنه  
كان يقيم فى القصر عنده أياماً ليلاً ونهاراً لا يظهر ؛ وكان أبو بكر هذا أحد  
حسنات الدهر فى ذاته وأدواته ؛ أئشدنى ابنه يحيى بمدينة مراکش سنة ٦٠٣  
من شعر أبيه رحمه الله :

أَلَمَّتْ وَقَدْ نَامَ الْمُشَيِّحُ وَهُوَ مَا هِ وَأَنْسَرَتْ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ مِنَ الْحَمَى  
وَجَرَّتْ عَلَى تُرْبِ الْمُحْتَصَّبِ ذَيْلَهَا هِ فَمَا زَالَ ذَاكَ الشُّرْبُ نَهْباً مَقْسِماً  
تَنَاوَلَهُ أَيْدَى السَّجَّارِ لِطَيْمَةِ هِ وَيَحْمِلُهُ الدَّارِيُّ أَيَّانَ يَمَّمَا

(١) يعنى ابن طفيل .

ولما رأته ان لا ظلام يحثها \* وأن سراها فيه لن يتسكتها

نضت عذبات الريط عن حر وجهها

فأبدت موحيا يدهش المتوسما

فكان تجليها حجاب جالها

كشمس الضحي يعشى بها الطرف كلما ...

ولما التقينا بعد طول تهاجر \* وقد كاد جبل الود أن يتصرما

جلت عن ثناياها وأومض بارق \* فلم أدر من سق الدجنة منها

وساعدني جفن الغمام على البكا \* فلم أدر دمعاً أينما كان أميماً

فقلت وقد رق الحديث وأبصرت \* قرائن أحوال أذعن المكتما :

نشدتك لا يذهب بك الشوق مذها \* يهون صعباً أو يرخص مائماً

فأمسكت لا مستغنيا عن نوالها \* ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما

ومن شعره في الزهد - رحمه الله - ماقرأ على ابنه من خطه في التاريخ المذكور :

يا بيا كيف فرقة الأحباب عن شحط \* هلاً بكيت فراق الروح للبدن

نور تردد في طين إلى أجل \* فأنحاز علواً وحلى الطين للكفن

يا سداً ما افترقا من بعد ما اعتلقا \* أظنهما مهدنة كانت على دخن

إن لم يكن في رضى الله اجتماعهما \* فيالها صفقة تمت على عين

وأشدني بعض أصحابنا من الكتاب له رحمه الله :

ماكل من شم نال رائحة \* للناس في ذا تباين عجيب

قوم لهم فكرة تجول بهم \* بين المعاني، أولئك السجيب

و فرقة في السُّقُور قد وقفوا • وليس يدرون لُبَّ ما طلبوا  
 لا غاية تنجلي لناظرهم • منه ولا ينقضى لهم أربُّ  
 لا يتعدى أمرؤُ جِبِلَّتَهُ • قد قسمت في الطبيعة الرُّتب

ولم يزل أبو بكر هذا يَحْلِبُ إليه (١) العلماء من جميع الأقطار، وينبئه عليهم، ويحضه على إكرامهم والتنويه بهم؛ وهو الذي نبهه على أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد؛ فمن حيثُ عرْفوه ونبه قدره عندهم.

[ أبو الوليد بن رشد ]

أخبرني تلميذه الفقيه الأستاذ أبو بكر بُنْدُود بن يحيى القرطبي قال :  
 سمعت الحكيم أبا الوليد يقول غير مرة : لما دخلتُ على أمير المؤمنين  
 أبي يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما ؛ فأخذ أبو بكر  
 يُثنى على ويذكر بيتي وسَلَفِي ، ويضمُّ بفضلِهِ إلى ذلك أشياء لا يبلغها قدرى ؛  
 فكان أول ما فاتحنى به أمير المؤمنين بعد أن سألتني عن اسمي واسم أبي ونسبي  
 أن قال لي : ما رأيهم في السماء - يعني الفلاسفة - أقدمته هي أم حادثة ؟  
 فأدركني الحياء والخوف ؛ فأخذتُ أتعلَّل وانكر اشتغالي بعلم الفلسفة ؛  
 ولم أكن أدري ما قرَّر معه ابنُ طفيل ؛ ففهم أمير المؤمنين مني الرَّوْعَ  
 والحياء ؛ فالتفت إلى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألتني عنها ، ويذكر  
 مقاله أرسطوطا ليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة ، ويُورد مع ذلك احتجاج  
 أهل الإسلام عليهم ؛ فرأيتُ منه غزارة حفظ لم أظنَّها في أحد من المشتغلين

(١) يعني إلى أبي يعقوب .

بهذا الشأن المتفرغين له ؛ ولم يزل يبسُطُنِي حتى تكلمت ، فعرف ما عندي من ذلك ؛ فلما انصرفتُ أمر لي بمال وخلعة سنية ومركب .

وأخبرني تلميذه المتقدم الذكر عنه قال : « استدعاني أبو بكر بن مُطفيل يوماً فقال لي : سمعتُ اليوم أمير المؤمنين يتشكَّى من قلقِ عبارة أرسطوطاليس ، أو عبارة المترجمين عنه ، ويذكرُ غموضَ أغراضه ، ويقول : لو وقَّع لهذه الكتب من يُلخِّصها ويُقرِّب أغراضها بعد أن يفهمها فهماً جيداً لقرَّب مأخذها على الناس ؛ فإن كان فيك فضلُ قوةٍ لذلك فافعل ، وإني لأرجو أن تبقى به ؛ لما أعلمه من سجودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة ؛ وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كِبَرِ سِنِي واشتغالي بالخدمة وحصْرِ عُنائِي إلى ما هو أهمُّ عندي منه . قال أبو الوليد : فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصَّته من كتب الحكيم أرسطوطاليس . »

وقد رأيت أنا لأبي الوليد هذا تلخيصَ كُتُبِ الحكيم في مُجزء واحد في نحو من مائة وخمسين ورقة ، ترجمه به كتاب الجوامع ، لخص فيه كتاب الحكيم المعروف بسمع الكيان ، وكتاب السماء والعالم ، ورسالة الكون والفساد ، وكتاب الآثار العلوية ، وكتاب الحس والمحسوس ؛ ثم لخصها بعد ذلك وشرح أغراضها في كتاب مبسوط في أربعة أجزاء .

[ رُجِعَ الحديث عن الأمير أبي يعقوب ]

وفي الجملة ، لم يكن في بني عبد المؤمن فيمن تقادم منهم وتأخَّر ملك بالحقيقة غير أبي يعقوب هذا .

## وزراؤه

وَزَّرَ له أخوه عمرُ أياها يسيرة ، ثم ارتفع قدره عن الوزارة  
إذ رآها دونه .

ثم وَزَّرَ له أبو العلاء لإدريس بن إبراهيم بن جامع ، إلى أن قبض عليه  
واستصنفي أمواله في شهر سنة ٥٧٧ .

ووزر له بعده ابنه أبو يوسف وليَّ عهده إلى أن مات سنة ٥٨٠ .

فكانت ولايته من حين بُوع له إلى أن استشهد - رحمه الله عليه - ببلاد  
الروم ، اثنتين وعشرين سنة إلا أشهراً (١) .

## كتابه

أبو محمد عيَّاش بن عبد الملك بن عيَّاش كاتب أبيه ، وأبو القاسم المعروف  
بالقالبي (٢) ، وأبو الفضل جعفر بن أحمد المعروف بابن مُحَشُوَّة ، من أهل  
مدينة بجاية ، كان يخدم أبا القاسم القالبيَّ إلى أن مات ، فسكتب مكانه .

هؤلاء كتبه الإنشاء خاصة ، وكتاب الجيش : أبو الحسين الهوزني  
الآشبيلي ، وأبو عبد الرحمن الطوسي .

## حاجبه

كافور مولاه الخِصِّي ، كان يُدعى كافور بغيره .

(١) سيأتي تفصيل ذلك من ٢٥٩ - ٢٦١

(٢) انظر من ١٩٨ ، ٢٠٠

## أولاده

كان له من الولد ثمانية عشر ذكراً ، وهم : عمر ، ويعقوب - وهو ولي عهده - ، وأبو بكر ، وعبد الله ، وأحمد ، ويحيى - كان يحيى هذا ، رحمه الله ، لي صديقاً ، ومن جهته تلقيتُ أكثر أخبارهم ؛ لم أرَ في الملوك ولا في السُّوقِ مثله رحمه الله عليه ؛ وما استجزرتُ لفظه الصداقة مع أن الواجب لفظُ الخدمة ، إلا لما كان ، رحمه الله ، يكتب إليّ : أخي ، وصديقي في بعض الأوقات ، ووليّ في بعضها ؛ اجتمعتُ عندي بخطّه رقاعٌ كثيرة ، خلَعَ عليّ فيها فضله ، وحلاني بما لم أكن استحقه - وموسى ، وإبراهيم ، وإدريس ، وعبد العزيز ، وطلحة . وإسحاق ، ومحمد ، وعبد الواحد ، وعثمان ، وعبد الحق ، وعبدالرحمن ، وإسماعيل . وبنات

## قضائه

أبو محمد المسالقي المتقدم الذكر <sup>(١)</sup> ؛ ثم عزله ووّلى بعده عيسى بن عمران التازي ، من أهل رباط تازا من أعمال مدينة فاس ، من قبيلة يقال لها تسول من البربر يرجعون إلى زنّانة .

كان عيسى هذا من فضلاء أهل المغرب ونهاتهم ، وكان خطيباً مصقفاً وبلغاً كسناً وشاعراً مفليحاً مشاركاً في كثير من العلوم ؛ ونال في أيام أبي يعقوب حظوةً ومكانةً ؛ كان يتكلم عن الوفود ويخطب في النوازل فيأني

(١) هو عبداً بن عبدالرحمن . انظر ص ٢٠٠

بكل عجيبة ؛ وكان مع هذا ذا مروءة تامة وتعصب لمن ينقطع إليه مُفْرِط ؛  
 أخبرني ابنه أبو عمران - قاضي الجماعة في وقتنا هذا - قال : سمعت أبي يقول  
 وقد لامه بعض من يلوذ به في التنويه بأقوام ليست لهم سوابق ولا أقدار ،  
 رَفَعَهُم من الحضيض جاؤهُ ، ونَبَّهَهُم بعد الخمول اعتناؤهُ : « ليس العجب بمن  
 يأتي إليه رجلٌ نبيهُ القدر يرفعه ، إنما العجب من يُحْيِي الميت وَيُنْبِئُهُ الخامل  
 ويرفع الوضع ؛ فأما النبيه القدر فنياهشهُ تكفيه . »

ويبلغ من إفراطه في التعصب أن قال يوما : « ليس بحماية أن تحمي صاحبك  
 وهو مُحِقٌّ ؛ فإن الحق أظهرُ وأقوى من أن يُحْمَى ؛ إنما الحماية أن تحميه وهو  
 مُبْطَل ! » في أشباه هذه الأخبار .

وكان له أولاد ما منهم إلا من ولى القضاء ؛ وهم عليّ ، وكان عليّ هذا رجلا  
 صالحا ، ولى في حياة أبيه قضاء مدينة بجاية ، ثم عزل عنها وولى مدينة تِلْسَانَ ؛  
 وهو عندنا من المشهورين بالتصميم والتبثُّل في دينه ، ومن لا تأخذه هوادة  
 في الحق ؛ ومن أولاده طلحة ، ولى قضاء تلسان ؛ ويوسف ، تركته قاضيا  
 بمدينة فاس ، بلغثنى وفاته وأنا بمكة في سنة ٦٢٠ ؛ وأبو عمران موسى ، قاضي  
 الجماعة في وقتنا هذا ، وسيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله عز وجل .

ثم ولى بعد أبي موسى هذا (١) رجلا اسمه حجاج بن إبراهيم الشَّجِيبِي ،  
 من أهل مدينة أغمات من أعمال مدينة مراکش ؛ كان حجاجُ هذا رجلا  
 صالحا يُعَدُّ في الزُّهاد المتبثِّلين ، وكان له تبخُّرٌ في الفقه ومعرفةٌ بأصوله

(٢) يعني عيسى بن عمران التازي .



وَبَصَّرُ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ ، هَذَا مَعَ نِزَاهَةِ نَفْسٍ وَطَهَارَةِ عِرْضٍ وَتَصَمِيمٍ فِي الْحَقِّ ؛  
 أَفْرَطَ فِي ذَلِكَ حَتَّى تَقُلَّسْتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ وَجْهِ الدَّوْلَةِ وَطَأْتُهُ ، وَنَالُوا مِنْهُ  
 عِنْدَ أَبِي يَعْقُوبَ ؛ فَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا حُبًّا وَتَقْرِيبًا ، إِلَى أَنْ مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -  
 فِي حَيَاةِ أَبِي يَعْقُوبَ ؛ بَلَغَ مِنْ رِقَّةِ قَلْبِهِ وَسُرْعَةِ دَمْعَتِهِ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي يَعْقُوبَ وَقَدْ بَلَ حَيْثِيَّتَهُ وَرَدَاهُ بِدَمْعِهِ ؛ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ  
 زَادَ فِي الْبِكَاةِ ، فَسَأَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا أَبْكَاهُ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَأَلْتُكَ  
 بِاللَّهِ ، أَلَا أَعْفَيْتَنِي ؟ قَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتُخَيِّرَنِي أَوْ لَا بِسَبَبٍ بِكَائِكَ !  
 قَالَ : يَبْنَؤُنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ إِذْ أُتَيْتُ بِشَيْخٍ سَكْرَانَ كُنْتُ قَدْ  
 حَدَدْتُهُ مَرَارًا ، فَكَانَ مِنْ كَلَامِي أَنْ قُلْتُ لَهُ : يَا شَيْخَ ، كَيْفَ تُحَشِّرُ ؟  
 فَفَتَحَ يَدَيْهِ وَقَالَ : هَكَذَا ... (١) فَوَاللَّهِ مَا مَلَكْتُ دَمْعَتِي حِينَ عَرَفْتُ مَا عَنَى  
 بِقَوْلِهِ ؛ إِنَّمَا عَرَّضَ لِي بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ الْقَاضِيَ يُحَشِّرُ  
 مُطَوِّفَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ؛ فِيمَا أَنْ يَحْلَهُ عَدْلُهُ أَوْ يَهْوِي بِهِ سَجُورُهُ ! » هَذَا مَعْنَى  
 الْحَدِيثِ ؛ فَاسْأَلْكَ بِاللَّهِ ، أَلَا أَعْفَيْتَنِي ؟ فَوَعَدَهُ بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ : عَسَى أَنْ يَكُونَ  
 فِي مَقَامِي هَذَا ! فَقَالَ لَهُ : لَا أَفْعَلُ حَتَّى أَجِدَ عَوْضًا مِنْكَ ! فَنَجَرَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَمَا  
 لَبِثَ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً حَتَّى مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ !

ثم ولى بعده القضاء أبو جعفر أحمد بن مضاء ، من أهل مدينة قرطبة ؛  
 فلم يزل أبو جعفر هذا قاضياً إلى أن مات أمير المؤمنين أبو يعقوب ، وصدرًا  
 من خلافة أبي يوسف المنصور رحمه الله .

(١) يشير إلى أنه جعل يديه معلولين إلى عنقه .

## فصل

[ دخول بني مردنيش في طاعة الموحدين ]

ولما استوسق لأبي يعقوب هذا الأمر ، لم يزل مقياً بمراكش إلى أن كانت سنة ٥٦٧ ، فبداه أن يعبر إلى جزيرة الأندلس ، مُظهراً قصد غزو الروم ، ومُبيطناً لإتمام تملك الجزيرة والنغلب على ماني يد محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش منها ؛ وكان يملك منها ابنُ سعد المذكورُ من أول أعمال مُرسية إلى آخر ما يملكه المسلمون اليوم من شرقها - وقد تقدم تلخيص التعريف بمملكته إياها ومن أين اتصلت إليه (١) - فجمع أمير المؤمنين أبو يعقوب جموعاً عظيمة من قبائل الموحدين وغيرهم من أصناف الجند ، وسار حتى نزل مدينة سببة ، فبُنى له بها منزل هو باق هناك إلى اليوم ؛ فأقام بها إلى أن تكاملت جموعه ، ولحق به من كان تأخر عنه من العساكر ؛ ثم عبر البحر وقصد مدينة أشيلية ، فنزلها ، وجهز العساكر إلى محمد بن سعد .

وكان أخو أبي يعقوب ، عثمان بن عبد المؤمن ، والياً على مدينة أغرناطة ؛

(١) انظر من ٢٠٨ - ٢١٠

ولم تكن هذه أولى المعارك بين ابن مردنيش والموحدين ؛ فقد سبقتها معارك أخرى ، كان النصر فيها لابن مردنيش ، ملك شرق الأندلس ، وحليفه وصهره إبراهيم بن همشك ؛ وقد تم لها في بعض تلك المعارك الاستيلاء على غرناطة من يد واليها الموحدى أبي سعيد سنة ٥٥٦ ... ثم اتصلت المعارك بين الموحدين وابن مردنيش ، ولم يزل له النصر والغلبة حتى نشب الخلاف بينه وبين صهره إبراهيم بن همشك ، بسبب ابنته التي كانت زوجاً لابن مردنيش ثم اتصلت عنه ... فغل به البوار من يومئذ .

فكتب إليه أن يقصد بالعساكر إلى مدينة مرسية ، دار مملكة محمد بن سعد ؛  
نفرج عثمان بالعساكر حتى نزل قريباً منها بموضع يدعى الجلاب ، وخرج  
إليه محمد بن سعد في جموع عظيمة أكثرها من الإفرنج ؛ لأن ابن سعد كان  
مستعيناً بهم في حروبه ؛ قد اتخذهم أجناداً له وأنصاراً ؛ وذلك حين أحس  
باختلاف وجوه القواد عليه ، وتنكّر أكثر الرعية له ، فقَتَلَ من أولئك  
القواد الذين اتهمهم جماعةً بأنواع من القتل ؛ بلغنى أن منهم من بنى عليه  
في حائط وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً ، إلى غير هذا من ضروب القتل ؛  
واستدعى النصارى كما ذكرنا ، فجعلهم أجناداً له ، وأقطعهم ما كان أولئك  
القواد يملكونه ، وأخرج كثيراً من أهل مرسية وأسكن النصارى دُورهم ...  
فرحف (١) كما ذكرنا بجيشه ، ومعظمهم من الإفرنج ؛ فالتقى هو والموحدون  
بالموضع المعروف بالجلاب ، على أربعة أميال من مرسية ؛ فانهزم أصحاب محمد  
ابن سعد انهزاماً قبيحاً ، وقُتِل من أعيان الروم جملة ، ودخل محمد بن سعد  
مدينة مرسية مستعداً للحصار ؛ فضايقه الموحدون ، وما زالوا محاصرين له  
إلى أن مات وهو في الحصار حَتَفَ أنفه ؛ وسيرت وفاته إلى أن ورد  
أخوه يوسف بن سعد ، الملقَّب بالرئيس ، من بلنسية ؛ وكان والياً عليها من  
جهة أخيه محمد ؛ فاجتمع رأيه ورأى أكبر ولد محمد بن سعد - بعد أن اتهموا  
وأنجدوا وأخذوا في كل وجه من وجوه الحيل - على أن يلقوا أيديهم  
في يد أمير المؤمنين أبي يعقوب ، ويسلموا إليه البلاد ، ففعلوا ذلك ؛ وقيل إن

(١) يعني ابن مردنيش .

أبا عبد الله محمد بن سعد حين حضرته الوفاة ، جمع بنيه - وكان له من الولد على علي ثمانية ذكور ، وهم : هلال - يكنى أبا القمر ، وهو أكبر ولده وإليه أوصى - وغاتم ، والزيبر ، وعزيز ، ونصير ، وبد - ، وأرقم ، وعسكر ؛ وأصاغر لا أعلم لي بأسمائهم ؛ وبنات تزوج إحداهن أمير المؤمنين أبو يعقوب ، وتزوج الأخرى أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب بن يوسف - فكان فيما أوصاهم به أن قال : «يا بني ، إني أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر ، وأتباعهم قد كثروا ودخلت البلاد في طاعتهم ؛ وإني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم ؛ فسلّموا إليهم الأمر اختياراً منكم ، تحفظوا بذلك عندهم ، قبل أن ينزل بكم منزل بغيركم ؛ وقد سمعتم ما فعلوا بالبلاد التي دخلوها عنوة ! ففعلوا ما أمرهم به ؛ فإله أعلم أي الأمرين كان .

\* \* \*

وخرج أمير المؤمنين أبو يعقوب من أشيلية قاصداً بلاد الأدفنش - لعنه الله - فنزل على مدينة له عظيمة تسمى وِبْدَة ، وذلك أنه بلغه أن أعيان دولة الأدفنش ووجوه أجناده في تلك المدينة ، فأقام محاصراً له أشهراً ، إلى أن اشتد عليهم الحصار وأرادوا تسليم البلد ؛ أخبرني جماعة يكثر عددهم من أدركت من شيوخ أهل الأمر ، أن أهل هذه المدينة لما برح بهم العطش أرسلوا إلى أمير المؤمنين يطلبون الأمان على أنفسهم ، على أن يخرجوا له عن المدينة ؛ فأبى ذلك عليهم ، وأطعمه فيهم ما نقل إليه من شدة عطشهم وكثرة من يموت منهم ؛ فلما يئسوا بما عنده سمع لهم في بعض الليالي كغَطُّ عظيم وجلبة أصوات ؛

وذلك أنهم أخرجوا أنا جيلهم ، واجتمع قسيسوم ورهبانهم يدعون ويؤمن باقيهم ، فجاء مطر عظيم كأفواه القيرب ، ملأ ما كان عندهم من الصهاريج ، وشربوا وارتووا وتَقَوَّوا على المسلمين ؛ فانصرف عنهم أمير المؤمنين راجعا إلى أشبيلية ، بعد أن هادَنَ الأدفنش - لعنه الله - مدة سبع سنين .

ولم يزل أمير المؤمنين مقيا بالأندلس بقية سنة سبع ، وثمان ، وتسع ، إلى أن رجع إلى مراکش في آخر سنة ٥٦٩ وقد مَلَكَ الجزيرة بأسرها ، ودانت له بجمليتها ، ولم يخرج عن طاعته شيء منها .

[ الخارجون على طاعة الموحدين بالمغرب ]

وفي سنة ٧١ خرج إلى سوس لحسم خلافٍ وقع هنالك بين بعض القبائل الذين بدرن ، فمَّ له ما أراد من إخماد الفتنة وجمع الكلمة وإطفاء النائرة وحسم الخلاف .

\* \* \*

وفي صدر سنة ٧٣ رام بعض القبيلة المسماة بغُمارَة مفارقة الجماعة وتزعَّ اليد من الطاعة ؛ وكان رأسهم في ذلك الذي إليه يرجعون ، وعميدهم الذي عليه يعولون ، رجلٌ اسمه سُبُع بن حَيَّان ؛ ووافقته على ذلك أخ له يسمَّى مَرَزْدَغ ؛ فدَعَوْا إلى الفتنة ، واجتمع عليهما خلقٌ كثير ؛ والقبيلة المذكورة لا يكاد يحصرها عددٌ ولا يحدُّها حزرٌ لسكثرتها ؛ مسافة بلادها طولا وعرضا نحو من اثنتي عشرة مرحلة ؛ فخرج إليهم أمير المؤمنين أبو يعقوب بنفسه ؛ فأسلتَهما جموعُهما ، وتفرق عنهما من كان اجتمع عليهما ، وأخذوا قَبْضَ

اليَد ؛ فقتل صبراً وُصلباً ؛ ثم رجع أمير المؤمنين أبو يعقوب إلى مراکش .

\* \* \*

وفي أول سنة ٧٥ خرج أبو يعقوب من مراکش قاصداً بلاد أفريقيا ؛ فقتصد منها مدينة قَفْصَةَ ؛ وكان قد قام بها رجل اسمه عليّ ، يُعرف بابن الرّند ، وتلقّب بالناصر لدين النبي ؛ فحاصره أبو يعقوب والموحدون إلى أن استزلوه ، وقطعوا دابر الخلاف وحسموا موادّه ، ورجعوا إلى مراکش .

[ صلح ملك صقلية ]

وفي هذه السّفرة صالحه ملك صقلية وأرسل إليه بالإتاوة ، بعد أن خافه خوفاً شديداً ؛ فقبل منه ما وّجه به إليه ، وهادته على أن يحمل إليه في كل سنة مالاً اتّفقا عليه (١) ؛ وبلغني أنه اتصلت إليه منه ذخائرٌ لم يكن عند مملكٍ مثلها ؛ مما اشتهر منها حجرٌ ياقوتٍ يسمى الحافر - جعلوه فيما كلّوا به المصحف ، لاقيمة له (٢) ، على قدر استدارة حافر الفرس ، هو في المصحف

(١) صقلية : جزيرة عظيمة ببحر الروم ، تتبع اليوم إيطاليا ، وقد فتحها العرب سنة ٢١٢ على يد أسد بن الفرات ، وملكها إبراهيم بن الأغلب ، وظلت تحت حكم الأغالبة زماناً ، ثم حكمها العبيديون ، ثم الكلابيون ، بنو الحسن بن علي الكلابي ؛ ثم كان استيلاء الفرنجة النورمانديين عليها سنة ٤٦٤ .

ولما استولى عليها الفرنجة النورمانديون في التاريخ المذكور ، جعلوها دار ملكهم ، واتخذوها قاعدة بحرية للأغارة على سواحل بلاد المسلمين في أفريقيا ؛ فلكوا طرابلس ، والمهدية ، وغيرها من خواصر المسلمين ؛ وأغاروا على الإسكندرية يؤازرون الصليبيين في حملتهم على مصر سنة ٥٧٠ له بعد صلاح الدين الأيوبي ، ولكنهم ارتدوا عنها مهزومين .

وقد نشبت عدة معارك بين الموحدين وجيوش صقلية ، كان النصر فيها للموحدين . وانظر فتح المهديّة على يد الموحدين ص ٢٢٨ - ٢٣٠

(٢) يعني : فوق كل قيمة .

إلى اليوم - مع أحجار نفيسة .

[ المصحف العثماني في المغرب ]

وهذا المصحف الذي ذكرناه ، وقع إليهم من نسخ عثمان - رضى الله عنه - من خزائن بنى أمية ، يحملونه بين أيديهم أتى توجّهوا ، على ناقة حمراء عليها من الحلى النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل أموالاً طائلة ، وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الأخضر يجعلونه عليها ، وعن يمينه ويساره عصيان<sup>(١)</sup> عليهما لواءان أخضران ، وهو وضع الأسنّة منهما ذهبٌ شبهُ مُفَاحَتَيْنِ ؛ وخلف الناقة بغلٌ محلىٌ أيضا ، عليه مصحف آخر يقال إنه بخط ابن تومرت ، دون مصحف عثمان في الجرم ، محلى بفضة مموّهة بالذهب ؛ هذا كله بين يدي الخليفة منهم .

\*\*\*

ورجع أمير المؤمنين أبو يعقوب إلى مراکش من أفريقية ، بعد أن لم يبق بجميع المغرب محتليّ عليهم ولا معاندٌ لهم ، ودانت له جزيرة الأندلس بأسرها - كما ذكرنا - وكثرت في أيامه الأموال واتسع الخراج .

[ حسن معاملة الموحدين لمن يغلبونهم من الملوك ]

وكان - كما ذكرنا - سخيا جواداً ؛ بلغنى أنه أعطى هلال بن محمد بن سعد المتقدم الذكر<sup>(٢)</sup> ، صاحب شرقى الأندلس ، اثني عشر ألف دينار في يوم

(١) كتفا بالأصل ، والصواب : عصوان .

(٢) ابن مرديش .

واحد (١) ؛ ولهلال هذا معه أخبار عجيبة ، من تقريبه إياه وإحسانه إليه ووجه له ؛ أخبرني بعضٌ ولدٍ لهلال هذا ، أنه سمع أباه يقول : رأيت في المنام في بعض الليالي كأن أمير المؤمنين أبا يعقوب ناولني مفتاحاً ؛ فلما أصبحتُ إذا رسوله يستحثني ، فركبت وأتيت القصر ، فدخلت عليه وسلمت ، فاستدنانني حتى مسّت ثيابي ثيابه ، ثم أخرج إليّ من تحت بُرّئسيه مفتاحاً على النحو الذي رأيتُ في المنام ، وقال : خذ إليك هذا المفتاح ؛ فتهبّتُ أن أسأل عن شأن المفتاح ؛ فقال لي ابتداءً : يا أبا القمر ، إن عامل مُرسية أرسل إلينا في جملة ما أرسل مُسندوقاً وجده - زاعم - في بعض خزائنكم ، لا يدري ما فيه ؛ وهذا مفتاحه ، ونحن لا ندري ما فيه ! فقلت : هلاًّ أمر أمير المؤمنين أن يُفتح بين يديه ! فقال : لو أردنا أن يُفتح بين أيدينا لم نُسلمْ إليك المفتاح ! وأمر مُحمّل الصندوق إلىّ ففتحته ، فإذا فيه حلي وذخائر من ذخائر أبي ميساوى أكثر من أربعين ألف دينار .

\*\*\*

ولما تجهز أمير المؤمنين إلى غزو الروم ، أمر العلماء أن يجمعوا أحاديث في الجهاد تُتملى على الموحّدين ليدرسوها - وهكذا جرت عادتهم إلى اليوم - فجمع العلماء ذلك وجاءوا به إليه ؛ فكان يملئه على الناس بنفسه ؛ فكان كلُّ واحد

(١) أنظر ما كان من شأن عبد المؤمن مع يحيى بن العزيز آخر ملوك بني حماد (ص ٢٠٧) وما كان من شأنه كذلك مع حسن بن يحيى آخر ملوك أفريقية (التعليق رقم ٢ ص ٢٢٩)، وذلك بعد أن آلت إليه بلادها وصار رعية من رعيته وتابعين من أتباعه !  
ثم أنظر - إلى ذلك - ما فعل يوسف بن تاشفين بالعمد بن عباد وسائر من غلبهم على بلادهم من ملوك الطوائف بالأندلس !



من الموحدين والسادة يحيى بلوح يكتب فيه الإملاء ؛ فجاء هلالٌ هذا المذكور يوماً ولا لوح معه ؛ فأخرج القوم الواحهم ؛ فقال له الوزير : أين لوحك يا أبا القمر ؟ فنجل واقتح يعتذر ؛ فأخرج له أمير المؤمنين من تحت بُرئسيه لوحاً وناوله إياه ، وقال : هذا لوجه ! فلما كان من الغد جاء ومعه لوحٌ غير الذي دفعه له أمير المؤمنين ؛ فلما نظر إليه قال له : أين لوحك بالأمس يا أبا القمر ؟ فقال : خبأته وأوصيتُ إذا متُّ أن يجعل بين جلدي وكفني ! وأتبع ذلك بكاءً حتى أبكى بعضَ من كان في المجلس ؛ فقال أمير المؤمنين : هذا المحبُّ الصادق ! وأمر له بخيل وأموال وخلع ، ولبنيه بمثل ذلك .

## [ اتساع الدولة وزيادة الخراج ]

وكان الذي يُسهّل عليه بذلّ الأموال - مع ما جيلَ عليه من ذلك - سعةُ الخراج وكثرةُ الوجوه التي يتحصّل منها الأموال .  
كان يرتفع إليه خراج أفريقية ، وجملته في كل سنة وقرُبُ مائة وخمسين بغلا ، هذا من أفريقية وحدها ، خلا بجايةَ وأعمالها ، وتلبسانَ وأعمالها ، والمغربِ - وحدئُ عملِ المغربِ عندهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم ، من مدينة تُدعى رباط تازا إلى مدينة تُدعى مكناسة الزيتون ؛ طول هذه المسافة وعرضها نحوُ من سبعة مراحل ، وهي أخصبُ رقعةٍ على الأرض فيما علمت ، وأكثرُها أنهاراً مطردة ، وأشجاراً ملتفة ، وزروعا وأعنايا - ومدينةٍ سلاَ وأعمالها ، وسبّنةَ وأعمالها - وأعمالُ سبّنة هذه في غاية السعة والضخامة ؛ لأن بلاد مُغمارة كلُّها ترجع إليها ، وهي كما ذكرنا طولاً وعرضاً نحوُ من اثنتي

عشرة مرحلة - وجزيرة الأندلس قاطبة ؛ أول ذلك آخر بلاد المسلمين مما يتاخم أرض الروم ، وآخره أيضاً مما يتاخم أرض الروم من أعمال شلب ؛ ومسافة ذلك طولا وعرضا نحو من أربع وعشرين مرحلة .

هذا كله لا ينازعه إياه أحد ولا يتمتع عليه منه درهم ، مضافاً إلى مراکش وأعمالها ؛ وأعمال مراکش أيضاً في نهاية من السعة ؛ لأن بالقرب منها قبائل ضخمة وبلاداً كثيرة ؛ فلم يرتفع لملك من الملوك - أعنى ملوك المغرب - قبل أبي يعقوب هذا وبعده ، ما ارتفع إليه من الأموال .

وقد بلغني من جهة رجل من أصحابنا كان يتولى بيوت الأموال ، قال لي : وُجِدَت خرائط كثيرة مما كان يرتفع إلى أمير المؤمنين أبي يعقوب بختمها... قال لي هذا القول في سنة ٦١١ .

وفي أيام أبي يعقوب ورد علينا المغرب أول من وردّها من الغز (١) ؛ وذلك في آخر سنة ٧٤ ، وما زالوا يكثرون عندنا إلى آخر أيام أبي يوسف . ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعياداً وأعراساً ومواسم ؛ كثرة خصب ، وانتشار أمن ، ودُرُور أرزاق ، واتساع معاش ؛ لم ير أهل المغرب أياماً قط مثلها ؛ واستمر هذا صدرّاً من إمارة أبي يوسف .

[ محاولة أبي يعقوب فتح شنترين ، ووفاته ]

ولما كانت سنة ٧٩ تجهز أبو يعقوب للغزو ، واستنفر أهل السهول والجبال من المصامدة والعرب وغيرهم ، وخرج بجيوشه قاصداً جزيرة

(١) الغز : طائفة من ممالك الترك المصريين ، وسبرد ذكرهم ثانية فيما يلي من الكتاب ؛

الأندلس ؛ فغبر البحر بعساكره كما ذكرنا ، وقصد مدينة أشيلية على عادته ؛ إذ هي منزله ومنزل الأمراء من بنيه بالأندلس أيام كسوتهم بها ؛ فأقام بها ريثما أصلح الناس شئونهم وأخذوا اهبتهم ؛ ثم خرج يقصد مدينة سنترين <sup>(١)</sup> ، أعادها الله للمسلمين ؛ وهذه المدينة - أعنى سنترين - بمغرب الأندلس ؛ وهي من أمنع المدائن - وقد تقدم ذكرها في أخبار الدولة اللبتونية <sup>(٢)</sup> - يملكها وجهاتها مع بلاد كثيرة هنالك ؛ ملك من ملوك النصارى يُعرف بابن الريق ، لعنه الله ؛ فخرج أمير المؤمنين - كما ذكرنا - في جيوشه حتى نزل عليها ، فضايقها وأخذ في قطع ثمارها وإفساد زروعها وسن الغارات على نواحيها ؛ وكان ابن الريق - لعنه الله - حين سمع بحركة أبي يعقوب إليه وصحَّ عنده أنه يقصده ، نظر في أمره ، فلم ير له طاقةً بدفاعه ولا نهضةً لمقاومته ؛ فلم يكن له همٌ إلا أن جمع وجوه دولته وأعيان جنده وذوى العناء من قواده وسائر أتباعه ، ودخل بهم مدينة سنترين ؛ واثقاً بحصانتها وشدّة منعتها ؛ هذا بعد أن ملأها أقواتاً وسلاحاً وجميع ما يحتاج إليه ، وجلّل أسوارها مقاتلةً معهم الدرق والقيسي والحراب ؛ إلى غير ذلك مما يحتاج إليه .

فنزّل عليها أبو يعقوب ، فألفاها كما ذكرنا ؛ قد استعدّ أهلها بكل ما يظنونه نافعاً لهم ودافعاً عنهم ؛ وهذه المدينة على نهر عظيم من أنهار الأندلس

(١) سنترين : مدينة كبيرة بالأندلس ، على الشاطئ الأيمن من نهر تاجو ، وهي مفتاح واديه ؛ وموقعها إلى الشمال الشرقي من أشبونة ، وبينهما ثمانون ميلاً ؛ وقد ظلت سنترين في يد العرب منذ الفتح إلى أن ملكها ألفونس السادس ملك قشتالة سنة ٥٤٣ هـ ثم كانت هذه المحاولة لاستردادها ؛ وقد قام بعبء الدفاع عنها في هذه المحاولة ، الدون سانجو ( Don Sancho )

(٢) انظر ص ١٦٤ وما بعدها

المشهوره ، يسمى تاجر ؛ فبالغ أبو يعقوب - كما ذكرنا - في التضيق عليها وانتساف معاشها وقطع المواد والمدد عنها ؛ فزاد ذلك أهلها إلا صرامة وشدة وجلدا ؛ فخاف المسلمون هجومَ البرد - وكان في آخر فصل الخريف - وخافوا أن يعظم النهر فلا يستطيعوا عبوره وينقطع عنهم المدد ؛ فأشاروا على أمير المؤمنين بالرجوع إلى أشيلية ، فإذا كان وجهُ الزمان عادوا إليها أو بحثَ من يتسلها ؛ وصوَّروا له أنها في يده ، لا يمنعها منها مانع ؛ فقبل ذلك منهم ووافقهم عليه ، وقال ؛ نحن راحلون غداً إن شاء الله . ولم ينتشر هذا القول كل الانتشار ، لأنه كان قاله في مجلس الخاصة ؛ فكان أولَ من قوَّض خبائه وأظهر الأخذ في أهبة الرحيل ، أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف عندهم بالمالقي - وقد تقدم ذكر أبيه في قضاة عبد المؤمن -<sup>(١)</sup> وكان أبو الحسن هذا خطيبهم ومعتبراً عندهم ، يُدعى خطيبَ الخلافة ؛ وكان له حظٌ جيد من الفقه ومعرفة الحديث ، وقسمٌ وافر من قرص الشعر وصناعة الكتابة ؛ فلما رآه الناس قوَّض خبائه قوَّضوا أخبثهم ثقة به ، لمكانه من الدولة ومعرفته بأخبارها ؛ فعبر في تلك العشية أكثرُ العسكرِ النهرَ يريدون التقدم خشيةَ الزحام وحرصاً على أخذ جيِّدِ المواضع واختيار المنازل ؛ ولم يبق إلا من كان بقرب خبائه أمير المؤمنين .

وبات الناس يعبرون الليل كله وأميرُ المؤمنين لا علم له بذلك ؛ فلما رأى الرومُ عبور العساكر وبلغهم من جهة عيونهم الذين بالعسكر ما عزم عليه أبو يعقوب والمسلمون من الرحيل ، ورأوا انفضاضَ الأجناد وافتراقَ أكثر

الجموع ، خرجوا منتهزين للفرصة التي أمكنتهم ، في خيلٍ كثيفة ؛ فحملوا على من يليهم من الناس ، فانهزموا أمامهم ، حتى بلغوا الخباء الذي فيه أمير المؤمنين أبو يعقوب ؛ فقتل على باب الخباء من أعيان الجند خلقٌ كثير ، أكثرهم من أعيان الأندلس ؛ وُحْلِص إلى أبي يعقوب فُطعن تحت سُرَّته طعنةً مات منها بعد أيام يسيرة ...

وتدارك الناسُ فانهزم الروم راجعين إلى بلدهم بعد أن قضوا ما قضوا ، وُعبر بأمر المؤمنين النهر جريحا ، مُجعل في محفَّةٍ وسيرٍ به .

### [ عاقبة أبي الحسن الملقى الخطيب ]

وسأل أمير المؤمنين : مَنْ كان السببَ في حركة الناس على هذا الوجه المؤدِّي إلى هذا الاختلال ؟ فاجابَ بما فعله أبو الحسن الملقى ؛ فقال يتوعده : سيجنى ثمرتها إن شاء الله ! فلما بلغه ذلك هرب حتى دخل مدينة سَنَتْرين فارًّا بنفسه على ملك الروم ابنِ الريق ؛ فأحسنَ نَزْلَه وأكرم مشواه وأجرى عليه رزقا واسعا ؛ ولم يزل عنده مُكرِّمًا إلى أن بدا له من سوء رأيه أن يكتب كتاباً إلى الموحِّدين يستعطفهم ويسأل مَنْ عَرَفَه من أعيانهم الشفاعةَ له ؛ وادرج في ضمن ذلك فصلاً يذكر فيه ضعف المدينة وأنهم لو كانوا أقاموا عليها ليلة أخرى أخذوها ، ويدلُّهم على بعض عوراتها بما كان خفي عنهم ؛ وقال ملك الروم ابنِ الريق : إني أحب أن أكتب كتاباً إلى عيالي وأولادي وأخبرهم بسلامتي واعلمهم بكرام الملك إياي وإحسانه إليّ وما أنا فيه من العافية ، حتى تطمئن نفوسهم ؛ واريده أن توجه مع الذي يحمله مَنْ يخفِّره إلى أول بلاد

المسلمين : فأذن له في ذلك وأجابه إليه : فكتب الكتاب ...

وكان العليج الموكَّل به الذي يقوم عليه ويأتيه بكل ما يحتاج إليه ، يعرف لسان العرب - إلا أنه لم يكن يتكلم به - ويقرأ الخط العربي : فقام أبو الحسن المذكور لبعض حوائجه وترك الكتاب منشورا ، ولم يخطر له أن العليج يعرف شيئاً من لسان العرب ولا يقرأ الخط العربي : فلمح العليج الكتاب لمحّة ، ووقف على الفصل المذكور وفهم مقصوده : فمضى حتى دخل على الملك وأخبره الخبر ...

وختم أبو الحسن الكتاب ودفعه إلى بعض عبيده : فلما خرج العبيد بالكتاب وفصل عن المدينة بنحو من مرحلة ، أمر بالقبض عليه هناك وأخذ الكتاب منه : فلما أتى بالكتاب فتحه وجمع المسلمين الذين بالمدينة وألقى إليهم الكتاب وأمرهم بقراءة ذلك الفصل المذكور : واستحضر أبا الحسن ، وقال لترجمانه : قل له : ما حَمَلَكَ على ما صنعتَ مع إكرامى لك وبرئى بك ؟ فكان من جوابه أن قال : إن برّك بى وإكرامك إياى لا يمنعانى من النَّصح لأهل دى والدلالة لهم على ما فيه مصلحتهم ! فشاور ابنُ الرِّيق - لعنه الله - قَسَّيسيه فى أمره : فأشاروا عليه بإحراقه ، فأحرقوه .

[ وفاة الأمير أبى يعقوب ]

وأما ما كان من أمر أمير المؤمنين أبى يعقوب : فإنهم لما عبروا به النهر كما ذكرنا ، أثقله الجُرْحُ واشتد عليه : فما ساروا به إلا ليلتين أو ثلاثا حتى مات رحمه الله : فأخبرنى من كان معهم فى تلك السَّفرة أنه سَمِعَ النداء فيما بين

العشاءين في العسكر كله : الصلاةُ على الجنَازة ، جنازة رُجل ! فصلى الناس قاطبة على الجنَازة لا يعرفون على من صلّوا ؛ ولم يعلم بذلك إلا خواصُّ أهل الدولة ، وساروا به حتى بلغوا أشبيلية فنزلوها ، فصبرُوه وبعثوا به في تابوتٍ مع كافر الحاجب مولاه المتقدم الذكر<sup>(١)</sup> إلى تينمل : فدُفن هناك مع أبيه عبد المؤمن وابن تومرت .

وكانت وفاته يوم السبت مُقبل غروب الشمس لسبع خلون من رجب الفرد سنة ٥٨٠ .

أخبرني ابنه أبو زكريا يحيى - رحمه الله عليه - أنه كان قبل موته بأشهر يسيرة كثيراً ما يردّد هذا البيت :

طوى الجديدان ما قد كنتُ أنشرُهُ ، وأنكرتني ذواتُ الأعينِ الشُّجُلِ !

## ذكر ولاية أبي يوسف يعقوب بن يوسف

### ابن عبد المؤمن

هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي كما ذكرنا ، يكنى أبا يوسف ، أمه أم ولد رومية اسمها ساحر : بُويع له في حياة أبيه بأمره بذلك<sup>(٢)</sup> ؛ وكانت سنّته يوم صار إليه الأمر اثنتين وثلاثين سنة ؛ فكانت مدة ولايته منذ وفاة أبيه إلى أن تُوفى في شهر صفر الكائن في سنه ٥٩٥ ، ست عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتوفى وله من العمر ثمان وأربعون سنة وقد وخطه الشيب .

(١) انظر ص ٢٤٤

(٢) روى ابن الأثير وغيره ، أن أباه مات من غير وصية بالملك لأحد من أولاده ؛ فانفق رأى قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تملك يعقوب .

## صفته

كان صافي السمرة جدا إلى الطول ماهو ، جميل الوجه ، أعين أفوه ، أقى ، شديد الكحل ، مستدير اللحية ، ضخم الأعضاء ، جهورى الصوت ، جزل الألفاظ ، أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثا وأكثرهم إصابة بالظن ؛ كان لا يكاد يظن شيئا إلا وقع كما ظن ، مجربا للأمور ، عارفا بأصول الشر والخير وفروعهما ؛ ولى الوزارة أيام أبيه فبحث عن الأمور بحثا شافيا ، وطالع أحوال العمال والولاية والقضاة وسائر من ترجع إليه الأمور مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور ؛ فدبرها بحسب ذلك ، بقرت أموره على قريب من الاستقامة والسداد حسبما يقتضيه الزمان والإقليم :

## أولاده

كان له من الولد : محمد - ولى عهده ، وسيأتى ذكر مولده ووفاته - وإبراهيم ، وعبد الله ، وعبد العزيز ، وأبو بكر ، وزكريا ، وإدريس ، وعيسى ، وموسى ، وصالح ، وعثمان ، ويونس ، وسعد ، ومساعد ، والحسن ، والحسين ؛ هؤلاء أولاده المخلفون بعده ؛ ومات له فى حياته عدة من الولد ، وله بنات فى بن كثيره .

## وزراؤه

أبو حفص عمر بن أبى زيد الهنتاتى إلى أن مات .

ثم وزر له بعده [ أبو يحيى ] أبو بكر بن عبد الله بن أبى حفص عمر إيتى المتقدم الذكر ، واستمرت وزراة أبى يحيى هذا إلى أن استشهد - رحمه الله - ببلاد الروم على ما سيأتى بيانه إن شاء الله ؛ فاضطرب أمر الوزارة قليلا ...



ثم وقع اختيارهم على أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص المتقدم الذكر؛ وأبو عبد الله هذا هو الملقب عندهم بالفيل، هو ابن عم الوزير الشهيد [أبي يحيى] المذكور آنفا؛ فوزر أبو عبد الله هذا أياما يسيرة، ثم ترك الوزارة مختاراً وهرب إلى بعض نواحي أشبيلية؛ فخلع ثيابه ولبس عباءة وتزهد؛ فأرسلوا إليه من رده؛ وأعفوه من الوزارة.

ثم وازر له أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوحنا الهنستاني؛ فلم يزل عبد الرحمن هذا وزيراً إلى أن مات أبو يوسف، وصدرًا من إمارة ابنه أبي عبد الله، ثم عزل عن الوزارة.

### حجابه

عنه الخصى مولاه؛ ثم ربحان الخصى مولاه أيضا، إلى أن مات وحجبه ابنته أبا عبد الله، فلم يزل حاجبا له إلى أن مات ربحان المذكور.

### كتابه

أبو الفضل جعفر المعروف بابن محشوة؛ كان من كتاب أبيه - حسبا تقدم (١)؛ جمع أبو [الفضل] جعفر هذا إلى براعة الكتابة سعة الرواية وغرارة الحفظ وذكاء النفس؛ لم يزل كاتباً له إلى أن توفي، أعنى أبا الفضل فكتب له بعده أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عياش من أهل برشانة من أعمال المرية من بلاد الأندلس؛ لم يزل أبو عبد الله هذا كاتباً له ولابنه محمد ولابن ابنه يوسف؛ تركته حيا حين ارتحلت عن البلاد سنة ٦١٤، ثم اتصلت بي وفاته في شهر سنة ٦١٩ وأنا يومئذ بالبلاد المصرية.

هذان الكاتبان اللذان ذكرناهما، كاتباً الإنشاء خاصة .

وكتاب الجيش : رجلٌ يعرف بالكُباشي، ذهب عنى اسمه ؛ وقد كان يكتب قبله أبو الحسن بن مُعْنٍ ؛ استمرت كتابة الكُباشي هذا ديوانَ الجيش إلى أن مات أمير المؤمنين أبو يوسف .

ولم يكتب لهم منذ قام أمرهم - أعنى من كتبة الإنشاء - من عرف طريقهم وصبَّ في قلوبهم وجرى على مهنيهم وأصاب ما في أنفسهم كأبي عبد الله ابن عياش هذا ؛ فإن القوم لهم طريقة تخالف طريقة الكتاب ؛ ثم جرى الكتاب بعده على أسلوبه وسلكوا مسلكه لما رأوا من استحسانهم لتلك الطريقة .

#### قضائه

أبو جعفر أحمد بن مضاء المتقدم الذكر (١) إلى أن مات ؛ وولى بعده أبو عبد الله محمد بن مروان من أهل مدينة وهران ؛ ثم عزله وولّى بعده أبا القاسم أحمد بن محمد ، رجلاً من ولد بَيْقِيَّ بن مخلد الفقيه المحدث الذى يروى عن أحمد بن حنبل ؛ وقد تقدم ذكرُ بَيْقِيَّ هذا وطرفٌ من أخباره (٢) فى صدر الدولة الأموية فى أخبار الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية الداخل بالأندلس ؛ لم يزل أبو القاسم هذا قاضياً إلى

(١) انظر ص ٢٤٧ .

(٢) ذكره المقرئ فىمن لهم رحلة إلى المشرق ؛ وقال : كان له حجة للإمام أحمد بن حنبل ؛ وبأمره باين حزم فى رساله التى ينوه فيها بفضل أهل الأندلس ، وعده له مؤلفات شتى فى التفسير والفقہ وغيرهما . ولم يرد ذكره فيما بين أيدينا من الكتاب ، للخزم الذى وقع فيه . وانظر التعليق رقم ١ ص ٢٢

أن توفي أمير المؤمنين أبو يوسف ، وشيئاً من أيام ابنه محمد .

### تلخيص التعريف بخبر بيعته

ولما مات أبو يعقوب - كما ذكرنا - على مراحل من مدينة شنترين ،  
مُسترت وفاته إلى أن بلغوا أشيلية ، وهم في كل يوم يُصبحون يمشون بين يدي  
الدابة التي عليها المحفة مشاةً على أرجلهم كما جرت العادة ؛ ثم يركبون والمحفة  
مسدولٌ عليها سترٌ أخضر ؛ إلى أن بلغوا أشيلية كما ذكرنا ؛ فخرج الإذن من  
أمير المؤمنين أبي يعقوب - زعموا - بتجديد البيعة لابنه أبي يوسف (١) ؛  
فبايعه المصامدة والناسُ عامة من جميع الأصناف .

وكان الذي سعى في بيعته وقام بها ورغب فيها وتولى كبر أمرها ، ابنُ  
عمه أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن ؛ فقم له الأمر وبايعه الناس ،  
يُحسبون ذلك بإذن أبيه ؛ فلما فرغ مما أراده من ذلك وتمهياً له ، أعلن وفاة أبيه  
عند خواصِّ الدولة ؛ ولم تجر عادتهم بإعلان موت خلفائهم عند العامة إلى هلم .  
وكان له من إخوته وعمومته منافسون لا يرونه أهلاً للإمارة ؛ لما كانوا  
يعرفون من سوءِ صباحه ؛ فلقى منهم شدةً - على ماسياتي بيانه - وكانت هذه البيعة  
العامة - كما ذكرنا - في سنة ٥٨٠ .

ولما استوسق أمره - على ما تقدم - عبر البحر بعساكره وسار حتى نزل  
مدينة سلا ، وبها تمت بيعته واستجاب له من كان تلكاً عليه من أعمامه من  
ولد عبد المؤمن ، بعد ماملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الأقطاع الواسعة .

## [ بنیان مدينة الرباط ]

ثم شرع في بنیان المدينة العظمى (١) التي على ساحل البحر والنهر من العُدوة التي تلي مراکش ؛ وكان أبو يعقوب - رحمه الله - هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ في بنیانها ، فعاقه الموت المحتوم عن إتمامها ؛ فشرع أبو يوسف - كما ذكرنا - في بنیانها إلى أن أتم سورها ؛ وبنى فيها مسجدا عظيما كبير المساحة واسع الفناء جدا ، لا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه ؛ وعمل له مأذنة في نهاية العُلُو ، على هيئة منار الإسكندرية ، يُصعدُ فيه بغير درج ، تصعد الدواب بالطين والآجر والجص وجميع ما يحتاج إليه إلى أعلاها ؛ ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم ؛ لأن العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف ؛ ولم يعمل فيه محمد ولا يوسف شيئا ؛ وأما المدينة فتهدت في حياة أبي يوسف وكتلت أسوارها وأبوابها وعمر كثير منها ؛ وهي مدينة كبيرة جدا ، تحب في طولها نحواً من فرسخ ، وهي قليلة العرض .

ثم خرج بعد أن رتب أشغال هذه المدينة وجعل عليها من أمناء المصامدة من ينظر في أمر نفقاتها وما يصلحها ؛ فلم يزل العمل فيها وفي مسجدها المذكور طول مدة ولايته إلى سنة ٥٩٤ ، وسار هو حتى نزل مراکش .

## [ طمع بنى غانية في التعلب على أفريقية ]

وفي هذه السنة - أعنى سنة ٨٠ - خرج المُسِيرقيون بنو ابن غانية من جزيرة

(١) هي مدينة رباط الفتح .

مُيرَقة قاصدين مدينة بجاية ، فلكوها وأخرجوا من بها من الموحدين ؛ وذلك لست خلون من شعبان من السنة المذكورة ؛ وهذا أول اختلال وقع في دولة المصامدة ، لم يزل أثره باقياً إلى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١ .

[ التعريف ببني غانية ودار مُلكهم ]

وتلخيص خبر هؤلاء القوم - أعنى بني غانية - أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، وجه إلى الأندلس برجلين ؛ اسم أحدهما يحيى ، والآخر محمد <sup>(١)</sup> ، ابني علي ، من قبيلة مسوفة ، يعرفان بابني غانية ، وهما أمهما ؛ فأما يحيى منهما ، وهو الأكبر ، فكان حسنة من حسنات الدهر ، اجتمع له من المناقب ما افترق في كثير من الناس ؛ فنها أنه كان رجلاً صالحاً شديد الخوف لله - عز وجل - والتعظيم له والاحترام للصالحين ؛ هذا مع علو قدم في الفقه واتساع رواية الحديث ؛ وكان مع هذا شجاعاً فارساً ، إذا ركب عدوً وحده بخمسمائة فارس ؛ وكان علي بن يوسف يُعِدُّه للعظام ويستدفع به المهمات ، وأصلح الله على يديه كثيراً من جزيرة الأندلس ودفع به عن المسلمين غير مرة مكاره قد كانت نزلت بهم ؛ كان أمير المسلمين ولاة مدينة بلنسية ، ثم عزله عنها وولاه قرطبة ؛ فلم يزل بها والياً إلى أن مات - رحمة الله عليه - أول الفتنة الكائنة على المرابطين ، لا أعلم له عقباً .

[ محمد بن غانية ]

وكان أخوه محمد والياً من قبله على بعض أعمال قرطبة ، فلما مات اضطرب

(١) يسميه ابن خلكان : حمو « بفتح الحاء وبعدها ميم مشددة مضمومة » .

أمر محمد هذا وبقي يحول في بلاد الأندلس والفتنة تزيّد ودعوة المصامدة تنتشر ؛ فلما اشتد خوف محمد هذا أتى مدينة دانية فعبر منها إلى جزيرة مُيرقة في حشمه وأهل بيته ، فملكها والجزيرتين اللتين حولها . مُنرقة ، ويابسة (١) ؛ ويقال إن أمير المسلمين علي بن يوسف نفاه إليها على طريق السجن بها ، فآله أعلم .

وهذه الجزيرة - أعنى ميرقة - أخصب الجزر أرضاً ، وأعد لها هواء ، وأصفاها جواً ؛ طولها وعرضها نحو من ثلاثين فرسخاً ، اتفق أهلها على أنهم لم يروا فيها شيئاً من الهوام المؤذية قط منذ عمرت ، من ذئب أو سبع أو حية أو عقرب ، إلى غير ذلك مما يُخشى ضرره ؛ ويجاورها بالقرب منها جزيرتان تقربان منها في الخصب ، تسمى إحداهما مُنرقة ، والأخرى يابسة ، وقد تقدم ذكرهما .

... فاستقل محمد بمملكة هذه الجزر ، وصَبَطها لنفسه ، وأقام فيها جارياً على أمر لمتونة الأول : يدعو لبني العباس ؛ وكان له من الولد : عبدُ الله ، وإسحاق ، والزبير ، وطلحة ؛ وبنات .

فعهد في حياته إلى أكبر ولده ، عبد الله ؛ فنفس ذلك عليه أخوه إسحاق ، ودخل عايه في جماعة من الجند وعبيد له فقتله - قيل في حياة أبيه ، وقيل بعد وفاته - وتوفي عبد الله المذكور .

(١) انظر التعليق رقم ٢ ص ١٥٠

[ إسحاق بن محمد ]

واستقل أبو إبراهيم <sup>(١)</sup> بالملك استقلالاً حسناً ، وحسنت حاله ، وكثر الداخلون عايشه بجزيرة مبرقة من كفل لمتونة وبقاياهم ؛ فكان يُحسن إليهم ويصلُّهم حسب طاقتهم .

وأقبل على الغزو ، وصرف عنايته إليه ؛ فلم يكن له همٌّ غيره ؛ فكان له في كل سنة سفرتان إلى بلاد الروم ، يغم ويسبي وينكي في العدو أشد نكايه ، إلى أن امتلأت أيدي أصحابه أموالاً ؛ فقوى بذلك أمره ، وتشبه بالملوك ؛ ولم يزل هذه حاله إلى أن توفي في سنة ٧٩ ، وفي أولها وفي آخر أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن .

وكان يرسل الموحدين ويهاديهم ويهادنهم ويختصمهم من كل ما يسبي ويغم بنفيسه وجيده ؛ يشغلهم بذلك عنه ، مع احتقارهم لأمر تلك الجزيرة وقلة التفاتهم إليها ؛ فلما كان في شهر سنة ٥٧٨ والوا إليه السكتب يدعونه إلى الدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر ، ويتوعدونه على ترك ذلك ؛ فوعدهم ذلك واستشار وجوه أصحابه ، فاختلفوا عليه ؛ فن مشير عليه بالامتناع بمكانه وحاضر له على الدخول فيما دعوه إليه ؛ فلما رأى اختلافهم أرجأ الأمر إلى أن ينظر ...

وخرج إلى بلاد الروم غازياً ، فاستشهد - رحمه الله - هناك ؛ وقيل إنه طعن طعنة في حلقة لم يمت منها مكانه وإنما جرى به حياً حتى ادخل قصره فمات

(١) يعني إسحاق بن محمد بن غالية .

فيه ، فآله أعلم (١) .

وكان له من الولد : عليّ - وهو أكبر ولده والقائمُ بأمره من بعده -  
[وعبد الله] ويحيى ، وأبو بكر ، وسير ، وتاشفين ، ومحمد ، والمنصور ، وإبراهيم ؛  
توفى إبراهيم هذا بدمشق حين كان نازلاً بها على السلطان الملك العادل .

[علي بن إسحاق]

ولما توفى أبو إبراهيم إسحاق بن محمد المذكور ، قام بالأمر من بعده ابنه  
عليّ بعهد أبيه إليه ، وخرج بأسطول مُبرقة إلى العدو ، وقصد مدينة بجاية  
حين راسله جماعة من أعيانها - على ما يقال - يدعونه إلى أن يملكوه ؛ ولولا  
ذلك لم يجسر على الخروج ؛ ومما سجرأه أيضاً كونُ الموحدين بالأندلس ،  
وسماعه خبر موت أبي يعقوب واشتغالهم ببيعة أبي يوسف ؛ وظن أن الأمر  
سيضطرب وأن الخلاف سينشأ ؛ فكان هذا أيضاً مما أعانه على الخروج ؛  
ولولا هذه الأسباب التي ذكرنا لم يجسر على الخروج ...

فقصد ساحل بجاية فنزل به ، فقاتله أهلها قتالاً غير كثير ، ثم دخلها ؛  
وكان دخوله إياها - كما ذكرنا - يوم الاثنين لست خلون من شعبان من  
السنة المذكورة .

[استطرد عن انتفاض العرب بأفريقية على الموحدين]

وكان فيها إذ دخلها ، أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن ؛ لم يكن والياً عليها  
ولمّا كان واليها أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ، وكان

(١) ذكر ابن خلكان أن وفاته كانت في سنة ٥٨٠



أبو موسى ماراً بها حين رجع من أفريقية ، وكان والياً عليها هو وأخوه الحسن من قبَل أخيهما أبي يعقوب ، فظهر من العرب إفساد ببعض نواحي أفريقية<sup>(١)</sup> ، فخرج أبو موسى هذا وأخوه أبو علي بجيش من المصامدة ومن انضم إليهم من العرب وسائر الجند ، فالتقواهم وأولئك العرب المفسدون ؛ فانهزم جند أفريقية عنهما وأخذتهما العرب أسيرين . فأقاما عندهم ، وانتهى الخبر إلى أبي يعقوب ، فأرسل إلى أولئك العرب ؛ فطلبوا ما لا أشتطوا فيه غاية الاشتطاط ؛ ثم إن الأمر تقرر بينهم وبين الموحدین على ستة وثلاثين ألف مثقال ، فلما أخبر بذلك أبو يعقوب استكثر المال وقال : هذه أيضاً مضرّة أخرى ؛ إن أعطيناهم مثل هذا المال تقوّوا به على ما يريدونه من الفساد ؛ ثم اتفق رأيهم على أن يضربوا لهم دنانير من الصّففر مموّهة ، ففعلوا ذلك وأرسلوا بها إليهم ؛ فأطلقوا أبا علي وأبا موسى ومن كان معهما من خدّميتهما وحاشيتهما ؛ فهذا ما أوجب كون أبي موسى ببجاية ، فخرج من أسر العرب إلى أسر المُسِيرِيّين .

[رجع الحديث عن بني غانية في بجاية]

فدخل على بن إسحاق - كما ذكرنا - ببجاية في اليوم المؤرّخ ، وأقام بها سبعة أيام صلى فيها الجمعة فخطب ودعا لبني العباس<sup>(٢)</sup> ، ثم للإمام أبي العباس أحمد الناصر منهم ، وكان خطيبه الفقيه الإمام المحدث المتقن أبو محمد عبد الحق

(١) انظر التعليق ص ٢٠٤ - ٢٠٦ والتعليق ص ٢٢٥ عن شأن العرب في أفريقية بعد أن

خلع المعز بن باديس طاعة العبيدين ؛

(٢) انظر ص ٢٠٣ ، ٢٦٨

ابن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي - مؤلف كتاب الأحكام وغيره من التأليف - فأحرق ذلك عليه أبا يوسف يعقوب أمير المؤمنين ، ورام سفك دمه ، فعصمه الله منه وتوفاه حتف أنفه وفوق فراشه !

وخرج على بن إسحاق من بجاية بعد أن أسس أموره فيها ، وسار حتى نزل على قلعة بني حماد ، فللكها وملك جميع تلك النواحي ؛ فاتهبى ذلك إلى أمير المؤمنين يعقوب ، فخرج بالموحدين قاصداً مدينة بجاية ، فلما سمع على بقدومه خرج له عنها وقصد بلاد الجريد (١) .

#### [استرجاع بجاية من يد اليعاقبة]

ونزل أمير المؤمنين بالقرب من بجاية ، فتلقاه أهلها ، فلقيهم منشرح الصدر ظاهر البشر ، وقال لهم من القول ما بسط به نفوسهم ورد إليهم نافر أنسهم ، وقد كانوا يظنون غير ذلك ، فخرجوا من عنده متعجبين مما رأوا منه وسمعوا ...

واستعمل على بجاية من أعيان الموحدين رجلاً اسمه محمد بن أبي سعيد

(١) يروى ابن الأثير نبأ استيلاء ابن غانية المرابطى على بجاية وما يليها من البلاد ثم خروجها من يده ، فيقول : إنه سار إلى بجاية من جزيرة ميورقة في أسطول مكون من عشرين قطعة ، فأرسى في ساحل بجاية ، وأزره على ذلك جماعة من بقايا دولة بني حماد ؛ فدخلها بلا كبير عناء ، وكان والى بجاية الموحدى قد سارعها قبل ذلك بأيام إلى مراكش ، إذ لم يكن في وهمه أن يجترى أحد على قصد بلده ؛ فلما بلغه النبأ عاد ومعه ثلثمائة فارس من الموحدين ، وجمع من العرب والقبائل في تلك البلاد نحو ألف فارس ؛ ولكنه لم يلبث أن انهزم ، لانحياز من معه من القبائل إلى ابن غانية ؛ وقصد أمير بجاية إلى مراكش ، وترك ابن غانية يزحف على ما يليه من البلاد ، فدانت له جميعا بالطاعة إلا قسطنطينية ؛ فحصرها ، ولم يزل محاصراً لها حتى جاء جيش الموحدين في صفر سنة ٥٨١ هـ إلى بجاية في البر والبحر ، وكان بها - فيما يصف ابن الأثير - يحيى وعبدالله أخوا على بن إسحاق ؛ فخرجوا منها هارين ولحقا بأخيها ؛ فرحل عن قسطنطينية إلى أفريقية ، شرقاً .

الجَنُفَيْسِيّ؛ ثم سار حتى نزل مدينة تونس، فجهز جيشا عظيما أمر عليهم رجلا من ولد عمر بن عبد المؤمن اسمه يعقوب، وذلك لما كانوا يرونه في ملحمة كانت عندهم من أنهم سيُهزَمون مع رجل اسمه يعقوب، بموضع يعرف بوطا عمره؛ فسار يعقوب هذا بالجيش المذكور، وأقام هو في تونس؛ فكانت الهزيمة على يعقوب بن عمر كما ذكر؛ وذلك أن الموحدين التقواهم وأصحاب علي بن غانية، فانهزم الموحدون انهزاما قبيحا، واتبعتهم العرب والبربر يقتلونهم في كل وجه (١)؛ وهلك أكثرهم عطشا، ورجع بقيتهم إلى تونس حيث أمير المؤمنين؛ فلم شعثهم، وجبر ما وهى من أحوالهم، وخرج هو بنفسه حتى لقي علي بن غانية بموضع يعرف بالحامة، حامة دُقْيُوس؛ فما وقف أصحاب علي إلا يسيرا حتى انكشفوا عنه، وأبلى هو عذرا فأتحن جراحا، وخرج فارّا بنفسه فمات في خيمة لعجوزٍ أعرابية (٢).

وكان حين خرج من مُيرقة خرج معه من إخوته: عبدالله، ويحيى، وأبو بكر، وسير؛ فبقي هؤلاء المذكورون بعد موت أخيهم علي من كان معهم من أصحابهم؛ ثم رأوا أن يقدموا عليهم يحيى لما رأوا من شهامته وشجاعة نفسه؛ فقدموه، ثم لحقوا بالصحراء فكانوا بها مع العرب الكاثنين هناك إلى أن رجع أمير المؤمنين من هذا الوجه.

(١) كان العرب يؤازرون بني غانية في هذه المعارك بينهم وبين الموحدين، كما كان يؤازرهم الغز من المماليك المصريين؛ وسيرد ذكر هؤلاء الغز في بعض مايلي من الكتاب.  
(٢) رواية ابن خلكان: «مات علي ولا أعلم تاريخ وفاته؛ ولكنه كان حيا في سنة ٥٩١ هـ» وقد ذكر ابن الأثير أن علي بن إسحاق كان حيا إلى ما بعد عودة أبي يعقوب من الأندلس في رحلته التي يذكرها المراكشي بعد. انظر ص ٢٨٠

## [ استرجاع قفصة ]

وفي هذه السَّفرة انتقضت عليهم أيضا مدينة قفصة ، ونزع أهلها أيديهم من طاعتهم ودَعَوْا للمُيرقين (١) ؛ فنزل عليها أمير المؤمنين أبو يوسف فحاصرها أشدَّ الحصار ؛ ثم دخلها عنوة فقتل أهلها قتلا ذريعا ؛ بلغنى أنه قُتِل أكثرهم ذبحا ؛ وأمر بأسوارها فهُدَّت .

## [ إبراهيم الزويلي الكاتب ]

وفي ذلك يقول رجل من أصحابنا من الكتّاب ، اسمه إبراهيم ، يُعرف عندنا بالزويلي ، في قصيدة طويلة له يمدح بها أمير المؤمنين أبا يوسف ويذكر شأن قفصة ورميهم إياها بحجارة المنجنيق :

(١) انتقضت قفصة على الموحدين مرتين : أولاها في سنة ٥٧٦ وكان واليها يومئذ من قبل الموحدين : علي بن المعز بن العتر ، قد رأى غلبة الغز المصريين على طائفة من بلاد أفريقية ، واطياد العرب لهم ؛ فحدث له طمع في الاستقلال ببلده ... ولكنه لم يلبث أن غلب على أمره ، فرجع إلى الموحدين معتذراً تائباً ، فقبل أبو يوسف ذلك منه وسيره إلى بلاد المغرب مكرماً عزيزاً ، وأقطعه ولاية كبيرة ؛ على عادة الموحدين في بر اللاجئين إليهم من أصحاب العروش الهاوية ! .  
وأما الانتفاضة الأخرى - وهي التي يقصدها المؤلف - فكانت سنة ٥٨٢ ، وهي السنة التي ملك فيها علي بن إسحاق مدينة بجاية ؛ وذلك أن عرب بني هلال ومن انضاف إليهم من الغز المصريين وعلى رأسهم شرف الدين قراقوش ، وبوزابه مملوك تقي الدين الأيوبي - اجتمعوا على خلع طاعة الموحدين والانضواء إلى علي بن إسحاق الميورقي ، ولقبوه أمير المسلمين - وهو لقب خلفاء المرابطين الذين ينتمي إليهم - فدخلها علي بن إسحاق ، ودعا فيها للعباسيين ؛ فلما بلغ النبا أبا يوسف أمير الموحدين سير إليهم جيشاً فوافاهم بقفصة في سنة ٥٨٣ ...  
وكانت الدائرة على الملتئمين ، وأسرف الموحدون في القتل حتى كادوا يبيدون أهل المدينة ، بعد أن قطعوا أشجارها وخرّبوا ماحولها وأحالوا أبقاضا ...  
وقد استأمن الغز بعد هذه الواقعة إلى أبي يوسف ، فأجابهم إلى ما طلبوا وسيرهم إلى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونسكايتهم في العدو ...

سائل بقفصة هل كان الشقي لها (١) \* بعللاً وكانت له حَمالة الحطب  
تَبَّتْ يَدَا كَافِرٍ بِاللَّهِ أَهْلِبَهَا \* فكان كالكافر الأشقي أبي لُهب  
وفيها يقول :

لَمَّا زَنْتَ وَهِيَ تَحْتَ الْأَمْرِ مُخَصَّنَةٌ

حَصَبْتُمُوهَا اتَّبَاعَ الشَّرْعِ بِالْحَصَبِ

أنشدني - رحمه الله - هذه القصيدة بلفظه من أولها إلى آخرها ؛ فلما انتهى إلى  
هذا البيت « لما زنت ... » غلبني الضحك لما سبق إلى خاطري من سوء  
معناه ؛ (٢) فسترت وجهي ، فقال لي : مالك ؟ فلم أملك أن قهقهت ! فتغير لي ؛  
فلما خفتُ غضبه أخبرته بما سبق إلى خاطري ، فسبني وقال لي : أنت والله  
شيطانُ سيئُ القريحة ، غالبٌ على طباعك اللهو ! ...  
واستمر في إنشاده حتى أتم القصيدة .

وأبو إسحاق الزويلي هذا من شيوخ الكتاب وظرفاء الشعراء ، جمعني  
وإياه مجالسُ عند السيد الأجل أبي زكريا يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن ،  
شاهدت فيها من ظرفه وغزارة بديهته ما قضيتُ منه العجب .

[ رجع الحديث عن بني غانية ]

ولما فرغ أبو يوسف من أمر أفريقية ، كثر راجعاً إلى المغرب .

ولم يزل يحيى بن غانية قائماً بما كان يقوم به أخوه من تدبير الأمور ؛

(١) يعني ابن غانية .

(٢) في هامش المخطوط : الذي سبق الى خاطره : أن « الأمر » في اصطلاحهم الخليفة .

ورجع منهم عبد الله خاصة إلى جزيرة مُبْرِقَة ، فألفاها قد انتقضت عليهم ودُعي فيها للوحدين ؛ فعل ذلك أخوهم أبو عبد الله محمد بن إسحاق ؛ فلما قدم عبد الله قام معه عِلْجٌ من عُلوْجِ أَيْه يُسَمَّى نِجَاحَا ؛ كان نِجَاحٌ هذا لم ينقض عهداً ولا نزع يداً من طاعة ؛ وكان متحصِّناً في قلعةٍ ومعه جماعة على رأيه من الموالي والجنود ؛ فلما قدم عبد الله - كما ذكرنا - تلقَّوه ، وانضاف إليهم خلقٌ من بوادي الجزيرة من الفلاحين ورعاة الغنم ؛ فهد بهم عبد الله إلى المدينة ، فلم يدفعه عنها أحد ولا امتنع عليه من أهلها بمتنع ؛ ففتحو له الأبواب ، ودخلها بمن معه ؛ وأخرج أخاه محمداً ونفاه إلى الأندلس ؛ فخطى محمد هذا عند المصامدة حُظوةً عظيمة ، وولَّوه مدينة دانية ، فلم يزل والياً عليها حتى مات . واستقر عبد الله بمبرقة ، فضبط أمرها وجرى في الغزو وإخافة العدو على سنن أبيه ؛ فلم يزل كذلك إلى أن دخلها عليه الموحِّدون في سنة ٥٩٩ على ماسياتي بيانه إن شاء الله .

ولم يزل أمر يحيى بأفريقية يَنْبُه تارة وَيَخْمُلُ أخرى ؛ وله أخبارٌ يطول شرحها ويخرج عن الغرض بسطها .

### [ اختلاف بني عبد المؤمن ]

وحين كان أمير المؤمنين أبو يوسف غائباً في هذا الوجه الذي ذكرنا ، طمع في الأمر أخوه أبو حفص عمرُ الملقَّب بالرشيد ، وعمه سليمان بن عبد المؤمن ؛ وكان أحدهما بشرقي الأندلس بمدينة مُرْسِيَّة ، والآخر بتادلا من بلاد مُصْنَهَاجَة .

فأما أبو الربيع سليمان فسوّلت له نفسه ورزّين له سوء رأيه أن يجمع على نفسه قبائل صنهاجة ليقوموا بدعوته ، وصرح بذلك ودعا أشياخهم فألقى إليهم ما أراد ؛ فلم يتفق له من ذلك أكثر من أن تشعّث عليه البلاد وانتشرت عنه هذه الأُشنوعة القبيحة ، وبلغ الخبر أمير المؤمنين .

وأما عمر فكان قد بدأ من ذلك بتنقُص أمير المؤمنين أبي يوسف على رموس الأشهاد ، تعريضاً مرة وتصريحاً تارة ، وإلقاء ذلك إلى خواصه ليُلقوه إلى وجوه الأندلس ؛ وانتهى أن أقتل قاضي مرسية وخطيبها المعروف بابن أبي جمرة ، وقيل إنه وكّزه برئاس السيف في صدره وكزة مات منها بعد أيام . فاستحشّت هذه الأخبار أمير المؤمنين وأزعجته ، فعجّل من بحاية إلى فاس سبع عشرة مرحلة ؛ وهذا نهاية ما يكون من سرعة السير لمثله ؛ فلما سمع بقدمه أبو الربيع سليمان وعمر المذكوران ، خرجا يلتقيانه ؛ فعبّر عمر البحر ، وجاء سليمان بمن معه من تادلا للقائه أيضا ؛ فأما عمر فلقيه بالقرب من مدينة مكناسة ، فلما رآه نزل عن دابته على العادة ليسلم عليه ، فلما قرب منه لم تدّر بينهما كلمتان حتى أمر بالقبض عليه وتقيده ، وحمل بعد التقييد إلى مدينة سلا ؛ ولقيه سليمان عنقه ، ففعل به مثل ذلك ؛ وسار حتى نزل مدينة سلا ، وفصّل عنها بعد أن وكل بهما من يقوم عليهما ، وأثقلهما بالحديد ؛ وسار حتى بلغ مراکش ، فكتب إلى القائم عليهما بقتلهما وتكفينهما والصلاة عليهما ودفنهما ؛ فقتلهما صبراً ، ودفنهما ، وكتب يُعلمه بذلك ؛ فبلغني أنه قال له : بنيت قبريهما بالكردان والرخام ؛ وجعل يذكر حسنهما ، فكتب

إليه : مالنا ولدفن الجبارة ، إنما هما رجلان من المسلمين ، فادفنهما كيف يُدْفَنُ عامة المسلمين .

وبعد قتله هذين الرجلين هابه بقية القرابة وأُشربت قلوبهم خوفاً ، بعد أن كانوا متهاونين بأمره محقرين له ؛ لأشياء كانت تظهر منه في صباه تُوجب ذلك ؛ وكان قتله هذين الرجلين في سنة ٥٨٣ ، وأظهر بعد ذلك زهداً وتقشفاً وخشونة ملبس وما أكل .

وانتشر في أيامه للصالحين والمتبتلين وأهل علم الحديث صيتٌ ، وقامت لهم سوق ، وعظمت مكانتهم منه ومن الناس ؛ ولم يزل يستدعى الصالحين من البلاد ، ويكتب إليهم يسألهم الدعاء ، ويصل من يقبل صلته منهم بالصلوات الجزيلة .

[ دعوة أبي يوسف إلى الأخذ بالكتاب والسنة ]

وفي أيامه انقطع علم الفروع ، وخافه الفقهاء ، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرّد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ، ففعل ذلك ، فأحرق منها جملة في سائر البلاد ، كمدونة مُخَنُون ، وكتاب ابن يونس ، ونوادر ابن أبي زيد ومختصره ، وكتاب التهذيب للبراذعي ، وواضحة ابن حبيب ، وما جانس هذه الكتب ونحوها ؛ لقد شهدتُ منها وأنا يومئذ بمدينة فاس ، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار ؛ وتقدّم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأى والخوض في شيء منه ، وتوّعد على ذلك بالعقوبة الشديدة ؛ وأمر جماعة ممن كان عنده من



العلماء المحدّثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة : ( الصحيحين ، والترمذي ،  
 والموطأ ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وسنن البزار ، ومسند ابن  
 أبي شيبة ، وسنن الدار قطنى ، وسنن البيهقي ) في الصلاة وما يتعلق بها ،  
 على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة : فأجابوه إلى ذلك ،  
 وجمعوا ما أمرهم بجمعه : فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه :  
 وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب ، وحفظه الناس من العوام والخاصة :  
 فكان يجعل لمن حفظه الجُعْلَ السَّيِّئَ من الكسب والأموال : وكان قصده  
 في الجملة تحوُّ مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة ، وسحْل الناس  
 على الظاهر من القرآن والحديث : وهذا المقصد بعينه كان مقصداً إليه  
 وجدّه ، إلا أنهما لم يُظهراه وأظهره يعقوب هذا : يشهد لذلك عندي  
 ما أخبرني غير واحد من لقي الحافظ أبا بكر بن الجتد ، أنه أخبرهم قال : لما  
 دخلتُ على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دَخْلَةٍ دخلتُها عليه ، وجدت بين  
 يديه كتاب ابن يونس ، فقال لي : يا أبا بكر ، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة  
 التي أحدثت في دين الله : رأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة  
 أقوال أو أكثر من هذا : فأى هذه الأقوال هو الحق ؟ وأيها يجب أن يأخذ به  
 المقلد ؟ فافتحتُ أُبين له ما أشكل عليه من ذلك ؛ فقال لي وقطع كلامي : يا أبا بكر ،  
 ليس إلا هذا ؛ وأشار إلى المصحف ؛ وهذا ؛ وأشار إلى كتاب سنن أبي داود ، وكان  
 عن يمينه ؛ أو السيف ؛ فظهر في أيام يعقوب هذا ما خفي في أيام أبيه وجدّه ؛ ونال  
 عنده طلبه العلم - أعنى علم الحديث - ما لم ينالوا في أيام أبيه وجدّه ؛ وانتهى

أمره معهم إلى أن قال يوماً بحضرة كافة الموحدين يُسمعهم - وقد بلغه حسدُهم للطلبة على موضعهم منه وتقريبه إياهم وحوْلته بهم دونهم - يا معشر الموحدين ، أتم قبايل ؛ فمن نابه منكم أمرٌ فزِع إلى قبيلته ؛ وهؤلاء - يعنى الطلبة - لا قبيل لهم إلا أنا ؛ فهما نابهم أمرٌ فأنا ملجؤُهم وإلى فزِعُهم وإلى ينتسبون ! فعظم منذ ذلك اليوم أمرُهم ، وبالغ الموحدون في برِّهم وإكرامهم .

[ استرجاع مدينة شلب ]

ولما كان في سنة ٥٨٥ ، قصد بطرُوبن الرِّيق<sup>(١)</sup> - لعنه الله - مدينة شلب ، من جزيرة الأندلس ؛ فنزل عليها بعساكره ، وأعانته من البحر الإفرنج بالبُطُّس والشواني ؛ وكان قد وجَّه إليهم يستدعيهم إلى أن يعينوه ، على أن يجعل لهم سبِيَّ البلد ، وله هو المدينة خاصة ؛ ففعلوا ذلك ، ونزلوا عليها من البر والبحر ؛ فلكوها وسبَّوا أهلها ؛ وملك ابنُ الرِّيق - لعنه الله - البلد .

وتجهز أميرُ المؤمنين في جيوش عظيمة ، وسار حتى عبر البحر ؛ ولم يكن له همٌ إلا مدينة شلب المذكورة ، فنزل عليها ؛ فلم تُطق الرومُ دفاعه ، وخرجوا عنها وعمَّا كانوا قد ملكوه من أعمالها ؛ ولم يكفه ذلك حتى أخذ حصنا من حصونهم عظيما يقال له طرُش ؛ ورجع إلى مراکش .

[ طامعٌ آخر من بني عبد المومن ! ]

وبعد رجوعه مرض مرضاً شديداً خيف عليه منه ؛ وكان قد ولى أخاه أبا يحيى ، الأندلس ، فجعل يتلصقاً في خروجه ويبيطُ ترْبُصاً به وطمعاني وفاته ؛ وكلما

(١) هو بيدرو بن الفونس هنريكز ملك البرتغال .

أفاق هو سأل : هل عبر أبو يحيى أم لا ؟ فلما بلغ أبا يحيى استحاثته إياه ،  
أسرع إلى العبور وهو لا يشك أن أول ما يرد عليه خبر وفاته ؛ فاستمال أشياخ  
الجزيرة ودعاهم إلى نفسه ، وقال : ماتركتُ أمير المؤمنين إلا هامة اليوم أو  
غد ، وليس لها غيري ! فجعل أشياخ الجزيرة يُحيل بعضهم على بعض ، وأهل  
بلدٍ على أهل بلد ؛ حتى بلغ مُرسية ؛ وكتبوا بذلك مساطيرَ خوفاً على أنفسهم .  
وأفاق أمير المؤمنين من مرضه ، وأشار عليه الأطباء بالسفر ، فخرج قاصداً  
مدينة فاس ، يُحتمل في حَفَّةٍ على بغلين ؛ وبلغه أمرُ أبي يحيى المذكور ،  
وجاءته كتبُ أهل الأندلس والمساطرُ التي كتبوها .

ولما سمع أبو يحيى بحركته ، جاء معتذراً إليه حتى عبر البحر ، فلقبه بمدينة  
سلا ؛ فلما وقعت عينه عليه قال لمن عنده : هذا الشقيءُ قد جاء ! وأمر به  
فقيد ، ووجهه إلى أشياخ الأندلس فحضروا وأدوا شهادتهم ؛ وأمر به فاحضر  
وقال : إنما أقتلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا بويع خليفتان بأرضٍ فاقتلوا  
الآخر منهما » ! وأمر به فضربت عنقه ؛ تولى قتله أخوه لأبيه عبد الرحمن  
ابن يوسف ؛ وذلك بمحضرة من الناس ، وأمر به فكفَّن ودُفن ؛ وأقبل على  
القرابة فنال منهم بلسانه وأخذ منهم أخذاً شديداً ، وأمر بإخراجهم على أسوأ  
حال ، حفاةً عراة الروموس ؛ فخرجوا وكلُّ واحدٍ منهم لا يشك أنه مقتول ؛  
ولم يزل أمرُ القرابة من يومئذ في خمول وهلم ، وقد كانوا قبل ذلك  
لا فرق بين أحدهم وبين الخليفة سوى نفوذ العلامة ؛ فكان جملة من قتل  
يعقوب : أخوه وعمه !

## [وقعة الأرك]

ولما كان في سنة ٩٠ انتقض ما بينه وبين الأدفنش - لعنه الله - من العهد<sup>(١)</sup>؛ فخرجت خيل الأدفنش تدرس البلاد وتجوس خلالها؛ إلى أن كثر عيشها بالاندلس .

وتجهَّز أمير المؤمنين وأخذ في العبور، فعبر البحر في جمادى الآخرة من سنة ٥٩١ بمجموع عظيمة، ونزل مدينة أشبيلية، فلم يُقم بها إلا يسيراً ريثما اعترض الجند وقسم الأموال، وخرج يقصد بلاد الروم .

وسمع الأدفنش - لعنه الله - بقصده، فتجهز هو أيضاً في جموع ضخمة؛ والتقوا بموضع يُعرف بفحص الحديد؛ وكان الأدفنش قد جمع جموعاً لم يجتمع له مثلها قط<sup>(٢)</sup>؛ فلما ترامى الجمعان اشتد خوف الموحدين وساءت ظنونهم؛ لما رأوا من كثرة عدوهم؛ وأمير المؤمنين في ذلك كله لا مستنَدَ له إلا الدعاء والاستعانة بكل من يظن عنده خيراً من الصالحين .

فلما كان يوم الأربعاء وهو الثالث من شعبان<sup>(٣)</sup> من هذه السنة المذكورة، التقى المسلمون وعدوهم؛ فأنزل الله على الموحدين نصره، وأفرغ عليهم صبره، ومنحهم أكتاف الروم؛ وكانت الدائرة على الأدفنش - لعنه الله - وأصحابه؛ ولم ينج إلا هو في نحو من ثلاثين من وجوه قواده؛ واستشهد من المسلمين

(١) هو ألفونس الثامن ملك قشتالة .

(٢) يحكى صاحب بنية المتس: أن عسكر الأدفنش كان ينيف على خمسة وعشرين ألف فارس ومائة ألف راجل؛ وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشتراء أسرى المسلمين ! .

(٣) رواية ابن خلكان وغيره: أن الوقعة كانت يوم الخميس التاسع من شعبان .

جماعة من أعيان الموحدين وغيرهم ، منهم الوزير أبو يحيى أبو بكر بن عبد الله ابن الشيخ أبي حفص المتقدم الذكر في وزراء أبي يوسف (١) .

وخرج أمير المؤمنين بنفسه حتى أتى قلعة رباح ، وقد انجلى عنها أهلها ، فدخلها ، وأمر بكنيستها فُغِيْرَت مسجداً ؛ فصلى فيها المسلمون ؛ واستولى على ماحول طليطلة من الحصون ؛ ثم رجع إلى مدينة أشيلية منصوراً مفتوحاً عليه . وكانت هذه الهزيمة أختاً لهزيمة الزلاقة ، المتقدم ذكرها في مدة يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين (٢) .

وأقام أمير المؤمنين بأشيلية بقية سنة ٥٩١ ، وقصد بلاد الروم في السنة الثانية ، فنزل على مدينة طليطلة بعساكره ؛ فقطع أشجارها ، وانتسف معاشها ، وغور مياهاها ، وأنكى في الروم أشد نكايته .

ثم عاد في السنة الثالثة أيضاً ، وتوغل بلاد الروم ، ووصل إلى مواضع لم يصل إليها ملك من ملوك المسلمين قط ؛ ورجع إلى مدينة أشيلية ، فأرسل الأدفش إليه - لعنه الله - يسأله المهادنة ، فهادنه إلى عشر سنين (٣) ، فعبر البحر بعد أن أصلح الجزيرة ورَّتب فيها من يقوم بحمايتها ، وقصد مدينة مراکش ، وذلك في سنة ٥٩٤ .

(١) انظر ص ٢٦٢

(٢) انظر ص ١٣٢

(٣) كان أبو يوسف - فيما يروى أهل التاريخ - موشكاً أن يغلب الأدفش على طليطلة دارملكه ، ويفيدها إلى الإسلام ؛ وإنما جمل على قبول الهدنة ما بلغه من حركة ابن غانية في أفريقية مع قراقوش الأيوبي...

[ عزم أبي يوسف على قصد مصر ، ووفاته ]

فبلغني عن غير واحد أنه صرح للموحدين بالرحلة إلى المشرق ، وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع ، ويقول : نحن إن شاء الله مُطَهَّرُوهَا (١) ؛ ولم يزل هذا عزيمته إلى أن مات - رحمه الله - في صدر سنة ٥٩٥ هـ - كما ذكر - ودفن بتينمل مع آبائه (٢) .

[ شيء من سيرته ]

وكان في جميع أيامه وسيره مؤثراً للعدل ، متحرراً له بحسب طاقته وما يقتضيه إقليمه والأمة التي هو فيها ؛ كان في أول أمره أراد الجري على مسنن الخلفاء الأول ...

(١) كان ملك مصر في ذلك التاريخ هو العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي ، وقد مات في المحرم سنة ٥٩٥ هـ وخلفه على العرش أخوه الأفضل علي بن صلاح الدين . وكانت وفاة أبي يوسف أمير الموحدين بين صفر وجادى الأولى من تلك السنة ، على اختلاف بين المؤرخين . وانظر ص ٢٦١ من هذا الكتاب .

(٢) يروي ابن خلكان نبأ غريباً عن آخره أمير الموحدين أبي يوسف ، فيقول إن الروايات اختلفت في أمره بعد عودته إلى مراکش من الأندلس ؛ فمن الناس من يقول إنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد المشرق وهو مستخف لا يعرف ، ومات خاملاً ؛ ومنهم من يقول إنه توفي ... على اختلاف في تاريخ وفاته ؛ قال ابن خلكان : « ثم حكى لي جمع كثير بدمشق في شهر شوال سنة ٦٨٠ أن بالقرب من الجبل ، من أعمال البقاع ، قرية يقال لها حمارة وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب ، وكل أهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف ... »

ويعلق المقرئ صاحب فتح الطيب على هذه الرواية فيقول :

« ... وما يقال من أنه ساح في الأرض وتخلي عن الملك ووصل إلى الشام ودفن بالبقاع ، لا أصل له ... ومن صرح بطلان هذا القول : الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم ، وقال إن ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور ! »

فمن ذلك أنه كان يتولى الإمامة بنفسه في الصلوات الخمس؛ لم يزل على ذلك مستمرا أشهراً ، إلى أن أبطأ يوماً عن صلاة العصر إبطاءً كاد وقتها يفوت ، وقعد الناس ينتظرونه ؛ فخرج عليهم فصلى ثم أوسعهم لوماً وتأنيباً ، وقال : ما أرى صلاتكم إلا لنا ، وإلا فما منَعكم عن أن تقدّموا رجلاً منكم فيصلي بكم ؟ أليس قد قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف حين دخل وقت الصلاة وهو غائب ؟ أما لكم بهم أسوة وهم الأئمة المتبوعون والهداة المهتدون ؟ فكان ذلك سبباً لقطعه الإمامة .

وكان يقعد للناس عامة ، لا يُحجب عنه أحدٌ من صغير ولا كبير ؛ حتى اختصم إليه رجلان في نصف درهم ، فمضى بينهما ؛ وأمر الوزير أبا يحيى صاحب الشرطة أن يضربهما ضرباً خفيفاً تأديباً لهما ؛ وقال لهما : أما كان في البلد حكام قد نصبوا مثل هذا ؟ فكان هذا أيضاً مما حمله على القعود في أيام مخصوصة لمسائل مخصوصة لا ينفذها غيره .

ولما ولّى أبا القاسم بن بَريقٍ المتقدم الذكر <sup>(١)</sup> ، كان فيما اشترط عليه أن يكون قعوده بحيث يسمع حكمته في جميع القضايا ؛ فكان يقعد في موضع بينه وبين أمير المؤمنين ستر من ألواح .

وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين ، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم .

وكان إذا وقَد عليه أهلُ بلد فأول ما يسألهم عن أعمالهم وقضاتهم

وولاتهم ؛ فإذا أنتموا خيراً قال : اعلموا أنكم مسئولون عن هذه الشهادة يوم القيامة ؛ فلا يقولنَّ آروؤنا منكم إلا حقاً ؛ وربما تلا في بعض المجالس « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » .

ولما خرج إلى الغزوة الثانية سنة ٩٢ - وهي الغزوة التي كانت بعد الواقعة الكبرى التي أذل الله فيها الأذفئش وجموعه وأعز الإسلام وأنصاره - كتب قبل خروجه إلى جميع البلاد بالبحث عن الصالحين والمنتهمين إلى الخير وسحلهم إليه ؛ فاجتمعت له منهم جماعة كبيرة كان يجعلهم كلها سار بين يديه ، فإذا نظر إليهم قال لمن عنده : هؤلاء الجنء لا هؤلاء ! ويشير إلى العسكر ؛ فكان في ذلك شديهاً بما حكي عن قتيبة بن مسلم وإلى خراسان حين لقي الترك وكان في جيشه أبو عبد الله محمد بن واسع ؛ فجعل يُكثر السؤال عنه ، فاخبر أنه في ناحية من الجيش متسكماً على سِيَةِ قَوْسه رافعاً إصبعه إلى السماء يُنصنِضُ بها ؛ فقال قتيبة : لأصبعه تلك أحبُّ إلىَّ من عشرة آلاف سيف !

ولما رجع أمير المؤمنين أبو يوسف من وجهه هذا ، أمر هؤلاء القوم بأموال عظيمة ، فقبل منهم من رأى القبول وردَّ من رأى الرء ؛ فتساوى عنده - رضى الله عنه - الفريقان ، وقال : لكلِّ مذهب ؛ ولم يزد هؤلاء ردُّهم ولا نقص أولئك قبولهم .

وكان كثير الصدقة ؛ بلغني أنه تصدق قبل خروجه إلى هذه الغزوة - أعنى



التي كانت فيها الوقعة الكبرى - بأربعين ألف دينار ، خرج منها للعامة نحو من نصفها ، والباقي في القرابة ؛ أدركتهم وقد قسموا مدينة مراکش أرباعا ، وجعلوا في كل رُبع أمناء معهم أموالٌ يتحرّون بها المساتير وأرباب البيوتات ، وكان كلما دخلت السنة يأمر أن يُكتب له الأيتام المنقطعون ، فيُجمعون إلى موضع قريب من قصره ، فيُخْتَسَنُونَ ويأمر لكل صبيٍّ منهم بمشقال وثوب ورغيف ورمانة ؛ وربما زاد على المشقال درهمين جديدين ؛ هذا كلُّه شهدهُته لا أنقله عن أحد من الناس .

وبني بمدينة مراکش بيمارستاناً ما أظن أن في الدنيا مثله ؛ وذلك أنه تَخَسَّيرَ ساحةٍ فسيحة بأعدل موضع في البلد ، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه ؛ فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكّمة ما زاد على الاقتراح ؛ وأمر أن يُغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات ، وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور على جميع البيوت ، زيادةً على أربع بركٍ في وسطه ، إحداها رخام أبيض ؛ ثم أمر له من الفُرُش النفيسة من أنواع الصوف والكتّان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت ، وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما يُنْفَقُ عليه خاصة ، خارجاً عما سجّلب إليه من الأدوية وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشرطة والأدهان والأكحال ؛ وأعدّ فيه للرضى ثيابَ ليل ونهار للنوم ، من جهاز الصيف والشتاء ؛ فإذا نَقَّه المريضُ فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمالٍ يعيش به ريثما يستقلّ ، وإن كان غنياً دُفِعَ إليه ماله وتركَ وسببَه ؛

ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء ، بل كلُّ مَنْ مَرِضَ بِمَرَاكَشٍ مِنْ غَرِيبٍ سُمِّلَ إِلَيْهِ وَوُجِلَ إِلَى أَنْ يَسْتَرِيحَ أَوْ يَمُوتَ ؛ وَكَانَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ بَعْدَ صَلَاتِهِ يَرْكَبُ وَيَدْخُلُهُ ، يَعُودُ الْمَرَضَى وَيَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ أَهْلِ بَيْتٍ ، يَقُولُ : كَيْفَ حَالُكُمْ ؟ وَكَيْفَ الْقَوْمَةُ عَلَيْكُمْ ؟ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السُّؤَالِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ ؛ لَمْ يَزَلْ مُسْتَمِرًّا عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

### [ مَمَالِكُ الْعُزْرِ الْمَصْرِيِّونَ فِي الْمَغْرِبِ ]

وَفِي أَوَّلِ وِلَايَتِهِ - إِذَا سَنَةَ ٨٣ أَوْ ٨٢ - وَرَدَ عَلَيْنَا الْبِلَادَ الْعُزْرُ مِنْ مِصْرَ (١) ؛

(١) الْعُزْرُ : جِنْسٌ مِنَ التُّرْكِ ، بِلَادُهُمْ فِي أَصْغَى الْمَشْرِقِ عَلَى تَحْنُومِ الصِّينِ ، وَقَدْ عَرَفَهُمُ الْعَرَبُ فِي أَيَّامِ الْفَتْوحِ الْأُولَى ؛ دَخَلُوا بِلَادَ السَّامِيِّينَ وَأَسَارَى وَمَمَالِكَ ؛ فَلَمْ يَلْبِثْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنْ مَلَكَوا حُرِّيَّتَهُمْ وَبَرَزُوا فِي الْحَيَاتَيْنِ الْمَدِينَةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ جَمِيعًا ؛ فَصَارَ مِنْهُمْ قَوَادٌ وَوُزَرَاءُ وَوَلَاةٌ ؛ ثُمَّ قَوَى سُلْطَانُهُمْ حَتَّى صَارَ الْخُلَفَاءُ فِي قَبْضَةِ أَيْدِيهِمْ وَسِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ وَفَقَّ لِإِرَادَتِهِمْ .  
وَمِنَ الْعُزْرِ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ صَاحِبَ عَرْشِ مِصْرَ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ .

عَلَى أَنَّ الْأَسَارِيَّ وَالْمَمَالِكِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمْ يَكُونُوا جَمِيعًا مِنَ الْعُزْرِ ؛ بَلْ لَمْ تَكُنْ الْأَكْثَرِيَّةُ مِنْهُمْ ؛ فَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ التُّرْكُ وَالْعَجَمُ وَالْكَرْدُ وَالْأَرْمَنُ وَالرُّومُ وَالشَّرْكَسُ وَالصَّقَالِبَةُ وَأَجْناسٌ شَتَّى ؛ وَلَكِنْ كَتَبَ الْعَرَبِيُّ فِي مُخْتَلَفِ أَقْطَارِهَا لَمْ يَكُونُوا يَفْرُقُونَ بَيْنَ جِنْسٍ وَجِنْسٍ حِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْمَمَالِكِ أَوْ مَنَ يَمْتَدُّ إِلَى الْمَمْلُوكِيَّةِ بِصَلَةٍ ؛ فَهَمَّ يَنْسُبُونَهُمْ إِلَى مَا يَشَاءُونَ مِنْ الْأَجْناسِ لَا يَعْنِيهِمْ مِنْ تِلْكَ النِّسْبَةِ إِلَّا الْإِشَارَةَ إِلَى سَابِقَتِهِمْ فِي الرِّقِّ وَالْمَمْلُوكِيَّةِ ؛ وَمِنْ هَذَا كَانَتْ تَسْمِيَةُ هَؤُلَاءِ بِالْعُزْرِ حِينَئِذٍ ، وَبِالتُّرْكِ حِينَئِذٍ أُخْرَى ، وَبِالْمَمَالِكِ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ . وَمِنَ الْعَسِيرِ فِي أَغْلِبِ الْحَالَاتِ نِسْبَةُ مَمْلُوكٍ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ إِلَى جِنْسٍ مَعِينٍ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ تِجَارَةَ الرِّبْقِ بَعْدَ انْتِهَاءِ عَهْدِ الْفَتْحِ قَدْ حَمَلَتْ طَائِفَةً مِنْ ذَوِي النِّفْسِ الْغَلِيظَةِ عَلَى احْتِرَافِ النِّخَاسَةِ ، فَكَانُوا يُخَطِّفُونَ الْأَطْفَالَ ، بَنِينَ وَبَنَاتٍ ، مِنْ حِجْزٍ وَأَمْهَاتِهِمْ وَيَسْلُكُونَ بِهِمُ الْمَافُوزَ وَالْمَحِيطَاتِ إِلَى حَيْثُ يَبِيعُونَهُمْ فِي أَسْوَاقِ الرِّبْقِ بَعْدَ أَنْ يَقْطَعُوا كُلَّ صِلَةٍ لَهُمْ بِمَضَاهِمِهِمْ ، وَمِنْ نَمَّةٍ يُخْفَى جِنْسُهُمُ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا عَلَى ذَوِي الْحَذَقِ وَالْفَرَّاسَةِ .

وهؤلاء العز الذين يشير إليهم المراكشي ، كان لهم شأن في تاريخ أفريقية أو آخر القرون السادس وأوائل القرن السابع ؛ وكان وصولهم إليها حوالي سنة ٥٦٨ ، وعلى عرش مصر وقتئذٍ الملك الناصر صلاح الدين ، وكانت الحروب الصليبية ناشبة في الشرق والغرب ؛ فثمة صليبيون يغيرون على الشام ومصر ، قد تجمعوا من أقطار شتى ؛ وصليبيون في صقلية يحاولون أن يغلّبوا =

وكان فيمن ورَد علينا مملوك يُسمى قراقش<sup>(١)</sup> ، ذكروا أنه كان مملوكاً لتقي الدين ابن أخي الملك الناصر ؛ ورجل يسمى شعبان ، ذكروا أنه من أمراء الغز؛ ومن أجناد المصريين رجل يُعرف بالقاضي عماد الدين ، في آخرين ؛ فاحسن نُزُهم ، وبالغ في تكرمهم ، وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين ؛ وذلك أن الموحدين يأخذون الجامكية ثلاث مرات في كل سنة ، في كل أربعة أشهر مرة ؛ وجامكية الغز مستمرة في كل شهر لا تختل ، وقال : الفرق بين هؤلاء وبين الموحدين أن هؤلاء غرباء لاشيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الجامكية ، والموحدون لهم الأقطاع والأموال المتأصلة . هذا مع أنه أقطع أعيانهم أقطاعاً كأقطاع الموحدين أو أوسع : أقطع رجلاً منهم فيما أعرف ، من أهل إربل ، يُعرف بأحمد الحاجب ، مواضع ليس لأحد من قرابته مثلها ؛ وأقطع شعبان المذكور بالأندلس قرى كثيرة تغل في كل سنة

== العرب على سواحل أفريقية ، وصبليون من الأسيان والفرنجة يضيقون الخناق على العرب في الأندلس وما يصاحبها من الجزر في بحر الروم .

قال أهل التاريخ : وفي بعض هذه الحملات أحس صلاح الدين الأيوبي صاحب عرش مصر والشام بمجاخته إلى معونة المسلمين في المشرق والمغرب على رد عادية الصليبيين على بلاده ؛ فأرسل الرسل والكتب إلى أمراء المسلمين هنا وهناك ؛ وكان فيمن أرسل إليهم صاحب عرش المغرب والأندلس من أمراء الموحدين ، وسماه فيما كتب « أمير المسلمين ... » قالوا : فغضب ملك مراكش إذ لم يسمه صلاح الدين « أمير المؤمنين » ولم يستمع لندائه ...

وخلال ذلك ظهر المماليك المصريون في ذلك التاريخ بأرض أفريقية ؛ وأميرهم شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين ... فحالفوا عزب بن هلال ، وأغاروا على الأطراف الصربية لملكة الموحدين ، ففتحوا كثيراً من المعاقل واستولوا على كثير من البلاد ، وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما كان بينهم وبين جيش الموحدين في قصة انظرص ٢٧٣ - ٢٧٤ (١) هو غير بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين .

نحواً من تسعة آلاف دينار ، هذا خارجاً عن جامكيتهم السكيرة التي ليس لأحد من الأجناد غيرهم مثلها .

ولم يرد المغرب من هذه الطائفة - أعنى الغز - أطف حَسًا ولا أزكى نفساً ولا أحسن محاضرة ولا أطيّب عشرة من شعبان هذا المذكور ؛ ما لقيته إلا استنشدني أو أنشدني .

أنشدته يوماً لشاعرٍ من أصحابنا من أهل أشبيلية :

وقائل : فيم لم تهجع ؟ فقلت له : \* كيف الهُجوعُ لطرفِ نافرِ الوَسَنِ  
لم تذرِ أن الكرى الممنوع عن بصرى \* هي السَّناتُ التي في مُفكَلتي حَسَن !  
فضحك وقال : لقد حوّم هذا الشاعر وما ورّد ، ورفرف فما طار ،  
وأراد غايةً فوق وقع دونها ؛ والله ممن أثار هذا المعنى بأوجز لفظ وأسهل مأخذ  
وأيسر كلفة حيث يقول :

إعيدوا صباحي فهو عند الكواعبِ

ورُدُّوا رُقادي فهو لحظُّ الجبائبِ

قلت : هو أبو الطيب . قال لي : نعم ، هو الطيب أبو الطيب .

وأنشدته يوماً - وقد جرى ذكر التجنيس اللفظي ، فأنشد هو منه وأكثر - :  
إذا صال ذو وُدِّ بودِّ صديقه \* فيأبها الخيلُ المصاحبُ لي مُصلِّ بي  
فإنِّي مثلُ الماءِ ليناً لصاحبي \* وناهيك للأعداءِ من رجلٍ مُصلِّبِ !  
فاستحسنهما وكتبهما عنده ، وقال لي رحمه الله : لك على بهذين البيتين  
حق ؛ فما وافقني شيءٌ من الشعر في هذا المعنى ولا في غيره ولا وقع مني موقعهما .

وفي الجملة كان له شغف بالآداب شديد، وكان يقْرَضُ شيئاً من الشعر، وربما ندرت له الأبياتُ الجيدة؛ سألته أن يكتب لي شيئاً من شعره أو يُبشدينه، فأبى عليَّ كلَّ الإباء، وحلف لا يفعل...

[أبو يوسف وعقيدة العامة في ابن تومرت]

وخرج أمير المؤمنين أبو يوسف إلى تينمل للزيارة ومعه هؤلاء الغزُّ المذكورون، فقعدها تحت شجرة خرثوب مقابلة للمسجد؛ وقد كان ابن تومرت قال لأصحابه فيما قال لهم ووعدهم به: *لِيُبصِرَنَّ منكم مَنْ طالت حياته أمراء أهل مصر مستظليين بهذه الشجرة قاعدين تحتها!* فلما جلس الغز على الصفة المتقدمة تحتها كان ذلك اليوم في تينمل يوماً عظيماً؛ اتصل التكبير من كل جهة، وجاء النساء *يُولون* ويضربن بالدُّفوف ويقان ما معناه بلسانهم: *صدق مولانا المهدي! نشهد أنه الإمام حقا!*

فأخبرني من رأى أمير المؤمنين أبا يوسف حين رأى ذلك يتبسم استخفافاً لعقولهن؛ لأنه لا يرى شيئاً من هذا كله، وكان لا يرى رأيهم في ابن تومرت؛ فالله أعلم.

أخبرني الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المرِّي ونحن بحجر الكعبة قال: قال لي أمير المؤمنين أبو يوسف: يا أبا العباس، أشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة - يعني عصمة ابن تومرت - قال: وقال لي يوماً وقد استأذنته في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام: يا أبا العباس، أين الإمام...؟ أين الإمام...؟

أخبرني شيخ من لقيته من أهل مدينة جَيَّان من جزيرة الأندلس ، يسمى  
 أبا بكر بن هاني ، مشهور البيت هناك ؛ لقيته وقد علّت سنّه فرويت  
 عنه ، قال لي : لما رجح أمير المؤمنين من غزوة الأرك - وهي التي أوقع فيها  
 بالأدفنش وأصحابه (١) - خرجنا لتلقاه ؛ فقدّمني أهل البلد لتكليمه ، فرُفعت  
 إليه ، فسألني عن أحوال البلد وأحوال قضائه ووولاته ومعماله - على ما جرت  
 عادته - فلما فرغت من جوابه سألتني كيف حالي في نفسي ؛ فتشكرت له ودعوت  
 بطول بقاءه ؛ ثم قال لي : ما قرأت من العلم ؟ قلت : قرأت تواليف الإمام ؛  
 - أعني ابن تومرت - فنظر إلي نظرة المُعْضَب ، وقال : ما هكذا يقول الطالب ا  
 إنما حُكِمَ أن تقول : قرأت كتاب الله ، وقرأت شيئاً من السنّة ؛ ثم بعد  
 هذا قل ماشئت . في أضراب لهذه الحكايات لو أوردناها لطل بها هذا التلخيص .

### [ اهتمامه بالتشيد والبناء ]

وكان عند رجوعه من السّفرة التي استنقذ فيها مدينة شلب من أيدي  
 الروم على ما تقدم (٢) ، أمر أن يُبني له على النهر الأعظم ، نهر أشبيلية ،  
 حصن ؛ وأن يُبنى له في ذلك الحصن قصور وقباب ، جارياً في ذلك على عادته  
 من حب البناء وإيثار التشديد - فإنه كان مهتماً بالبناء ، وفي طول أيامه لم يخل  
 من قصر يستجدّه أو مدينة يعمرها ؛ زاد في مدينة مراكش في أيامه  
 زيادةً كثيرة يطول تفصيلها - فتمت له هذه القصور المذكورة على ما أراد  
 وفوقه ؛ وسمّى ذلك الحصن «حصن الفرج»

(١) انظر ص ٢٨٢

(٢) انظر ص ٢٨٠

[ على بن حزمون الشاعر ]

ولما رجع من غزوته العظمى - المتقدم ذكرها - في سنة ٥٩١ ، جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الأعظم ، وأذن فدخلوا عليه على طبقاتهم ومراتبهم ؛ وأنشده الشعراء ؛ فمن أنشده في ذلك اليوم صديق لي من أهل مرسية اسمه على بن حزمون ، أنشده قصيدة في عروض يسمى الحَبَبُ (١) كان يقترحه على الشعراء ، فوعدت القصيدة من أمير المؤمنين ومن الحاضرين موقع استحسان ، أولها :

حَيْتِكَ مُعْطَرَةَ النَّفْسِ • تَفْحَاتُ الْفَتْحِ بِأَنْدَلُسِ  
فَذَرِ الْكُفَّارَ وَمَأْتِمَهُمْ • إِنَّ الْإِسْلَامَ لِنِي عُرْسِ  
أَلِمَامِ الْحَقِّ وَنَاصِرَهُ • طَهَّرْتَ الْأَرْضَ مِنَ الدَّنَسِ  
وَمَلَأْتَ قُلُوبَ النَّاسِ هُدًى • فَدَنَا التَّوْفِيقَ لِلْمُتَمِيسِ  
وَرَفَعْتَ مَنَارَ الدِّينِ عَلَى • عَمَدِ شَمِّ وَعَلَى أُسِّ  
وَصَدَعْتَ رِءَاءَ الْكُفْرِ كَمَا • صَدَعَ الدَّيْجُورُ سَنَا قَبَسِ  
لَا قِيَتَ جَمُوعُهُمْ فَعَدَّوْا • فِرْصاً فِي قَبْضَةِ مُفْتَرِسِ  
جَاءُوكَ تَضِيقُ الْأَرْضِ بِهِمْ • عَدَدًا لَمْ يُحْصَ وَلَمْ يُقَسِّ  
خَرَجُوا بَطْرًا وَرِنَاءَ النَّاسِ • لِيَخْتَلِسُوا مَعَ مُخْتَلِسِ  
وَمَضِيَتِ لِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى • ثِقَةٍ بِاللَّهِ وَلَمْ تَخْسِ  
فَأَنَاخَ الْمَوْتَ كَلَاكِلَهُ • بِظُبَّكَ عَلَى بَشْرِ رَجَسِ

(١) تفعيلاته : « فعلن فعلن فعلن » مرهين .

وتساوى القاع بهمهم \* الثربض مع الحرب الصرس<sup>(١)</sup>  
 سقيت بنجيعهمو أكم \* وطئوا منهن على دهن  
 فأولئك حزب الكفر ألا \* إن الكفار لفي نكس  
 أذوى الثلبان وراهمو \* خيل الملك الخير الندس  
 لو أن البحر تناوله \* مجرعا وطئته على يبس  
 ولو أن الثمم تراجمها \* أضحت كحل المقل الثمس  
 ملاً التوحيد أعنتها \* وأغار بهاروح القدس  
 نهضت فضت فقضت أملاً \* أنسى عتب الدنيا فندسى  
 جاست جنسات الكفر فلم \* تترك لهمو مالم تجس  
 لم يبق بها مئوى رجيل \* إلا وعليه شذى فرس  
 لحقوا بقرون الشم فلا \* سقيبا لطلولهمو الدرس  
 إن كان نجما أدفئهمو \* فإلى عيش نكد تعيس  
 نظر الملك الأعلى فرأى \* مليكا ما بين قنأ وقيسى  
 كالشبح توشح رونقه \* كالطور بنور الله كيسى  
 فضى لم يلو على أحد \* ورمى بالذرع وبالترس  
 لصليل الهند بمفرقه \* لا يسمع صلصلة الجرس  
 سهر الموتور وأرقه \* تذكار المنصل والمرس  
 وبكاء عقائل هاتفة \* كالورق ينحن مع العلس

(٢) عجز البيت في الأصل : « المرفض مع الحدب الصرس »



بَرَزَتْ وَكَأَنَّ ذَوَائِبَهَا ۞ أَذْنَابُ رَوَائِحِيَّةِ شَمْسِ  
 تَرْنُوكِظَاءِ الرَّمْلِ عَلَى ۞ وَجَلِي لَضْرَائِغِيَّةِ مُشْرِسِ  
 قَدْ مَكَنَّ مَهَا أَنْسٍ فَعَدَّتْ ۞ تَحْتَ الرِّيَاةِ بِلَا أَنْسِ  
 إِنْ الأَيَامِ قَدْ أَزْدَهَرَتْ ۞ كَالرُّوْضِ يَرُوقُ الْمُغْتَرِسِ  
 وَتَنَاسَقَتْ الأَمَالُ لِنَا ۞ كَالشَّعْرِ تَنْظَمُ فِي لَعَسِ  
 وَتَلَا نُورُ الحَقِّ عَلَى السَّائِرِ المَهْدِيَّةِ فَاقْتَبَسِ  
 أَجْزِيرَةَ أَنْدَلُسِ اعْتَصِمِي ۞ بِإِمَامِ الأُمَّةِ وَاحْتَرِسِي  
 أَرْعَاكِ حِرَاسَتَهُ مَمْلِكِ ۞ جَبْرِيْلُ لَهُ أَحَدُ الحَرَسِ  
 حَكَمَتْ أَسْيَافُكَ سَيِّدَنَا ۞ فِي كُلِّ مُصِرِّ الكُفْرِ مُسِي  
 وَمَضَتْ فِي الرُّومِ مَضَارِبُهَا ۞ وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ فِي الفُرسِ  
 لَا يَخْلَفُ رَبُّكَ مَوْعِدَهُ ۞ دَوِّخُ أَقْطَارِ هُمُو وَدُسْ !  
 أوردتها على تواليها وإن كان فيها طول ، لغرابة عرُوضها وجودة أكثر  
 آياتها ؛ أنشدتها منشؤها المذكور من لفظه ، ثم أعدتها عليه بلفظي آخر مرة  
 لقيته بمدينة مرسية في سنة ٦١٤ .

ولعلي بن حزمون هذا قدم في الآداب ، واتساع في أنواع الشعر ، ركب  
 طريقة أبي عبد الله ابن حجاج البغدادي <sup>(١)</sup> - سأل الله وغفر له - فأراني  
 فيها عليه ؛ وذلك أنه لم يدع موشحة تجرى على السنة الناس بتلك البلاد إلا

(١) هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج ، من شعراء المائة الرابعة ، ذكره الثعالبي  
 في البيعة ؛ وكان هازلا ماجنا ؛ وهو وابن سكرة الهاشمي متعاصران وفي السخف متشابهان ؛  
 فكان يقال : إن زمانا جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جدا ...

عمل في عروضها ورويًا موشحة على الطريقة المذكورة ؛ وله مع هذا في الهجاء يد لا تطاول ، غير أنه يفحش في كثير منه ؛ فمن أحسن ما أحفظ له من ذلك وأسليه من الفحش والإفداع ، أبيات ركب فيها طريقة الحطيئة :  
ابتدا يهجو نفسه ، ثم استطرد يهجو رجلا من أعيان قواد الأندلس يقال له محمد بن عيسى ، مشهور النجدة عندهم . والآيات :

تأملتُ في المرأة وجهي فخلتُهُ \* كوجهِ عجوزٍ قد أشارت إلى اللهُوِ  
كأن على الأزرار مِنِّي عَوْرَةٌ

تنادى الوَرَى : غَضُّوا ولا تنظروا نحوي

فلو كنتُ مما تلبت الأرضُ لم أكن

من الرائق الباهي ولا الطيب الخلو

وأقبَحُ من مرآى بطنِي فإنه \* يُقرِّقُرُ مثل الرعدِ قرقرَ في الجوِّ

ولما كقلبٍ بين جنسِي محمدٍ \* سليلِ ابنِ عيسى حين فرَّ ولم يُلو

يودُّ بأن لو كان في بطنِ أمه \* جنينًا ولم يسمع حديثًا عن الغزوِ

ثقيل ولكن عقله مثل ريشة \* تطيرُ بها الأرواحُ في مهمتهِ دوّي

تميلُ بشِدِّ قيه إلى الأرضِ لحيتهُ \* تظنُّ بها ماءً يُقرِّغُ من دلو

وقد حدّثوا عنه بكلِّ نقيصةٍ \* ولكن مثلي لا يُروى ولا يُروى

وله في هذا المعنى أحسن من هذا كثيرا إلا أنه أقدع فيه ؛ فلذلك لم أودعه

هذه الأوراق ؛ لأنني لأستجيز أن يُنقل مثل هذا عنى .

ونال ابنُ حزمون هذا عند قضاة المغرب ومعماله وولايته جاهها وثروة ؛

كل ذلك خوفاً من لسانه وحذراً من هجائه ؛ ولا أعلم في جميع بلاد المغرب بلداً  
إلا وأهاجى هذا الرجل تحفظ فيه وتدرس ؛ أسأل الله له المسامحة وجميع  
إخواننا من المسلمين .

[ محمد بن عبد ربه الكاتب حفيد صاحب العقد ]

وأمر أمير المؤمنين بعرض الجند في هذا اليوم (١) في السلاح التام ؛ فلما  
انتشروا بين يديه وأعجبه ما رأى من حسن هيأتهم ، قام فصلى ركعتين شكراً لله  
عز وجل ؛ واتفق أثر فراغه من ذلك الركوع أن جاءت سحابة فأمطرت مطراً  
جوداً حتى ابتل الناس ؛ فقال في ذلك صديق لي من الكتاب اسمه محمد بن  
عبد ربه (٢) ، أصله من الجزيرة الخضراء ، كان يكتب لأبي الربيع سليمان بن  
عبد الله بن عبد المؤمن ، وكان مختصاً به :

بَادَى الْكِرَامَةَ بِلِ بَادَى الْكِرَامَاتِ ۝ قَدْ شَفَعَ اللهُ آيَاتِ بَآيَاتِ  
يَالَيْتَ شِعْرَى مَا شِئْتُ دَعَوْتُ بِهِ ۝ قَبْلَ السَّلَامِ وَمِنْ بَعْدِ التَّحِيَّاتِ  
شَيْءٌ نَأْتَرُ عَنْهُ الْجَوْ فَاتَّصَلْتُ ۝ مِنْ السَّحَابِ رَايَاتُ بَرَايَاتِ  
مِنْ كُلِّ وَطْنَفَاءَ لَفَاءَ الرِّبَابِ هَمَّتْ ۝ مَاءٌ نَقِيًّا عَلَى زَغْفٍ نَقِيَّاتِ  
قُلْ كَيْفَ لَا يَفْتَحُ اللهُ الْبِلَادَ وَقَدْ ۝ تَفْتَحَتْ لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ  
فَاشْتَهَرَ مِنْ يَوْمِئِذٍ أَبُو عَبْدِ اللهِ هَذَا (٣) وَعُرفَ مَكَانُهُ وَتَبَّهَ قَدْرُهُ ؛ وَلَهُ  
إِحْسَانٌ كَثِيرٌ وَقَدَّمَ رَاسِخَةً فِي صِنَاعَتِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، مَعَ تَحْقِيقِ بَشَى مِنْ

(١) يعني يوم عودته من وقعة الأرك سنة ٤٩١ .

(٢) ذكره المقرئ مرتين في فتح الطيب ، فيمن لهم رحلة إلى المشرق .

(٣) يعني محمد بن عبد ربه المذكور ، كنيته أبو عبد الله .

أجزاء الفلسفة من علوم التعاليم وعلم المنطق؛ أنشدني - رحمه الله - من شعره :  
 قَفَّ بِالْقِيَابِ وَأَيْنَ ذَاكَ الْمَوْقِفُ \* وَأَسْأَلُهُمْ بِمَأْمَهُمْ أَنْ يَعْطِفُوا  
 وَأَنْشُدْ فَوَادَكَ إِنْ عَرَفْتَ مَكَانَهُ \* بَيْنَ الْقِيَابِ وَمَا إِخَاؤُكَ تَعْرِفُ  
 عِنْدَ الَّتِي رَمَتْ الْجَمَارَ غُدَيَّةً \* وَبَنَانُهَا بَدَمَ الْقُلُوبِ مُطْرَفُ  
 نَفْسِي الْفِدَاءِ لَهَا وَإِنْ لَمْ تُبْقِ لِي \* نَفْسًا تَذَكَّرُنِي بِهَا وَتَعْرِفُ  
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ لَمْ يُبْقِ تَقَادُماً الْعَهْدِ [مِنْهَا] عَلَى خَاطِرِي سِوَى  
 مَا أوردته .

وأنشده - رحمه الله - يوماً ونحن في قبة على شاطئ نهر وقد أخذ المطر  
 في الانسكاب ، بيتين أحفظهما لشاعر قديم :

حَاكَتْ يَمِينُ الرِّيحِ مُحْكَمَةً \* فِي نَهْرٍ وَارِضِ الْأَسَاوِيرِ  
 فَكُلَّمَا ضَعَّفَتْ بِهِ حَلَقًا \* قَامَ لَهَا الْقَطْرُ بِالْمَسَامِيرِ

فاستحسنهما وقال لي : ذكرتني هذا المعنى ؛ وأنشدني فيه لنفسه أياتاً ما سمعت  
 بمثلاً ؛ هذا على إكثار الناس في هذا المعنى وتواردهم عليه حتى صار أخلق  
 من الليل والنهار من كثرة تكراره على الأسماع ، فلا يتخَلَّص منه إلا من  
 كطُف حَسُّهُ وَجَاد طَبْعُهُ وَحَسُنَ مَيزُهُ ؛ والآيات :

بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْجَوِّ مُعْتَرِكٌ \* بِيضٌ مِنَ الْبَرْقِ أَوْ مُسْمَرٌ مِنَ السَّمْرِ  
 إِنْ أَوْتَرَتْ قَوْسَهَا كَفَّ السَّمَاءُ رَمَتْ \* نَبْلًا مِنَ الْمَاءِ فِي زَعْفٍ مِنَ الْغُدْرِ  
 لِأَجْلِ ذَاكَ إِذَا هَبَّتْ طَلَانِعُهَا \* تَدَّرِعُ النَّهْرُ وَاهْتَرَتْ قَنَا الشَّجْرِ  
 فَانظُر - حفظك الله - إلى حسن توطئته لهذا المعنى وقوة تخلُّصه إلى هذا التشبيه

بأحسن لفظ وأسهله على السمع والنطق .  
 واستأذنت عليه يوماً وهو في مجلس له ؛ فلم ير - رحمه الله - أن يجبني ؛  
 فاسترفع ما كان لديه وأذن لي ؛ فدخلت ؛ فتلقتني أحسن لقاء ، وأخذ يتحدثني ؛  
 وفهمت أنه مُستحيّ حَجِلٌ إذ عَرَفَ أني تَفَطَّنْتُ لبعض الأمر ، فأشدته  
 رافعا عنه كلفة الحجل لبعض الشعراء :

أَدْرِهَا فما التحريمُ فيها إِذَاتِهَا هـ وليكنْ لآسبابِ تَضَمَّنِهَا الشكر  
 إِذَا لم يكنْ مُسْكِرٌ يزلُّ به الفتى هـ فسيانِ ماءً في الزجاجةِ أو خمرِ ا  
 فطرب - نضر الله وجهه - وعاوده أنسه وانبسط ، ثم سكت عن ساعة  
 واستدعى الدواة وكتب بديهاً في قريب من المعنى الذي أنشدته فيه :

ماضرت الخمرُ لولا الشرعُ يشرُّها هـ قومٌ حديثهمو همسُ التَّساييحِ  
 ليسوا برُعشٍ إِذْ أَدَّوْا فَرُوضَهُمْ هـ عند القيام ولا ميلِ مَرَّاجيحِ  
 بيت كبيتٍ وفيه شادينٌ سدينٌ هـ مزجُ الكؤوسِ به وقدُ المصاييحِ  
 وأنشدني بعد هذا لنفسه ، في هذا المجلس ، من قديم شعره ، مقطوعةً سينية

لم أسمع بأحسن منها ؛ لم يبق على خاطري منها سوى آخر بيت فيها ، وهو :  
 ولكنَّ قومًا لا يغيبُ نهارُهم هـ إِذَا عَرَبَتْ شمسٌ يديرونها شمسًا  
 وله - رحمه الله - رحلة إلى مصر لقي فيها ابنَ سناء الملك (١) وأخذ عنه من  
 شعره ، وهو أولُ من سمعتُ يذكره عندنا ويروي شعره .

ولأبي عبدالله هذا اتساعٌ في صناعة الشعر ، إلا أنه تحلَّ كثيرًا من شعره

(١) هو القاضي السعيد هبة الله بن جعفر ، من شعراء مصر في المائة السادسة ، كان معاصراً

السيدَ الأجلَّ أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أيام كتابته له ، ولم يدع بعد ذلك في شيء مما تحمله إياه من شعره ، ولا ذكر أنه له ؛ فكان أكثر شعره يُنشد لأبي الربيع وترويه الرثوة له ؛ عرفت ذلك بعد مفارقتة إياه ؛ لأنني فقدت شعرَ السيد أبي الربيع واختلف على كلامه ، ورأيت بخطه أشعاراً نازلة عن رتبة الشعر جدا ؛ فعلبت أن ذلك الأول ليس من نسجه ! وأخبرني ابن عبد ربه هذا قال : دخلت على السيد أبي الربيع وهو في قبة له وقد دخلت عليه الشمس من كُوَيِّ صِغارٍ في أعلاها ، فلما رأيت ذلك المنظر أعجبتني وقلت بديهاً :

لما رأته الشمسُ يفعلُ فعلها • في العالمين مقاسمًا ومُسامها  
خافت توألى الجودُ يُنفدُ ماله • تهرت عليه دنائراً ودراهما !  
فحذف الياء من « دنانير » ، وهذا جائز ، كما قال الأول :  
• تضلُّ به أمنًا وفيه العصافر •

[ أبو جعفر الحميري المؤدب ]

ومما يتعلق بأخبار أبي يوسف - رحمه الله - ما أخبرني شيخى وأستاذى أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى الحميرى - رحمه الله - أيام قراءتى عليه بقرطبة سنة ٦٠٦ ، وذلك أننا بلغنا عليه فى الحماسة إلى مقطوعة ابن زِيَابَةَ التَّيْمِيَّ<sup>(١)</sup> التى أوّلها :

(١) هو مسلمة بن ذهل التيمى ، وزياية : أمه ، وبها يعرف ؛ والحارث المذكور فى البيت هو الحارث بن همام التيماني ؛ وأنشد ابن زياية هذه المقطوعة يناقض بها الحارث المذكور فى شعره قاله ؛ انظر ديوان الحماسة لأبى تمام .

يَا لَهْفَ زَيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الصَّاحِبِ فَالغَنَامِ فَالْآيِبِ

فلما اتبيننا منها إلى قوله :

والله لو لا قَيْتُهُ خَالِيًا ه لآب سَيْفَانَا مع الغالب ا

قال لنا (١) : أحدتكم بأعجب ما اتفق لي في هذا البيت ؛ وذلك أن أمير

المؤمنين أبا يوسف - رحمه الله - لما فصل عن قرطبة متوجها إلى لقاء

الأدْفَش - لعنه الله - قال لي ولدي عصام بعد انفصاله بليلة أوليلتين : يا أبت ،

رأيت البارحة أمير المؤمنين داخلا قرطبة وقد رجع من السفر وهو متقلد

بسيفين ! فقلت : يا بُنَيَّ ، لئن صدقت رؤياك هذه ليهز من الأدْفَش لعنه

الله ! وخطر لي هذا البيت :

والله لو لا قَيْتُهُ خَالِيًا ه لآب سَيْفَانَا مع الغالب

فصدقت الرؤيا والتعبير .

وأبو جعفر هذا المذكور ، آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس ؛

لزمته نحو من سلتين ، فما رأيت أروى لشعرٍ قديم ولا حديث ، ولا أذكر

بحكاية تتعلق بأدبٍ أو مثلٍ سائر أو بيتٍ نادر أو جمعةٍ مستحسنه منه ، رضى

الله عنه وجزاه عنا خيرا . أدرك جِلَّةً من مشايخ الأندلس فأخذ عنهم علم

الحديث والقرآن والآداب ، وأعانه على ذلك طولُ عمره وصدق محبته

وإفراط شغفه بالعلم ؛ قال لي ولده عصام - وقد رأيتُ عنده نسخة من شعر

أبي الطيب قرئتُ علىَّ أو أكثرها فألفيتها شديدة الصحة فقلت له - :

(١) يعنى أبا جعفر الحميرى .

لقد كتبتها من أصل صحيح وتحرّرت في نقائها. فقال لي : ما يمكن أن يكون في الدنيا أصلٌ أصحُّ من الأصل الذي كتبتُ منه ! فقلت له : أين وجدته ؟ قال : هو موجود الآن بين أيدينا وعندنا ! وكنا في المسجد في زاوية ، فقلت له : أين هو ؟ فقال لي : عن يمينك ! فعلمت أنه يريد الشيخ ، فقلت : ما لي يميني إلا الأستاذ ! فقال لي : هو أصلي ، وياملته كتبتُ : كان يُملي عليّ من حفظه ! فجعلت أتعجب ، فسمع الأستاذ حديثنا ؛ فالتفت إلينا وقال : فيم أتما ؟ فأخبره ولدُه الخبر ، فلما رأى تعجّبي قال : بعيداً أن تُفلحوا ! يعجب أحذكم من حفظ ديوان المتنبي ! والله لقد أدركتُ أقواما لا يعدّون من حفظ كتاب سيويه حافظا ولا يروونه مجتهداً !

توفي أبو جعفر هذا في شهر صفر من سنة ٦١٠ وقد كملت له ست وتسعون سنة ؛ لم يبقَ في الأندلس أعلى روايةً منه في كل ما يروى ، ولم أر قبله ولا بعده - مع اتساع علمه وشدة تمييزه وحسن اختياره ومعرفته بعلم هذه الصناعة - أكثر إحصافاً منه ولا أسرع رجوعاً إلى الحق ؛ كنت أنشده من شعري على ركاكته وكثرة تكلفه وبعده من الجودة أياتاً لا أعدّها شيئاً ؛ يحملني على إنشادها إياه فرط استدعائه ذلك مني ؛ فيلهج بها ويشتم استحسانه لها ، وربما درسها حفظها .

أنشدته يوماً - وقد استدعى مني ذلك على عادته - بيتين ارتجلتهما في شاب ؛ كان يقرأ معنا كان شديد العفة - رحمه الله - مع حسن رائع وظرف ناصع ، كان اسمه «فتحاً» وهما :



يا من له عن كَنَاسٍ \* من المتيم قلبه

ما أنت كَأَسْمِكَ فَتَحْ \* وإنما أنت قلبه

فطرب والتفت إلى ابنه وقال له : هذا والله الشعر ، لا ما تصدّ عنى به طول نهارك ؛ إن كنت تقول مثل هذا وإلا فاسكت ! فلما كان من الغد قال لى رحمه الله : أعلمت ما صنع عصام أمس ؟ قلت : لا ؛ قال : كان كما قالوا فى المثل : « سكت ألفاً ... » ؛ لم يزل أمس يُعمل فكرته ، فبعد الجهد الشديد أخذ معنى بيتيك فسلبه روحه وأعدمه رونقه ومسّخه بجملة فقال :

سَبِي فَوَادِي خَشْفُ \* فقوتى اليوم ضعف

سَمَوُهُ فَتَحًا بَجَازًا \* وفى الحقيقة حثف !

ما زاد فيه أكثر من المجاز والحقيقة ؛ فقلت أنا : هذا والله أحسن من شعري ! فتغير لى وقال : يا بُنَيَّ ، دع عنك هذه العادة ؛ فإن أسوأ ما تخلّق به الإنسان : الملق وتزيين الباطل ، سيّما إذا أضاف إلى ذلك الحليف الكاذب ؛ والله إنك لتعلم أن هذا ليس بشيء ، وإلا فقد اختل مميّزك وساء اختيارك ، وما أظن هذا هكذا .

وسمّعته - من شدة إنصافه رحمه الله - يستحسن بيتين هجاه بهما صاحبنا على بن خروف رحمه الله<sup>(١)</sup> ؛ وذلك أن الأستاذ - رحمه الله وعفا عنه - كان يُلقَّبُ بالوزغى<sup>(٢)</sup> ، وكان عنده شابٌ يقرأ عليه يلقب بالغرّنوق - وهو اسم عندهم للكركى<sup>(٣)</sup> ، والنصيح فيه غرّنيق<sup>(٤)</sup> - فكان بعض الطلبة يهتمون

(١) نظنه يعنى أبا الحسن بن خروف القرطبي الشاعر .

(٢) لعل صوابه : يلقب بالوزغة .

(٣) كذا يقول المؤلف ، وإنما هما فصيحان كلاما .

الأستاذ بالميل إلى ذلك الشاب ؛ وذلك خلقٌ قد أعاده الله منه ونزّهه بفضله  
عنه ؛ فقال ابن خروف في ذلك ، سماحه الله :

أَحَقَّ سَامٌ أَبْرَصَ مَسْمِعِنَا \* بِأَنْكَ قَد تَعَشَّقْتَ ابْنَ مَاءِ  
وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الْحَيْطَانِ تَمْشِي \* وَذَاكَ يَطِيرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ !  
فأبعده الأستاذ - رحمه الله - وأنهى خبره إلى القاضي أبي الوليد بن رشد ،  
فأوجعه ضرباً ؛ وامتنع الأستاذ من قرامته عليه ؛ فخرمه الله بهذين البيتين فوائده  
عده ، وأبعده عن مَرِيعِ جَنَابِهِ ، وولاه الأستاذ خطته ، وألقى حبله على غاربه ؛  
فلم يفلح ابن خروف بعدها ولا حصل على شيء من العلم ؛ وإنما كان يعتمد  
فيما يأتي به على طبعه خاصة .

وقدامتد بنا عنان القول إلى الملاحجة لنا بأكثره ؛ رغبة في تنشيط الطالب  
وليثاراً للأحماض ؛ ولنرجع الآن إلى ما قطعنا :

[ اليهود في عهد أبي يوسف ]

وفي آخر أيام أبي يوسف أمر أن يُمَيِّزَ اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون  
به دون غيرهم ؛ وذلك ثيابٌ كُحَلِيَّةٌ وأكمام مفرطة السَّعَةِ تصل إلى قريب من  
أقدامهم ، وبدلاً من العمام كلوناتٌ على أشنع صورة كأها البراديع تبلغ إلى  
تحت آذانهم ؛ فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب ؛ ولم يزالوا كذلك بقية  
أيامه وصدرًا من أيام ابنه أبي عبد الله ، إلى أن غيَّره أبو عبد الله المذكور ، بعد  
أن توسلوا إليه بكل وسيلة ، واستشفعوا بكل من يظنون أن شفاعته تنفعهم ؛  
فأمرهم أبو عبد الله بلبسان ثيابٍ مُصْفَرٍ وعمائم مُصْفَرٍ ؛ فهم على هذا الزي إلى

وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ - وإنما حمل أبا يوسف على ما صنعه من إفرادهم بهذا الرزي وتمييزه لإيائهم به ، شكه في إسلامهم ؛ وكان يقول : لو صح عندي إسلامهم لتركهم يختلطون بالمسلمين في أنسكحتهم وسائر أمورهم ، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسويت ذراريتهم وجعلت أموالهم قيناً للمسلمين ؛ ولكني متردد في أمرهم .

ولم تنعقد عندنا ذمة لليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة ، ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة ؛ إنما اليهود عندنا يُظهرون الإسلام ويصلون في المساجد ويُقرِّئون أولادهم القرآن ؛ جارين على ملتتنا وسلتنا ، والله أعلم بما تُكنُّ صدورهم وتحويه بيوتهم .

[محنة أبي الوليد بن رشد]

وفي أيامه نالت أبا الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد - المقدم الذكر (١) - محنة شديدة ؛ وكان لها سببان جلي وخفي ؛ فأما سببها الخفي وهو أكبر أسبابها ، فإن الحكيم أبا الوليد - رحمه الله - أخذ في شرح كتاب الحيوان لأرسطاطاليس صاحب كتاب المنطق ، فهذب به وبسط أغراضه وزاد فيه ما رآه لا ثقابه ، فقال في هذا الكتاب عند ذكره الزرافة وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ : « وقد رأيتها عند ملك البربر ... » ، جارياً في ذلك على طريقة العلماء في الإخبار عن ملوك الأمم وأسماء الأقاليم ، غير ملتفت إلى ما يتعاطاه خدمة الملوك ومتحجلاً الكتاب من الإطراء والتقريظ وما جانس هذه الطرق ؛ فكان هذا مما أحنقهم عليه

(١) انظر ص ٢٤٢

غير أنهم لم يظهرُوا ذلك ؛ وفي الجملة فإنها كانت من أبي الوليد غفلة ؛ فقد قال  
القائل : ورحم الله من عرّف زمانه فأنه ، وميّز مكانه فكأنه ا ، وما أحسن  
ما قال الأول :

وأزلى طولُ النوى دارَ عُربةٍ ٥ إذا شدتْ لاقيتُ الذي لا أشاكلة  
فخامقته حتى يُقالَ سجيةٌ ٥ ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ اعاقله ا  
واستمر الأمر على ذلك إلى أن استحكم ما في النفوس ؛ ثم إن قوما ممن  
يناوئهُ من أهل قرطبة ويدعى معه الكفاءة في البيت وشرف السلف ، سَعوا  
به عند أبي يوسف ؛ ووجدوا إلى ذلك طريقاً ، بأن أخذوا بعض تلك التلاخيص  
التي كان يكتبها ، فوجدوا فيها بخطه حاكياً عن بعض قدماء الفلاسفة بعد كلام  
تقدم : « فقد ظهر أن الزهرة أحدُ الآلهة ... » ، فأوقفوا أبا يوسف على هذه  
الكلمة ؛ فاستدعاه بعد أن جمع له الرؤساء والأعيان من كل طبقة وهم بمدينة  
قرطبة ، فلما حضر أبو الوليد - رحمه الله - قال له بعد أن نبذ إليه الأوراق :  
أخطك هذا ؟ فأنكر ! فقال أمير المؤمنين : لعن الله كاتبَ هذا الخط ا وأمر  
الحاضرين بلعنه ؛ ثم أمر بإخراجه على حال سيئة وإبعاده وإبعاد من يتكلم في  
شيء من هذه العلوم ؛ وكتبت عنه الكتب إلى البلاد بالتقدم إلى الناس في ترك  
هذه العلوم جملة واحدة ، وياحراق كتب الفلسفة كلها ، إلا ما كان من الطب  
والحساب وما يتوصلُ به من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخذ  
سُميت القبيلة ؛ فانتشرت هذه الكتب في سائر البلاد وعمل بمقتضاها .

ثم لما رجع<sup>(١)</sup> إلى مراکش ، نزع عن ذلك كله ، وجنح إلى تعلم الفلسفة ،

(١) يعني أبا يوسف .

وأرسل يستدعي أبا الوليد من الأندلس إلى مراکش للإحسان إليه والعفو عنه؛ فحضر أبو الوليد - رحمه الله - إلى مراکش، فمرض بها مرضه الذي مات منه، رحمه الله؛ وكانت وفاته بها في آخر سنة ٥٩٤ وقد ناهز الثمانين، رحمه الله. ثم توفي أمير المؤمنين أبو يوسف بعد هذا التاريخ بيسير، وكانت وفاته - كما ذكرنا - في غرة صفر الكائن في سنة ٥٩٥ (١).

### ذكر ولاية أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف أمير المؤمنين

أبو عبد الله هذا هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمه أمٌ ولد اسمها زهر، رومية؛ بويغ له بعهد أبيه إليه في سنة ٥٩٥ بعد وفاة أبيه؛ وقد كان أبوه أمر ببيعته في سنة ٨٦ وسننه إذ ذاك عشر سنين إلا أشهراً؛ وكان مولده في آخر سنة ٥٧٦، ولم يزل مرشحاً للخلافة معروفها إلى أن مات أبوه واستقل بالأمر في التاريخ المذكور، وسننه يوم بويغ له البيعة الكبرى العامة، سبع عشرة سنة وأشهر؛ وكانت وفاته لعشر خلون من شعبان سنة ٦١٠؛ فكانت مدة ولايته ست عشرة سنة إلا أشهراً.

### صفاته

أبيض، أشقر شعر اللحية، أشهل العينين، أسيل الخدين، حسن القامة، كثير الإطراق، شديد الصمت بعيد الغور - كان أكبر أسباب صمته لثغاً كان بلسانه - حليماً، شجاعاً، عفيفاً عن الدماء، قليل الخوض فيما لا يعنيه جداً، إلا أنه كان يُبخل أولاده.

## [ أولاده ]

كان قليل الولد جدا ، لأعلم له من الولد سوى يوسف ولى عهده ، ويحيى ، وإسحاق ؛ توفى يحيى فى حياته بأشيلية سنة ٦٠٨ ، وبلغنى عن جماعة من الحشم أنه كان رشح يحيى هذا لولاية العهد ؛ وله بنات .

## وزراؤه

أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان ، وزير أبيه (١) .  
ثم عزله بعد مدة يسيرة وولى بعده أخاه إبراهيم ابن أمير المؤمنين  
أبى يوسف ...

## [ صلة المؤلف بإبراهيم بن أبى يوسف ]

... وهو خير ولده وأجدرهم بالأمر لو كانت الأمور جارية على إيثار الحق  
وأطراح الهوى ؛ لأعلم فيهم أنجب منه ؛ كان لى - رحمه الله - محببا وبنى  
حفييا ؛ وصلت إلى منه أموال وخلع جمته غير مرة ؛ لم أعرفه أيام وزارته ،  
لأنى كنت إذ ذاك حديث السن جدا كما ناهزت الاحتلام ، وإنما كانت معرفتى  
إياه حين ولّوه أشيلية فى سنة ٦٠٥ ، من جهة رجل من أصحابنا من الكتّاب  
اسمه محمد بن الفضل - جازاه الله عنى خيرا - هو الذى أوصلنى إليه ؛ أنشدته  
أول يوم لقيته قصيدة مدحته بها ، أولها :

لكم على هذا الورى التقديم \* وعليهمو التفويض والتسليم

الله أعلاكم وأعلى أمره ٥ بكمو وأنف الحاسدين رَغِيمُ  
أحييتمو المنصور (١) فهو كأنه ٥ لم تفتقده معالم وعلوم  
ومحارب ومنابر ومحارب ٥ وحمى يحاط وأرمل ويتيم  
إلى أن أقول فيها في ذكر ولايته أشيلية :

فكأنما حص (٢) جمالاً سارة ٥ وكان إبراهيم إبراهيم  
وأرى طليطلة كهاجر إثرها ٥ سيزقها الأدفئش وهو دميم  
أقول فيها :

يذر الصليب صغيره وكبيره ٥ فيها جذاذ والعلاج جُشوم  
ويحرق الأعداء فيما أضمرت ٥ ويجوب نار الحرب وهي جحيم  
لم يبق على خاطري منها لتقدم عهدا وقلة اعتناني بها سوى هذه الآيات  
التي أوردتها ؛ فاستحسنها - رحمه الله - وبالغ في الثناء عليها ، تفضلاً منه  
وُسوداً ، وجرّياً على سنن الأجواد ؛ هذا مع ركاكتها وقلة انطباعها  
وظهور تكلفها .

ثم علت حالي عنده بعد ذلك - نضر الله وجهه - إلى أن كان يقول لي في  
أكثر الأوقات : والله إني لأشتاقك إذا غبت عنى أشد الشوق وأصدقه ! ثم لم  
تزل حالي معه على هذا إلى أن فارقت - رحمة الله عليه - وهو وال على أشيلية  
ولايته الثانية .

وكان توديعي إياه - قدس الله روحه - آخر يوم من ذى الحجة سنة ٦١٣ ،

(١) بنى أمير الموحدين أبابوسف ، وكان لقبه المنصور .

(٢) انظر التعليق ص ١١٣

ثم اتصلت بي وفاته وأنا بصعيد مصر سنة ٦١٧ .  
لم أر في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر : كان يذهب  
مذهب أيه في الظاهرية .

• • •

... ثم عزله أبو عبد الله وولى بعده أبا عبد الله محمد بن علي بن أبي عمران  
الضريير جدّ يوسف بن عبد المؤمن لأمه (١) ؛ وكناه أبا يحيى ؛ فكان أبو عبد الله  
الوزير هذا من أحسن الوزراء سيرةً وسريرةً ، وكان يحضه على فعل الخير  
بجهده ، ونشر العدل حسب طاقته ، والإحسان إلى الرعية والأجناد ؛ رأى  
الناس في أيام وزارته من الخصب وسعة الأرزاق وكثرة العطاء مثل الذي  
رأوا في أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أو قريباً منه .  
ثم عزله وولى بعده أبا سعيد عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع ...

[ أولية الوزير أبي سعيد بن جامع ]

... كان إبراهيم بن جامع جدّ هذا الوزير من جملة أصحاب ابن تومرت ، صحبه  
من مراکش ؛ وكان أصله من الأندلس ؛ آباؤه من أهل مدينة طليطلة ، ونشأ  
هو - أعني إبراهيم - بساحل مدينة شريش على البحر الأعظم ، بضبعة تسمى  
رؤطة ، وبها مسجد مشهور بالفضل يزوره أهل الأندلس قاطبة في كل سنة ؛  
ثم انتقل إبراهيم هذا إلى العدو ، وكان يحاول صنعة النحاس ؛ فتعرف بابن  
تومرت ، فكان من أصحابه ، فهو معدود فيهم ؛ ووُلد له أولادٌ نالوا في الدولة



حظوة وجاها متمسعا ؛ فن أولاده أبو العلاء إدريس وزير أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن ، وقد تقدم ذكره (١) ؛ وأبو هذا الوزير المتقدم الذكر ، اسمه عبد الله ، كان يتولى في إمارة أبي يعقوب مدينة سبتة وجهاتها ، وزيادة على ذلك ولاية الأسطول في جميع بلادهم ؛ فلم يزل كذلك إلى أن مات - أظن أمير المؤمنين أبا يعقوب قتله - وترك من الولد : يوسف ، والحسين ، وعثمان الوزير هذا المذكور ، ويحيى ؛ وبنات .

... فاستمرت وزارة أبي سعيد هذا إلى أن توفي أمير المؤمنين أبو عبد الله ؛ ووزر بعده لابنه أبي يعقوب إلى حين ارتحلت من البلاد - وهو سنة ٦١٤ - ثم اتصل بي في شهر سنة ٦١٧ أن أبا يعقوب عزله وولى من سيأتي ذكره بعد هذا إن شاء الله عز وجل .

### حجابه

ريحان الحصى ، ويدعى ريحان بينك ، حجبه ريحان هذا إلى أن مات . ثم حجبه بعده مبشر الحصى ، يدعى مبشر ولدري ؛ فلم يزل مبشر هذا حاجباً له إلى أن توفي أمير المؤمنين أبو عبد الله ، رحمه الله .

### كتابه

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عياش المتقدم الذكر في كتاب أبيه (٢) . وأبو الحسن علي بن عياش بن عبد الملك بن عياش المتقدم ذكر أبيه في

(١) انظر ص ٢٤٤

(٢) انظر ص ٢٦٣

كتاب عبد المؤمن وأبي يعقوب (١) .

وأبو عبد الله محمد بن يَحْلُفَتَن بن أحمد الفازازي ؛ ذكره الله فيمن عنده ،  
وقرب مطالعتي تلك العُرة الميمونة ، وسماعى تلك الألفاظ الحلوة ، واستمتاعى  
بتلك الشماثل الشريفة ؛ فما أشدَّ شوقى إلى تقبيل يديه !

هؤلاء كتبة الإنشاء . وكتاب الجيش : أبو الحجاج يوسف المراني  
(بتخفيف الراء وضم الميم) من أهل مدينة شريش من جزيرة الأندلس .  
ثم بعده أبو جعفر أحمد بن منيع إلى وقتنا هذا ، وهو سنة ٦٢١ .

### قضائه

أبو القاسم أحمد [بن محمد] بن بَقيّ قاضى أبيه (٢) .

ثم عزله وولى أبا عبد الله محمد بن مروان الذى كان أبوه قد عزله (٢) ؛ فلم  
يزل قاضيا إلى أن مات .

وولى بعده رجلا من أهل مدينة فاس ، اسمه محمد بن عبد الله بن طاهر ، يدعى  
أنه من ولد الحسين بن على بن أبى طالب ؛ كان قبل اتصاله بهم يلتحل طريقة  
الوعظ ويتصوف ، لم يزل هذا دأبه ولا برح معروفابه ؛ وكان له مع هذا حظ  
جيد من معرفة أصول الفقه وأصول الدين وشيء من الخلاف ؛ اتصل  
بأمير المؤمنين أبى يوسف شهور سنة ٥٨٧ ، فخطب عنده وكانت له منه منزلة ؛  
سمعت أبا عبد الله الحسينى هذا يقول وأنا عنده فى بيته : جملة ما وصل إلى

(١) انظر ص ٢٠٠ و ص ٢٤٤

(٢) انظر ص ٢٦٤

من أمير المؤمنين أبي يوسف منذ عرفته إلى أن مات ، تسعة عشر ألف دينار ،  
خارجا عن الخلع والمراكب والأقطاع .

لم يزل أبو عبد الله هذا قاضيا إلى أن مات بالاندلس في شهر سنة ٦٠٨ ،  
وكانت ولايته في شهر سنة ٦٠١ .

ثم ولى بعده أبا عمران موسى بن عيسى بن عمران ؛ كان أبوه من قضاة  
أبي يعقوب (١) ؛ فاستمرت ولاية أبي عمران هذا إلى هذا الوقت - وهو سنة  
٦٢١ - لم يبلغني عزله ولا وفاته ؛ وأبو عمران هذا لي صديق ، لم أر صديقا لم تغيره  
الولاية غيرَه ، ولم يزل يعاملني بما كان يعاملني به قبل ذلك ، لم ينقصني شيئا  
من برّه ؛ ما لقيته قط في مركبته إلا سلم عليّ مبتدئا وجدد لي برّا ؛ جزاه  
الله عن أفضل الجزاء ، وعمّ بذلك سائر إخواني !

[ أعمال أبي عبد الله بن أبي يوسف ]

ولما تمت بيعة أبي عبد الله العامة كما ذكرنا - وكان الذي تولاها وقام بأمرها  
من القرابة : أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن ، وهو الذي قام ببيعة  
أبيه (٢) ؛ ومن الموحدون : أبو زيد عبد الرحمن بن موسى وزير أبيه (٣) وأبو محمد  
عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ؛ وهو الذي ولاه محمد بعد هذا أمر أفريقية -  
كان أول شيء شرع فيه تجهيز الجيوش إلى أفريقية ؛ وذلك أن يحيى بن إسحاق  
ابن غانية المتقدم الذكر (٤) ، كان استولى على أكثر بلادها أيام اشتغل الموحدون

(١) انظر ص ٢٤٥

(٢) انظر ص ٢٦٥

(٣) انظر ص ٢٦٣

(٤) انظر ص ٢٦٦ وما بعدها

عنه بغزو الروم ؛ فأول جيش سجّهز [أبو عبدالله] من الموحدين ، الجيش الذى استعمل عليه السيد أبا الحسن على بن عمر بن عبد المؤمن ؛ لم أر لهم جيشا أضخم منه ولا أكثر منه سلاحا ولا أحسن مُعدة ؛ وكان فيه من أعيان الموحدين وأشياخهم جملةً وافرة ؛ فسار أبو الحسن هذا بجيشه المذكور حتى التقى هو والميرقيثون فيما بين بجاية وقسطنطينة وبالقرب من قسطنطينة ؛ فانهزم الموحدون أصحابُ أبي الحسن المذكور ، ورجع أبو الحسن إلى بجاية على حالة سيئة .

وجّهز بعد هذا الجيش جيشا على مثاله ، وأمر عليهم من الموحدين أبا زيد عبدالرحمن بن موسى الوزير ؛ فسار بالجيش حتى بلغ قسطنطينة المغرب .

#### [ دخول الموحدين جزيرة ميورقة ]

ثم استعمل أمير المؤمنين أبو عبدالله على أفريقية وأعمالها ، السيد الأجلّ أبازيد عبدالرحمن بن عبدالمؤمن ، وخرج هو فى سنة ٥٩٧ هـ إلى تينملّ لزيارة قبر أبيه أبى يوسف وزيارة ضريح آبائه وابن تومرت ؛ ثم رجع إلى مراکش ، وأقام إلى أول سنة ٦٠٩ هـ ، فتجهز بجيوش ضخمة حتى أتى مدينة فاس ونزل بها ، وأشاع أنه يقصد أفريقية - هذا بعد أن بلغه أن الميرقى استولى على مدينة تونس وقبض على الوالى عليها عبد الرحمن - فأقام بفاس ثلاثة أشهر وأياما ، وبداله أن يبعث ببعثاً إلى جزيرة ميورقة ، ليستأصل شأفة بنى غانية ويقطع دابرهم ؛ فعمر الأسطول والطرائد فيها الخيل والرجال ؛ واستعمل على الأسطول عمّه أبا العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن ، وعلى الجيش أباسعيد عثمان بن أبى حفص من أشياخ الموحدين ؛ فقصد الجزيرة هذان الرجلان ففتحها عنوة

وقتلا عبد الله بن إسحاق بن غانية الأميرَ عليها<sup>(١)</sup>؛ وكان الذي قتله رجلٌ من الأكراد يقال له عمر المقدّم؛ وذلك أنه حين نازله القومُ خرج على باب من أبواب المدينة سكران، فكبّت به فرسه، فضربه هذا المذكور بسيفه حتى مات؛ وقيل إنه قتله بسيف نفسه.

وكان دخولها مُبرقة وقتلها أميرها المذكور في شهر ذي الحجة من سنة ٥٩٩، فانتهبوا أمواله، وسبوا حرّمه، ودخلا بهم مدينة مرا كش على الجمال في هيئة الأسارى؛ فأما النساء فدخلَ بهن ليلا فجعلن في بعض الخانات إلى أن نفذَ الأمرَ بالمنّ عليهن وإطلاقهن وتزويج من تحتاج إلى التزويج منهن وتجهيزها بمال؛ وأما الرجال فلم يزالوا في الحبس إلى أن منّ عليهم بعد أن ضمنهم أكابرهم واتخذوا أجناداً فهم كذلك إلى اليوم.

وبلغني أن المتولين لفتحها انتهبوا منها أموالا عظيمة وذخائر نفيسة. ثم رجع أمير المؤمنين أبو عبد الله إلى مرا كش، وبها اتصل به خبير فتح مُبرقة؛ وكان رجوعه إلى مرا كش في ذي القعدة من السنة المذكورة.

### [عبدالرحمن الجزوليّ الثائر]

وقد كان قبل هذا في سنة ٩٧، قام بسوس رجلٌ من جزولة اسمه عبدالرحمن، يعرف عندهم بما معناه بلسانهم «ابن الجزيرة»، فدعا إلى نفسه؛ واجتمع إليه خلق كثير؛ واشتد خوف الموحدين منه، فلم يزالوا يجهزون إليه العساكر بعد العساكر، وفي كل ذلك يهزمهم؛ إلى أن بعثوا بعضا من الموحدين والغزّ وأصناف

الجند ، بعد أن تقدموا إلى المصامدة والمجاورين للبلاد التي كان فيها ؛ وقالوا :  
 إنما يقوى هذا الرجل بتغافلكم عنه ، ومساحتكم إياه ، ولو شئتم لم يبق بالبلاد  
 يوماً واحداً ! فتحركوا عند ذلك وأظهروا الحميَّة ، والتقوا لهم وأصحاب  
 عبدالرحمن المذكور - وكان يدعى أبا قصبَة - فأسلمته جموعه ، وقتل وسير  
 برأسه إلى مراکش ؛ فكتب إلى بعض إخواني ، وهو إذ ذاك صبي صغير  
 كان مع أبيه بسوس - وكان أبوه من العمال ، من أهل جزيرة الأندلس من  
 ناحية بلنسية - يخبرني بهذا الفتح قبل وصوله إلى من جهة كتاب الموحدين  
 المتولين له ، رسالة أولها :

« كُتِبَ من منزل سوس وقد تبلَّج فجرُ الفتح فأفسر ، وقال فريق الضلال  
 وشيعته أين المفرّ؟ وقد ألقى النصرُ جراحه ، وأعزَّ الله حزبه المؤيِّد وأعوانه ؛  
 وشرحُ الحالِ على غاية الإيجاز ، لأجل الاستعجال في إنهاء هذه البشائر  
 والانخفاز ، أن الناكثين النابذين للعروة الوثقى ، المتمسكين بالسبب الأشقي ،  
 حاصروهم الموحدون - أنجدهم الله - أشدَّ الحصار ، وقطعوا عنهم موادَّ المعاش  
 وزرَّافات الأنصار ؛ ولسانُ التأييد يتلو علينا بالعشيِّ والإشراق : ما ينظرُ  
 هؤلاء إلا صيحةً واحدةً ما لها من فواق ؛ ولحين ما أخذ الموحدون  
 - أنجدهم الله - في حسم دائهم العُضال ، وجردوا لهم من عزَماتهم الصادقة  
 ما هو أمضى من النصال ، طاحوا مُجدَّلين بالحضيض ، وملاً جثماً منهم الفضاء  
 العريض ، وخيَّبَ الله ظنونهم الكاذبة وآمالهم ، وصيَّروهم إلى أمهم الهاوية  
 فكانت أولى بهم ؛ ذلك بأنهم اتبعوا ما منخَطَ الله وكبرهوا رضوانه فاجبط

أعمالهم ؛ وأمكن الله من رأس ضلالهم المدعوّ بأبي قصبه ، فقهره الحزبُ المنصور وغلبه ، وحزّ الحسامُ منه قنّة ورقبة ... .

\*\*\*

إنما أوردت هذه الرسالة هاهنا لغرابة شأن من وردت على منه ؛ وذلك أنه كان حين كتب بها إلى لم يحتمل بعد !

[ فتح جزيرة منرقة ]

ومع اتصال هذا الفتح بهم ، اتصل معه فتحُ جزيرة مُنرقة ؛ كان فيها من أصحاب ابن غانية رجلٌ اسمه الزبير بن نجاح ؛ دخلوها عليه فقتلوه ووجّهوا برأسه إلى مراکش ، فهو معلقٌ بها مع رأس أبي قصبه المذكور .

[ محاربة يحيى بن غانية بأفريقية ]

ولما كانت سنة ٦٠١ ، تجهز أمير المؤمنين أبو عبد الله في جيوش عظيمة ، وقصد بلاد أفريقية ؛ وقد كان الميرُقي يحيى بن غانية قد استولى عليها ، خلا قسطنطينة وبجاية ؛ هياً له ذلك غفلةُ الموحدين عنه ، واشتغال أمير المؤمنين أبي يوسف بغزو الروم بالأندلس على ما قدمناه (١) .

فسار أبو عبد الله حتى نزل بلاد أفريقية ؛ فما استعصى عليه بلد من بلادها خلا المهديّة ، مهديّة بنى عبيد ؛ فإنه أقام عليها أربعة أشهر قبل أن دخلها ؛ أوجب ذلك ما قدمنا من شدة منعتها (٢) - وكان يحيى بن غانية قد ولى فيها

(١) انظر ص ٢٨٠ وما بعدها

(٢) انظر ص ٢٢٩

ابن عمه لَحْجًا ، أبا الحسن عليّ بن عبد الله بن محمد بن غانية - فلما طال عليه الحصار سَلِمَ البلدة وخرج بنفسه يقصد ابن عمه ؛ ثم بدا له أن يرجع إلى الموحدين ، فأرسل إليهم فتلقّوه أحسن لقاء ، ووصلوه من الصّلات النفيسة بما لا قيمة له (١) ولا يصل بمثله إلا الخلفاء ؛ وبعد هذا نزع إليهم أخو يحيى بن غانية ، سيرُ بن إسحاق بن محمد ؛ فأكرموا نزلَه وأقطعوه الأقطاع الواسعة بعد أن ملثوا يديه أموالا (٢) .

ولم يزل أبو عبدالله أمير المؤمنين مقيما بأفريقية يُصلح ما أفسده ابن غانية ، إلى أن تم له ما أراد من ذلك ؛ وبلغني أن جملة ما أنفق في هذه السفارة مائة وعشرون حملا ذهبا .

ثم رجع إلى مراکش دار الملك ، بعد أن ترك بأفريقية من الموحدين وأصناف الجند من يقوم بحمايتها ويزود عنها من رامها ، واستعمل عليها من أشياخ الموحدين أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر لاينتي (٣) ، فأقام بمراكش (٤) .

[ انتقاض الهدنة بين الموحدين والفرنجية ]

وكان رجوعه إليها في شهور سنة ٦٠٤ ، فأقام بها - كما ذكر - إلى أول سنة ٦٠٧ ، فانتقض ما بينه وبين الأدفنش - لعنه الله - من المهادنة ، وبدّأ له أن يقصد بلاد الروم للغزو ؛ فخرج بالجيش حتى عبر البحر ؛ وكان عبوره في شهر

(١) انظر التعليق رقم ٢ ص ٢٥٢

(٢) انظر «حسن معاملة الموحدين لمن يغلبونهم من الملوك» ص ٢٥٣

(٣) انظر ص ٣١٣

(٤) يعني أبا عبد الله .



ذى القعدة من سنة ٧ المذكورة ، فسار حتى نزل أشيلية على عادة من سلف قبله ؛ فأقام بها بقية السنة المذكورة .

[ فتح شلبتره ]

وتحرك في أول سنة ٨ فقصده بلاد الروم ؛ فنزل على قلعة عظيمة لهم في غاية المنعة تدعى شَلْبِتْرَه<sup>(١)</sup> - معناه لسان العرب : الأرض البيضاء ، إلا أن فيه تقديماً وتأخيراً<sup>(٢)</sup> كما جرت العادة في لسان العجم - ففتحها بعد حصار وتضييق عليها شديد ؛ وكان أبوه قد نزل عليها قبل ذلك فحاصرها أياماً يسيرة ثم تركها شفقة على المسلمين وخوفاً عليهم ؛ فراع فتح هذه القلعة الروم ، وخامرهم الرعب ؛ وخرج الأدفنش - لعنه الله - إلى قاصية بلاد الروم مستنفرًا من أجابه من عظماء الروم وفرسانهم وذوى النجدة منهم ؛ فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ومن السام<sup>(٣)</sup> ، حتى بلغ زفيره إلى القسطنطينية ، وجاء

(١) Salvatierra وقد ذكرت في بعض المراجع العربية باسم سربطره ، وشربطره .

(٢) في الأصل ، « إلا أن فيه تقديم وتأخير . » وهو خطأ .

(٣) كذا بالأصل ، وفي بعض النسخ : « ومن ألمان » . ومما يذكر في تاريخ هذه الفترة أن ألفونس الثالث ملك قشتالة حين راعه تقدم الموحدين صوب بلاده ، وخشى أن تنال الأسبانيين على يد الناصر محمد ، هزيمة مثل هزيمة الأرك التي نالتهم منذ بضع عشرة سنة على يد أبي المنصور يعقوب ، أوندرسولا إلى البابا في رومية يستصرخه ويسأله أن يرسل الصيحة في الأمم الصليبية التي كانت في ذلك الوقت مولية وجهها شطر المشرق ، لكي تنظم حملة صليبية ضد المسلمين في الأندلس ؛ ولم يكنف ملك قشتالة باستصراخ البابا ، فأرسل مطران طليطلة وعدداً كبيراً من رجال الدين إلى فرنسا والبلاد الواقعة في شرقها ، يبتون دعاية لحرب صليبية جديدة في أسبانيا ...

وقد استجاب البابا ، كما استجاب الرعايا المسيحيون بين جبال البرانس وشواطئ البحر الأسود لهذا الصرخ ، فاجتمع على أرض الجزيرة جيوش من شتى بلاد أوروبا المسيحية ، ومن الجزائر البريطانية ، فكان اجتماعها تمهيداً لوقعة العقاب التي يورد المؤلف خبرها فيما بعد ؛ والتي كانت هزيمة المسلمين فيها سبباً إلى كل ما توالى بعدها من النكبات على مسلمي الأندلس !

معه صاحب بلاد أرغون المعروف بالبرشونى (١) لعنه الله !

[ أشهر الإمارات الأسبانية في ذلك العهد ]

وذلك أن جزيرة الأندلس يملك جهاتها الأربع أربعة ملوك من الروم :  
إحدى الجهات تسمى أرغون - وهي التي ذكرنا - وهي شرقي الجزيرة  
مما يقابل الجنوب منها .

والجهة الأخرى - وهي المملكة الكبرى - بلاد تسمى بلاد قشتال ،  
يملكها الأدفنش لعنه الله ؛ وحد هذه الجهة فيما بين الجنوب والشمال ، أميل  
إلى الجنوب قليلا .

والجهة الأخرى تسمى ليون ، فهو أول الحد الشمالي المغربي ، يملكها رجل  
يدعى بالببسوج (٢) ؛ ومعنى هذا الاسم بالعربية : الكثير اللعاب !  
والجهة الأخرى في الشمال مما يلي البحر الأعظم ، بحر أقيانس (٣) ، يملكها  
رجل يعرف بابن الريق ، وقد تقدم ذكره في مواضع من هذا الكتاب (٤)  
والجزيرة بأسرها ، أعني جزيرة الأندلس ، تسمى في قديم الدهر عند الروم  
جزيرة أسبانية .

(١) هو يسدرو الثاني ملك أرجون ، وقد عقد في تلك الفترة حلفا مع ألفونس الثالث ملك قشتالة .

(٢) ملك ليون في تلك الفترة هو ألفونس التاسع .

(٣) يعني مملكة البرتغال .

(٤) انظر ص ٢٥٧ ، وص ٢٨٠ ويعني المؤرخون العرب بابن الريق ، أو ابن الريك : ملك البرتغال ألفونس هنريكيز ؛ وهم يطلقون هذه التسمية على كل من ملكها من ولده ، وقد كان ملك البرتغال في ذلك العهد ، شانجه الأول ابن ألفونس هنريكيز المذكور ؛ ويغلب على الظن أن كلمة « ابن الريق » هذه هي تحريف كلمة « هنريكيز » مع شيء من الترخيم .

• • •

وبعد رجوع أمير المؤمنين أبي عبد الله من هذا الفتح المتقدم الذكر إلى أشيلية ، استنفر الناس من أقاصى البلاد ، فاجتمعت له جموع كثيفة ، وخرج من أشيلية في أول سنة ٦٠٩ ، فسار حتى نزل مدينة جِيَّان ؛ فأقام بها ينظر في أمره ويعبئ عساكره ، وخرج الأدفش - لعنه الله - من مدينة طليطلة في جموع ضخمة ، حتى نزل على قلعة رباح - وهي كانت للمسلمين ، افتتحها المنصور أبو يوسف في الوقعة الكبرى<sup>(١)</sup> - فسلكها إليه المسلمون الذين بها ، بعد أن آمنهم على أنفسهم ؛ فرجع عن الأدفش - لعنه الله - بهذا السبب من الروم جموع كثيرة ، حين منعهم من قتل المسلمين الذين كانوا بالقلعة المذكورة ، وقالوا : إنما جئت بنا لتفتح بنا البلاد وتمنعنا من الغزو وقتل المسلمين ! مالنا في صحبتك من حاجة على هذا الوجه !

[ وقعة العقاب وهزيمة المسلمين ]

وخرج أمير المؤمنين من مدينة جِيَّان ، فالتقى هو والأدفش بموضع يعرف بالعقاب ، بالقرب من حصن يدعى حصن سالم ؛ فعبا الأدفش جيوشه ورتب أصحابه ، ودكهم المسلمين وهم على غير أهبة ؛ فانهزموا ، وقُتل من الموحدين خلق كثير<sup>(٢)</sup> .

(١) يعنى وقعة الأرك ، انظر ص ٢٨٢

(٢) بلغ عدد القتلى من المسلمين في هذه المعركة مئآت الآلاف ، يقول المكثر إن عددهم بلغ خمسمائة ألف ، والمقل لإنهم مائة ألف ؛ ولم يجر على مسلمى الأندلس في تاريخهم الطويل مثل ماجرى عليهم في هذه الوقعة المشثومة ، التي كانت نذيراً بذهاب ملكهم وانقراض عقبهم في تلك البلاد بعد بضعة قرون من ذلك التاريخ !

وأكبر أسباب هذه الهزيمة اختلافُ قلوب الموحدين ؛ وذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطاء في كل أربعة أشهر ، لا يخل ذلك من أمرهم ؛ فأبطأ في مدة أبي عبد الله هذا عنهم العطاء ، وخصوصاً في هذه السَّفرة ، فانسبوا ذلك إلى الوزراء ؛ وخرجوا وهم كارهون ؛ فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يَسْأَلُوا سيفاً ولا شرعوا ربحاً ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال ؛ بل انهزموا لأول حملة الإفرنج عليهم قاصدين لذلك ؛ وثبت أبو عبد الله هذا في ذلك اليوم ثباتاً لم يُرَ ملك قبله ، ولولا ثباته هذا لاستوَّصت تلك الجموع كلها قتلاً وأسراً !

ثم رجع من هذا الوجه إلى أشيلية ، وأقام بها إلى شهر رمضان من هذه السنة ، ثم عبر البحر قاصداً مدينة مراکش ...

وكانت هذه الهزيمة الكبرى على المسلمين ، يوم الاثنين منتصف صفر

الكان في سنة ٦٠٩ .

وفصل الأدفش - لعنه الله - عن هذا الموضوع بعد أن امتلأت يده وأيدي أصحابه أموالاً وأمتعة من متاع المسلمين ؛ فقصد مدينتي يياسة وأبذة ؛ فأما يياسة فوجدتها أو أكثرها خالية <sup>(١)</sup> ، فخرق أدورها وخرَّب مسجدها الأعظم ؛ ونزل على أبذة وقد اجتمع فيها من المسلمين عدد كثير من المهزومة وأهل يياسة وأهل البلد نفسه ؛ فأقام عليها ثلاثة عشر يوماً ، ثم دخلها عنوةً فقتل وسبى وغنم ؛ وفصل هو وأصحابه من السَّسبي من النساء والصبيان بما ملثوا به بلاد

(١) لم يكن في يياسة سوى طائفة من المرضى والضعفاء ، قد لجأوا إلى مسجد المدينة ينتظرون

مصرهم ؛ فأجهز عليهم النصارى وخرَّبوا المسجد !

الروم قاطبة ؛ فكانت هذه أشدَّ على المسلمين من الهزيمة !

[ وفاة الناصر محمد ]

ولم يزل أمير المؤمنين أبو عبد الله مقبياً بمراكش بقية سنة ٩ وأشهرأ من سنة ١٠ إلى أن توفي في شهر شعبان كما قدمنا ؛ واختلف علينا في سبب وفاته (١) ؛ فأصح ما بلغني أنه أصابته سكتة من ورم في دماغه ؛ وذلك يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان ؛ فأقام ساكتا لا يتكلم يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء ؛ وأشار عليه الأطباء بالفصد فأبى ذلك ؛ وتوفي يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر شعبان من سنة ٦١٠ ، ودفن يوم الخميس ؛ صَلَّى عليه خاصةُ الحشَمَ !

ذكر ولاية أبي يعقوب يوسف بن محمد

هو يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٢) ، أمه أم ولد رومية اسمها قر ، تُلَقَّبُ حكيمة ؛ كانت ولادته في صدر شوال من سنة ٥٩٤ ؛ قبل وفاة جده أبي يوسف بأربعة أشهر .

بويغ له وسنه يومئذ ست عشرة سنة ، لا أعلم له ولداً لحدائته سنَّه ؛ ثم اتصل بي في شهور سنة ٦٢١ أن يوسف هذا توفِّي في أحد الشهرين من شوال أو ذى القعدة سنة ٢٠ ، فكانت مدة ولايته من يوم بويغ له - وذلك

١ يروي ابن خلكان عن بعض المغاربة أن الناصر أوصى عبيده المشتغلين بمراعاة بستانه في سراش أن كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ؛ ثم أراد أن يختبر قدر أمره فتنكر وجعل يمشي في البستان ليلاً ؛ فعند ما رآوه جعلوه غرضاً لرماحهم ، فجعل يقول : أنا الخليفة ! أنا الخليفة ! فما تعقوه حتى ملك .

(٢) لقبه المستنصر بالله .

لأحد عشر يوماً خلعت من شعبان من سنة ٦١٠ - إلى أن توفي كما ذكر في التاريخ المذكور ، عشرة أعوام وشهرين .

### صفته

كان صافي السمرة ، مستدير الوجه ، شديد الكحل ، يشبهونه بجمده  
أبي يوسف في أكثر خلقه ومخلقه .

### وزراؤه

أبو سعيد - المتقدم الذكر - (١) وزير أبيه ؛ استمرت وزارته إلى آخر  
سنة ٦١٥ .

ثم عزله وولى بعده رجلاً اسمه زكريا بن يحيى بن أبي إبراهيم إسماعيل  
الهمزجي صاحب ابن تومرت والمقتول في حياة عبد المؤمن كما تقدم (٢)  
أم هذا الوزير هي بنت أبي يوسف المنصور ؛ فهو وزيره إلى أن  
توفي كما ذكر .

### حجابه

مبشر الخصى حاجب أبيه (٣) .

ثم حجبه بعده فارح الخصى ، يكنى أبا السرور ؛ فلم يزل حاجباً له إلى أن  
توفي كما قيل .

(١) هو أبو سعيد عثمان بن جامع؛ انظر ص ٣١٠

(٢) انظر ص ٢٣٣ - ٢٣٤

(٣) انظر ص ٣١١

قاضييه

أبو عمران موسى بن عيسى بن عمران قاضي أبيه (١) ؛ لم يزل أبو عمران هذا قاضياً له إلى أن توفي كما قيل .

كتابه

أبو عبد الله بن عياش كاتب أبيه وجده (٢) .  
وأبو الحسن بن عياش .

ثم اتصلت بي وفاة هذين الكاتبين وأنا بالديار المصرية في شهر سنة ٦١٩ ،  
وأنهم استعادوا أبا عبد الله محمد بن يَحْلُفَسَّيْنِ الفازازي المتقدم الذكر  
في كتاب أمير المؤمنين أبي عبد الله (٣) ؛ وكان قاضياً بمدينة مرسية من شرقي  
الاندلس ، وبها فارقتهُ ؛ فأعادوه إلى الكتابة كما كان .

واستكتبوا معه أبا جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عياش . أبوه  
هو كاتبهم المشهور بكتابهم ، وقد تقدم ذكره في كتاب ثلاثة أمراء منهم (٤) .  
وكاتب الجيش أحمد بن منيع (٤) ؛ لم يتغير .

[ يبعثه ]

يرجع لأبي يعقوب هذا يوم دفن أبيه ، لأدري أبعهد أبيه إليه أم لا ؛  
لأنني أعلم أن أباه كان كثير الانحراف عنه في آخر أيامه ؛ لما كان يسمع من

(١) انظر ص ٣١٣

(٢) انظر ص ٢٦٣ ، ٣١١

(٣) انظر ص ٣١٢

(٤) هو أبو عبد الله المذكور قبل بضعة أسطر ؛ كتب له ، ولأبيه ، وجده

سوء أخباره . والذين قاموا ببيعته من القرابة : أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن - عمُّ جدِّه الذي دخل عليه الميرقيون<sup>(١)</sup> بجاية ، وهو آخرُ من بقي من ولد عبد المؤمن لصلبه ، لم تبلغني وفاته إلى وقتنا هذا - وأبو زكريا يحيى بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ؛ كانا قائمين على رأسه يأذنان للناس ؛ ومن الموحدين : أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن أبي زيد الهنتاتي - كان أبوه أولَ وزير وزر لأبي يوسف ، وقد ذُكر<sup>(٢)</sup> - وأبو علي عمر بن موسى بن عبد الواحد الشرقي<sup>(٣)</sup> ؛ وأبو مروان عبد الملك بن يوسف بن سليمان ، من أهل تينمعل .

وبويع البيعة الخاصة يوم الخميس ، ويوم الجمعة بايعه أشياخ الموحدين والقرابة ، وفي يوم السبت أذن للناس عامة ؛ شهدت ذلك اليوم وأبو عبد الله ابن عياش الكاتب قائمٌ يقول للناس :

« تبايعون أمير المؤمنين ابن أمراء المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله ، من السمع والطاعة في المنشط والمكتره واليسر والعسر والنصح له ولولائه ولعامه المسلمين ؛ هذا ماله عليكم ولكم عليه : ألا يُجتمَّر بعوثكم ، وألا يدخر عنكم شيئاً مما تعتمكم مصلحته ، وأن يعجل لكم عظامكم ، وألا يحتجب دونكم ؛ أعانكم الله على الوفاء وأعانه على ما قلَّد من أموركم . . . »

يعيد هذا القول لكل طائفة ، إلى أن انقضت البيعة ؛ ثم اتصلت وفادة

(١) انظر من ٢٧٠ - ٢٧١

(٢) انظر من ٢٦٢

(٣) انظر من ١٨١



أعيان البلاد ورؤسائها ووجوه القبائل عليه للبيعة إلى أن تم له الأمر .

[ فاطمي من سلالة ملوك القاهرة يثور بمراكش ]

ولأربعة أشهر من ولايته 'قبض على رجل كان قد ثار عليهم يدعى أنه من بني عبيد ويقول إنه ولد العاضد لصلبه (١) ، اسمه عبد الرحمن .

كان قد ورد البلاد في حياة أبي يوسف أيام كونه بأشبيلية ، ورام الاجتماع به فلم يأذن له ؛ وأقام بالبلاد مطرحا إلى أن حبسه أمير المؤمنين أبو عبد الله في شهر سنة ٥٩٦ ، فلم يزل في الحبس إلى أن كانت سنة ٦٠١ وتحرك أمير المؤمنين إلى أفريقية ؛ شفع له فيه أبو زكريا يحيى بن أبي إبراهيم الهزرجي ، فأطلقه له بعد أن ضمن عنه أنه لا يتحرك في أمر يكرهونه ؛ فلم يُقم هذا العبيدي بمراكش إلا أياما يسيرة بعد خروج أمير المؤمنين أبي عبد الله ، ثم خرج وقصد بلاد صنهاجة ، فالتفت عليه منهم جماعة وانتشر له فيهم تعظيم ؛ لأن هذا الرجل كان كثير الإطراق والصمت ، حسن الهيئة ؛ لقيته مرتين فلم أر في أكثر من شهادته من المشبهين بال صالحين مثله في الآداب الظاهرة ، من هدوء النفس وسكون الأطراف ووزن الكلام وترتيب الألفاظ ووضع الأشياء مواضعها ، مع الرياضة

(١) العاضد : آخر ملوك العبيديين في القاهرة ، غلبه بنو أيوب على عرش مصر ، ولكنهم لم يعزلوه ، بل صابروه حتى مات حتف أنفه سنة ٥٦٧ ، فاستقل من يومئذ صلاح الدين الأيوبي بملك البلاد وانتهى عهد العبيديين .

وقد مات العاضد شابا في الحادية والعشرين ؛ وليس يعرف له ولد من صلبه ، وقد حكى بعض المؤرخين أنه ممنوع أن يتصل بنسائه وجواريه لينقطع بموته نسب بني عبيد فلا يطالب بعرش البلاد أحد منهم ؛ ولكن ذلك لم يمنع ظهور أدياء يزعمون أنهم من صلبه ؛ ليجعلوا ذلك سببا إلى الملك . وقد ظهر دعي من هؤلاء في القاهرة بعد سنتين من موت العاضد ؛ ولكن دعواه لم تجد تأييدا .

المفرطة . ثم قصد مدينة سجلماسة في حياة أمير المؤمنين أبي عبد الله بجيش عظيم ، فخرج إليه مُتَوَلِّها السيد أبو الربيع سليمان بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن : فهزمه العبيديُّ المذكور وأعادَه إلى سجلماسة أسوأ عوْد ؛ ولم يزل يقتل في قبائل البربر من موضع إلى موضع ، وفي ذلك كلُّه لا يستقيم له أمر ولا تثبت عليه جماعة ؛ أو جَبَ ذلك كونه غريبَ البلد واللسان ، لا عشيرة له ، ولا أصل بالبلاد يرجع إليه ؛ إلى أن قُبض عليه بظاهر مدينة فاس ؛ لم يبلغني تفصيلُ قضية القبض عليه ؛ وكتب إلى أمير المؤمنين متولى فاس أبو إبراهيم إسحاق بن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، يُعلمه بالقبض عليه وبكونه عنده في سجنه ؛ فكتب إليه يأمره بقتله وصلبه ، فضرب عنقه وصلب جسده ووَجَّه برأسه إلى مراکش ؛ فهو معلق هناك مع عدة رُوس من الثوار والمتغلبين .

\*\*\*

ولم يغيّر أبو يعقوب هذا على الناس شيئاً من سير آباءه ، ولا أحدث أمراً يتميز به عن كان قبله ؛ خلا أتى رأيت كل من يعرفه من خواص الدولة قدم لي قلبه منه رعباً ؛ لما يعلمون من شهامته وشدة تيقُّظه ؛ لقيته وجلستُ بين يديه خالياً به ، وذلك في مُغرة سنة ٦١١ ؛ فرأيت - من حدة نفسه وتيقُّظ قلبه وسؤاله عن جزئيات لا يعرفها أكثرُ السوق فكيف الملوك - ما قضيتُ منه العجب ؛ وإلى وقتنا هذا لم يظهر منه شيء مما يُتَوَقَّع .

[ نثران آخران على أبي يعقوب الثاني ]

وثار في أيام يوسف هذا - بعد قتل العبيدي - رجلان : أحدهما بيلاد

جزولة من مَسوس، كان يُدعى بالفاطمي؛ قُتل وجيء برأسه إلى مراکش في شهر سنة ٦١٣ وأنا يومئذ بجزيرة الأندلس؛ لم يبلغني تفصيل أمره لبعدي عن الحضرة، غير أني رأيتهم أعظموا الفرح بأخذه وقتله؛ والآخر من صنهجة، قتل في سنة ٦١٨ بعد أن أثار أقيحة فيما بلغني وهزم بعوناً عدة واستفسد خلقاً كثيراً؛ بلغني هذا كله وأنا بالبلاد المصرية في التاريخ المتقدم؛ وكان الذي تولى قتل هذا الرجل والإراحة منه وحسبم الخلاف الواقع بسببه، السيد الأجلّ أبا محمد عبدالعزيز بن أمير المؤمنين أبي يعقوب بن عبدالمؤمن بن علي، وهو يومئذ والي مدينة سجلماسة وأعمالها.

#### [ وفاة أبي يعقوب الثاني ]

ثم اتصل بي في هذه السنة - وهي سنة ٦٢١ - أن أبا يعقوب أمير المؤمنين توفي في أحد الشهرين من شوال أوذي القعدة من سنة ٦٢٠ ولم يبلغني كيفية وفاته<sup>(١)</sup>؛ فاضطرب الأمر واشرب الناس للخلاف.

#### [ ولاية أبي محمد عبدالعزيز بن أبي يعقوب الأول ]

ثم ذكر لي أن عامتهم ومعظمهم اجتمعوا على تقديم السيد الأجلّ أبي محمد عبدالعزيز<sup>(٢)</sup> ابن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف ابن أمير المؤمنين أبي محمد عبدالمؤمن

(١) كان أبو يعقوب هذا - فيما يروى - شاباً كثير اللهو، وكان من هواه أن يرعى الأبقار ويحاول رياضتها، فبينما هو ذات يوم يحاول أن يروض بعض أبقاره هجمت عليه بقرة شموس وضربته بقرنها فأصاب قلبه؛ وكذلك كانت ميته، في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٦٢٠، على ما يحكي صاحب روض القرطاس.

(٢) في غيره: أن الذي ولي عرش الموحدين بعد أبي يعقوب، هو عبد الواحد بن يوسف بن عبدالمؤمن، لا عبدالعزيز. وكان من أولاد يوسف: عبد الواحد، وعبد العزيز. انظر من ٢٤٥

ابن علي ، رحمهما الله ونضّر وجوههما وجزاهما خيرا عن صلاحهما وإصلاحهما !  
 وأبو محمد عبدالعزيز هذا من أصغر أولاد أبي يعقوب ؛ أمه حرة اسمها مريم ،  
 صنّاجية من أهل قلعة بني حماد ، تزوجها أمير المؤمنين أبو يعقوب في حياة أبيه ؛  
 وكانت سبيت<sup>١</sup> هي وأُمّها ملكة فيمن سبوا من أهل القلعة ؛ فأعتقهما أبو محمد  
 عبد المؤمن ، وزوّج مريم هذه لابنه أبي يعقوب ، فولدت له ثمانية من الولد ؛  
 أربعة ذكور ، وأربع بنات ؛ فالذكور هم : إبراهيم ، وموسى ، وإدريس ،  
 وعبد العزيز هذا المذكور ، وهو أصغرهم ؛ توفي موسى بظاهر مدينة تاهرت ؛  
 قتله العرب أصحاب الميرقي في شهور سنة ٦٠٥ ؛ وتوفي إبراهيم منهم بأشيلية  
 وأنايها في شهور سنة ٦١٢ ؛ وتوفي أبو العلاء إدريس منهم بأفريقية كما سيأتي ؛  
 والبنات هن : زينب ، ورقية ، وعائشة ، وعليّة .

لم يتول أبو محمد عبدالعزيز هذا شيئا من أمرهم في حياة أبيه ، ولا في حياة  
 أخيه أبي يوسف ؛ فلما ولي أبو عبد الله الأمر<sup>(١)</sup> وولاه مدينة مالقة وأعمالها  
 من جزيرة الأندلس<sup>(٢)</sup> ؛ وذلك في شهور سنة ٥٩٨ ؛ ثم عزله عنها في شهور  
 سنة ٦٠٣ وولاه أمر قبيلة هسكورة ، وهي ولاية ضخمة ؛ فلم يزل واليا عليها

(١) يعني الناصر محمد بن أبي يوسف .

(٢) وردت العبارة الآتية في هامش المخطوطة مع إشارة إلى أن موضعها من صلب الكتاب  
 بعد عبارة « وولاه مدينة مالقة وأعمالها من جزيرة الأندلس » ، وهذه هي العبارة :  
 « وبها عرفته وصاحبته ، جاريا على طريقة من التصوف »

وقد لاحظ دوزي أن المراكشي كان ما يزال في أفريقية حوالي سنة ٥٩٨ ، وأنه عبر إلى  
 الأندلس في سنة ٦٠٣ ، وهي السنة التي يروي أن أبا عبد الله وولاه فيها أمر هسكورة ؛ وبناء  
 على هذه الملاحظة يعتقد دوزي أن مقابلة المراكشي له كانت في سجلماسة من أفريقية  
 لا في جزيرة الأندلس .

إلى أن عزله عنها وولاه أمر سجلماسة ، فلم يزل والياً عليها بقية مدته ومدة ابنه أبي يعقوب ، إلى أن قُتِل هذا الثائر المتقدم الذكر (١) في ولاية أبي يعقوب بن أبي عبدالله ؛ فعزله أبو يعقوب عن سجلماسة وولاه مدينة أشيلية حين عزل عنها أخاه أبا العلام وولاه أمر أفريقية ؛ فلم يزل أبو العلام إدريس والياً بأفريقية إلى أن مات بها في رمضان من سنة ٦٢٠ على ما بلغني ، رحمة الله عليه .

فهذه جملة أخبار هذا الرجل ، أبي محمد عبد العزيز المذكور بالولاية لأمرهم كما قالوا ؛ ولئن كان ما قالوا حتماً وتمّ هذا الأمر له (٢) ، ليملاًّنها خيراً وعدلاً ، ولتُزكَّونَ الأرضَ وتُخرجُ بركاتها ، ولتُرسَلنَ السماءُ مدرارها ؛ ييمن نقيبته وحسن سيرته وحميد سريره ؛ هذا إذا ساعده الدهر وقبض الله له أعواناً صالحين ؛ فإنه - ما علمتُ - صوّام قوام ، مجتهدٌ في دينه ، شديد البصيرة في أمره ، قويُّ العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ؛ أرطبُ الناس لساناً بذكر الله ، وأتلاهم لكتاب الله ؛ شهدته والولاية قد اكتنفته ، وأمور الرعية قد استغرقت أوقاته ، وهو في كل ذلك لا يُخلُّ بشيءٍ من أوراده ، ولا يترك وظيفةً من الوظائف التي رتبها على نفسه ، من أخذ العلم وقرأة القرآن ، وأذكار رتبها على أوقات الليل والنهار ؛ شهدتُ هذا كله منه بنفسى ، لا أقله عن أحد ولا أستند فيه إلى رواية ؛ هذا مع دماثة خلقه ولين جانب

(١) انظر ص ٣٢٩

(٢) يبدو من عبارة المرآة كشي أنه لم يكن على يقين بأن عبد العزيز قد ولي عرش المغرب بعد أبي يعقوب الثاني ؛ وفي شك هذا ترجيح لما رواه غيره من أن صاحب العرش بعد أبي يعقوب هو عبد الواحد بن يوسف لأخوه عبد العزيز .

وَحَفِضَ جَنَاحَ لِصَحَابِهِ وَلَمَنْ عَلمَ فِيهِ خَيْرًا مِنَ الْمَسْلُومِينَ أَوْ ظَنَّه مُضَافًا إِلَى  
سَخَاءِ نَفْسٍ وَطَلَاقَةِ وَجْهِ

### وَصِفَتُهُ

أبيضُ تعلوه صفرة ، جميلُ الوجهِ جدا ، معتدلُ القامة ، متناسبُ الأعضاء ؛  
وله من الولد - علي علي - ثلاثة : محمد ، وهو أكبرهم ؛ وعبد الرحمن ؛  
وأحمد ؛ وبنات .

\*\*\*

هذا تلخيص التعريف بأخبار دولة المصامدة من أول قيام أمرهم - وهو  
سنة ٥١٥ - إلى وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ - فذلك مائة سنة وست سنين ، علي  
الإجمال لا على التفصيل .

وإنما أوردنا من ذلك ما تدعو الحاجة إليه ، وتُجشم الضرورةُ من معنى  
بالأخبار إلى معرفته ، من غير تعرض إلى ما لا حاجة بنا إليه ، من ذكر أولاد  
عبد المؤمن ، وأولاد أولاده ، وأولاد أولاد أولاده ، وتفاصيل أخبارهم في  
ولاياتهم وعزهم وأمهاتهم وكتبهم ومجائبهم ووزرائهم ؛ إذ لو تتبعنا ذلك  
لخرج هذا المجموع عن حُدود التلخيص ولحقيق بالكتب المبسوطة ؛ هذا علي  
أنا لو كُفينا ضرورات المعاش ، وأغفينا من كدِّ الزمان ، لأوردنا من ذلك  
ما أحاط به العلم وبلغته الرواية وحصلته المشاهدة .

\*\*\*

ولم اثبت في هذه الأوراق المحتوية على دولة المصامدة وغيرها إلا ما حققته

نقلا من كتاب ، أو سماعا من ثقة عدل ، أو مشاهدة بنفسى ؛ هذا بعد أن تحرّيتُ الصدق وتوخيت الإنصاف في ذلك كله ، وجهدتُ ألا أنقص أحدا ذرة بماله ، ولا أزيد خردلة مما لا يستحقه ؛ وبالله أستعين ، وإياه أسأل ، وإليه أضرع في إلهام الصواب والسداد في القول والعمل ، فهو حسبي ونعم الوكيل (١)

(١) إلى هنا ينتهى حديث المراكشى عن دولة الموحدين في المغرب والأندلس ، ولو أن الزمن تأخر به ستين قليلة لفسد خاتمة هذه الدولة ووصف لنا آخر أحداثها وكيف انتهى أمرها ؛ على أننا لا نبعد عن الحق كثيرا إذا زعمنا أن عبدالعزيز - أو عبدالواحد - ابن يوسف بن عبدالمؤمن كان هو آخر أمراء الموحدين ؛ بل لعل الأقرب إلى الحق أن نقول إن آخرهم هو أبو عبد الله محمد بن أبي يوسف الذى ولى العرش من سنة ٥٩٥ إلى سنة ٦١٠ ، والذى كانت هزيمته الساحقة في وقعة العقاب أذانا باثنا دولة الموحدين ؛ فقد كان ولده أبو يعقوب الثانى صبيا ليس له أهلية ولا كفاية ، ولم يكن له - خلال السنوات العشر التى قضاها على العرش - أمر ولا نهى في شئون البلاد ؛ ثم لم يخلص بعده عرش الموحدين لواحد من بنى عبدالمؤمن وأذنت الدولة بالزوال ؛ وإذن فإن من حقنا أن نقول إن عبدالواحد المراكشى قد انتهى في كتابه مع نهاية دولة الموحدين ؛ على أننا مع ذلك كنا نتمنى لو أن كتابه قد وصف لنا العظائم الأخيرة التى كانت فيها دولة بنى عبدالمؤمن تلفظ آخر أنفاسها ، فيما بين سنتى ٦٢١ و ٦٦٨ ؛ وإنما لنحاول في هذا التعليق أن نستدرك هذا النفس الذى لم يتهاى لعبدالواحد أن يتمه ، بوصف الأحداث التى جرت خلال تلك الستين التى انتهت بها الدولة ، فنقول :

## ولاية ابن أبي يعقوب بن عبد المؤمن

لم يكده عبد الواحد - أو عبد العزيز - ابن أبي يعقوب يجلس على عرش المغرب بعد موت أبي يعقوب الثانى سنة ٦٢٠ ، حتى تفرق أمر بنى عبد المؤمن واضطربت مطامعهم حول العرش الموحدى ؛ فقام بالأندلس أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور ، أمير شرق الأندلس ، وأعلن نفسه أميراً على مرسية ، وتلقب بالعدل ؛ ثم أخذ يهيئ أسبابه للوثوب على مراكش =

... ..  
 = ليستخلص العرش لنفسه؛ وتم له ما أراد؛ إذ ثار المغاربة على عبد الواحد -  
 أو عبد العزيز - ابن أبي يعقوب، فخلعوه وقتلوه، بعد بضعة أشهر من ولايته!

### ولاية العادل بن المنصور

ولكن عرش المغرب والأندلس لم يخلص للعادل بن المنصور، كما لم يخلص  
 من قبله لعمه ابن أبي يعقوب؛ فقد ثار عليه المغاربة في مراکش، كما انتقض  
 عليه أمراء الموحدين في الأندلس، وانتهى الأمر بقتله في سنة ٦٢٤.

### ولاية المأمون بن المنصور

وكان أبو العلاء إدريس بن المنصور، أمير أشبيلية وأخو العادل، هو مدير  
 تلك الفتنة، طمعا في العرش؛ فلم يكده يعلم بمقتل العادل حتى ادعى الخلافة في  
 أشبيلية وتسمى بالمأمون؛ وبايعه أهل الأندلس.

### المعتصم بن الناصر

ولكن المغاربة في مراکش لم يرتضوه خليفة، وبايعوا شابا من ولد أخيه  
 الناصر محمد بن يعقوب، اسمه أبو زكريا يحيى، ولقبوه بالمعتصم؛ فسار المعتصم  
 هذا إلى الأندلس على رأس قوة من الجند لإخضاع عمه المأمون؛ فالتقى في معركة  
 دامية بشذونة؛ فانهزم المعتصم وفر ناجيا بنفسه في طائفة قليلة من جنده.

وأتاحت الفرصة للمأمون ليجتاز المضيق إلى المغرب ويتسلم عرش  
 مراکش؛ ولكن المعارك لم تفر بينه وبين المعتصم بن الناصر، ولم يخلص له  
 عرش البلاد، حتى مات في ذى الحجة سنة ٦٢٩.



... ..

## == خروج الأندلس من طاعة الموحدين

وحين كانت المعارك الطاحنة دائرة في المغرب بين المأمون وابن أخيه المعتصم ، كان النصراري يستولون على بلاد المسلمين في الأندلس حصنا بعد حصن ومدينة بعد مدينة ا

وفي تلك الأثناء قام أمير من سلالة بني هود الجذاميين أصحاب سرقسطة السابقين (انظر ص ٧٠ - ٧٢) اسمه أبو عبد الله محمد بن يوسف ، فاستولى على مرسية وأعلن نفسه أميراً عليها ، وتلقب باسم المتوكل على الله ، وخطب للعباسيين خلفاء بغداد ، واتخذ السواد شعارا : ثم لم يلبث أن دانت له جيان ، وقرطبة ، وماردة ، وبطليوس : ثم فقد الموحدون غرناطة ؛ وبذلك خرجت الأندلس جملة من طاعة الموحدين ، عدا أشيلية والجزيرة الخضراء .

## ولاية الرشيد بن المأمون

وظن المعتصم بن الناصر أن عرش المغرب قد خلس له بعد موت المأمون ؛ ولكن أمانيه لم تلبث أن خابت ، حين بايع أصحاب المأمون ولده الصبي أبا محمد عبد الواحد ، ولقبوه بالرشيد .

واستمرت المعارك ناشبة بين المعتصم وابن عمه الرشيد ، حتى مات المعتصم في رمضان سنة ٦٣٣ .

ثم مات الرشيد غريقاً في جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ .

## ولاية المعتضد بن المأمون

وولى العرش بعد الرشيد ، أخوه السعيد أبو الحسن علي بن المأمون =

... ..  
 = وتلقب بالمتعزذ ؛ وفي عهده استشرى بنو زيّان أصحاب تلمسان ، وبنو مرين  
 ملوك المغرب فيما بعد ، إلى استخلاص عرش مرا كَش ...  
 وقد قُتل المتعزذ هذا في صفر سنة ٩٤٦ في موقعة نشبت بينه وبين يحيى  
 ابن زيّان أمير تلمسان .

### ولاية المرتضى أبي حفص بن إسحاق

ثم تولى بعد المتعزذ ، أميراً من أحفاد أبي يعقوب يوسف ، اسمه أبو حفص  
 عمر بن أبي إبراهيم إسحاق ، وتلقب بالمرتضى ...

#### أبو دبوس الواصل

... ولكن العرش لم يخلص للمرتضى ؛ فقد خرج عليه أمير من أمراء  
 الموحدين اسمه أبو العلاء إدريس ، ويعرف بأبي دبوس ؛ وتلقب بالواصل ،  
 وتحالف مع بني مرين ليعينوه على استخلاص العرش من يد المرتضى ، وسلم  
 إليهم مدينة مرا كَش ثمناً لمعوتهم ؛ ففر المرتضى ناجياً بنفسه ، ولكنه لم يستطع  
 أن يفلت من أجله ؛ فمات قتيلاً سنة ٦٦٥ .

#### تغلب بن مرين

ولبت الواصل أميراً بعد المرتضى ثلاث سنين ، ثم أدركه أجله في معركة  
 دارت بينه وبين بني مرين حلفائه السابقين ، في المحرم سنة ٦٦٨ ؛ وبموته انتهى  
 حكم الموحدين في مرا كَش والأندلس ؛ ليبدأ تاريخ دولة بني مرين الذين غلبوا  
 الموحدين على أمرهم في مرا كَش ، ودولة بني الأحمر أصحاب غرناطة الذين  
 غلبوا المتوكل بن هود على مايبده من شرق الأندلس !

## جامع سير المصامدة وأخبارهم وقبائلهم

## وأحوالهم في طعنهم وإقامتهم

قد قدمنا أن أول من صحب المهدي محمد بن تومرت ، عشرة أنفس ؛ وهم المسمون بالجماعة (١) ؛ أولهم عبد الواحد الشرقي على الصحيح ؛ ثم عبد المؤمن ابن علي أمير المؤمنين (٢) ، ثم عمر بن عبد الله الصنهاجي المعروف عندهم بعمر أزناج ، ثم فصكة بن ومنز آل ، سماه ابن تومرت : عمر ، وكناه أبا حفص ؛ انتشر من ظهر عمر هذا بشر كثير ، وكان له عدة من الولد ، منهم : إبراهيم ، وإسماعيل ، ومحمد - أم محمد هذا ابنة عبد المؤمن - ويحيى ، وعيسى ، وموسى ، ويونس ، وعبد الحق ، وعثمان ، وأحمد ، وعبد الواحد ؛ كان عبد الواحد هذا يتولى أمر أفريقية ، وولاه أمرها أمير المؤمنين أبو عبد الله سنة ٦٠٣ (٣) ، فلم يزل واليا عليها إلى أن مات بها يوم الخميس وهو أول يوم من شهر محرم سنة ٦١٨ . وكان ابن تومرت يسمي فصكة هذا : المبارك ، ويقول : لا يزالون بخير ما بقى فيهم هذا الرجل أو أحد من ولده ا فكان الأمر كما قال ، وانتفعوا به وبأولاده وأولاد أولاده ، وهو المشهور بعمر إينسى ، وقد تقدم ذكره في مواضع من هذا الكتاب ؛ ولم يبق في وقتنا هذا من ولده لصلبه سوى رجل

(١) انظر ص ١٨٨ .

(٢) انظر ص ١٨١ وهناك يقرر المراكشي - خلافاً لما يذكر هنا - أن عبد الواحد أول

من صحبه بعد عبد المؤمن ...

(٣) انظر ص ٣١٣ ، ٣١٨ .

واحد اسمه عثمان ، فارقته بمدينة مرسية ، وبها ودعته حين ارتحلت إلى هذه البلاد ؛ وقد ولّوه مدينة سجّان وأعمالها ؛ هذا آخر عهدى به ؛ ثم اتصل بى بديار مصر أنهم ولّوه بلبسية ثم عزلوه عنها ، فلا أدري أهو بالأندلس اليوم أو بمراكش ؟ وهو معدود عندى من جملة إخوانى ، رضى الله عنه وعنا وعن جميع المسلمين .

.. ثم يوسف بن سليمان ، وأخوه عبد الله بن سليمان ، وهما من أهل تينمل ، من قبيلة تدعى مسكالة حسبا تقدم (١) ؛ ثم أبو عمران موسى بن على الضرير ، صهر عبد المؤمن ، كان ضرير البصر ؛ كان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا سافر عنها (٢) ؛ ثم أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجى - وهو الذى أسلم نفسه للقتل وكفى عبد المؤمن بذلك على ما تقدم (٣) - ثم رجل من أهل تينمل ، يعرف عندهم بابن ييجيت - أنا شك فى اسمه - ثم أيوب الجدميوى ، وهو الذى تولى قسمة الأقطاع بين الموحدىن فى أول الأمر .

فهؤلاء العشيرة المسمون بالجماعة ، وبعض الناس يعدّ فيهم أبا محمد وأسنان ، وهو رجل دباغ أسود من أهل مدينة أغمات ، صحب أبا عبد الله بن تومرت حين مرّ بها ؛ فاختره أبو عبد الله بن تومرت لخدمته ، لما رأى من شدته فى دينه وكنهانه لما يرى ويسمع ؛ فكان يتولى وضوءه وسواكه والإذن عليه للناس وحجابته والخروج بين يديه ؛ فلم يزل على ذلك إلى أن توفى ابن تومرت ، فكان يتولى خدمة ضريحه وضريح عبد المؤمن حين دفن هناك ؛ توفى وأسنان

(١) انظر ص ١٩٤

(٢) انظر ص ٢٣٧

(٣) انظر ص ٢٣٣

هذا في صدر دولة أبي يعقوب بعد أن علت سنه : وكان من العباد المحمدين والزهاد المتبتلين : لم يكتسب شيئاً ولا خلف ديناراً ولا درهما ، مع أنه لو شاء لسكان أكثر الناس مالا ، لسكانه من عبدالمؤمن ومن المصامدة ، لما كانوا يعلمون من قربه من صاحبهم وثنائه عليه في أكثر الأوقات .

وانضاف إلى هؤلاء القوم المسمين بالجماعة : خلق من قبائلهم ، فعُدوا فيهم ونسبوا إليهم .

وأول من يعترض في العرض العام ، ولد عمر بن عبد الله الصنهاجي ، ثم قرس عبد المؤمن أو من كان من ولده يتولى الأمر ، ثم سائر أهل الجماعة على طبقاتهم من سبقي وإبطاء ، ثم أهل خمسين ، وهم خلق كثير .

### ذكر قبائل الموحدين

وقبائل الموحدين الذين يجمعهم هذا الاسم ويعمهم - وهم الجند والأعوان والأنصار ، ومن سواهم من سائر البربر والمصامدة رعيّة لهم وتحت أمرهم - سبع قبائل ، أولهم قبيلة ابن تومرت ، وهي قبيلة تسمى هرغة ، وهي قليلة العدد بالنسبة إلى قبائل الموحدين ؛ ثم قبيلة عبد المؤمن ، تسمى كومية ، وهي قبيلة كثيرة العدد جمّة الشعوب ، لم يكن لها في قديم الدهر ولا في حديثه ذكر في رياسته ولا حظ من نباهة ، إنما كانوا أصحاب فلاحه ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب وسوى ذلك من سقط المتاع ؛ فتبارك المعز المذل المعطى المانع ! فأصبح القوم اليوم وليس فوقهم أحد يبلاد المغرب ، ولا تطاول أيديهم يد يكون عبد المؤمن منهم ؛ هذا على أنه -

كما قدمناه - ينتسب إلى غيرهم<sup>(١)</sup>؛ ثم أهل تينمل، وهم قبائل شتى يجمعها اسمُ هذا الموضع؛ ثم هَسْتَانَة، وهي أيضا قبيلة ضخمة جدا، وفي بعضها رياسة وشرف في الدهر القديم؛ ثم جنفيسة، وهي قبيلة عزيزة منيعة، ولغتها أجود اللغات وأفصحها في ذلك اللسان؛ ثم جدميوة، وليست كلها - بل بعضها - رعية؛ ثم من استجاب للموحدين من قبائل مُصْهَاجَة، ثم بعض قبائل هَسْكَوْرَة ...

فهذه جملة قبائل الموحدين المستحقين لهذا الاسم عندهم، والذين يأخذون العطاء وتجمعهم الجيوش وينفرون في البعوث؛ وغير هؤلاء القبائل من المصامدة رعية.

وإذ قد جرى ذكرهم - أعنى المصامدة - على هذا النسق، فلنذكر لك الآن - حفظك الله وأصلحك وأصلح بك - القبائل التي يجمعها هذا الاسم، أعنى المصامدة، وحدث بلادهم؛ لتعرفهم من سواهم من البربر؛ فحدث بلادهم النهر الأعظم الذي يصب من جبال مُصْهَاجَة وينتهي إلى البحر الأعظم، بحر أقيانس، يُدعى هذا النهر أم ربيع، عليه قبيلتان، إحداهما تسمى هَسْكَوْرَة، وأخرى صنهاجة؛ وهما من المصامدة؛ وآخر بلادهم الصحراء التي تسكنها قبائل لمثونة ومسوفة وسرطة؛ وهؤلاء ليسوا مصامدة؛ وقد كانت المملكة في هذه القبائل أيام المرابطين كما تقدم؛ فهذا حدث بلاد المصامدة عرضا؛ وحدثها طولاً من الجبل المعروف بِدَرَنْ<sup>(٢)</sup> إلى البحر الأعظم المسمى أقيانس؛

(١) انظر من ١٩٧

(٢) جبال أطلس

وقبائلها الذين ينطلق عليهم هذا الاسم : هسكورة ، وصنهاجة ، ودكالة ، وحاحة ، ورجراجة ، وجزولة ، ولماطة ، وجنيفيسة ، وهنتاية ، وهرغة ، وقبائل أهل تينمل : وحول مراکش قبائل منهم أيضا ، وهم : هزمير ، وكهيلانة ، وهزرجة : يدعونهم الموحدون بالقبائل (١) : فهؤلاء الذين يجمعهم اسم المصامدة ، ثم يجمع الكل جنس البربر ، من طرابلس المغرب إلى أقصى سوس وما وراء ذلك من ذكرنا ، من ملتونة ومسوفة وسرطة : وآخر بلادهم أول حد بلاد السودان .

وللمصامدة بعد هذا جند من سائر أصناف الناس ، كالعرب ، والغز ، والاندلس ، والروم ، وقبائل من المرابطين ، وغيرهم .

ثم من ذكرنا من الموحدين صنفان : فالصنف الأول يدعون الجوع ، وهم المرتزقة الذين يكونون بمراكش لا يبرحونها ؛ والصنف الآخر يدعون العموم ، وهم الكائنون ببلادهم لا يحضرون إلى مراكش إلا في النفير الأعظم ؛ وعدد المرتزقة الذين بمراكش من قبائل الموحدين وسائر من ذكرنا من الأجناد - على ما صحّ عندي تلخيصه - عشرة آلاف نفس ؛ هؤلاء الذين بمراكش خارجا عما في سائر البلاد من الموحدين وأصناف الجند .

وإذا كان العرّض العام فأول من يعترض ذرية أبي حفص عمر الصنهاجي على طبقاتهم في أسنانهم ، ثم بعدهم فرس الخليفة من بني عبد المؤمن ، ثم أهل الجماعة على ترتيب طبقاتهم ، ثم أهل خمسين ، ثم القبائل ؛ وأولهم عرّضا

(١) كذا بالأصل ؛ والنصح : يدعونهم الموحدون ... الخ .

هرغةُ قبيلةُ ابنِ تومرت ، ثم بعدهم أهلُ تينمل ، ثم كومية ، ثم الموحدون بعد هذا على طبقاتهم في سرعة الهجرة وبطئها .

وقد جرت عاداتهم بالسكِّبِ إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهم من أهل كلِّ فن ، وخاصة أهل علم النظر ، وسمَّوهم طلبَةَ الحَضْر ، فهم يكثرُونَ في بعض الأوقات ويقلُّون ؛ وصنف آخر ممن عُني بالعلم من المصامدة يسمَّون طلبَةَ الموحدين ؛ ولا بد في كل مجلسٍ عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم ، من حضور هؤلاء الطلبة الأسيَّاح منهم ؛ فأول ما يفتتح به الخليفة مجلسه مسألة من العلم يُلقِيها بنفسه أو تُلقَى بإذنه ؛ كان عبد المؤمن ويوسف ويعقوب يُلقون المسائل بأنفسهم ولا ينفصلون من مجلس من مجالسهم إلا على الدعاء : يدعو الخليفة ويؤمن الوزير جهراً يُسمع من بعد من الناس ؛ ثم إذا سافروا لا يزال القرآن يُقرأ بين أيديهم بالغدق والعشي ركبانا ؛ وإذا نزلوا فأول شيء يصنعونه في أول النهار بعد صلاتهم الفجر ، أن يخرج من ينادى : الاستعانة بالله والتوكل عليه ، هذه عندهم للركوب ؛ فحينئذ يركب الناس ، ويخرج الخليفة من خيمته راكباً وأعيان القراية وأسيَّاح الموحدين بين يديه مشاةً خطوات كبيرة ؛ ثم يأمرهم بالركوب ؛ فإذا ركبوا وقف وبسط يديه ودعا ، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبَةَ الموحدين حلقه ؛ فيقرءون حزباً من القرآن في نهاية الترتيل وهم سائرون سيراً رقيقاً ، ثم شيئاً من الحديث ، ثم يقرءون توالييف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي ؛ فإذا فرغوا وقف الخليفة أيضاً وبسط يديه ودعا ؛ وإذا كان وقتُ



النزول أيضاً نزلوا مشاةً بين يديه إلى خيمته ؛ فإذا بلغها بسط يديه ودعا ؛ فلا يزال هذا دأبهم في جميع سفيرهم كله .

### صفة أحوالهم في إقامة الجمعة

فأما صفة أحوالهم وخطبتهم في جمعهم ، فيخرج الخليفة منهم عند زوال الشمس من خوخة في القبلة ، ويخرج معه خواصٌ حشمة ، ويركع ركعتين ثم يجلس ؛ فيقرأ قارئٌ قَدْرَ عَشْرِ آيات ، حَسَنَ القراءة حَسَنَ الصوت ؛ ثم يقوم رئيسُ المؤذنين ومعه العَصَا التي يتوكأ عليها الخطيب فيقول : « قد فاء النبيء يا سيدنا أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين ! ، يريد بهذا القول استئذانه في صعود الخطيب المنبر ، فيقوم الخطيب ويصعد المنبر ، ثم يناوله ذلك الرجل العصا ؛ فإذا جلس الخطيبُ فوق المنبر أذَّن ثلاثة من المؤذنين مفرقين ، أصواتهم في نهاية الحسن ، قد ائتُخِبُوا لذلك من البلاد ؛ ثم يقوم الخطيب فيخطب ، فأول شيء يقول :

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلِّه فلا هاديَ له ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة ؛ من يُطِيعِ اللهَ ورسوله فقد رَشِدَ ، ومن يَعِصِ اللهَ ورسوله فلا يُضِرُّه إلا نفسه ولا يضرَّ اللهَ شيئاً ؛ أسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يُطِيعه ويُطِيع رسوله ، ويتبع رضوانه ويحْتَسِبُ سخطه ؛ فإنما نحن به وله ... »

ثم يتعوذ ويقرأ سورة قاف من أولها إلى آخرها ، ثم يجلس : فإذا قام إلى الخطبة الثانية قال :

« الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ، ونبرأ من الحول والقوة إليه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه ففاتوا الأنام جِداً وعزماً ، وأنقذوا وسعهم في نصره والصبر على ما أصابهم فيه وفاءً وصدقا وحزما ، وعلى الإمام المعصوم المهديّ المعلوم أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الحسني الفاطمي الحمدي ، الذي أُيد بالعصمة فكان أمره حتما ، واكتسب بالنور اللامع والعدل الواضح الذي يملأ البسيطة حتى لا يدع فيها ظلما ولا ظلما ؛ وعلى وارث شرفه الصميم قسيمه - رضی الله عنه - في النسب الكريم ، المجتبي لورثة مقامه العليّ ، الخليفة الإمام أبي محمد عبد المؤمن بن علي ؛ وعلى أبي يعقوب ولي ذلك الاستخلاص ومستوجب شرف الاجتباء والاختصاص اللهم وآرض عن المجاهد في سبيلك ، المحيي سنة رسولك ، الخليفة الإمام أبي يوسف أمير المؤمنين ؛ ابن أمير المؤمنين ، ابن أمير المؤمنين ؛ وعلى الخليفة الإمام أبي عبد الله ابن الخلفاء الراشدين <sup>(١)</sup> : اللهم وانصر وليّ عهدهم ، الطالع في أفق سعدهم ، القائم بالأمر من بعدهم ، الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبا يعقوب ابن أمير المؤمنين ، ابن أمير المؤمنين ، ابن أمير المؤمنين ؛ اللهم كما شدّدت به عُرا الإسلام ، وجمعت على طاعته قلوب الأنام ،

(١) يعني الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ؛ أمير الموحدين في عهد المرابطي

ونصرت به دين نبيك محمد عليه الصلاة والسلام؛ فاقض له بالنصر المقرون  
 بالكمال والتمام؛ اللهم كما اجتبيتَه من الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين،  
 فاجعله من المقتفين لآثارهم، المهتدين بمنارهم، المقتبسين من أنوارهم؛  
 اللهم وأيد الطائفة المنصورة والجماعة، إخوان نبيك، وطائفة مهديك،  
 الذين أخبرت عنهم في صريح وحيك أنهم لا يزالون ظاهرين على أمرك إلى  
 قيام الساعة؛ وأمدِّهم وكافة من انتظم في سلكهم من أنصار الدين، وحزبك  
 الموحدين، بمواد النصر والتمكين، والفتح المبين؛ واجعل لهم من عضدك  
 وتأيدك أعزَّ ظهير، وأكرم نصير... .

ثم يدعو وينزل فيصلي؛ فإذا فرغ دعا الخليفة بنفسه وأمن الوزير على  
 ماتقدم؛ فهذه كلمات سيرتهم مجملة على ما يقتضيه شرط التقريب؛ وفي أثناء  
 ذلك تفاصيل يطول شرحها وليس بالناظر في هذا الكتاب إليها كبير حاجة؛  
 إذ قد بُيِّن له ما يستدلُّ على ما لم يُرسم في هذه الأوراق بما رُسم.

## ذكر أقاليم المغرب والأندلس

وهذا - أصلحك الله - منتهى ما بلغ من أخبار المغرب وسير ملوكه ووزرائهم وكتابهم وما تعلق بذلك حسب الاستطاعة ؛ وقد تقدم بسط العذر عما يقع من التقصير أو الخلل ، مع أن أصغر خدم مولانا (١) لم تجر عادته بالتصنيف ولا حدث قط نفسه به ؛ وإنما بعثه عليه الهمة الفخرية - أعلى الله رتبها - فكان من إحسان فيلئ تلك الهمة العلية نسبتة وعنها منبعتة ، وما كان من غير ذلك فأغضاؤها يسترته ومساحتها تغمره .

وقد رسم مولانا - حرس الله مجده - أن يضاف إلى هذا التصنيف ذكر أقاليم المغرب وتعيين ممدنه وتحديد ما بينها من المراحل عدداً ؛ من لدن برقة إلى سوس الأقصى ؛ وذكر جزيرة الأندلس وما يملكه المسلمون من مدنها على ما تقدم ؛ فلم ير المملوك بدءاً من الجرمي على العادة في سرعة الإجابة وامتنال مرسوم الخدمة ؛ لوجوب ذلك عليه شرعاً وعرفاً ؛ هذا مع أن هذا الباب خارج عن مقصود هذا التصنيف ، وداخل في باب المسالك والممالك ؛ وقد وضع الناس فيه كتباً كثيرة ؛ ككتاب أبي عبيد البكري الأندلسي ، وكتاب ابن فياض الأندلسي أيضاً ، وكتاب ابن خرداذبة الفارسي ، وكتاب الفرغاني ؛ وغيرها من الكتب المفردة لهذا الشأن المستوعبة له ؛ ونحن إن شاء الله ذاكرون من ذلك - موافقة لرأي مولانا العالی - ما يقف به على حدود

(١) يعني نفسه ، و«مولانا» المقصود بالخطاب ؛ هو السيد الذي سأله إتمام هذا الكتاب .  
انظر العمدة .

البلاد ويصوّر له صورتها على التقريب من غير تطويل ، جارين في ذلك على ما سلف من عادتنا في سائر الكتاب ؛ فنقول وبالله التوفيق ومنه الإعانة :

قد تقرر واشتهر أن أول حدّ البلاد المصرية مما يلي الشام ، العريش ؛ وآخره مما يلي المغرب ، مدينة أنطا بلس المعروفة ببرقة ؛ هذا عرض الديار المصرية ؛ وحدّها في الطول من ثغر اسوان إلى مدينة رشيد الكائنة على ساحل البحر الرومي ؛ هكذا ذكر أصحاب المسالك والممالك والمعتنون بهذا الشأن .

### [ أولا : المدن العامرة على الساحل ]

وأول حدّ بلاد أفريقية <sup>(١)</sup> والمغرب مدينة أنطا بلس المذكورة ، المدعوّة ببرقة ، بناها الروم فكانت حاضرة لتلك البلاد ومجتمعا لأهلها ؛ افتتحها المسلمون في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه <sup>(٢)</sup> ؛ ومنها كان ابتداء فتح المغرب ؛ ومن هذه المدينة - أعنى أنطا بلس - إلى مدينة طرابلس المغرب ، قريباً من خمس وعشرين مرحلة .

### [ اتصال العمران بين الإسكندرية والقيروان ]

وما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب ، خمس وأربعون مرحلة ؛ وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان ، تمشي فيها القوافل ليلاً ونهاراً ؛ وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جداً ، فإذا ظهر في البحر عدوٌّ نوّر كلُّ حصن للحصن الذي يليه ، واقصل

(١) يعنى ببلاد أفريقية ، ما يشمل المغرب الأدنى وأقليم تونس إلى مدينة قسطنطينة ، وأما ما يلي ذلك غرباً فهو المغرب في اعتباره .

(٢) فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ

التنوير؛ فيذهب خبرُ العدو من طرابلس إلى الإسكندرية، أو من الإسكندرية إلى طرابلس، في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل؛ فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم؛ لم يزل هذا معروفاً من أمر هذه البلاد إلى أن خربت الأعرابُ تلك الحصون وتفتت عنها أهلها أيامَ حَلَّى بنو عُبيد بينهم وبين الطريق إلى المغرب - وذلك في حدود ٤٤٠ - حين تغير ما بينهم وبين المعز بن باديس الصنهاجي وقطع الدعاء لهم على المنابر ودعا لبني العباس (١)؛ فاستولى الخراب عليها إلى وقتنا هذا، واستوطنها الأعراب من سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وغيرهم، فهم اليوم بها، وآثار المدن والحصون باقية إلى اليوم.

\*\*\*

ومدينة أنطابلس هذه خراب، لم يبق منها إلا آثارها؛ وفيما بين برقة وطرابلس حصنٌ يسمّى طُلَيْثَة، بالقرب منه معدنٌ كبيرٌ؛ فأما مدينة طرابلس فلم تزل معمورة إلى هذا الوقت، وهي أول مملكة المصامدة، وقد استولى عليها في مدة ملكهم وفي ملك أبي يعقوب منهم، المملوك قراقش المتقدم ذكره في ترجمة أبي يوسف (٢)، ثم أخرجه منها المصامدة؛ واستولى عليها أيضاً يحيى بن غانية وعلى كثير من أفريقية حسبما تقدم تلخيصه (٣)، ثم أخرجه عنها أيضاً المصامدة، فهي في ملكهم إلى وقتنا هذا، وهو سنة ٦٢١.

(١) انظر من ٢٠٤ - ٢٠٦، ٢٢٤ - ٢٢٥

(٢) انظر من ٢٨٨ وما بعدها

(٣) انظر من ٢٦٦ وما بعدها .

## [ بلاد أفريقية الساحلية ]

فخذ بلاد أفريقية مما يلي المشرق ، مدينة أنطابلس المذكورة ، وحدثها مما يلي المغرب ، المدينة المعروفة بقسطنطينة الهواء ، سُميت بذلك لإفراط عُلُوها وشدة ممتعتها ؛ ومسافة ما بين أنطابلس وقسطنطينة المغرب قريبة من خمس وخمسين مرحلة ، فهذا حد أفريقية طولاً ؛ وعرضها يختلف بحسب مزاحمة الصحراء العمارة ومباعدتها ؛ وسُميت أفريقية بذلك لنزول أفريقش من ولد حام بن نوح بها ، وأفريقش هذا هو أبو البربر ، فالبربر كلهم من ولد حام بن نوح ، خلا مصنهاجة ، فإنهم يرجعون إلى حمير ؛ هذا كله قول أبي جعفر (١) محمد بن جرير الطبري في تاريخه ، من لدُن ذكر أفريقش إلى ذكر مصنهاجة .

فأول مدن أفريقية المعمورة ، طرابلس المغرب المتقدم ذكرها ، ومنها إلى مدينة تسمى قابس ، عشر مراحل ؛ وقابس هذه على ساحل البحر الرومي ؛ وكذلك طرابلس ؛ وتنصبُّ إلى قابس هذه أنهارٌ من بعض تلك الجبال التي تليها ، فهي بذلك أخصب بلاد أفريقية وأوسعها فواكه وأعشابا ؛ ومن قابس هذه إلى مدينة صغيرة على الساحل أيضاً تسمى سفاقس ؛ أربع مراحل ؛ ومن سفاقس إلى مهدية بنى عبيد ، ثلاث مراحل ؛ وقد تقدمت صفة المهديّة في أخبار أبي محمد عبد المؤمن بن علي (٢) ؛ وبظاهر المهديّة المذكورة وقريبٌ منها جدّاً ، مدينة تدعى زويلة ؛ بناها بنو عبيد حين بنوا المهديّة ؛

(١) في الأصل : أبي عبد الله .

(٢) انظر من ٢٢٨ - ٢٢٩

فاختصوا المهديّة لأنفسهم وحشمتهم وأعيان مجندهم ووجوه قوادهم ؛  
 وأسكنوا زويلة هذه سائر الناس من الرعية والسُودان وأراذل كتامة وغيرهم  
 من أتباعهم ؛ ولما ارتحل المعزُّ إلى مصر بعد أن افتتحها على يديّ خادمه  
 جوهْر ؛ ارتحلت معه طائفة كبيرة من أهل زويلة هذه ؛ فإليهم يُنسبُ  
 البابُ والحارة التي بالقاهرة اليوم <sup>(١)</sup> ؛ ومن مهديّة بنى عبيد إلى مدينة تسمى  
 سُوسة - وإليها تُنسب الثيابُ السوسية - مرحلتان ؛ ومن سوسة إلى مدينة  
 تونس ، ثلاث مراحل ؛ ولم تكن تونس هذه في قَدَم الدهر على أيام الإفرنج  
 مدينة ، وإنما بيت في أول الإسلام ، بناها عُقبة بن نافع الفِهري لمصلحة  
 رأها <sup>(٢)</sup> ؛ وإنما كانت المدينة الكبرى مدينة على الساحل هناك تسمى  
 قرطاجنة <sup>(٣)</sup> ، بينها وبين تونس نحو من أربع فراسخ .

### [ شأن مدينة قرطاجنة في القديم ]

وهذه المدينة - أعنى قرطاجنة - هي كانت حاضرةً أفريقية أيام الروم ،  
 وهي مدينة عظيمة ، ظهر فيها من قوتهم وشدة طاعة رعيّتهم لهم وفرط

(١) لم يزل هذا الباب والحارة موجودين حتى اليوم ، ويعرف العامة هذا الباب في مصر  
 باسم « بوابة المتولى » .

(٢) كفا يذكر المراكشي ، وظن الصواب غيره ؛ فإن تونس مدينة قديمة ، قيل إنها أقدم  
 من قرطاجنة ؛ إلا أنها لم يكن لها شأن إلا بعد خراب قرطاجنة ؛ فرجع العرب شأنها وعمرها ؛  
 وفيها أسس حسان بن النعمان - بأمر عبد الملك بن مروان - داراً لصناعة السفن والآلات البحرية ؛  
 فكانت بذلك أول دار صناعة بالإسلام .

وفي تونس جامع الزيتونة الشهير ، بناه عبدالله الحجاب في خلافة هشام بعد عبد الملك . وإليها  
 ينسب ابن خلدون صاحب التاريخ والمقدمة .

(٣) في الأصل : قرطجنة ، وهو خطأ ؛ فإن قرطاجنة من ثغور الأندلس لا من ثغور المغرب .



جَبَرَوْتَهُمْ مَا يَعْجَبُ مِنْهُ مَنْ تَأَمَّلَهُ ، وَيَعْتَبِرُ فِيهِ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَلَبُوا إِلَيْهَا الْمِيَاءَ مِنْ بَعْدِ شَدِيدِ ، وَتَحَيَّلُوا عَلَى ذَلِكَ بِغَرَائِبَ مِنَ الْحِيلِ يَعْبِزُ عَنْ أَيْسَرِهَا جَمِيعٌ مِنْ فِي هَذَا الْعَصْرِ ؛ وَكَانُوا يُضَاهَوْنَ بِهَا مَدِينَةَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعَظِيمَى ، الْمَسْمُومَةَ إِلَى قُسْطَنْطِينِ بْنِ هِيلَانَ مَلِكِ الْإِفْرَنْجِ ؛ ثُمَّ لَمَّا افْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ أَفْرِيْقِيَّةَ فِي أَيَّامِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خَرَبُوا هَذِهِ الْمَدِينَةَ الْمَذْكُورَةَ (١) ، وَاتَّخَذُوا مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانَ دَارَ مُلْكِهِمْ (٢) وَمَقَرَّ وُلَاتِهِمْ وَجُمُوعَ مُجَنَّدِهِمْ وَمَرْكَزَ جُيُوشِهِمْ ؛ وَأَتَّسَعُوا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مَدِينَةَ تُونِسَ الْمَذْكُورَةَ (٣) ؛ وَكَانَ هُنَاكَ قَبْلَ ذَلِكَ دَيْرٌ مَعْظَمٌ عِنْدَ الرُّومِ يَزُورُونَهُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِهِمْ ، فَهَدَمَهُ الْمُسْلِمُونَ وَبَنَوْهُ مَسْجِدًا ، وَسَمَّوْا الْمَدِينَةَ تُونِسَ ، بِاسْمِ الرَّاهِبِ الَّذِي كَانَ فِي ذَلِكَ الدَّيْرِ ؛ فَأَزَالَتْ تُونِسُ مَعْمُورَةً إِلَى وَقْتِنَا هَذَا .

وَلَمَّا خَرِبَتْ مَدِينَةُ الْقَيْرَوَانَ عَلَى مَا سَبَقَ الْإِيْمَاءُ إِلَيْهِ ، صَارَتْ مَدِينَةُ تُونِسَ حَاضِرَةً أَفْرِيْقِيَّةَ وَمَقَرَّ وُلَاتِهَا وَمَوْضِعَ مَخَاطَبَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهَا ؛ وَكُلُّ مَا بَتُونِسَ مِنْ جَيِّدِ الرَّخَامِ وَخَالِصِ الْمَرْمَرِ فَمِنْ مَدِينَةِ قَرطَاجَةَ الْمَذْكُورَةَ .

\*\*\*

وَمِنْ مَدِينَةِ تُونِسَ هَذِهِ إِلَى مَدِينَةِ صَغِيرَةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ تُدْعَى بُونَةَ (٤)

(١) كَذَا ... وَإِنَّمَا خَرِبَهَا الرُّومَانُ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ ، تَخْلُصًا مِنْ أَسْبَابِ التَّرَاعِ النَّبِيِّ لَبِثَ دَهْرًا بَيْنَ رُومِيَّةٍ وَقَرطَاجَةَ .

(٢) انظُرِ التَّلْفِيْقَ رَقْمَ ١ ص ٩ (٣) انظُرِ التَّلْفِيْقَ رَقْمَ ٢ ص ٣٥٠

(٤) هِيَ مَدِينَةُ Hippo Reghis الْقَدِيمَةُ عَلَى حُدُودِ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ ، وَتَسْمَى الْآنَ

- ومعنى هذه اللفظة بلسان الإفرنج: جيدة - ستُّ مراحل؛ وفيما بين تونس وبونيه بليدةٌ صغيرة تسمى بِنِي زَرْت (١) ، بينها وبين تونس يومٌ تام في البرِّ للمُجِدِّ [ (٢) ولبنى زرت ، هذه شأنٌ غريب ، وذلك أنه يخرج في بحرها كلما طلع هلال ، نوعٌ من السمك لم يكن في الشهر الذي قبل ذلك ؛ هذا متواتر عند أهلها لا يختلف فيه منهم أحد ، والمتفطنون من الصيادين يعرفون الشهور باختلاف السمك عليهم وإن لم يروا الأهلّة ؛ وهذا منسوبٌ إلى الطَّلَسَمَات ، اعتنى به من عُنِي بخدمة القمر (٣) ] ، ومن مدينة بونه إلى مدينة قسطنطينة التي هي أحد حدّي أفريقيا ، خمس مراحل ؛ وقسطنطينة بينها وبين البحر مرحلتان أو أكثر من ذلك قليلا .

هذا ما على ساحل البحر أو قريبٌ منه من مدن أفريقيا ؛ وبها بما يلي الصحراءُ مدنٌ أنا ذا كرها إن شاء الله تعالى إذا فرغتُ مما على ساحل البحر من بلاد المغرب .

### [ بلاد المغرب الساحلية ]

ومن قسطنطينة المغرب إلى بجاية ، خمسُ مراحل على الرِّفْق ؛ وبجاية هذه هي دارُ مُلْكِ بِنِي حَمَّادِ الصَّنَهَاجِيِّينَ الَّذِينَ انتسب قلعته بِنِي حَمَّادِ إِلَيْهِمْ (٤) ؛ وكانوا يملكون من قسطنطينة المغرب إلى موضع يُعرف بِسَيُورِ سِيرَاتِ ، وقد تقدم هذا الموضع (٤) ، بينه وبين بجاية قريبٌ من تسع مراحل .

(١) بترت .

(٢) ما بين اللمتين [ ] منقول عن هامش المخطوطة .

(٣) انظر ص ٢٠٤ وما بعدها .

لم يزل بنو حماد يملكون بجاية وجهاتها إلى أن أخرجهم عنها في ولاية يحيى منهم ، أبو محمد عبد المؤمن بن علي حسبما سبق .

ومن مدينة بجاية إلى مدينة صغيرة تدعى الجزائر - وتُنسب إلى قوم يقال لهم بنو مزغنة<sup>(١)</sup> - قريب من أربع مراحل ؛ وهذه المدينة - المعروفة بالجزائر - على ساحل البحر الرومي ؛ وكذلك مدينة بجاية ؛ ومن الجزائر هذه إلى مدينة صغيرة تسمى تلس ؛ أربع مراحل ؛ ومن مدينة تلس إلى مدينة وهران ، سبع مراحل ؛ ومن مدينة وهران إلى مدينة سبتة على التقريب ، ثمانى عشرة مرحلة .

### [ ضيق البحر بين المغرب والأندلس ]

وبساحل سبتة هذه يلتقى البهران ؛ بحر ماقطس الذى هو بحر الروم ، وبحر أقيانوس الذى هو البحر الأعظم<sup>(٢)</sup> ؛ وهذا أول الخليج المعروف بالزقاق . وسعة البحر فيما بين سبتة والأندلس ، ثمانية عشر ميلا ؛ ثم لا يزال يضيق إلى أن ينتهى ذلك من عدوة البربر إلى موضع يُدعى قصر مصمودة ، بينه وبين سبتة نصف يوم ، ومن جزيرة الأندلس إلى موضع يدعى جزيرة طريف ، مقابلا لقصر مصمودة المذكور ؛ فأضيق ما يكون البحر هنالك ، وسعته فيما بين هذين الموضعين اثنا عشر ميلا ؛ ترى رمال كل واحد من الشطرين من الآخر فى كل وقت من أوقات النهار ؛ وقد ذكر المؤرخون أن الروم بَنَتْ فى قديم

(١) ولها جباة أبو يحيى الحسن بن علي آخر ملوك بني باديس . انظر التعليق ص ٢٠٥

(٢) انظر التعليق ص ٦ - ٥

الدهر قنطرةً على هذا الخليج ، ثم طغت المياهُ فغطَّتْها ؛ فيذكر قومٌ من أهل جزيرة طريف أنهم يرونها أوانَ سكون البحر وهدوءه حين تصفو المياه .

• • •

ومن مدينة سبتة إلى مدينة طنجة ؛ يومٌ تامٌ في البر ؛ وطنجة هذه آخر الخليج الذي به يلتقي البحران ، وهي على ساحل البحر الأعظم الذي لا عمارة وراءه (١) ، وهو المعروف عندنا بالبحر المحيط ، المتصل ببحر الهند والحبشة - وطنجة هذه آخرُ بلد بالمغرب المحقق ؛ وما بعدها من البلاد فإنما هو في الجنوب ، كمدينة سسلا ، ومدينة مراکش - ثم لا يزال (٢) دائراً في الجنوب إلى أن يأتي بلاد الحبشة والهند .

فأول بلاد المغرب بما على ساحل البحر الرومي ، مدينة أنطابلس المعروفة ببرقة ؛ وآخرها بما على ساحل البحر الأعظم ، مدينة طنجة ؛ ومسافة ما بين ذلك على التقريب ، ست وتسعون مرحلة ؛ فهذا ذكر المدن التي على ساحل البحر من بلاد المغرب .

[ ثانياً : البلاد التي ليست على ساحل ]

ثم نعود إلى ذكر ما ليس على الساحل من مدن أفريقية والمغرب ، فنقول :

[ بلاد أفريقية ]

من مدينة قابس المتقدم ذكرها إلى مدينة تسمى قفصصة ، ثلاث مراحل :

(١) انظر التعليق ١ ص ٧

(٢) يعني المحيط .

ومن مدينة قفصة إلى مدينة توزر ، أربع مراحل .

وتوزر هذه هي حاضرة بلاد الجريد وأم قراها ؛ وبلاد الجريد التي يقع عليها هذا الاسم تنقسم قسمين : قسمٌ يسمّى قسّطيلية ، وهذا الاسم يقع على توزر وأعمالها ؛ وقسمٌ يسمّى الزاب ، وهذا الاسم أيضاً يقع على مدينة بسكرة وأعمالها .

ومن مدينة توزر إلى مدينة بسكرة ، أربع مراحل ؛ وبالقرب من مدينة بسكرة مدينة صغيرة تسمى نقّاس ، بينها وبينها مرحلتان ؛ فهذه المدن التي تلي الصحراء من بلاد أفريقية ، ويتخللها قرى كثيرة لم نذكرها لصغرها .

### [ شأن القيروان في قديم الزمان ]

وفيما بين مدينة تونس وتوزر ، مدينة القيروان المشهورة ؛ منها إلى الساحل ثلاث مراحل ؛ وهي كانت - أعنى القيروان - دار ملك المسلمين بأفريقية منذ الفتح ؛ لم يزل الخلفاء من بني أمية وبني العباس يؤثرون عليها الأمراء من قبلهم ، إلى أن اضطرب أمر بني العباس واستبدت الأغلبة بملك أفريقية بعض الاستبداد ، وهم بنو أغلب بن محمد بن إبراهيم بن أغلب التميميون ؛ فاتخذوا القيروان دار ملكهم ؛ فلم يزالوا بها إلى أن أخرجهم عنها بنو عبيد وملكوها أيام كونهم بأفريقية ؛ ثم ولّوا عليها حين ارتحلوا إلى مصر زيري بن منّاد الصنهاجي ، <sup>(١)</sup> فلم يزل زيري وبنوه ملوكا عليها ، إلى أن كان

(١) انظر التعليق ص ٢٠٤ - ٢٠٦

آخرهم الذى أخرجه العرب (١) عنها ، تميم بن المعز بن باديس بن منصور ابن بلجين بن زيرى بن مناد المذكور ؛ فانتهبها الأعراب وخرّبها ، فهى كذلك خرابٌ إلى اليوم ، فيها عمارة قليلة يسكنها الفلاحون وأرباب البادية .

وكانت القيروان هذه فى قديم الزمان - منذ الفتح إلى أن خرّبها الأعراب - دارَ العلم بالمغرب ؛ إليها ينسب أكبر علمائه ، وإليها كانت رحلة أهله فى طلب العلم ؛ وقد ألّف الناس فى أخبار القيروان ومناقبه وذِكر علمائه ومن كان به من الزُّهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين ، كتباً مشهورة ؛ ككتاب أبى محمد بن عفيف ، وكتاب ابن زيادة الله الطُّبْنى ، وغيرهما من الكتب ؛ فلما استولى عليها الخراب - كما ذكرنا - تفرّق أهلُها فى كل وجه ؛ فمنهم من قصد بلاد مصر ، ومنهم من قصد صِقلية والأندلس ؛ وقصدت منهم طائفة عظيمة أقصى المغرب ، فزلوا مدينة فاس ، فعقبهم بها إلى اليوم .

فهذه نبذة من أخبار أفريقية ، وفيها مدن كثيرة قد خربت لأعرف أسماءها ؛ لقلة معرفتى بتفاصيل أحوال أفريقية ؛ لأنى لم أدخل منها إلا مدينة تونس خاصة ؛ أتيتها فى البحر من الأندلس ، وذلك سنة ٦١٤ ؛ وإنما نقلت ما نقلته من أخبارها حسب المستفيض من السماع .

وفى خراب القيروان على ما تقدّم يقول أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد

ابن شرف الجذامى :

تُرَى سَيِّمَاتِ الْقَيْرَوَانِ تَعَاظَمَتْ ۞ جَحَلَّتْ عَنِ الْعُفْرَانِ وَاللَّهُ غَافِرٌ أ

(١) يعنى بنى هلال ، حين كثر عبيثهم فى تلك البلاد ، حتى غلبوا بنى باديس على القيروان ،

فانتقلوا عنها إلى المهديّة .

تُراها أُصِيتُ بالكِبائرِ وَحَدَّها هـ أَلَمْ تَكُ قَدِّمًا فِي الْبِلادِ الْكِبائرِ ؟

[ بلاد المغرب ]

... فقسطنطينية آخرُ بلادِ أفريقية (١) ، مايلي البحرَ منها ومايلي الصحراءَ ؛ وما بعد قسطنطينية فهو من المغرب غير أفريقية ؛ فأقول ذلك بُليدة صغيرة قبلي بجاية في البر ، تسمَّى ميلة ، بينها وبين بجاية ثلاث مراحل ، ومن بجاية إلى قلعة بني حماد أربع مراحل ؛ وهي أيضا - أعني القلعة - قبلي بجاية .

[ طريق السُّفَّار من بجاية إلى مراکش ]

وها أنا أذكر طريق السُّفَّار من بجاية إلى مراکش ؛ فن بجاية إلى مدينة تِلِيسان عشرون مرحلة ، وفيما بين ذلك بُليداتٌ صغار كمليانة ، ومازونة ، ووهران - وقد ذكرناها في بلاد الساحل - وبين مدينة تلسان وبين البحر أربعون ميلا ؛ وذلك يومٌ للِسُجْدِ ؛ ومن مدينة تلسان إلى مدينة فاس عشر مراحل ، سبعٌ منها إلى المدينة التي تُدعى رِباط تازا ، وثلاث إلى فاس ؛ وقبلي مدينة تلسان في الصحراء ، مدينة سِجِلْمَاسَة ، منها إلى تلسان عشر مراحل ؛ وهذه المدينة - أعني سِجِلْمَاسَة - متوسطة في الصحراء ، مسافة ما بينها وبين تلسان وفاس ومراكش ، على حد سواء ؛ فن حيث قصدت إليها من أحد هذه البلاد ، كان ذلك مسافة عشر مراحل .

[ التعريف بمدينة فاس ]

ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا ، وموضعُ العلم منه ؛

اجتمع فيها علمُ القيروان وعلمُ قرطبة : إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس ، كما كانت القيروان حاضرة المغرب ؛ فلما اضطرب أمر القيروان - كما ذكرنا - بعِيثَ العرب فيها ، واضطرب أمرُ قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن أبي عامر وابنيه ، رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة ؛ فراراً من الفتنة ؛ فنزل أكثرهم مدينة فاس ؛ فهي اليوم على غاية الحضارة ، وأهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ، ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الإقليم ؛ وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب ، وبحقٍ ما قالوا ذلك ؛ فإنه ليس بالمغرب شيء من أنواع الظرف واللباقة في كل معنى إلا وهو منسوب إليها وموجود فيها وما أخذ منها ، لا يدفع هذا القول أحدٌ من أهل المغرب ؛ ولم يتخذ لمتونة والمصامدة<sup>(١)</sup> مدينة مراکش وطناً ولا جعلوها دار مملكة لأنها خيرٌ من مدينة فاس في شيء من الأشياء ، ولكن لقرب مراکش من جبال المصامدة وصحراء لمتونة ؛ فلهذا السبب كانت مراکش كرسى المملكة ؛ وإلا فمدينة فاس أحقُّ بذلك منها ؛ وما أظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس ، أكثرَ مرافق ، وأوسعَ معاش ، وأخصبَ جهات ؛ وذلك أنها مدينة يحفُّها الماء والشجر من جميع جهاتها ، ويتخلل الأنهارُ أكثرَ دورها زائداً على نحو من أربعين عيناً ينقلق عليها أبوابها ويحيط بها سورها ؛ وفي داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء ؛ ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يُجلبُ إليها من غيرها - إلا ما كان

(١) يعني المرابطون ثم الموحدون .



من العطر الهندي - سوى مدينة فاس هذه ؛ فإنها لا تحتاج إلى مدينة في شيء مما تدعو إليه الضرورة ، بل هي توسع البلادَ مرافق وتملؤها خيراً .

o o o

ومن مدينة فاس إلى مدينة مكناسة الزيتون ، يوم تام للجد ؛ ومن مكناسة الزيتون إلى مدينة سَلا ، أربع مراحل .

ومدينة سلا هذه على ساحل البحر الأعظم المسمى أفيانس ، وهي في الجنوب كما ذكرنا ، ينصب إليها نهر يسمى وادي الرمان ، يصب في البحر الأعظم المذكور .

وقد بنى المصامدة على ساحل هذا البحر مما يلي مراکش مدينة عظيمة ، سمّوها رباط الفتح ، كان الذي اختطها أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، وأتمها ابنه يعقوب ، وبنى فيها مسجداً عظيماً قد تقدم ذكره (١) ؛ وقيل إنهم إنما بنوها بأمر ابن تومرت إياهم بذلك ؛ وذلك أنه قال لهم : « تبنون مدينة عظيمة على ساحل هذا البحر - يعني البحر الأعظم - ثم يضطرب أمركم وتنتقض عليكم البلاد حتى ما يبقى بأيديكم إلا هذه المدينة ؛ ثم يفتح الله عليكم ويجمع كلمتكم ويعود أمركم كما كان ، فلماذا سموها رباط الفتح ؛ وبين هذه المدينة وبين سَلا العتيقة ، النهرُ المذكور ؛ وقد بنوا عليه قنطرة من ألواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر ، فإذا مدَّ عَبروا في القوارب .

وبين مدينة سلا هذه ومدينة مراکش كرسى المملكة ، تسعُ مراحل ؛

فمراكش آخر المدن بالمغرب : وكان الذي اختطها ملك لمتونة تاشفين  
ابن علي (١) : ثم زاد فيها بعده ابنه يوسف بن تاشفين : ثم زاد فيها بعدهما  
علي بن يوسف بن تاشفين : ثم ملكها المصامدة فزادوا فيها حتى جاءت في  
نهاية الكبر : فهي اليوم طولا وعرضاً قدرُ أربع فراسخ - هذا إذا ضُمَّت  
إليها قصورُ بني عبد المؤمن - وأجرى المصامدةُ فيها مياهها كثيرة لم تكن فيها  
قبل ذلك ، وبنوا فيها قصوراً لم يكن مثلها ملكٌ ممن تقدمهم من الملوك :  
فصارت بذلك في نهاية الحسن وغاية الكمال ، كما قال الأول :

ليس فيها ما يقال له . كملت لو أنه كُملا

[ ترجمة المؤلف بقله ]

وبهذه المدينة - أعنى مراكش - مسقط رأسي ، وهي أولُ أرضٍ مس  
جلدي ترابها : وكان مولدي بها لسبعِ خلون من ربيع الآخر سنة ٥٨١ ، في أول  
أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي .  
ثم فصلتُ عنها وأنا ابن تسعة أعوام إلى مدينة فاس : فلم أزل بها إلى  
أن قرأتُ القرآن وجوّدته ورويته عن جماعة كانوا هنالك مبرزين في علم  
القرآن والنحو .

ثم عدت إلى مراكش : فلم أزل متردداً بين هاتين المدينتين .  
ثم عبرت إلى جزيرة الأندلس في أول سنة ٦٠٣ ، فأدركتُ بها جماعة من  
الفضلاء من أهل كل شأن : فلم احصلُ بحمد الله من ذلك كلّه إلا معرفة

أسمائهم ومواليدهم ووفياتهم وعلومهم : انفردوا دوني بكل فضيلة : ولا مانع لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع : يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم ا

[ بلاد السوس الأقصى ]

فراكش هذه آخر المدن الكبار بالمغرب المشهورة به : وليس وراءها مدينة لها ذكر وفيها حضارة ، إلا بليدات صغار بسوس الأقصى : فيها مدينة صغيرة تسمى تارودانت ، وهي حاضرة سوس ، وإليها يجتمع أهله : ومدينة أيضاً صغيرة تدعى زُجندر ، هي على معدن الفضة ، يسكنها الذين يستخرجون ما في ذلك المعدن : وفي بلاد جزولة مدينة هي حاضرتهم أيضاً تسمى الكُست : وفي بلاد كُطة مدينة أخرى هي حاضرتهم أيضاً تسمى نول لمطة : فهذه المدن التي وراء مراکش ، فأما تارودانت وزُجندر فدخلتُهما وعرفتُهما : ولم أزل أعرف السفار من التجار وغيرهم ، وخاصة إلى مدينة المعدن المعروفة بزُجندر : وأما مدينة جزولة ومدينة لمطة فلا يسافر إليهما إلا أهلُهما خاصة .

## ذكر ما بالمغرب من معادن الفضة والحديد

والكبريت والرصاص والزيق وغير ذلك ، وأسماء مواضعها

قد تقدم ذكر معدن الكبريت الذي بين برقة وطرابلس وأنه بالقرب من  
حصن يدعى طُلَيْيْتَة (١) .

وفيما بين سبته ووهران موضع قريب من ساحل البحر يسمى تَمْسَامَان ،  
فيه معدن حديد .

وفيما بين سلا ومراكش قريبا من ساحل البحر الأعظم بمقدار يوم  
أو أكثر قليلا ، موضع يدعى إِبْسَتَار ، فيه معدن حديد أيضا ؛ وليس هذا  
الموضع على طريق السُّفَار ، إنما يقصده من أراد حَمَل الحَديد منه .

وبالقرب من مكناسة الزيتون على ثلاث مراحل منها حصن يدعى  
وَزَكْنَس ، فيه معدن فِضَّة ؛ وقد ذكرنا معدن زُجندر الذي بسوس ، غير  
أن فِضَّتَه ليست هناك ، أعني فضة معدن زُجندر .

وبسوس أيضاً معدنان للنحاس ، ومعدن توتيا ، وهي التوتيا التي يُصَبَّغ  
بها النحاس الأحمر فيصير أصفر .

فهذا جملة ما بالعدوة من المعادن .

[ المعادن بجزيرة الأندلس ]

وبجزيرة الأندلس معادن أيضاً ؛ فمنها معدن فِضَّة ببلاد الروم في الجهة

المغربية ، بموضع يدعى شَسْتَرَة .

وعلى أربع مراحل من مدينة قرطبة موضع يسمى شلون ، فيه معدن زبيق ، منه يفترق الزبيق على جميع المغرب .

وفي أعمال المَرِيَّة وعلى يوم ونصف منها بموضع يعرف بدلالة ، فيه معدن رصاص .

وفي أعمال المرية أيضاً على يوم ونصف منها موضع يسمى بكارش ، فيه معدن حديد أيضاً .

وما بين دانية وشاطبة موضع يسمى اوربة ، على نصف يوم من دانية ، فيه معدن حديد .

فهذا أيضاً جملة ما بالاندلس من المعادن ؛ فأما الذهب فمُسَوَّقٌ إليها من بلاد السودان .

## ذكر أسماء الأنهار العظام التي بالمغرب

فأول ذلك نهر ببلاد أفريقية على نصف مرحلة من مدينة تونس ، يسمى بـجَرْدَة ، ينصبُّ من جبل هنالك يتهى إلى البحر الرومى .

ونهر بجاية الذى يسمى الوادى الكبير ، هو مُتَنَزِّهُها وعليه بسايتها وقصورها .

ونهر آخر فيما بين تلمسان وريباط تازا يدعى وادى مُلَوِيَّة ، يصب فى البحر الرومى أيضا .

ونهر يدعى سَبُو ، هو محيطٌ بمدينة فاس من شرقها وغربها .

ويجاور نهر سَبُو هذا نهر آخر كبير يسمى وِرَّة .

وهذان النهران ينصبَّان إلى البحر الأعظم ، ببحر أقيانس ، بعد أن يلتقيا بموضع يدعى المعمورة .

وفما بين مكناسة وسلا نهرٌ يدعى بهتًا ، ينصبُّ إلى البحر الأعظم أيضا .

ونهر سلا المتقدم الذكر (١) .

وفما بين سلا ومراكش ، وعلى ثلاث مراحل من مراكش ، نهرٌ عظيم يدعى أم ربيع ، ينصب من جبال مُصنَّاجة من موضع يدعى وائسيفن ، يصب فى البحر الأعظم أيضا .

ونهر على أربعة أميال من مراكش ، عليه قنطرة عظيمة ، يسمى تانسيفت

(١) هو الذى يسمى « وادى الرمان » ويصب فى البحر الأعظم . انظر من ٣٥٩

ونهر سوس الأقصى

ونهر بيلاد حاحة ، يسمى شفشَاوَة .

هذه الأنهار كلها تصبُّ إلى البحر الأعظم : فهذه جملة الأنهار الكبار التي بالمغرب التي لا يقل ماؤها ولا ينقطع شتاء ولا صيفا ، ولم تتعرض لذكر الأودية الصغار والأنهار التي تبتسُّ في الصيف .

## ذكر جزيرة الأندلس

### وأسماء مدنها وأنهارها

فأما جزيرة الأندلس فهي المعروفة في قديم الزمان عند الروم بجزيرة أشبانية ، وقد تقدم ذكر حدودها في صدر هذا الكتاب فأعنى ذلك عن إعادته ههنا ؛ وكان دين أهلها في الدهر القديم دين الصابئة من عبادة الكواكب واستنزال قواها والتقرب إليها بأنواع القرابين ؛ شهدت بذلك طليطلة ووجدت بها وضعها القدماء من أهلها ؛ ثم انتقل أهلها إلى دين النصرانية حين ظهر على أيدي أصحاب المسيح عليه السلام .

وكانت هذه الجزيرة - أعنى الأندلس - منتظمة في مملكة صاحب رومية ، يستعمل عليها من شاء من أصحابه ؛ فلم تزل كذلك والروم يملكونها - وقاعدة ملكهم منها مدينة تسمى طليطلة ، على فرسخين من أشبيلية ، وهي مدينة عظيمة باقى أثرها إلى هذا اليوم - إلى أن غلبهم عليها القوطا ، وهي قبيلة من قبائل الإفرنج ، فأخرجوهم عن الجزيرة وألحقوهم برومية مدينتهم العظمى .

وانفرد القوطا هؤلاء بمملكة الجزيرة ، فملكوها أضخم ملك قريبا من ثلاثمائة سنة ، وكانت دار ملك القوطا ، مدينة طليطلة ؛ وهي في قريب من وسط الجزيرة ، فلم يزالوا بها وطليلة دار ملكهم - كما ذكرنا - إلى أن افتتحها المسلمون في شهر رمضان من سنة ٩٢ من الهجرة ، على ماتقدم في صدر الكتاب .



فلما افتتحها المسلمون تخيروا قرطبة دار مملكتهم ومقرّ تديريهم وموضع  
حلّهم وعقدهم ؛ فلم تزل قرطبة على ذلك إلى أن انتشرت الفتنة واضطرب  
امر بني أمية بالأندلس بموت الحكم المستنصر وتغلّب أبي عامر محمد بن  
أبي عامر وابنه ، على هشام المؤيد بن الحكم المستنصر حسبما تقدّم في صدر  
هذا الكتاب . (١)

فهذا تلخيص أخبار جزيرة الأندلس .

### [ مجاز الأندلس ]

وأنا إذا كرّرت إن شاء الله أول ما يلقاه من يعبر إليها من حدودها ومدنها ،  
فأول ذلك أني أقول :

قد تقدم أن البحرين : بحر الروم ، وبحر أقيانس ، يلتقيان بساحل سبته ؛  
ثم يضيق الخليج ويتقارب العُدوتان حتى ينتهي ذلك إلى قصر مصمودة من  
العُدوة وجزيرة طريف من الأندلس ، ثم يأخذ في السعة ؛ وأول هذا الخليج  
بما يلي طنجة ، الجبل الخارج في البحر الأعظم المعروف بطرف أشبرتال ،  
وآخره الجبل الذي شرقي سبته ؛ فإذا عبرت إلى جزيرة الأندلس من سبته ،  
كان الذي تنزل به المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ؛ وإذا عبرت من قصر  
مصمودة وقعت إلى جزيرة طريف ؛ فالمدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء هي  
- في التحقيق - على ساحل البحر الرومي ، وجزيرة طريف على ساحل البحر  
الأعظم ؛ وبين الموضعين - أعني الخضراء وطريف - ثمانية عشر ميلاً .

وفي شرقي الجزيرة الخضراء الجبل المعروف بجبل الفتح، ويسمى أيضاً جبل طارق؛ وله طرف خارج في البحر يسمى طرف الفتح؛ وعنده يلتقي البحرين بجزيرة الأندلس.

فهذا تلخيص التعريب بخبر مجاز الأندلس.

[ البلاد التي تغلب عليها النصارى إلى سنة ٦٦١ ]

فأما ذكر مدنها فقد كانت فيها مدن كثيرة تغلب النصارى على أكثرها؛ فأنا ذاكر أسماء المدن التي بأيدي النصارى في وقتنا هذا، ومواضعها من الجزيرة من مشرق ومغرب، من غير تعرض إلى ما بينها من المسافات؛ إذ كان كون النصارى بها مانعاً من معرفة ذلك:

فأول المدن في الحد الجنوبي المشرقي على ساحل البحر الرومي: مدينة برشونة، ثم مدينة طركونة، ثم مدينة طرطوشة؛ هذه البلاد التي على ساحل البحر الرومي المذكور؛ أعادها الله للمسلمين!

والمدن التي على غير الساحل في هذا الحد المذكور: مدينة سرقسطة، ولاردة، وأفراخة، وقلعة أيوب؛ هذه كلها يملكها صاحب برشونة - لعنه الله - وهي الجهة التي تسمى أرغن.

وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والمغرب من المدن: مدينة طليطلة، وكوثكة، وأقليج، وطلبيرة، ومكادة، ومشريط، ووبذ، وأبله، وشقوية؛ هذه كلها يملكها الأدفنش - لعنه الله - وتسمى هذه الجهة قشتال.

وتجاور هذه المملكة فيما يميل إلى الشمال قليلاً ، مدنٌ كثيرة أيضاً ، وهي :  
 سَمُورَة ، وَشَلَنْسُكَة ، وَالسَّبَطَاط ، وَفُلْشَرِيَّة ؛ هذه كلها يملكها رجل  
 يعرف بِالْبَبُوج (١) - لعنه الله - وتسمى هذه الجهة لِيُون .  
 وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الأعظم أقيانس ، مدن أيضاً ، منها :  
 مدينة الأَشْبُونَة ، وَشَنْتَرِين ، وَبَاجَة ، وَشَنْتَرَة ، وَشَنْت ياقُو ؛ ومدينة يابرة ،  
 ومدن كثيرة ذهبت عنى أسماؤها ، يملكها رجل يُعرف بابن الريق (٢) ،  
 لعنه الله .

فهذا ما بأيدي النصارى من مدن جزيرة الأندلس مما يلي بلاد المسلمين ؛  
 ووراء هذه المدن مما يلي بلاد الروم ، مدنٌ كثيرة لم تشتهر عندنا لبعدها عنا  
 وتوغلها في بلاد الروم ؛ لم يملكها المسلمون قط ؛ لأنهم لم يملكوا الجزيرة  
 بأسرها حين افتتحوها ، وإنما ملكوا معظمها واستولوا على أكثرها .

[ المدن التي بقيت بأيدي المسلمين إلى سنة ٦٢١ ]

وأنا ذاكر بعد هذا ما بقى بأيدي المسلمين من البلاد ، وعدد المراحل التي  
 بينها ، وقُرْبها من البحر وبعدها ؛ حتى يبين ذلك إن شاء الله تعالى :  
 فأول شيء يملكه المسلمون بجزيرة الأندلس اليوم ، حصنٌ صغير على شاطئ  
 البحر الرومي يسمى بِنَشْكَلَة ، بينه وبين مدينة بلنسية ثلاثُ مراحل ؛ وهذا  
 الحصن مما يلي بلاد الروم ، بينه وبين طرطوشة مرحلتان أو أكثر قليلاً .

(١) انظر التعليق ٢ ص ٣٢٠

(٢) انظر التعليق ٤ ص ٣٢٠

ثم مدينة بلنسية ، وهي مدينة في غاية الخصب واعتدال الهواء ، كان أهل الأندلس يدعونها فيما سلف من الزمان : مُطَيَّبَ الأندلس ؛ والمطَيَّبُ عندهم : حزمة يعملونها من أنواع الرياحين ويعملون فيها النرجس والآس وغير ذلك من أنواع المشمومات ؛ سمّوا بلنسية بهذا الاسم لكثرة أشجارها وطيب ريحها ؛ وبين بلنسية هذه وبين البحر الرومي قريبٌ من أربعة أميال .

ثم بعدها مدينة تدعى شاطبة ، بينها وبينها مرحلتان .

وبينهما مدينة صغيرة تدعى جزيرة الشقشقر ؛ وسميت جزيرة لأنها في وسط نهر عظيم قد حفر بها من جميع جهاتها فلا طريق إليها إلا على القنطرة .

ومن شاطبة هذه إلى مدينة دانية التي على ساحل البحر الرومي ، يومٌ تام .  
ومن شاطبة إلى مدينة مرسية ثلاثة أيام .

ومن مرسية إلى البحر الرومي عشرة فراسخ .

ومن مدينة مرسية إلى مدينة أغرناطة سبع مراحل .

وبين ذلك بلاد صغار ، أولها بما يلي مرسية : حصن لركة ، ثم حصن آخر يدعى بلس ، ثم حصن آخر يدعى قليية ، ثم بليدة صغيرة تسمى بسنطة ، ثم بليدة أخرى على مسيرة يوم من أغرناطة تسمى وادي آش ، ويقال لها أيضاً وادي الأشي ؛ هكذا سمعت الشعراء ينطقون بها في أشعارهم ؛ فهذه البليدات التي بين أغرناطة ومرسية .

وفي مقابلة وادي آش على ساحل البحر الرومي ، مدينة المرسية ( مخففة

الراء ) وهي مدينة مشهورة ، تضرب أمواج البحر في سورها ، بينها وبين وادي

آش هذه مرحلتان للمجدد .

وبعد المدينة المعروفة بالمرية على ساحل البحر الرومي ، حصنُ مُنكب ، وهي بلدة صغيرة يضرب البحر أيضا في سورها ، بينها وبين المرية أربع مراحل . وبين حصن منكب هذا وبين مدينة مالقة ثلاث مراحل .

وبين مالقة وبين الجزيرة الخضراء ثلاث مراحل للمجدد .

وبالجزيرة الخضراء ، أو بجبل الفتح ، يلتقي البحران كما ذكرنا ، فالذي على ساحل البحر الرومي من بلاد المسلمين بالأندلس : الجزيرة الخضراء ، ومالقة ، ومنكب ، والمرية ، ودانية ؛ وبين المرية ودانية نحو من ثمان مراحل ؛ ووراء دانية الحصن الذي يسمى بـنَشْكُلة ؛ وقد تقدم ذكره .

فهذا ما على الساحل من بلاد المسلمين بالأندلس ، أعنى ما يضرب الموج في سوره ؛ فأما مدينة بلنسية فيبينها وبين البحر - كما ذكرنا - قريب من أربعة أميال .

\*\*\*

ثم نعود إلى ذكر البلاد التي ليست على الساحل ؛ فنقول :

من مدينة أغرناطة إلى البحر قريب من أربعين ميلا ؛ وذلك مسيرة يوم تام أو يومين على الرفق .

ومن مدينة أغرناطة إلى مدينة جيان ، مرحلتان ؛ فبين جيان وبين البحر الرومي ثلاث مراحل .

ومن مدينة جيان إلى مدينة قرطبة مرحلتان .

## [ ذكر قرطبة ]

وقد تقدم ذكر قرطبة هذه وأنها كانت دارَ ملك المسلمين ومقرَّ تدبيرهم إلى أن نشأت الفتنة واختل أمر بني أمية بالأندلس ؛ وبلغت قرطبة هذه من القوة وكثرة العمارة وازدحام الناس مبلغا لم تبلغه بلدة .

حكى ابنُ فياض في تاريخه في أخبار قرطبة قال : كان بالرَّبَضِ الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلَّهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ؛ هذا ما في ناحية من نواحيها ، فكيف بجميع جهاتها ؟ .

وقيل إنه كان فيها ثلاثة آلاف مُقلِّس ؛ وكان لا يتقلَّس عندهم في ذلك الزمان إلا من صلح للفتيا .

وسمعت ببلاد الأندلس من غير واحد من مشايخها ، أن الماشي كان يستضيء بسُروج قرطبة ثلاثَ فراسخ لا ينقطع عنه الضوء .

وبها الجامع الأعظم الذي بناه أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد المتلقب بالناصر لدين الله ، وزاد فيه بعده ابنه الحكم المستنصر بالله ؛ فزيادة الحكم معروفة إلى اليوم .

وحكى أبو مروان بن حيان - رحمه الله - في أخبار قرطبة ، أن الحكم لما زاد زيادته المشهورة في الجامع ، اجتنب الناس الصلاة فيها أياما ؛ فبلغ ذلك الحكم ، فسأل عن علته ؛ فقيل له إنهم يقولون : ما ندري هذه الدراهم التي أنفقها في هذا البليان من أين اكتسبها فاستحضر الشهود والقاضي أبا الحكم

المندرد بن سعيد البلوطى المتقدم الذكر فى قضائه (١) ، واستقبل القبلة وحلف باليمين الشرعية التى جرت العادة بها ، أنه ما أنفق فيه درهما إلا من خمس المنعم ، وحينئذ صلى الناس فيه لما علموا يمينه ؛ ومن الخمس أيضا كان أبوه بناه ؛ وزاد فيه أبو عامر محمد بن أبى عامر زيادة أخرى من هذه النسبة ؛ فهو مسجد لم ينفق فيه درهم إلا من خمس المنعم ؛ وهو معظم القدر عند أهل الأندلس ، مبارك ، لا يصلّى فيه أحدٌ ويدعو بشيء من أمر الدنيا والآخرة إلا استجيب له ؛ قد عرف ذلك من أمره واشتهر .

وحكى غير واحد أن الأندلس لعنه الله لما دخلها فى شهر سنة ٥٠٣ هـ ، دخل النصارى فى هذا المسجد بخيلهم ، فأقاموا به يومين لم تبلى دوابهم ولم ترث حتى خرجوا منه ؛ وهذه الحكاية مما تواتر عندهم واستفاض بقرطبة . وقد جمع أهل الأندلس كتباً فى فضائل قرطبة وأخبارها ومن كان بها أو نزلها من الصالحين والفضلاء والعلماء .

### [ ذكر أشبيلية ]

ومن مدينة قرطبة إلى مدينة أشبيلية ثلاث مراحل ؛ وأشبيلية هذه هى حاضرة الأندلس فى وقتنا هذا ، وهى التى تسمى عندهم فى قديم الزمان حمص ؛ سُميت بذلك لنزول أجناد حمص إياها حين افتتح المسلمون الأندلس (٢) .

وقد زاد أمر هذه المدينة على صفة كل وادى ، وأتى فوق نعت كل ناعت ؛ وهى على شاطئ نهر عظيم ينصب من جبل شقورة ؛ وتنصب فيه أنهار كثيرة ، فلا يصل إلى أشبيلية إلا وهو بحر خضم ؛ تصعد فيه السفن

(١) تقدم ذكره - ولاريد - فى الجزء الذى انخرم من الكتاب ؛ انظر التعليق ص ٢٢

(٢) انظر ص ١١٣

السكبار من البحر الأعظم ، تُرْسِي على باب المدينة ، بينها وبين البحر الأعظم سبعون ميلا ، وذلك مرحلتان .

وهذه المدينة كانت قاعدة ملك بنى عباد حسبا تقدم (١) ، ثم صيرها المصامدة منزلا لهم أيام كونهم بالاندلس ؛ منها ينفذ أمرهم ، وفيها يستقر ملكهم ؛ وبنوا بها قصورا عظيمة ، وأجروا فيها المياه ، وغرسوا البساتين ؛ فزاد ذلك في حسن هذه المدينة ، أعنى أشيلية .

\*\*\*

ومن أشيلية إلى مدينة شلب التي على ساحل البحر الأعظم ، خمس مراحل ؛ وبين ذلك بُليدات صغار ؛ كمدينة كبلّة ، وحصن مرّتلّة ، ومدينة طبيرة ، ومدينة العليا ، والمدينة المعروفة بشفتَميريّة ؛ هذه البلاد كلها فيما بين شلب وأشيلية من مغرب الأندلس .

وبين قرطبة وبين البحر الرومي خمس مراحل ؛ وقرطبة أيضا على ساحل هذا النهر الذي ينصب إلى أشيلية ؛ يعظم جدا حتى تصعد فيه السفن كما تقدم ، وينحدر من أراد في القوارب من قرطبة إلى أشيلية ، ويصعدون من أشيلية إلى قرطبة ؛ كهيئة النيل .

وبين مدينة أشيلية ومدينة شريش مرحلتان .

وبين شريش وبين البحر ثلاث مراحل .

فهذه جملة أخبار بلاد المغرب وجزيرة الأندلس ومسافات الأبعاد التي بين

(١) انظر ص ٧٣ ثم ٩٣ وما بعدها .



كل بلد وبلد على التقريب ؛ منها ما سافرتُ فيه بنفسى ، ومنها ما نقلته مستفيضا  
عن السُّقَّار المترددين .

## فصل

[أنهار الأندلس الكبار المشهورة]

وقد رأيت أن أذكر ههنا جملة أنهار الأندلس الكبار المشهورة بها :  
فأول ذلك مما يلى المشرق : نهر طرطوشة ، وهو نهر عظيم ينصبُّ من  
جبال هناك إلى مدينة طرطوشة ، ثم يصب في البحر الرومى ؛ وبين طرطوشة  
وبين البحر الرومى اثنا عشر ميلا .

ثم نهر مرسية ، وهو يصب أيضاً في البحر الرومى ، منبعه من جبل شقورة ؛  
وهو قسيم نهر أشيلية ؛ منبعهما واحد ثم يفترقان ؛ فينصب هذا إلى أشيلية  
وهذا إلى مرسية .

ثم نهر أشيلية الأعظم - وقد تقدم ذكر منبعه - ثم تنصب فيه قبل وصوله  
إلى أشيلية أنهار كثيرة ، فيعظم حتى يصير بحرا كما ذكرنا ، ثم يصب في البحر  
الأعظم المسمى أقيانس .

ثم نهر عظيم يبلاد الروم يسمى تاجو ، وهو الذى عليه مدينة طليطلة  
وشتيرين ؛ وبين هاتين المدينتين قريبٌ من عشر مراحل ؛ وعلى هذا النهر أيضا  
مدينة الأشبونة ، وبينها وبين شتيرين ثلاث مراحل ؛ ثم ينصب هذا النهر إلى  
البحر الأعظم .

فهذه جملة أنهار الأندلس المشهورة بها .

\*\*\*

وقد نبجز بحمد الله جميع هذا الإملاء حسبما رسمه مولانا ، وجريتُ في ذلك كلُّه على عادتي في التلخيص ، وتركت أسماء القرى والضِّياع والأنهار الصغار ، وغير ذلك مما لا تدعو إليه الحاجة ولا يُجزلُ بالتصنيف تركه ؛ فإن وافق غرض مولانا ولاق بنفسه وأتى وفق مراده ، فهي البغية الكبرى والأمنية العظمى التي لم أزل أكدر لها وأسمى فيها وأسبق إليها ؛ وإن يكُ غير ذلك فما أنا بأول من اجتهد فخرم الإصابة ولم يقع على المراد ولا وفي المقصود !

وبالله أعتصم ، وإياه أسترشد ، وعليه أعتمد ؛ وهو حسبي ونعم الوكيل .

\*\*\*

وكان الفراغ من هذا الإملاء يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة من سنة ١٣٢١ ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

## فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
٤١ ولاية محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي	ج تمهيد : بقلم محمد سعيد العريان
٤٢ بدء الفتنة	٣ مقدمة المؤلف
٤٣ ولاية سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله	٥ فصل : في ذكر جزيرة الأندلس وحدودها
٤٣ أولية بني حمود	٩ ذكر فتح جزيرة الأندلس، ولع من تفصيل أخبارها وسير ملوكها ومن كان فيها من الفضلاء منها ومن غيرها
٤٩ ولاية علي بن حمود الناصر	١٤ ذكر من دخل الأندلس من التابعين
٥٠ ولاية القاسم بن حمود المأمون	١٤ فصل : في فضل العرب .
٥٢ ولاية المعتلي يحيى بن علي بن حمود	١٦ ذكر خبر دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس
٥٤ رد الأمر إلى بني أمية، وولاية عبد الرحمن بن هشام المستظهر	١٩ ولاية الأمير هشام بن عبد الرحمن
٥٥ ولاية محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله	١٩ ولاية الحكم بن هشام الملقب بالربضي
٥٧ ولاية هشام المعتد بالله	٢٢ تعليق يتضمن ذكر الولاة بعد الحكم بن هشام . . . إلى عهد الحكم المستنصر
٥٩ ذكر أخبار الأندلس بعد انتقال الدعوة الأموية عنها ومن ملكها من الملوك . . .	٢٣ . . . . . تنمة الحديث عن عهد الحكم المستنصر
٥٩ مآل قرطبة بعد انتهاء الدولة الأموية	٢٧ ولاية هشام المؤيد بن الحكم المستنصر، وتغلب المنصور بن أبي عامر
٦١ فصل : رجوع الحديث إلى بني حمود، ومطعم بن عبادي التغلب على قرطبة	٤٠ وزارة المظفر بن أبي عامر
٧٠ فصل : يتضمن ذكر أحوال الأندلس بعد انقطاع الدعوة الأموية عنها .	٤٠ وزارة الناصر بن أبي عامر

صفحة	صفحة
١٧٧	٧٠ ملوك الطوائف
١٧٨	٧٦ قصيدة ابن عبدون في رثاء
بالمهدى ، وبدء أمر الموحدين	بني الأفطس أصحاب بطليوس ،
بالمغرب والأندلس .	وتفسير مدلولاتها التاريخية
١٨٤	٩٢ رجع القول إلى ملوك الطوائف
ابن تومرت في حضرة ابن تاشفين	٩٣ فصل : في ملك بني عباد بأشبيلية .
بدء دعوة الموحدين	٩٥ ولاية المعتضد بالله العبادي .
١٨٨ طبقات الموحدين	١٠٠ أولية المرابطين في مراكش
١٩٢ الحرب بين المرابطين والموحدين	١٠١ ولاية أبي القاسم بن عباد المعتمد
١٩٤ ذكر ولاية عبدالمؤمن بن علي	١٠٢ عبد الجليل بن وهبون الشاعر
١٩٤ وصية ابن تومرت	١٠٥ أبو الوليد بن زيدون
١٩٦ فصل : حياة عبد المؤمن وأعماله	١١١ أبو بكر بن عمار
١٩٨ أولاده ، ووزراؤه ، وكتابه	١٢٩ رجع الحديث عن بني عباد
٢٠٠ قضائه	١٣٠ أول أمر المرابطين بالأندلس
٢٠٠ رجع الحديث إلى أخبار عبد المؤمن	١٣٢ وقعة الزلاقة .
٢٠٢ نهاية المرابطين وآخر من ولي	١٣٥ بين المعتصم بن حمادح والمعتمد
الأمر منهم	ابن عباد
٢٠٤ تغلب عبد المؤمن على بجاية وقلعة	١٣٨ نكبة بني عباد
بني حماد	١٤٩ أبو بكر الداني شاعر بني عباد
٢٠٤ تعليق عن أولية بني حماد وبني	١٥٤ رجع الحديث إلى أخبار المعتمد
باديس الصنهاجيين ، وشأن العرب	١٦١ فصل : رجع الحديث عن دولة
الهلالية في المغرب .	المرابطين بالأندلس .
٢٠٨ فصل : أحوال الأندلس بعد	١٦٤ أعيان الكتاب في دولة المرابطين
سقوط دولة المرابطين	١٦٤ وزارة ابن عبدون .
٢١٢ عبور الموحدين إلى الأندلس	١٧١ ولاية أبي الحسن علي بن يوسف
٢١٣ محمد بن حبوس الفاسي الشاعر	ابن تاشفين .
٢١٥ الأصم الرواني ، ابن الطليق ،	١٧٣ أعيان الكتاب في عهد أبي الحسن
الشاعر	

صفحة	صفحة
٢٥٣ حسن معاملة للوحدين لمن	٢١٧ الرصافي الرفاء الشاعر
يغلبونهم من الملوك	٢٢٣ وصل الحديث عن عبد المؤمن
٢٥٥ اتساع الدولة وزيادة الخراج	ابن على
٢٥٦ محاولة أبي يعقوب فتح شترين	٢٢٤ منازل العرب الهلالية في المغرب
وفاته	والأندلس
٢٥٩ عاقبة أبي الحسن الملقى الخطيب	٢٢٨ غزو الموحدين لأفريقية
٢٦٠ وفاة الأمير أبي يعقوب	٢٢٨ فتح المهدي واسترجاعها من يد
٢٦١ ذكر ولاية أبي يوسف يعقوب	الصقليين
ابن يوسف بن عبد المؤمن ،	٢٣٠ امتداد مملكة الوحدين إلى
المنصور	الشرق
٢٦٢ صفته ، أولاده ، وزراؤه .	٢٣٠ أنوان من شكر النعمة
٢٦٣ حجابيه ، كتابه	٢٣٣ وفاة وفداء
٢٦٤ قضائه	٢٣٣ وفاة عبد المؤمن وعهده لولده
٢٦٥ تلخيص التعريف بحجر بيعته	٢٣٦ ذكر ولاية أبي يعقوب يوسف
٢٦٦ بيان مدينة الرباط	ابن عبد المؤمن وما يتعلق بها
٢٢٦ طمع بني غانية في التغلب على أفريقية	٢٣٧ صفة أبي يعقوب
٢٦٧ التعريف ببني غانية ودارملكهم	٢٣٩ أبوبكر بن طفيل
٢٦٧ محمد بن غانية	٢٤٢ أبو الوليد بن رشد
٢٦٩ اسحاق بن محمد بن غانية	٢٤٣ رجع الحديث عن الأمير أبي يعقوب
٢٧٠ علي بن اسحاق	٢٤٤ وزراؤه ، كتابه ، حجابيه .
٢٧٠ استطراد عن انتقاض العرب	٢٤٥ أولاده ، قضائه
بأفريقية على الوحدين	٢٤٨ فصل : دخول بني مردنيش في
٢٧١ رجع الحديث عن بني غانية	طاعة الموحدين
في بجاية	٢٥١ الخارجون عن طاعة الموحدين
٢٧٢ استرجاع بجاية من يد الميورقيين	بالمغرب
٢٧٤ استرجاع قفصة	٢٥٢ صلح ملك صقلية
٢٧٤ ابراهيم الزويلي الكاتب	٢٥٣ المصحف الثماني في المغرب

صفحة	صفحة
٣١١	٢٧٥
حجاب الناصر ، كتابه	رجع الحديث عن بنى غانية
٣١٢	٢٧٦
قضائه	اختلاف بنى عبد المؤمن
٣١٣	٢٧٨
أعمال أبي عبد الله الناصر	دعوة أبي يوسف المنصور إلى
٢١٤	الأخذ بالكتاب والسنة
دخول الموحدین جزيرة ميورقة	٢٨٠
٣١٥	استرجاع مدينة شاب
عبد الرحمن الجزولى الثائر	٢٨٠
٣١٧	طامع آخر من بنى عبد المؤمن
فتح جزيرة منورقة	٢٨٢
٣١٧	وقعة الأرك
محاربة يحيى بن غانية بأفريقية	٢٨٤
٣١٨	عزم أبي يوسف على قصد مصر
انتقاض الهدنة بين الموحدین	ووفاته
والفرنجة بالأندلس	٢٨٤
٣١٩	شئ من سيرته
فتح شلبتره	٢٨٨
٢٢٠	ممالك الفز المصريون في المغرب
أشهر الإمارات الأاسبانية في	٢٩١
ذلك العهد	أبو يوسف وعقيدة العامة في
٣٢١	ابن تومرت
وقعة العقاب وهزيمة المسلمين	٢٩٢
٣٢٣	اهتمامه بالتشيد والبناء
وفاة الناصر محمد بن أبي يوسف	٢٩٣
٣٢٣	على بن حزمون الشاعر
ذكر ولاية أبي يعقوب الثانى :	٢٩٧
يوسف بن محمد	محمد بن عبد ربه الكاتب حفيد
٢٢٤	صاحب العقد
صفته ، وزراؤه ، حجابيه	٣٠٠
٢٢٥	أبو جعفر الحميرى المؤدب
قاضييه ، كتابه ، بيعته	٣٠٤
٢٢٧	اليهود في عهد أبي يوسف
فاطمى من سلالة ملوك القاهرة	٣٠٥
يشور براكش	محنة أبي الوليد بن رشد
٢٢٨	٣٠٧
ثائران آخران على أبي يعقوب الثانى	ذكر ولاية أبي عبد الله محمد بن
٢٢٩	أبي يوسف ، الناصر
وفاة أبي يعقوب الثانى	٣٠٧
٣٢٩	صفاته
ولاية أبي محمد عبد العزيز بن	٣٠٨
أبي يعقوب الأول .	أولاده ، وزراؤه .
٢٣٢	٣٠٨
صفته .	صلة المؤلف بابراهيم بن
٢٣٣	أنى يوسف المنصور
تعلیق يتضمن آخره عهد الموحدین	٣١٠
٢٣٣	أولية الوزير أبي سعيد بن جامع

صفحة	صفحة
٣٥٤ بلاد أفريقية	٣٣٤ ولاية العادل بن المنصور
٣٥٥ شأن القيروان في قديم الزمان	٣٣٤ ولاية المأمون بن المنصور
٣٥٧ بلاد المغرب	٣٣٤ المعتصم بن الناصر
٢٥٧ طريق السفار من بجاية إلى مراكش	٣٣٥ خروج الأندلس من طاعة الموحدين
٢٥٧ التعريف بمدينة فاس	٣٣٥ ولاية الرشيد بن المأمون
٣٦٠ ترجمة المؤلف بقله	٣٣٥ ولاية المعتضد بن المأمون
٣٦١ بلاد السوس الأقصى	٣٣٦ ولاية المرتضى أبي حفص بن إسحاق
٣٦٢ ذكر ما بالمغرب من معادن الفضة والحديد	٢٣٦ أبو دبوس الواثق
٣٦٢ المعادن بجزيرة الأندلس	٣٣١ تغلب بن مرين
٣٦٤ ذكر أسماء الأنهار العظام التي بالمغرب	٣٣٧ جامع سير المصامدة وأخبارهم وقبائلهم وأحوالهم في ظنهم وإقامتهم
٣٦٦ ذكر جزيرة الأندلس وأسماء مدنها وأنهاها	٣٢٩ ذكر قبائل الموحددين
٣٦٧ مجاز الأندلس	٣٤٣ صفة أحوالهم في إقامة الجمعة
٣٦٨ البلاد التي تغلب عليها النصارى إلى سنة ٦٢١	٣٤٦ ذكر أقاليم المغرب والأندلس
٣٦٩ المدن التي بقيت بأيدي المسلمين إلى سنة ٦٢١	٣٤٧ أولا : المدن العامرة على الساحل
٣٧٢ ذكر قرطبة	٣٤٧ اتصال العمران بين الاسكندرية والقيروان
٣٧٣ ذكر أشبيلية	٣٤٩ بلاد أفريقية الساحلية
٣٧٥ فصل : أنهار الأندلس الكبار المنهورة	٣٥٠ شأن مدينة قرطاجنة في القديم
٣٧٦ الخاتمة	٣٥٢ بلاد المغرب الساحلية
	٣٥٣ ضيق البحرين والمغرب والأندلس
	٣٥٤ ثانيا : البلاد التي ليست على ساحل

## فهرس الأعلام والبلدان والقبائل

بنو الأنبج : ٢٠٥  
 ابن الأثير : ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،  
 ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ،  
 ٢٧٣  
 أحد (جبل) : ٨٠  
 الأحذب بن الجذ (أبو القاسم) : ١٧٣  
 أحمد ابن إبراهيم بن مطرف المري  
 (أبو العباس) : ٢٩١  
 أحمد بن اسحاق (أبو بكر) : ١٢١  
 أحمد الحاجب : ٢٨٩  
 أحمد بن حنبل : ٢٦٤  
 أحمد بن خالد : ٥٦  
 أحمد بن خراسان : ٢٢٨  
 أحمد بن سعيد بن حزم (أبو عمر) : ٣٤  
 ٤٦ ، ٤٩  
 أحمد بن سعيد بن الدب (أبو جعفر) : ٤٥  
 أحمد بن سليمان بن هود = المقتدر  
 أحمد بن طاهر (أبو بكر) : ١٢١  
 أحمد بن طولون : ٢٨٨  
 أحمد بن عبدربه (صاحب المقد) : ٩٢ ،  
 ٢٩٧ ، ٣٠٠  
 أحمد بن عبد العزيز بن أبي يعقوب : ٢٢٢  
 أحمد بن عبد الملك بن شهيد (أبو عامر) : ٥٥  
 أحمد بن عطية = أبو جعفر الوزير  
 أحمد بن أبي حفص عمر أيتي : ٣٣٧  
 أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار  
 (صاحب السنند) = البزار

— ١ —

آسيا : ٥  
 الأمر بن المستعلي : ١٧٩  
 ابن الأبار : ٣٨ ، ٧٥ ، ١٤٧ ، ٢١١  
 ابذه (مدينة) : ٣٢٢  
 إبراهيم (عليه السلام) : ٣٠٩  
 إبراهيم بن اسحاق بن غانية : ٢٧٠  
 إبراهيم بن الأشتر النخعي : ٨١  
 إبراهيم بن الأغب : ٢٥٢  
 إبراهيم بن جامع : ٣١٠  
 إبراهيم بن أبي حفص عمر ومزال : ٣٣٧  
 إبراهيم الزويلى الكاتب (أبو اسحاق) :  
 ٢٧٤ ، ١٧٥  
 إبراهيم بن أبي سفيان (أبو اسحاق) : ١٤  
 إبراهيم بن عبد المؤمن : ١٩٨  
 إبراهيم بن ملكون = ابن ملكون  
 إبراهيم بن موسى الضرير : ٢٣٧  
 إبراهيم بن همشك = ابن همشك  
 إبراهيم بن أبي يعقوب : ٢٤٥ ، ٢٦٢ ،  
 ٣٣٠  
 ابرهيم بن أبي يوسف : ٢٦٢ ، ٣٠٨ ،  
 ٣٠٩  
 أبرو (نهر) : ٧١  
 أبرويز : ٧٩  
 ابستار (موضع) : ٣٦٢  
 أبله (مدينة) : ٣٦٨



إدريس بن أبي يعقوب (أبو العلاء) :  
 ٢٤٥ ، ٢٦٢ ، ٣١٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣١  
 إدريس بن أبي يوسف المنصور (أبو العلاء) :  
 ٢٦٢ ، ٢٣٤ ، ٣٣٥  
 الادفنش : ٧٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١  
 ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤  
 ١٣٥ ، ٢٠٨ ، ٢٥٠ ، ٢٨٢ (٢٥١)  
 ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠١  
 ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١  
 ٣٢٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣  
 اربل (بلد) : ٢٨٩  
 أرسطو : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٣٠٥  
 الارض الكبيرة : ٧٤ ، ٦٥  
 ارغن (بلد) : ٧٢ ، ٢٠٨ ، ٣٢٠  
 ٣٦٨  
 ارقم بن محمد بن سعد : ٢٥٠  
 الارك (موضع) : ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧  
 ٣١٩ ، ٣٢١  
 أركش (حصن) : ١٤٣  
 إرم (قصر) : ١٦٥  
 الارمن : ٢٨٨  
 أروى (حظية المتصم بن صامح) : ١٣٧  
 الاسبان : ٦ ، ٨٠ ، ٧١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩  
 ٢٨٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٠  
 أسبانيا : ١٣٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٦٦  
 استجه (حصن) : ٦١  
 أبواسحاق إبراهيم = (ابن ملكون)

أحمد بن قسي : ٢١١  
 أحمد بن محمد (أبو جعفر) = ابن النبي  
 أحمد بن محمد بن بتي (أبو القاسم) :  
 ٢٦٤ ، ٢٨٥ ، ٣١٢  
 أحمد بن محمد بن دراج القسطلي (أبو عمر)  
 = ابن دراج القسطلي  
 أحمد بن محمد بن عياش الكاتب =  
 أبو جعفر بن عياش  
 أحمد بن محمد بن يحيى الحميري (أبو جعفر) :  
 ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣  
 أحمد بن مردنيش : ٢٠٩  
 أحمد بن مضاء (أبو جعفر) : ٢٤٧ ،  
 ٢٦٤  
 أحمد بن منيع (أبو جعفر) : ٣١٢ ، ٣٢٥  
 أحمد بن موسى المعروف بابن بقنة  
 (أبو جعفر) : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣  
 أحمد الناصر (أبو العباس) : ٢٧١  
 بنو الأحمر : ٣٣٦  
 الأحنف بن قيس : ٧٩  
 الأخشيدي (الدولة) : ٢٠٤  
 إدريس بن إبراهيم بن جامع (أبو العلاء) :  
 ٢٢٤ ، ٣١١  
 إدريس بن علي بن حمود : ٥٠ ، ٥١ ،  
 ٥٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٥  
 إدريس الواثق (أبو العلاء) = أبو دبوس  
 إدريس بن يحيى بن علي بن حمود : ٥٤ ،  
 ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،  
 ٦٩ ، ٩٥

أشيليه: ٨٠٧، ١٢، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٤  
 ٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٨٩  
 ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧  
 ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦  
 ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٩  
 ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٠  
 ١٤٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٤، ٢١١  
 ٢١٣، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦  
 ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١  
 ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٥  
 ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠٨  
 ٣٠٩، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٧  
 ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨

٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٠٥

الأشعرية: ١٨٤

أشهب (من علماء المالكية): ١٧١

أشونة (حصن): ٦١، ٦٩

أشير (قلعة): ٢٠٤

أصبغ (من علماء المالكية): ١٧١

أبو الأصمغ = عيسى بن حجاج الحضرمي  
 الأصم الرواني الشاعر (ابن الطليق):

٢١٥، ٢٢٧

أطلس (جبال): ٦، ١٩١، ٢٥١، ٣٤٠

أطنظا: ٦

اعتاد الرميكية (زوجة العتمد بن عباد):

١٤٣، ١٤٦، ١٥٥

الأعراب (أعراب سليم): ٣٤٨

الأغلبة: ٢٥٢، ٣٥٥

أبو اسحاق الحضرمي (صاحب زهر

الآداب) ١٤٤

اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين:

٢٠٢، ٢٠٣، ٣٠٢

اسحاق بن محمد بن غانية: ٢٦٨، ٢٦٩

اسحاق بن محمد بن أبي يوسف: ٣٠٨

اسحاق بن أبي يعقوب (أبو إبراهيم):

٢٣٧، ٢٤٥، ٣٥٨

أسد (قبيلة): ٧٨

أسد بن الفرات: ٢٥٢

الاسكندر: ٧٧، ٩٣، ١٥١، ١٩١

الاسكندرية: ١٩، ٢٠، ٢١، ١٧٩

٢٥٢، ٣٤٧، ٣٤٨

اسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام): ٧٧

اسماعيل بن اسحاق النادى الشاعر: ٤٥

اسماعيل بن عبد الله الخزومي: ١٢

اسماعيل بن عبد المؤمن: ١٩٨

اسماعيل بن أبي حفص عمرو مزال: ٣٣٧

اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عباد:

٦١، ٦٢، ٦٣، ٩٥

اسماعيل بن المعتض العبادي: ٩٧، ١٠٠

اسماعيل بن ذى النون: ٧٢، ٧٣

اسماعيل بن يحيى الهزرجي (أبو إبراهيم):

٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥

اسماعيل بن أبي يعقوب: ٢٤٥

أسوان: ٣٤٧

الأشبونة: ٤٢، ٧٥، ١٦٤، ٢٥٧

٢٦٩، ٢٧٥

الفونس الثالث : ٣١٩ ، ٣٢٠  
 الفونس السادس ملك قشتالة : ٧٣ ،  
 ٢٥٧ ، ١٣٢  
 الفونس التاسع : ٣٢٠  
 اقريطش (كريت) : ٢٠ ، ٢١  
 أقليج (مدينة) : ٣٦٨  
 اقبانوس : (المحيط الأطلسي ، بحر الظلمات ،  
 البحر الأخضر ، البحر الاعظم ،  
 المحيط الاطلنطي) : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٧٤ ،  
 ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥  
 ٣٦٧ ، ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥  
 الأكراد : ٣١٥  
 أكسفورد : ٢٨  
 ألبنت (حصن) : ٥٧  
 ألكست (مدينة) : ٣٦١  
 ألمان : ٣١٩  
 امرؤ القيس : ٧٨ ، ١٠٦  
 أم الربيع (هر) : ٣٤٠ ، ٣٦٤  
 أم عاصم القوطية (زوجة عبدالعزیز بن  
 موسى بن نصير) : ١٢  
 أميرة بنت الحسن بن قنون : ٥٢  
 الأمين ابن الرشيد : ٨٤  
 بنو أمية : ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،  
 ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٥٧ ،  
 ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٦ ،  
 ١٢٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٣٣٠ ،  
 ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢  
 أبوانس = الضحاك بن قيس الفهری .

(٢٥)

أغرناطة = غرناطة  
 أغلب بن محمد بن إبراهيم بن أغلب  
 التیمی : ٣٥٥  
 أغمات : ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،  
 ١٦٢ ، ١٨٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦  
 أفراعة : ٥٨ ، ٧١ ، ٢٠٨ ، ٢٦٨  
 الأفرنج : ٧ ، ٢٠ ، ٤٢ ، ٧٢ ، ٧٢ ،  
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٠٠ ،  
 ٢٨٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،  
 ٢٥٢ ، ٣٦٦  
 افرنسة = فرنسا  
 افريقش : ٣٤٩  
 أفريقية : ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ،  
 ١٧٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،  
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،  
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ ،  
 ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،  
 ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢١١ ، ٣١٤ ،  
 ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،  
 ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،  
 ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،  
 ٣٥٧ ، ٣٦٤  
 بنو الأفضس : ٨٥ ، ١٣٧  
 ابن الأفضس = المتوكل  
 ابن الأفضس = للظفر  
 أفلاطون : ٢٤٢  
 الفونس هنريكيز (ابن الريق ، ابن الريك) :  
 ٣٢٠

بجاية (مدينة): ١٧٩، ١٨٠، ١٨١،

١٨٢، ١٨٩، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٥،

٢٠٦، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩،

٢٣١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٦٧،

٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٧،

٣١٤، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٥٢، ٣٥٣،

٣٥٧

بجاية (نهر): ٣٦٤

بجاردة (نهر): ٢٦٤

البحترى: ١٦٩

بحر مانطس: ٦٠٥

البحر المتوسط: ٥، ٦، ٧، ٨، ٢١،

٧١، ١٢١، ١٣٦، ١٥٠، ٢٥٢،

٢٨٩، ٢٤٧، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٤،

٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١،

٣٧٥، ٣٧٤

بحر الهند: ٣٥٤

البحيرة (موضع): ١٩٢

البخارى (صاحب المسند): ٢٣٨

بدر (غزوة بدر): ٨٠، ٢١٦،

بدر (مولى عبدالرحمن الداخل): ١٧

بنو بدر الدينانى: ٧٨

بدر بن محمد بن سعد: ٢٥٠

بدر و الثانى ملك أرجون: ٣٢٠

بدر و (بن الفونس هنريكيز ملك

البرتغال): ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٨٠،

٣٢٠، ٣٦٩

ابن بدرون: ٨٥

أنسا (ضبعة): ٢٣٧

أنطابلس (بلد): ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩،

٢٥٤

انقرة (بلد): ٧٨

أورية (موضع): ٣٦٣

أيت ومغار (قبيلة): ٢٣٣

إيجلى أن وارغن (ضبعة): ١٧٨

إرش (حصن): ٦٦، ٦٧،

أيسر غين (قبيلة): ١٧٨

إيطاليا: ٢٥٢

بنوأيوب: ٣٢٧

أيوب الجدموى: ٢٣٨

أيوب بن حبيب اللخمى (ابن أخت موسى

ابن نصير): ١٢، ١٧،

### (ب)

باب تاظنت (من أبواب بجاية): ٢٣١

باب الفرج (من أبواب إشبيلية): ١٤٠

باب لد (من أبواب القدس): ١٩٠

بابل: ٧٩

باجه: ١٨١، ٣٦٩

ابن باجة: ٢٤٠

ابن باديس = للعز بن باديس

بنو باديس: ٢٠٤، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩،

٣٥٣، ٣٥٦

باديس بن بلكين: ٢٠٤

باديس بن حبوس: ٦٨، ١٢١

باشتر (جبل): ٦٢

ابن بشكوال : ٢٦	بذة (بلد) : ٢١١
البطحاء : ٢٣٢	البراذعى : ٢٧٨
بطرو بن الريق = بدرو	البرامكة : ٨٤
ابن بطوطه : ٦	البربر : ٤٣ ، ٤٣ ، ٤١ ، ١١ ، ٤٩
بطليموس : ١٨٥	٤٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٤
بطليوس (مدينة) : ٣٢٥ ، ٨٦ ، ٧٥	٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦١
بغداد : ٢٦ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٨ ، ١٨٩	٩٩ ، ٩٨ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٨٣ ، ٦٩
٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٣٥٨	١٠٠ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٣
بغض بن ريث بن غطفان : ٧٨	١٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨
البقاع : ٢٨٤	٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣
ابن بقنة = أحمد بن موسى بن بقنة	البرتغال : ٢٢٠ ، ٢٨٠
بقي بن مخلد : ٢٦٤	بنو برزال : ٦١ ، ٧٣ ، ٩٨
ابن بقى (أبو القاسم) = أحمد بن محمد	برشانة (بلدة) : ٢٦٣
ابن بقى .	برشلونة (برشونة) : ٧١ ، ٧٢ ، ٣٦٨
بكارش (موضع) : ٢٦٢	ابن برطل = يحيى بن زكريا التيمى
بكر بن وائل : ٧٨	برغواطة (قبيلة) : ٦٧
أبو بكر الأبهري المالكي : ٢٦	برقة (بلد) : ٢١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
أبو بكر بن اسحاق بن محمد بن غانية :	٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢
٢٧٠ ، ٢٧٢	البرك : الحجاج بن عبد الله الصريمى
أبو بكر بن الجعد : ٢٧٩	بريهة ؟ (أم المنصور بن أبي عامر) : ٣٩
أبو بكر الدانى = ابن اللبانة	اليزار (صاحب السنن) : ٢٧٩
أبو بكر بن دريد : ٣٥	بسطة (بلدة) : ٣٧٠
أبو بكر الزبيدى = محمد بن الحسن	ابن بسام (أبو الحسن على) : ٨٥ ، ٨٨
أبو بكر بن زيدون = ابن زيدون	١٧٣
أبو بكر الشاشى : ١٧٨	أبو بسام الكاتب : ٢١ ، ٢٢
أبو بكر بن الصائغ = ابن باجة	بسكرة (مدينة) : ٣٥٥
أبو بكر الصديق : ١٥	البسوس (امرأة) : حرب البسوس : ٧٨
أبو بكر الطرطوشى = الطرطوشى	البشكنس : ٣٧
أبو بكر بن طفيل = ابن طفيل	

أبو بكر بن عبد الله بن أبي حفص الوزير  
 (أبو يحيى) : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٣ .  
 ٢٨٥  
 أبو بكر بن عبد الصمد الشاعر : ١٦٢  
 أبو بكر بن عبد العزيز البلنسى : ١٣٢  
 أبو بكر بن عمار الشاعر = ابن عمار  
 أبو بكر بن القصيرة : ١٦٤  
 أبو بكر محمد بن زهر = ابن زهر  
 أبو بكر محمد بن محمد = ابن القبطرنة  
 أبو بكر بن هانئ = ابن هانئ  
 أبو بكر بن يحيى القرطبي = بندود ...  
 أبو بكر بن أبي يعقوب : ٢٤٥  
 أبو بكر اليممرى : ٢١١  
 أبو بكر بن يوسف بن تاشفين : ١٩٩  
 أبو بكر بن أبي يوسف بن عبد المؤمن :  
 ٢٦٢  
 بلاد الجريد : ٢٣٠ ، ٢٧٢ ، ٣٥٥  
 بلج بن بشر : ١٣  
 بلجين اللمتونى : ١٣٩  
 بلس (حصن) : ٣٧٠  
 بلسكين بن زيرى : ٢٠٤ ، ٢٠٥  
 بلنسية : ٨ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،  
 ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٧٦ ،  
 ٢٠٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٣١٦ ، ٣٣٨ ،  
 ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١  
 بنت الصجراوية : ٢٠٠  
 بندود بن يحيى القرطبي (أبو بكر) :  
 ٢٤٢ ، ٢٤٣

بئزت : بنى زرت (بليدة) : ٣٥٢  
 بنشكاة (حصن) : ٣٦٩ ، ٣٧١  
 ابن البنى (أبو جعفر أحمد بن محمد) :  
 ١٧١ ، ١٧٢  
 بهتا (نهر) : ٣٦٤  
 بوزابه (مملوك تقي الدين) : ٢٧  
 بوصير (قرية) : ٨٤  
 بوابة المتولى : ٣٥٠  
 بونة (مدينة) : ٢٠٦ ، ٢٥١ ، ٣٥٢  
 بيان بن عثمان الملمم : ١٨٦  
 ابن بيجيت : ٢٣٨  
 بيزة (ميناء) : ٧١  
 بهارستان مرا كمش : ٢٨٧  
 البيهقي (صاحب السنن) : ٢٧٩  
 بياسة (مدينة) : ٣٢٢  
 (ت)  
 تاجرا (ضبعة) : ١٩٧ ، ٢٣٢  
 تاجه : تاجو (نهر) : ١٦٤ ، ٢٥٧ ،  
 ٢٥٨ ، ٣٧٥  
 تادلا (بلدة) : ٢٧٦ ، ٢٧٧  
 تارو دانف (بلدة) : ٣٦١  
 التازى = عيسى بن عمران  
 بنو تاشفين : ١٨٩  
 تاشفين بن إسحاق بن محمد : ٢٧٠  
 تاشفين بن علي بن يوسف : ٩٩ ،  
 ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٣٦٠  
 تاشفين بن يوسف : ١٠٠  
 تاظنت = باب تاظنت

١٩٦، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٠، ٢٠٠  
٢٠٨، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٢٣، ٢٣٤  
٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧٩  
٢٩١، ٢٩٢، ٣١٠، ٣١٤، ٢٢٤  
٣٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٤٢، ٣٤٤  
٣٤٥، ٣٥٩  
تومين (قرية): ٩٤  
تونس: ٢٠٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٧٣  
٣١٤، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢  
٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٤  
تينمل: ١٨٠، ١٨١، ١٨٧، ١٨٩  
١٩٢، ١٩٤، ٢٣٥، ٢٣٧  
٢٦١، ٢٠٤، ٢٩١، ٣١٤، ٣٢٦  
٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢  
تودمير: ١٢١  
(ث)  
ثبير (جبل) ١٥٧  
الثعالبي (أبو منصور) ٣٩، ٢٩٥  
ثعلب ٣٤  
(ج)  
الجاتليق: ٨٢  
الجامع الأعظم: ٣٧٢  
جامع الزيتونة: ٣٥٠  
جبال أطلس = أطلس  
جبال البرانس: ٣١٩  
جبال غمارة = غماره  
جيل طارق: ٢١٣، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢١  
٢٢٣، ٢٢٦، ٣٦٨، ٢٧١

تاكرونة (بلدة): ٦٨، ٦٩  
تانسيفت (نهر): ٣٦٤  
تاهرت (مدينة): ٣٣٠  
تبع: ١٥١  
التجيبى = حجاج بن ابراهيم  
تدمر: ١٢١  
تدمير (مدينة مرسية): ١٢١، ١٢٩  
الترك: ٧٩، ٨٥، ٢٥٦، ٢٨٦، ٢٨٨  
الترمذى: (صاحب السنن): ٢٧١  
تبول (قبيلة): ٢٤٥  
تعلب (قبيلة): ٧٨، ١٧٢  
تبقى الدين الأيوبي: ٢٧٤، ٢٨٩  
تلسان (مدينة): ١٨٣، ١٨٤، ١٩٦  
١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٤٢، ٢٣٢  
٢٤٦، ٢٥٥، ٢٣٦، ٣٥٧، ٣٦٤  
تليد الحصى: ٢٥  
تسامان (موضع): ٣٦٢  
أبو تمام: ١٦٩، ٢١٥، ٣٠٠  
تميم (قبيلة): ٣٩  
تميم الداري: ١٤  
تميم بن المعز بن باديس: ٢٠٥، ٢٢٤  
٣٥٦  
تنس (بلدة): ٢٥٣  
توزر (مدينة): ٢٣٠، ٢٥٥  
ابن تومرت: ٩٣، ١٧٧، ١٧٨  
١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣  
١٨٤، ١٨٥، ١٩٦، ١٨٨، ١٨٩  
١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥

جبل الفتح: جبل الفتحين = جبل طارق  
 ابن الجند = أبو بكر ...  
 جديس (قبيلة): ٧٧  
 جدميوه (قبيلة): ٣٤٠  
 جذام (قبيلة): ٢٠٩  
 جذيمة بن الأبرش: ١٥٨، ١٥٧  
 ابن جرموز: ٨٠  
 جرمم (قبيلة): ٧٧  
 الجريد = بلاد الجريد  
 جرير الشاعر: ١٥٨  
 ابن الجزيرة = عبد الرحمن الجزولي  
 الجزائر = جزائر بني مزغنة = بني  
 مزغنان  
 جزائر البليار = الجزائر الشرقية  
 الجزائر الشرقية: ١٠٥، ٧٢  
 جزائر بني مزغنة = بني مزغنان: ١٨٩  
 ، ٢٠٥، ٣٥٣  
 الجزر البريطانية: ٣١٩  
 جزولة: ٣١٥، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٦١  
 الجزيرة: ١٥٧  
 الجزيرة الخضراء: ١٠٠، ٩، ٨٠، ٧  
 ، ٢٨، ٤٣، ٥٠، ٥٢، ٦٢، ٦٣  
 ، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ١٣١، ٢١٢  
 ، ٢٩٧، ٣٢٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧١  
 جزيرة الشقر: ٢٧٠  
 جزيرة طريف: ٣٦٧، ٣٥٤، ٣٥٣  
 جزيرة العرب: ١٥٧، ٥  
 جساس بن مرة: ٧٨

جشم (قبيلة): ٢٦٦  
 جمدة بنت الأشعث بن قيس السكندی: ٨١  
 جعفر الصادق: ١٨٠  
 أبو جعفر الوزير: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠  
 ، ٢٠٢، ٢٠١  
 جعفر بن أبي طالب: ٨٠  
 جعفر بن يحيى البرمكي: ١١٩، ٨٤  
 جعفر بن أحمد (أبو الفضل) = ابن  
 محشوة .  
 أبو جعفر أحمد بن محمد = ابن البني  
 أبو جعفر الحميري = أحمد بن محمد بن يحيى  
 أبو جعفر بن مضاء = أحمد بن مضاء  
 أبو جعفر الطبري = محمد بن جرير الطبري  
 أبو جعفر بن عياش: ٣٢٥  
 أبو جعفر المنصور: ١٦، ١٧، ٩٧  
 جعفر الهبابة (موضع): ٧٩  
 الجلاب (موضع): ٢٤٩  
 جنوة (ميناء): ٧١  
 الجواس بن قهطل المذحجي: ٣٣  
 ابن أبي حمزة القاضي: ٢٧٧  
 يوم الجمل: ٨٠  
 جنفيسة (قبيلة): ٣٤٠، ٣٤١  
 الجنفيسي = محمد بن أبي سعيد  
 بنو جهور: ١٠٦، ١٢٩، ١٣٠  
 جهور بن محمد بن جهور (أبو الحزم)  
 ، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٧٣، ١٠٥  
 جوهر الصقلي: ٣٥٠

جبل الفتح: جبل الفتحين = جبل طارق  
 ابن الجند = أبو بكر ...  
 جديس (قبيلة): ٧٧  
 جدميوه (قبيلة): ٣٤٠  
 جذام (قبيلة): ٢٠٩  
 جذيمة بن الأبرش: ١٥٨، ١٥٧  
 ابن جرموز: ٨٠  
 جرمم (قبيلة): ٧٧  
 الجريد = بلاد الجريد  
 جرير الشاعر: ١٥٨  
 ابن الجزيرة = عبد الرحمن الجزولي  
 الجزائر = جزائر بني مزغنة = بني  
 مزغنان  
 جزائر البليار = الجزائر الشرقية  
 الجزائر الشرقية: ١٠٥، ٧٢  
 جزائر بني مزغنة = بني مزغنان: ١٨٩  
 ، ٢٠٥، ٣٥٣  
 الجزر البريطانية: ٣١٩  
 جزولة: ٣١٥، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٦١  
 الجزيرة: ١٥٧  
 الجزيرة الخضراء: ١٠٠، ٩، ٨٠، ٧  
 ، ٢٨، ٤٣، ٥٠، ٥٢، ٦٢، ٦٣  
 ، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ١٣١، ٢١٢  
 ، ٢٩٧، ٣٢٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧١  
 جزيرة الشقر: ٢٧٠  
 جزيرة طريف: ٣٦٧، ٣٥٤، ٣٥٣  
 جزيرة العرب: ١٥٧، ٥  
 جساس بن مرة: ٧٨



- الحر بن عبد الرحمن الثقفي : ١٢  
 الحارث بن عامر بن نوفل : ٨٠  
 أبو الحزم بن جهور = جهور بن محمد  
 ابن جهور  
 ابن حزم : ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،  
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٩٦ ،  
 ٢٦٤  
 حسام بن ضرار الكلابي (أبو الخطار) : ١٢  
 حسبة السوق : ٢٩  
 حسان بن مالك بن أبي عبدة (أبو عبدة) : ٣٥  
 حسان بن النعمان : ٣٥٠  
 أبو الحسن الأشعري : ١٨٨  
 الحسن بن ادريس السامي : ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧  
 الحسن بن ثعلب : ٢٩٩  
 الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب :  
 ١٧٨  
 الحسن بن رشيق (أبو علي ، صاحب العمدة)  
 ٧٠ ، ٩  
 الحسن بن عبد المؤمن : ١٩٨  
 الحسن بن علي : ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٨١ ، ٨٤  
 بنو الحسن بن علي : ٥٢ ، ٥٦ ، ٦١ ،  
 ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٤  
 الحسن بن علي بن باديس : ٢٠٥ ، ٢٢٧ ،  
 ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٣٥٢  
 الحسن بن علي الكلابي : ٢٥٢  
 الحسن بن عيسى بن عبد المؤمن : ٢٧١  
 أبو الحسن بن عياش = علي بن عياش  
 الحسن بن القاسم بن حمود : ٥١ ،  
 ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٩٤  
 جيان (مدينة) : ٨ ، ١٧١ ، ٢١١ ،  
 ٢٩٢ ، ٣٢١ ، ٣٣٥ ، ٤٢٣ ، ٧١  
 (ح)  
 أبو حامد الغزالي : ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩  
 حاحة (قبيلة) : ٣٤١ ، ٢٦٥  
 الحارث بن وائل = المهلهل بن ربيعة  
 الحارث بن همام الشيباني : ٣٠٠ ، ٣٠١  
 حام بن نوح : ٣٤٩  
 الحامة = حامة دقيوس  
 حامة دقيوس : ٢٢٠ ، ٢٧٣  
 الحافظ العميدى : ٢٠٥  
 حبابة (قبيلة) : ٨٢  
 الحبشة : ٣٥٤  
 ابن حبوس (أبو عبد الله) = محمد ...  
 حبيب بن أوس = أبو تمام  
 حبيب بن أبي عبدة الفهري : ١١ ، ١٢  
 ابن حبيب : ٢٧٨  
 حجاج بن إبراهيم التجيبي : ٢٤٦  
 ابن حجاج البغدادي (أبو عبد الله) : ٢٩٥  
 أبو الحجاج المغربي : ٦٢  
 الحجاج بن عبد الله الصريمي : ٨١  
 الحجاج بن يوسف الثقفي : ٨٢  
 أبو الحجاج = يوسف بن عيسى الأعم  
 أبو الحجاج = يوسف المراني  
 حجر الكندي : ٧٨  
 الحجاز : ٧٧ ، ٩٨  
 حدير بن واسنوا : ١٤١  
 حذيفة بن بدر : ٧٩ ، ١٣١  
 أبو حذيفة الجذامي : ٧١

بنو حماد السنهالجيون : ٢٠٥ ، ٢٠٤

٣٣٠ ، ٢٧٢ ، ٢٥٤ ، ٢٢٤ ، ٢٦

٣٥٣ ، ٣٠٢

حماد بن بلكين السنهالجي : ٢٠٤

٢٠٦ ، ٢٠٥

الحكم بن سليمان بن الناصر : ٤٤

أم الحكم بنت سليمان المستعين : ٥٥

الحكم المستنصر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦

٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١١١ ، ١٢١

٢٣٨ ، ٢٦٧ ، ٣٧٢

الحكم بن هشام الرضي : ١٩ ، ٢١

٢٢ ، ٧١

حكيمه (أم أبي يعقوب) = قر

حلل (أم هشام بن عبدالرحمن الداخل) : ١٩

حمارة (قرية) : ٢٧٤

حمالة الخطب : ٢٧٥

أبو حمارة القائد : ١٤١

حمد الذهبي القرطي : ١٨٥

حمزة بن أبي طالب : ٨٠

حمص : ١١٣ ، ٣٠٩ ، ٢٧٢

حمل بن بدر الديباني : ٧٨ ، ٧٩

حمو بن علي بن غانية = محمد بن علي

ابن غانية

الحمدي = محمد بن أبي نصر

حمير : ١٥١ ، ٣٤٦

الحميريون : ٣٩

حنش بن عبد الله الصنعاني : ١٤

الحنفاء (فرس حنيفة بن بدر) : ١٣١

أبو حنيفة : ٢٤ ، ٢٥

الحسن بن قنون : ٥٢

أبو الحسن الملقب : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

الحسن بن محمد بن الحسن : ٨٤

أبو الحسن المصحفي : ٢٦ ، ٣٠

أبو الحسن بن مغن الكاتب : ٢٦٤

حسن المليح الأشيبلي : ٢٩٠

الحسن بن يحيى بن علي بن حمود : ٥٤

٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٥٤

الحسن بن أبي يوسف المنصور : ٢٦٢

الحسين بن عبدالله بن ابراهيم بن جامع :

٣١١

الحسين بن عبد المؤمن : ١٩٨

الحسين بن علي : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤

٣١٢

الحسين بن علي بن الحسن : ٨٤

أبو الحسين الهوزني الأشيبلي : ٢٤٤

الحسين بن أبي يوسف المنصور : ٢٦٢

ابن حزمون = علي بن حزمون

الحصري الضرير الشاعر : ١٤٤ ، ١٤٥

١٦١

حصن الفرع : ٢٩٢

حصن قلية : ٣٧٠

حصن الرقة : ١٣٢ ، ٢٧٠

حصن مارتلة : ١٤٣ ، ٢١١

الخطيئة : ٢٩٦

أبو حفص عمر بن أبي يعقوب = عمر

الرشيد

ابن حفصون النائر : ٦٢

- حوراء (أم المستكفي بالله) ٥٥  
 حوراء (أم هشام بن عبد الرحمن) : ١٩  
 ابن حيان = أبو مروان بن حيان  
 الحيرة : ٧٩ ، ٩٤ ، ١٤٩٠  
 حتى بن يقظان : ٢٤٠  
 (خ)  
 خارجة : ٨١  
 ابن خاقان : ٨٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨  
 أبو خالد = يزيد الرازي  
 خبيب بن عدى الأنصاري : ٨٠  
 خراسان : ٢٨٦  
 ابن خرداذبه : ٣٤٦  
 خرزاد صاحب الراية : ٨٠  
 خرستوف كولمبس : ٦  
 ابن خروف = علي بن خروف  
 خزر : ٧٩  
 ابن أبي الحصال = محمد بن أبي الحصال  
 ابن أبي الحصال = أبو مروان  
 ابن خلدون : ١٦٠٨ ، ٣٥٠  
 خلف الحصري : ٩٦  
 ابن خلسكان : ٣٧ ، ١٠٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨  
 ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٧  
 ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٢  
 الخليج الرومي : ٥  
 خليج الزقاق : ٦ ، ٩ ، ٤٣  
 خليج طنجة : ٣٥٤  
 الخليل بن أحمد : ٣٠
- الحنوت بنت مخزومة بن أنيف : ٣٣  
 الخوارج : ٨١  
 خيرات العامري (الصقلي) : ٧٤ ،  
 ١٢١ ، ١٣٦  
 (د)  
 داحس : ٧٨  
 دار البقر : ٤٢  
 دارا : ٧٧ ، ٩٣  
 الدار قطني : ٢٧٩  
 دانية : ٨ ، ٤٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٤٩  
 ، ٢١٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٣٦٣ ،  
 ٣٧٠ ، ٣٧١  
 أبو داود (صاحب السنن) : ٢٧٩  
 داود الظاهري (أبو سليمان علي ابن  
 خلف الاصبهاني) : ٤٦  
 داود بن أبي هند بن أبي عثمان : ١٥  
 أبو دبوس الواثق : ٣٣٦  
 الدجال : ١٨٨ ، ١٩٠  
 ابن دحية (صاحب كتاب المطرب) :  
 ٨٨ ، ١٥٥  
 دحية بن عبد الله الكلابي : ٨٢  
 در توزه = طرطوشة  
 ابن دراج القسطلي : ٣٩  
 درن (جبال) : ١٩١ ، ٢٥١ ، ٢٤٠ ،  
 ابن دريد = أبو بكر بن دريد  
 دكالة : ٢٤١  
 دلابة : ٣٦٣  
 دمشق : ١٣ ، ١٥ ، ٨٣ ، ٢٨٤  
 (\*)

ابن رشد (أبو الوليد) : ٢٤٣، ٢٤٤

٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥، ٣٠٤

رشيد (نثر) : ٢٤٧

الرشيد (هارون) : ٤٥، ٨٤، ١١٩

الرشيد بن المأمون الموحدى (أبو محمد

عبد الواحد) : ٣٣٥

ابن رشيق (عبد الله) : ١٢١، ١٢٢،

١٣٢

الرصافة (بقرطبة) : ١٨

رصافة بلنسية : ٢١٧

الرصافى الرفاء الشاعر : ٢١٧، ٢١٨،

٢٢١، ٢٢٣

ابن الرقيق : ٤٠

رقية بنت أبي يعقوب : ٣٣٠

الرمادى الشاعر = يوسف بن هارون

رميك (مولى اعتماد العبادية) : ١٥٥

رميمة (قرية) : ٢١٠

ابن الرميمى : ٢١٠، ٢١١

ابن الرند = على بن الرند

رندة (حصن) : ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ٢١٢

الروحى صاحب الاختيارات : ٧٥

روطة (قلعة) : ١٣٧، ٣١٠

الروم : ٦، ٩، ٢٧، ٣٧، ٣٨، ٧٨،

٨٥، ١٠١، ١١٩، ١٣٠، ١٣٣،

١٦٢، ١٦٣، ١٧٠، ١٨٨، ١٩٠،

٢١٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٤

٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧،

٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٨٢

الدولة العبادية : ٢١١

الدولة المتونية : ١٩٩، ٢٥٧،

الدولة الروانية : ١٧

دوزى : ٢٢، ٦٨، ٧٢، ٣٣٠،

ابن الدوقة = لوجار بن لوجار

دون شانجو : ٢٥٧

(ذ)

أبو الذبان = عبد الملك بن مروان

ذيان : ٧٨، ٧٩، ١٣١

ذو حاجب = خرزاد صاحب الراية

ذو الرمة : ٨٨

(ر)

راح (أم عبد الرحمن الداخل) : ١٦

الراضى بالله ابن المعتد = يزيد الراضى

الرافضة : ١٨٠

رامة : ١٥١

رباح (قلعة) : ٢٨٣، ٢٢١

رباط تازا : ٢٤٥، ٢٥٥، ٣٥٧، ٣٦٤،

رباط الفتح : ٦، ٢٦٦، ٣٥٩،

رباط وهران : ٢٠٢، ٢٠٣،

أم الربيع (نهر) : ٣٤٠

ربيعة (قبيلة) : ٧٨

رجراجة (قبيلة) : ٣٤١

يوم الرجيع : ٨٠

ابن رذمير : ١٧٦

رزق الله البرغواطى : ٦٧

رستم الأرمى : ٨٠

زخرف (أم الحكم بن هشام) : ١٩	٢٩٥، ٢٩٢، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٨٣
زغبة (قبيلة) : ٢٢٦، ٢٠٥	٣٢٠، ٣١٩، ٣١٨، ٣١٧، ٣١٤
زفر بن الحارث الكلابي : ٨٢	٣٥٠، ٣٤٧، ٣٤١، ٣٢٣، ٣٢١
الزقاق (بجر - خليج - مضيق) : ٦	٣٥١، ٣٥٢، ٣٦٢، ٣٦٦
٣٥٣، ٢١٩، ٤٣	٣٧٥، ٣٦٩
زكريا بن يحيى الهزرجي : ٢٢٤	الرومان : ٦، ٣٥١
زكريا بن أبي يوسف المنصور : ٢١٢	رومة : ١٥١
الزلاقة (موقعة) : ٣٢، ١٣٥، ٢٨٣	رومية : ٦، ٧، ١٥١، ٣١٩، ٣٥١
زنانة (قبيلة) : ١٧، ٢٤٥	٣١٦
الزنج : ٨٥	ابن الرومي : ٢١٨
زهر (أم محمد بن أبي يوسف المنصور) : ٣٠٧	رياح (قبيلة) : ٢٢٦، ٢٠٥
ابن زهر (أبو بكر محمد) : ٨٨، ٩١	ريحان الخصى : ٢٦٣، ٣١١
١٥٥، ٩٢،	ابن الريق = بدرو
ابن زهر (أبو العلاء زهر بن عبد الملك)	ريوند بيرانجه : ٧١، ٢٠٨
١٥٦، ١٥٥	رية (مقاطعة) : ٢٩
ابن زهر (أبو مروان عبد الملك بن	(ز)
زهر) : ٨٨، ٨٩	الزاب : ٣٥٥
الزهراء (قصر) : ٣٢، ٤٠، ١٠٥	زادويه الفارسي : ٨١
الزهرة (هيكل) : ٦	الزياء : ١٥٧، ١٥٨
زهير بن أبي سلمي : ١٠٦	الزيدي = محمد بن الحسن
زهير العامري الصقلي : ١٢١، ١٣٦، ٧٤	ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زويلة (مدينة) : ٣٤٩، ٣٥٠	الزبير بن علي بن يوسف بن ناشفين :
الزويلى = ابراهيم الزويلى الكاتب	١٩٢
زياية (أم مسلمة بن ذهل) : ٣٠٠،	الزبير بن العوام : ٨٠
٣٠١	الزبير بن محمد بن سعد : ٢٥٠
ابن زياية التيمي : ٣٠٠	الزبير بن محمد بن علي بن غانية : ٢٦٨
زياد ابن سمية : ١١٧	الزبير بن نجاح : ٣١٧
زياد بن النابغة التيمي : ١٢	زجندر (مدينة) : ٣٦١، ٣٦٢

سجلماسة : ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،  
٣٥٧ ، ٣٣١  
سحنون : ٢٧٨  
السراب (ناقة) : ٧٨  
سر بطره = شلبتره  
سرطة (قبيلة) : ٣٤٠ ، ٣٤١  
سرقسطة : ٥٨ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١١١ ،  
١٢٣ ، ١٣٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٣٣٥ ،  
٣٦٨  
السطيفي : ٦٤ ، ٦٥  
سعد بن أبي وقاص : ١٥ ، ٧٩ ، ٨٠  
سعد بن أبي يوسف النصور : ٢٦٢  
السعيد أبو الحسن علي بن المؤمن =  
المعتضد بن المؤمن  
ابن سعيد بن الدب = أحمد بن سعيد  
سعيد بن النذر : ٥٦  
السفاح : ١٨ ، ٨٣ ، ٨٤  
سفاقس : ٣٤٩  
سكات البرغواطى : ٦٧  
ابن سكرة : ٢٩٩  
سلا (مدينة) : ٢٠٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ،  
٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣٥٤ ،  
٣٦٤ ، ٣٦٢ ، ٣٥٩  
سلامة القس : ٨٣  
بنو سليم : ١٨١ ، ٢٠٥  
سليمان بن أبي حفص = سليمان بن عمر  
ابن عبد المؤمن

ابن زياد = عبيد الله بن زياد  
ابن زيادة الله الطبقى : ٣٥٦  
بنو زيان : ٣٣٦  
ابن أبي زيد (صاحب النوادر) : ٢٧٨  
زيد بن عدى : ٧٩ ، ٨٣  
زيد بن علي بن الحسين : ٨٣  
أبو زيد الهتاني : ٢٦٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ،  
٣١٤  
أبو زيد الهلالي سلامة : ٢٢٥  
ابن زيدون : ٥٧٠ ، ١٠٥ ، ١٦١  
بنو زيري بن مناد : ٢٢٤ ، ٣٣٥  
زينب بنت موسى الضرير : ٣٢٧  
زينب بنت أبي يعقوب : ٣٣٠  
(س)  
ساحر (أم أبي يوسف النصور) : ٢٦١  
سارة : ٣٠٩  
بنو ساسان : ٧٧  
سالم (مدينة) : ٣٩ ، ٥٦ ، ٣٢١  
سبأ : ٧٨  
سبئية : ٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٦١ ،  
٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ١٣١ ، ٢٠٢ ،  
٢١٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٣١١ ، ٣٥٣ ،  
٣٥٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧  
سبطاط : ٣٦٩  
سميع بن حيان الثائر : ٢٥١  
سبو (نهر) : ٣٦٤  
بنو سبوت : ١٤١

- سیر بن أبی بکر بن تاشفین : ١٤١ ،  
١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٤٣  
سیف (مملوك ابن وهبون) : ١٠٣  
سیوسیرات (موضع) : ٣٥٢ ، ٢٠٥  
(ش)  
الشاشی = أبوبکر ...  
شاطبة : ٣٧٠ ، ٣٦٣  
الشام : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٩ ، ٨٢ ،  
١١٣ ، ١٧٨ ، ٢٠٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ،  
٢٨٩ ، ٣٤٧  
شانجو الأول : ٢٢٠  
شدونة (مدينة) : ٢٣٨ ، ٣٢٤  
الشدونی = عبد الملك الشدونی  
شربطره = شلبتره  
شرف الدولة ابن العتمد : ١٥٦  
الشركس : ٢٨٨  
شربش (مدينة) : ٥١ ، ٢٢٦ ، ٣١٠ ،  
٣١٢ ، ٣٧٤  
الشريف الغرناطي : ٢٨٤  
الشريف الروانی = طليق النعامه  
شعبان الغزی : ٢٨٩ ، ٢٩٠  
شفشاوة (نهر) : ٣٦٥  
الشقندی : ٧٥  
شقبویه (مدينة) : ٣٦٨  
شقورة (حصن) : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ،  
٢١١ ، ٢٧٣ ، ٣٧٥  
شلب (مدينة) : ٨ ، ١١٤ ، ١١٧ ،  
١١٨ ، ٢١٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ،  
٢٩٢ ، ٣٧٤
- سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن  
الناصر : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،  
سليمان بن داود (عليهما السلام) : ١٢  
سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن  
(أبو الربيع) : ٢٧٠ ، ٢١٧ ، ٣٠٠ ،  
سليمان بن عبد الرحمن بن محمد : ٥٤  
سليمان بن عبد الملك : ١٢  
سليمان بن عبد المؤمن : ١٩٨ ، ٢٧٦ ،  
٢٧٧  
سليمان بن عمر بن عبد المؤمن : ٣٢٨  
سليمان بن محمد بن هود (أبو أيوب المستعين)  
٧٠ ، ٧١  
السمح بن مالك الخولاني : ١٢  
سمورة (مدينة) : ٣٦٩  
ابن سناء الملك : ٢٩٩  
سهل بن أبي غالب الخزرجي (أبو السري)  
٢٣  
السودان : ٦٣ ، ٦٦ ، ٣٥٠ ، ٣٦٣ ،  
سوسة (مدينة) : ٣٥٠  
سوس (بلاد - نهر - جبل) : ٩٣ ،  
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ،  
١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣٠ ، ٢٥١ ، ٣١٥ ،  
٣١٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٦١ ،  
٣٦٥ ، ٣٦٢  
سليويه : ٣٠٢  
ابن سيد اللص : ٢١٧  
سیر بن اسحاق بن محمد بن غانبة : ٢٧٠ ،  
٢٧٣ ، ٣١٨

صقلية: ٢٠٥، ٢٠٤، ٣٧، ٢١،

٢٥٢، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨

٣٥٦، ٢٢٨

صلاح الدين الأيوبي: ٢٥٢، ٢٨٨،

٢٢٧، ٢٨٩

الصليبيون: ٢٥٢، ٢٨٨، ٢٨٩،

صنهاجة (قبيلة): ٦١، ٦٦، ٩٥،

٩٨، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٧٦، ٢٧٧،

٣٢٧، ٣٢٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٩،

٣٦٤

الصنهاجيون: ٢٠٥

الصين: ٧٩، ٢٨٨

(ض)

الضحاك بن قيس الفهري (أبو أنس): ٨٢

(ط)

طارق بن زياد: ٩، ١٠، ١١، ١٢،

٢١٦

طارق بن عمر = طارق بن زياد

طالفة: ٢٦٦

طلوت بن عبد الجبار المافري: ١٩،

٢٢، ٢١

بنو طاهر: ١٣٧

الطبري = محمد بن جرير

طبرية: ١٢

الطبي = ابن زيادة الله

طبيره: ٣٧٤

طرابلس: ١٦، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٣٠،

٢٥٢، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩،

٣٦٢

شلمبة: ٣١٩

شابر: ٦٩

شلمنكة: ٣٦٩

شلون (موضع): ٣١٣

الشماع بن ضرار: ٣٦

شمير ابن الجوشن: ٨٠

شميت (قرية، انظر « فرة »): ٥٦

شنبوس: ١١٤

شفت ياقو: ٣٦٩

شنترة: ٣١٣، ٣٦٩

شترين: ٤٠٧٥، ١٦٥٤، ٤٥٦،

٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٥، ٣٦٩، ٣٧٥،

شتمرية: ٣٧٤

شهر يار أبرويز: ٧٩

ابن شهيد = أحمد بن عبد الملك

ابن أبي شيبعة: ٢٧٩

شرويه: ٧٩

الشيعة: ١٥، ١٨٠

(ص)

الصابئة: ٣٦٦

صاعد بن الحسن الربيعي اللغوي البغدادي

(أبو الملاء): ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣،

٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧

صالح بن أبي يوسف المنصور: ٢٦٢

صبح (أم هشام المؤيد): ٢٧، ٢٩، ٣٠،

صفين (موقعة): ٨٠

صغد: ٧٩

صقالبة: ٥٠، ٦٣، ٦٤، ٢٨٨



السطور: ٢١٦، ٢١٨	طرش (حصن): ٢٨
الطوسى = أبو عبد الرحمن ...	طرش (قرية): ٢٨، ٢٨٠
طي: ١٦٩	طرطوشه: ٤٢، ٥٨، ٧١، ٢٠٨
أبو الطيب اللثبي: ٣٩، ١٠٣، ١١٠	٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٥
٣٠٢، ٣٠١، ٢٩٠، ١١١	الطرطوشى (أبو بكر): ١٧٨، ١٧٩
(ظ)	طرف أشبر تال: ٣٦٧
الظافر بن العتمد (أبو عمر): ١٢٩	طرف الفتح: ٣٦٨
١٤٤، ١٤٢، ١٣٠	طر كونة: ٣٦٨
ظبية (أم المستعين): ٤٤	طريف (جزيرة): ١٣٩
(ع)	طسم: ٧٧
ابن عائشة: ١٣٠	طشانه: ٩٤
عائشة بنت أبي بكر: ٨٠	ابن طفيل: ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤٠، ٢٣٩
عائشة بنت أبي يعقوب: ٤٤، ٣٣٠	طلبة الحضر: ٢٠١، ٣٤٤
عاتب (أم المعتد بالله): ٥٨	طلبة الموحدين: ٢٠١، ٢٨٠، ٣٤٢
عاد: ١٨	طلبيرة: ٣٦٨
العادل بن المنصور: ٢٦٢، ٣٣٣، ٣٢٤	طلحة بن عبيد الله التميمي (الفياض): ٨٠
العاضد: ٣٢٧	طلحة بن عيسى التازي: ٢٤٦
عاصم بن فتوح الفائق: ٤٤	طلحة بن محمد بن علي بن غانية: ٢٦٨
العاصرية (قصر): ٣٢	طلحة بن أبي يعقوب: ٢٤٥
بنو عباد: ١٣٠، ١٢٩، ١٨٥، ١٣٧	طمبيشة: ٣٦٢، ٣٤٨
١٣٨، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤	طلبيطة: ٧، ١٢، ٤٢، ٦٠، ٧٣
٣٧٤	١٣، ٩٨، ١٠٣، ١٢٩، ١٣٠
عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد	١٣٣، ٢٨٣، ٢٠٩، ٣١٠، ٣١٩
اللخمى = المعتض بالله العبادي	٣٢١، ٣٢٦، ٣٦٨، ٣٧٥
عباد بن العتمد = المأمون	طليق النعام: ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧
بنو العباس: ١٦، ١٨، ٦٥، ٨٤	طنجة (طنجيس): ٥، ٦، ٩، ٤٣
	٥١، ٦١، ٦٤، ٦٧، ١٣٩، ١٤٤
	١٤٥، ١٠٦، ٢٠٢، ٣٥٤، ٣٦٧

٢٤٥، ٢٠٠

عبد الله بن عبد المؤمن : ١٩٨ ،

٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٠٧

أبو عبد الله بن العريف = محمد بن يحيى

عبد الله بن علي السفاح = السفاح

عبد الله بن علي الهوزني (أبو محمد) : ٩٥

عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٤

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٤

أبو عبد الله بن عياش = محمد بن

عبد الرحمن

عبد الله بن فرج اليحصبي : ٧٣

عبد الله بن محمد (أبو يحيى) = ابن الرميحي

عبد الله بن محمد بن جعفر القرغاني

(أبو محمد) : ٤٧ ، ٣٤٦

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن

الحكم الرضي : ٢٢

عبد الله بن محمد بن علي بن غانية : ٢٦٨

عبد الله بن موسى بن نصير : ١١

أبو عبد الله بن ميمون : ٢١٠

عبد الله بن همشك = ابن همشك

أبو عبد الله الوشريسي = عبد الواحد

الشرقي

عبد الله بن أبي يوسف المنصور = العادل

أبو عبد الله بن أبي يوسف = الناصر

محمد بن أبي يوسف

عبد الله بن يزيد (مولى قيس) : ١٢

عبد الله بن أبي يعقوب : ٢٤٥

أبو عبد الله بن أبي يعقوب : ٢٣٧

١٦٣ ، ١٠١ ، ٩٧ ، ٩٣ ، ٨٥

٢٧٤ ، ٢٧١ ، ٢٦٨ ، ٢٠٣ ، ١٨٠

٣٥٥ ، ٣٤٨ ، ٣٣٥

العباس بن الأحنف : ٤٥

العباس بن المتوكل بن المظفر : ٧٥ ،

٨٦

العباسية : ٩٣ ، ١٨٩

أبو عبد الله أمير المؤمنين = الناصر محمد

ابن أبي يوسف النصور

عبد الله بن إبراهيم بن جامع : ٣١١

عبد الله بن إدريس : ٦٢

عبد الله بن اسحاق بن إبراهيم بن

الحسين : ٨٤

عبد الله بن اسحاق بن غانية : ٢٧٢ ، ٣١٥

عبد الله بن اسحاق بن محمد : ٢٧٠ ،

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٣١٥

عبد الله بن بلسكين الصنهاجي : ١٢٢

عبد الله بن جبل (أبو محمد) : ٢٠٠

عبد الله الحبجاب : ٣٥٠

عبد الله بن خراسان : ٢٢٨

عبد الله بن رشيق = ابن رشيق

أبو عبد الله الرصافي = الرصافي الرفاء

عبد الله بن الزبير : ٨٢

عبد الله بن سليمان : ١٩٤ ، ٣٣٨

أبو عبد الله الشافعي = محمد بن إدريس

عبد الله بن طاهر : ٢٠

أبو عبد الله العاصمي النحوي : ٣٥

عبد الله بن عبد الرحمن المالقي (أبو محمد)

٣١٤، ٣١٣، ٢٦٥  
عبدالرحمن بن عوف : ٢٨٥  
عبدالرحمن بن عياض : ٢١١، ٢٠٩  
عبدالرحمن القاسم (أبو القاسم) : ١٩٨،  
٢٤٤، ٢٠٠  
عبدالرحمن بن محمد بن السليم : ٥٦  
عبدالرحمن بن محمد بن أبي جعفر الوزير  
(أبو القاسم) : ٢٠١  
عبدالرحمن بن محمد المرتضى : ٤٩،  
٥٧، ٥٣، ٥٠  
عبدالرحمن بن مقان القنداق الأشبوني :  
٦٨، ٦٥  
عبدالرحمن بن ملجم التحيبي : ٨١  
عبدالرحمن بن موسى بن يوجان =  
أبوزيد الهنتاني  
عبدالرحمن الناصر : ١٧، ٢٣، ٢٥،  
١٢١، ٢٧٢  
عبدالرحمن بن هشام المستظهر بالله :  
٥٤، ٤٦  
عبدالرحمن بن أبي يعقوب : ٢٨١، ٢٤٥  
عبدالسلام الكومي : ١٩٨  
بنو عبد شمس : ٥٥  
بنو عبدالعزيز : ١٢٢، ١٢٦  
عبدالعزيز بن أبي عامر (الوثمن) : ٧٢،  
١٣٦  
عبدالعزيز بن عبد الرحمن : ١٢٢  
عبدالعزيز بن عمر بن أبي زيد الهنتاني :  
٣٢٦

عبدالجبار بن المعتمد : ١٤٣  
عبدالجليل بن وهبون (أبو محمد)  
١٠٣، ١٠٣، ١٦١  
عبدالحق بن إبراهيم : ١٨٧  
عبدالحق بن عبد الرحمن الأزدي  
الأشبيلي (أبو محمد) : ٢٠١، ٢٠٢  
عبدالحق بن أبي حفص عمر ومزال :  
٣٣٧  
عبدالحق بن أبي يعقوب : ٢٤٥  
ابن عبد الحكم : ٢٦  
عبدالرحمن الجزولي (أبو قصبة) :  
٣١٥، ٣١٦، ٣١٧  
عبدالرحمن بن الحكم بن هشام  
الربضي : ٢٢، ٦١، ١٢١  
عبدالرحمن الداخل : ١٦، ١٧، ١٨  
أبو عبدالرحمن الطوسي : ٢٤٤  
عبدالرحمن بن العاصد العبيدي : ٣٢٧،  
٣٢٨  
عبدالرحمن بن أبي عامر = الناصر بن  
أبي عامر  
عبدالرحمن بن عبدالله العكي : ١٣  
عبدالرحمن بن عبدالله العافقي : ١٤  
عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن أبي يعقوب :  
٣٣٢  
عبدالرحمن بن عبد المؤمن : ١٩٨  
عبدالرحمن بن عطف اليفرنى : ٥٢،  
٥٣، ٥٧، ١٦٦  
عبدالرحمن بن عمر بن عبد المؤمن :

٣٦٠ ، ٣٣٣ ، ٢٨٠  
 عبد المؤمن بن علي : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،  
 ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،  
 ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،  
 ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،  
 ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،  
 ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،  
 ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،  
 ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،  
 ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،  
 ، ٢٦٥ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ،  
 ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ،  
 ٣٥٩ ، ٣٥٣  
 عبد الواحد بن أبي حفص عمرو مزال :  
 ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٣٧  
 عبد الواحد الشريقي : ١٨١ ، ١٩٣ ،  
 ٢٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧  
 عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن :  
 ٢٤٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،  
 ابن عبدون = عبد الحميد  
 عبس : ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣١  
 العبشميون : ٥٥  
 بنوعيين : ١٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،  
 ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧١ ، ٣٢٧ ،  
 ٣٤٨ ، ٣٥٥  
 عبيد بن الأبرص : ١٦٩  
 عبيد الله بن زياد : ٨١ ، ٨٢  
 أبو عبيد البكري : ١٩١ ، ٣٤٦

عبد العزيز بن عيسى (أخو ابن اللبانة) :  
 ١٤٩  
 عبد العزيز بن موسى بن نصير : ١١ ، ١٢ ،  
 عبد العزيز بن أبي يعقوب (أبو محمد) :  
 ، ٢٤٥ ، ٢٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،  
 ٢٣٤  
 عبد العزيز بن أبي يوسف المنصور : ٢٦٢  
 ابن عبد العافر الفارسي : ١٤  
 عبد الحميد بن عبدون (أبو محمد) : ٧٥ ،  
 ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٦٤ ،  
 ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٣  
 عبد الملك بن إدريس الجزيري  
 (أبومروان) : ٣٠  
 عبد الملك بن جهور : ١٢٩  
 عبد الملك بن أبي العلاء زهر (أبومروان) :  
 ٨٨ ، ٨٩  
 عبد الملك الشذوني (أبو محمد) : ٢٣٨  
 عبد الملك بن عبد العزيز (أبومروان) : ٧٢  
 عبد الملك بن قطن الفهري : ١٣  
 عبد الملك بن مروان : ٨٢ ، ٨٣ ، ١٥٨ ،  
 ٣٥٠  
 عبد الملك بن المنصور أبي عامر (المظفر  
 أبومروان) : ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ،  
 ٤٦ ، ٣٥٨  
 عبد الملك بن يوسف بن سليمان  
 (أبومروان) : ٣٢٦  
 عبد النعم بن عشير (أبو محمد) : ١٨٢  
 بنوعبد المؤمن : ١٨٥ ، ٢٤٣ ، ٢٧٦ ،

- عبيد الله بن محمد بن هشام بن عبد الجبار :  
٥٣ ، ٥٢ ، ٤١  
العبيديون = بنو عبيد  
أبو المتاهية : ١٦٩  
عثمان بن صلاح الدين (العزيز) : ٢٨٤  
عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع  
(أبو سعيد) : ٣٢٤ ، ٣١١ ، ٣١٠  
عثمان بن عبد المؤمن (أبو سعيد) : ١٩٨ ،  
٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٢٤  
عثمان بن عفات : ٢٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ،  
٣٥١ ، ٢٥٣  
عثمات بن أبي حفص عمر ومزال  
(أبو سعيد) : ٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٣١٤  
عثمان بن أبي يعقوب : ٢٤٥  
عثمان بن أبي يوسف المنصور : ٢٦٢  
العجم : ٩ ، ٨٥ ، ٢٨٨ ، ٣١٩  
المدوة : ٦٧ ، ٢١١ ، ٢١٣  
بنو عدي : ٢٥٥  
عدي بن زيد الشاعر : ٧٩  
العدواني : (ذو الأصبع) : ٨٤  
ابن عذارى : ٧٢  
العراق : ٧٩ ، ١٥٧  
العرب : ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،  
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،  
٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٣٠ ،  
٣٤١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨  
الرجبي الشاعر : ٢٥  
ابن العريف = محمد بن يحيى (أبو عبد الله)
- العريش : ٩٤ ، ٣٤٧  
العزيز عثمان = عثمان  
عزيز بن محمد بن سعد : ٢٥٠  
العزيز بن المنصور بن المنتصر الصنهاجي  
(أبو يحيى) : ٨٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥  
عسكر بن محمد بن سعد : ٢٥٠  
ابن عشير = عبد المنعم  
عصام بن أبي جعفر الحميري : ٣٠١ ، ٣٠٣  
ابن عطف = عبد الرحمن بن عطف  
اليفرني  
ابن عطية = أبو جعفر الوزير  
عفراء : ٣٣  
عفيرة : ٧٧  
العقاب (موقعة) : ٣١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٣  
عقبة بن الحارث بن عامر : ٨٠  
عقبة بن الحجاج : ١٣  
عقبة بن نافع الفهري : ٦ ، ٩ ، ١١  
٣٥٠  
أبو العلاء إدريس الوائلي = أبو دبوس  
أبو العلاء المعري : ١٦٩  
ابن عكاشة : ٦٠ ، ١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤  
علي بن أحمد بن حزم (أبو محمد) =  
ابن حزم  
علي بن إدريس : ٦٢  
علي بن إسحاق بن غانية : ٢٧٠ ، ٢٧١ ،  
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤  
علي بن بسام (أبو الحسن) = ابن بسام  
علي بن حزمون : ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦

عليه بنت أبي يعقوب : ٣٣٠  
 عماد الدين القاضي المصري : ٢٨٩  
 ابن عمار الشاعر : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ،  
 ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،  
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،  
 ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ،  
 ١٦١ ، ٢١٥  
 عمر بن أبي إبراهيم اسحاق = المرتضى  
 (أبو حفص)  
 عمر أزناج (أبو حفص) : ١٩٤ ، ١٩٨ ،  
 ٢٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١  
 عمر إينتي (أبو حفص) : ١٩٤ ، ١٩٩ ،  
 ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦٢ ، ٣٣٧  
 عمر بن الخطاب : ١٥ ، ٨٠ ، ١٩٥ ،  
 ٣٤٧  
 عمر الرشيد (أبو حفص) : ٢٤٥ ،  
 ٢٦٧ ، ٢٧٧  
 أبو عمر الزاهد المطرز = غلام ثعلب  
 عمر بن أبي زيد الهنتاني (أبو حفص)  
 ٢٦٢  
 عمر بن عبد الله الصنهاجي = عمر أزناج  
 عمر بن عبد السلام الكومي : ١٩٨  
 عمر بن عبد العزيز : ١٢  
 عمر بن عبد المؤمن (أبو حفص) : ١٩٨ ،  
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤  
 عمر بن المنذر = المتوكل بن الأفطس  
 عمر المقدم : ٣١٥  
 عمر بن موسى بن عبد الواحد الثرق  
 (أبو علي) : ٣٢٦

علي بن حمود (الناصر) : ٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،  
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٤  
 علي بن خروف : ٣٠٣ ، ٣٠٤  
 علي بن الرند (الناصر لدين النبي) : ٢٥٢  
 علي بن صلاح الدين (الأفضل) : ٢٨٤  
 علي بن أبي طالب : ١٤ ، ١٥ ، ٨١ ،  
 ١٥١ ، ١٧٨  
 علي بن عبد الله بن غانية (أبو الحسن)  
 ٣١٨  
 علي بن عبد المؤمن : ١٩٨  
 علي بن علوي الكومي (والد عبد المؤمن) :  
 ١٩٦ ، ٢٠١  
 علي بن عمر بن عبد المؤمن (أبو الحسن) :  
 ٣١٤  
 علي بن عيسى التازي : ٢٤٦  
 علي بن عياش (أبو الحسن) : ٣١١ ، ٣٢٥  
 أبو علي القالي : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢١  
 علي بن مجاهد (الموفق) : ٧٤ ، ١٤٩  
 علي بن المعز بن باديس : ٢٧٤  
 علي بن موسى الضريير : ١٣٧  
 علي بن يحيى بن تميم بن باديس : ٢٠٥  
 علي بن يوسف بن تاشفين (أبو الحسن) :  
 ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ،  
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،  
 ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،  
 ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٣٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،  
 ٣٦٠  
 العليا (مدينة) : ٣٧٤

عمر بن ومزال = عمر إيتي  
 عمرو (جار أبي حنيفة): ٢٣، ٢٤  
 عمرو بن سعيد الأشدق = ٨٢، ٨٣  
 أبو عمرو الظافر = الظافر بن المتمد  
 عمرو بن العاص: ٨١، ٣٤٧  
 عمار بن ياسر: ٨٠  
 عمالوق (ملك طسم وجديس): ٧٧  
 عنابة (مدينة) = بونة  
 عنبر الخصى: ٢٦٣  
 عنبة بن سحيم الكلبي: ١٢  
 عنبرة بن شداد العبسي: ٧٩  
 عياش بن عبد الملك بن عياش (أبو محمد):  
 ٢٠٠، ٢٤٤  
 عيسى بن حجاج الحضرمي (أبو الأصبع):  
 ٩٤  
 عيسى بن عبد المؤمن (أبو موسى):  
 ١٩٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٢٦  
 عيسى بن عمر ومزال: ٣٣٧  
 عيسى بن عمران التازي (أبو موسى):  
 ٢٤٥، ٢٤٦  
 عيسى بن مريم: ١٨٨، ١٩٠، ٣٦٦  
 عيسى بن موسى (صاحب شرطة بغداد):  
 ٢٣، ٢٤  
 عيسى بن أبي يوسف المنصور: ٢٦٢  
 (غ)  
 ابن غالب الرصافي = الرصافي الرفاء  
 الشاعر  
 غانم بن محمد بن سعد: ٢٥٠

غانية (أم صاحب ميورقة): ٢٦٧  
 بنو غانية: ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٣،  
 ٢٧٥، ٢٨٣، ٣١٤  
 غانية (أم المستظهر): ٥٤  
 غرباء (فرس): ٧٨  
 غرسية بن شانجو: ٣٧  
 غرناطة (أغرناطة): ٧، ٨، ٥٠، ٦٩،  
 ٧٣، ١٢١، ١٢٢، ٢١١، ٢١٣،  
 ٢٢٤، ٢٤٨، ٣٣٥، ٣٣٦،  
 ٣٧٠، ٣٧١  
 الغرنوق (تلميذ أبي جعفر الحميري): ٣٠٣  
 الغز: ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٨٩،  
 ٢٩٠، ٢٩١، ٣١٥، ٣٤١  
 الغزالي = أبو حامد  
 غلام ثعلب: ٣٤  
 غمارة: ٦٧، ٢٥١، ٢٥٥  
 غمدان (قصر): ٣٢  
 الغمر بن عبد الرحمن بن عبد الله:  
 ١٢، ١٣  
 الغمر بن يزيد بن عبد الملك: ١٨  
 (ف)  
 فائق (مولى الحكم المستنصر): ٤٤  
 فارح الخصى (أبو السرور) = ٣٢٤  
 فارس: ٧٧، ٨٠، ١٨٨  
 فاس: ١٩، ١٤٦، ١٨٤، ١٩٩،  
 ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٣، ٢٤٥،  
 ٢٤٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١،  
 ٣١٢، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٥٦،  
 ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤

عمر بن ومزال = عمر إيتي  
 عمرو (جار أبي حنيفة): ٢٣، ٢٤  
 عمرو بن سعيد الأشدق = ٨٢، ٨٣  
 أبو عمرو الظافر = الظافر بن المتمد  
 عمرو بن العاص: ٨١، ٣٤٧  
 عمار بن ياسر: ٨٠  
 عمالوق (ملك طسم وجديس): ٧٧  
 عنابة (مدينة) = بونة  
 عنبر الخصى: ٢٦٣  
 عنبة بن سحيم الكلبي: ١٢  
 عنبرة بن شداد العبسي: ٧٩  
 عياش بن عبد الملك بن عياش (أبو محمد):  
 ٢٠٠، ٢٤٤  
 عيسى بن حجاج الحضرمي (أبو الأصبع):  
 ٩٤  
 عيسى بن عبد المؤمن (أبو موسى):  
 ١٩٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٢٦  
 عيسى بن عمر ومزال: ٣٣٧  
 عيسى بن عمران التازي (أبو موسى):  
 ٢٤٥، ٢٤٦  
 عيسى بن مريم: ١٨٨، ١٩٠، ٣٦٦  
 عيسى بن موسى (صاحب شرطة بغداد):  
 ٢٣، ٢٤  
 عيسى بن أبي يوسف المنصور: ٢٦٢  
 (غ)  
 ابن غالب الرصافي = الرصافي الرفاء  
 الشاعر  
 غانم بن محمد بن سعد: ٢٥٠

الفيوم : ٨٤  
(ق)  
القاسم بأمر الله العباسي : ٢٠٤  
قابس : ٣٥٤ ، ٣٤٩ ، ٢٣٠  
ابن قتيبة (أبو محمد) : ٧٥  
القادر بن ذى النون : ١٣٠  
القادسية : ٨٠  
ابن القاسم (من علماء المالكية) : ١٧١  
أبو القاسم بن بقی = أحمد بن محمد  
ابن بقی  
أبو القاسم بن الجعد = الأحدث  
القاسم بن حمود (المأمون) : ٥٠ ، ٤٣  
٩٤ ، ٧٣ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٥٢ ، ٥١  
أبو القاسم القالمی = عبدالرحمن القالمی  
أبو القاسم بن عباد اللخمي = محمد  
ابن عباد  
القاسم بن محمد بن القاسم : ٦٨  
قاسم بن محمد الرواني : ٤٥  
القاسم بن المعتصم بن حمود : ٦٩ ، ٦٣  
القاضي عماد الدين المصري =  
عماد الدين المصري  
القاضي الفاضل : ٢١٩  
قالم (مدينة) : ٢٠٠  
القاهرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٩ ، ٢٩٩ ،  
٣٥٠ ، ٣٢٧  
القائد بن حماد : ٢٠٥  
ابن القبطرنة (أبو بكر محمد) : ١٧٣  
قتيبة بن مسلم : ٢٨٦

فاطمة بنت القاسم (زوجه المعتلى) : ٦٣  
الفاطمي الثائر بسوس : ٣٢٩  
الفاطميون = بنو عبيد  
فتح (تلميذ أبي جعفر الحميري) : ٣٠٣ ، ٣٠٢  
الفتح بن خاقان = ابن خاقان  
فج = فج (موضع) : ٨٤  
فخص الحديد : ٢٨٢  
فخر الدولة ابن المعتمد : ١٦٠  
الفرات : ٨١  
أبوفراس : ١٣١  
باب الفرج : ١٤٠  
أبو الفرج الأصبهاني : ٢٦  
الفرس : ٢٩٥ ، ٩٣ ، ٨٠ ، ٧٩  
الفرغاني = عبد الله بن محمد بن جعفر  
الفرنج = الإفرنج  
الفرنجية النورمانديون : ٢٥٢  
فرنسا : ٣١٩ ، ٧٢ ، ٦ ، ٥  
فره (قرية، انظر « شمنت ») : ٥٦  
فريهة بنت يحيى بن زكريا التيمي (أم  
للنصور بن أبي عامر) : ٣٩  
فصكة = عمر إينقي  
فضالة بن عبيد : ١٤  
أبو الفضل بن حسداي : ١٢٨  
الفضل بن يحيى البرمكي : ٨٤  
الفضل بن المتوكل بن المظفر : ٨٦ ، ٧٥  
أبو الفضل بن محشوة : ٢٦٣ ، ٢٤٤  
فزارة (موضع) : ١٨٢  
ابن فياض : ٣٧٢ ، ٣٤٦  
الفيل = محمد بن أبي حفص



أبو قسبة = عبد الرحمن الجزولي	قراقوش الأيوبي : ٢٧٤ ، ٢٨٣ ،
القصر المبارك = المبارك	٢٨٩ ، ٣٤٨
قصر مصهودة : ٣٥٣ ، ٣٦٧	قرطاجنة : ٣٥٠ ، ٣٥١
قصور بن سعد اللخمي : ١٥٧	قرطاجنة : ٣٥٠
ابن القصيرة (أبو بكر) = أبو بكر	قرطبة : ١٩٠ ، ١٨٠ ، ١٧٠ ، ١٦٠ ، ١١٦ ، ٨٠ ، ٧٠
بنوقسى : ٧١	٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
قطلونيا : ١٥٠	٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ ،
قفصة : ٢٣٠ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،	٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٢٨٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥	٦٠ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ،
قلعة أيوب : ٧١ ، ٣٦٨	١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٩ ،
قلعة بجاية : ١٨٢	١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
قلعة بني حماد : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،	١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
٢٧٢ ، ٣٣٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧	١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ،
قلية (حصن) : ٣٧٠	٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ،
قلعة رباح : ٢٨٣	٢٧٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٣٥ ،
قلعة شترين : ١٦٦ ، ١٦٧	٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،
قلعة الكوفة : ٨٢	٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧
قلعة محرز بن زياد : ٢٠٥	قرمونة : ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٩ ،
قلمرية : ٣٦٩	٩٨ ، ٩٩
قمر (أم أبي يعقوب يوسف) : ٣٢٣	قريش : ٨٠
قنطش : (جبل) : ٤٢	قطنطين بن هيلان : ٣٥١
القوطا : ٧ ، ٩ ، ٣٦٦	قسنطينة المغرب : ١٨١ ، ٢٠٦ ،
ابن القوطية : ٩	٢٧٢ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٤٧ ،
القيروان : ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ٢٠٤ ،	٢٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ،
٢٠٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٣٤٧ ،	٣٥٥ ، ٣٥٧
٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨	القسنطينية : ٦ ، ٢٧٢ ، ٣١٤ ، ٣٥١ ،
قيس بن زهير العبسي : ٧٨	قشتالة : ٧٣ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ٣١٩ ،
قيس بن عيلان : ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٧	٣٢٠ ، ٣٦٨

٣٦٨  
 ابن اللبانة : ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،  
 ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٤ ، ٥٠  
 ١٦١ ، ١٦٠  
 لبلة : ٤٦ ، ٧١ ، ٣٧٤  
 لبونة بنت محمد بن الحسن بن قنون  
 (أم المعتلى) : ٥٢  
 لبيب العامري : ١٢٢  
 لبيد : ١٦٩  
 لحم : ٩٤ ، ١٤٩ ، ١٥٨  
 لدريق : ٩ ، ١٠ ، ١١  
 لسان الدين (ابن الخطيب) : ١٤٦  
 لطيم الجن = عمرو بن سعيد الأشدق  
 لتونة : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،  
 ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٦٨ ،  
 ٢٦٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠  
 لمطة (قبيلة = مدينة) : ٣٤١ ، ٣٥١  
 أبو لب : ٢٧٥  
 لوجار بن لوجار (ابن الدوقة) : ٢٢٨  
 ٢٢٩ ، ٢٥٣  
 أبو لؤلؤة : ٨٠  
 الليط (حصن) : ١٣٢  
 ليون : ٣٢٠ ، ٣٦٩  
 (م)  
 بنو ماء السماء : ١٤٩  
 ماردة : ٣٣٥  
 ابن مارتين = ابن مردنيش

قيصر : ٧٨ ، ١٥١  
 (ك)  
 كافور الحصى (كافور بكرة) : ٢٣٦ ،  
 ٢٤٤ ، ٢٦١  
 الكباشي الكاتب : ٢١٤  
 كتامة : ٣٥٠  
 ابن كثير : ٢٠٦  
 كثير عزة : ١٠٥  
 كربلاء : ٨١  
 الكرد : ٢٨٨  
 كريت = أقریطش  
 ألكست : ٢٦١  
 كسرى : ١٥١  
 الكعبة : ٨٢ ، ٢٩١  
 الكايبون : ٢٥٢  
 كليب : ٧٨  
 كارش (حصن) : ٦٣  
 كمال الدين القراوى = محمد بن أحمد  
 ابن صاعد  
 الكوفة : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣  
 كولبوس : ٦  
 كومية (قبيلة) : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٣٣١ ،  
 ٣٤٢  
 كندة (قبيلة) : ٧٨  
 كونكة (مدينة) : ٣٦٨  
 الكيا الهراسي : ١٧٨  
 (ل)  
 لاردة (مدينة) : ٥٨ ، ٧١ ، ٢٠٨ ،

المتوكل بن الأفضس = المتوكل بن المظفر	مارتلة (حصن) : ١٣٤ ، ٢١١ ، ٣٧٤
المتوكل العباسي : ٨٤	مازونة (بلدة) : ٣٥٧
المتوكل بن المظفر بن الأفضس : ٧٤ ،	مالقة : ٧ ، ٨ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٠ ،
١٢٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٧٥	٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ،
المتوكل على الله بن هود : ٣٣٥ ، ٣٢٦	٦٩ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ،
متيجه : ١٨٢	٢٣٠ ، ٣٣٠ ، ٣٧١
مجاز الأندلس : ٣٦٧ ، ٣٦٨	مالك بن أنس : ١٩ ، ٢١ ، ٤٢ ، ٤٩ ،
مجاز الزقاق : ٤٣	١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٧٩
مجاهد العامري : ٧٢ ، ٧٤ ، ١٤٩	مالك بن وهيب : ١٨٥ ، ١٨٦
المجلد : ٢٨٤	مانطس = بحر مانطس
المجسطى : ١٨٥	مائدة سليمان بن داود : ١٢
بنو مجير : ١٩٦	مأرب : ٧٨
محسن بن حماد (محسن بن القائد بن	المأمون = القاسم بن حمود
حماد) : ٢٠٥	المأمون بن ذى النون : ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :	١٢٩ ، ١٣٠
١٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،	المأمون العباسي : ٢٠ ، ٨٤
٢١٦	المأمون بن المعتمد (أبو النصر) : ١٣٠ ،
محمد بن أحمد بن صاعد القراوى	١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤
( كمال الدين ) : ١٤	المأمون بن المنصور الموحدى = إدريس
محمد بن إدريس الشافعى : ٤٦	ابن أبي يوسف المنصور
محمد بن إدريس بن علي المهدي : ٦٢ ،	المبارك (قصر) : ١٢٥ ، ١٢٩
٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨	ابن مبارك (صاحب شقورة) : ١٢٣ ، ١٢٤
محمد بن إدريس بن يحيى المستعلى : ٦٨	مبارك الصقلي : ١١٢
محمد بن إسحاق التيمى (أبو عبد الله) : ٢٨	المبارك بن عبد الجبار : ١٧٨
محمد بن إسحاق بن محمد بن غانية :	مبشر الحصى الحاجب : ٣١١ ، ٢٢٤
٢٧٠ ، ٢٧٦	مبشر العامري (الناصر) : ١٥٠ ،
محمد بن إسماعيل بن عباد = محمد بن	١٥١ ، ١٥٤
عباد القاضى	المتنبى = أبو الطيب

٧٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٤، ٥١

٩٦، ٩٤

محمد بن عبدربه (أبو عبدالله) : ٩٢ ،

٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام

الربضي : ٢٢ ، ٢٦٤

محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله =  
المستكني

محمد بن عبدالرحمن بن عياش (أبو عبدالله)

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣١١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

محمد بن عبدالعزيز بن أبي يعقوب : ٣٣٢

محمد بن عبدالله البرزالي : ٦١ ، ٦٢

محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني

(أبو عبدالله) : ٣١٢ ، ٣١٣

محمد بن عبدالله بن قاسم (أبو عبدالله) : ٥٧

محمد بن عبد الله المظفر = المظفر بن  
الأفطس

محمد بن عبد المؤمن : ١٩٨ ، ٢٣٦

أبو محمد بن عفيف : ٣٥٦

محمد بن علاجة : ٤٠

محمد بن علي بن أبي عمر ابن الضمير

(أبو عبدالله ، أبو يحيى) : ٣١٠

محمد بن علي بن غانية : ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،

٢٦٩

محمد بن عمار (أبو بكر) = ابن عمار

الشاعر

محمد بن عيسى : ٢٩٦

محمد بن عيسى الداني = ابن اللبانة

محمد بن عيسى بن عمرو بن الجلودي : ١٤

محمد بن أسود : ١٨٦

محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري : ١٤

محمد بن بشير القاضي : ٢٨

محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر) :

٢٤٩ ، ٤٧

محمد بن جهور (أبو الوليد) : ٦٠

محمد بن حبوس القاسي (أبو عبدالله) :

٢١٣ ، ٢١٤

محمد بن الحسن الزبيدي (أبو بكر) :

٢٠ ، ٥١ ، ٩٤

محمد بن أي حفص عمر ومزال

(أبو عبدالله) : ٢٦٣ ، ٢٨٣ ، ٣٣٧

محمد بن حمدين (أبو عبدالله) : ١٧٢

محمد بن الحنفية : ٨٢

محمد بن أبي الخصال (أبو عبدالله) : ١٦٧ ،

١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦

محمد بن سعد = ابن مردنيش

محمد بن أبي سعد الجنفيسي : ٢٧٢

محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي

(أبو عبدالله) : ٣٥٦

محمد بن السليم : ٢٨

محمد بن سليمان بن الحكم : ٤٤

محمد بن طاهر (أبو عبدالرحمن) : ١٢١

١٢٢

محمد بن طفيل (أبو بكر) = ابن طفيل

محمد بن أبي عامر = المنصور بن أبي عامر

محمد بن عباد اللخمي القاضي (أبو القاسم) :

محمد بن أبي يوسف النصور (أبو عبد الله):

= الناصر محمد

محمد بن أبي يعقوب: ٢٤٥، ٢٦٢

محمد بن يوسف بن هود (أبو عبد الله) =

المتوكل على الله

الحيط الأطلسي = اقبانوس

مخارق: ١٦٩

المختار بن عبيد الثقفي: ٨٢

ابن مخلوف: ٢١٠

المدينة: ٢١

مذحج: ٧٨

المرابطون: ٥، ٧٤، ٧٥، ٨٦، ٩٤

١٠٠، ١٠١، ١٠٥، ١٣٠، ١٣٤

١٣٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦

١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٢، ١٩٣

١٩٤، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤

٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢٧٤

٢٨٣، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٨

مراكش: ٥، ٨٩، ٩١، ١٠٠، ١٠٦

١٣٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٦

١٥٥، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧

١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣

٢٠٤، ٢٠٧، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٤٦

٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦

٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٧

٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨

٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠

محمد بن غالب البلنسي (أبو عبد الله) =

الرصافي الرفاء

محمد بن الفضل الكاتب: ٣٠٨

محمد بن أبي الفضل الشيباني أبو عبد الله: ١

محمد بن القاسم بن حمود: ٥١، ٥٢

٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧٣، ٩٤

محمد بن لب: ٧١

محمد بن محمد بن القبطرنة = ابن القبطرنة

محمد بن مروان (أبو عبد الله): ٢٦٤

٣١٢

أبو محمد المصري (الطيب): ١٠٥

محمد بن معن بن صمادح (أبو يحيى) =

المعتصم بن صمادح

محمد بن موسى الضير: ٢٣٧

محمد بن أبي نصر الحميدي (أبو عبد الله)

٢٨، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٥

٤٦، ٦٩

محمد بن هاني (أبو القاسم، أبو الحسن) =

ابن هاني الأندلسي

محمد بن هشام بن عبد الجبار (للهدى)

٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٥٤

محمد بن واسع (أبو عبد الله): ٢٨٦

أبو محمد واسنار: ٣٣٨

محمد بن يحيى (أبو عبد الله): ٣٢، ٣٣

محمد بن مخلف بن أحمد الفازاري

(أبو عبد الله) ٣١٢، ٣٢

محمد بن يريم الألهاني ٥١، ٩٤

ابن الناصر : ٢١٥	٣١٨، ٣١٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣١٤
مروان بن محمد : ٨٣، ٨٤	٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣١٣، ٣٢٢
مروان بن موسى بن نصير : ٩	٣٤١، ٣٣٨، ٣٣٦، ٣٣٤، ٣٣٣
الروائية ( الدولة ) : ١٧	٣٦٠، ٢٥٩، ٣٥٨، ٣٥٧، ٣٥٤
مريم الصنهاجية : ٣٣٠	٣٦٤، ٣٢٠، ٣٦١
بنومرين : ٣٣٦	المرضى أبو جفض بن اسحاق : ٣٢٦
المرية : ٧، ٨، ٦٨، ٧٤، ١٣٢	مرج راهط : ٨٢
١٣٦، ٨٦، ٢١٠، ٢١١، ٢٦٣	مردنيش : ٢٠٩
٣٦٣، ٣٧٠، ٣٧١	ابن مردنيش : ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١
بنومرغنة ( بنومرغنان ) : ٢٥٣، ٢٥٥	٢٣٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠
مزنة ( أم الهدي ) : ٤١	بنو مردنيش : ٢٤٨
مساعد بن أبي يوسف النصور : ٢٦٢	مرزدغ بن حيان : ٢٥١
المستعين العباسي : ٨٤	مرسية : ٧، ٨، ١٠، ١٢، ١٢٣، ١٢٤
المستعين بن هود = سليمان بن محمد بن هود	١٢٣، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٧، ٢٠٨
المستكني بالله محمد بن عبد الرحمن : ٥٤	٢٠٩، ٢١٠، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٤
٥٦، ٥٥	٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩٣
المستنصر الأموي : ٢٥، ١٢١	٢٩٥، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٣٨
المستنصر العبيدي : ٢٠٤، ٢٠٦	٣٧٠، ٣٧٥
مسجد الرايات : ١٠	مرو : ٧٩
مسجد الرباط : ٢٦٦، ٣٥٩، ٣٧٣	بنومروان : ١٧، ٢٥، ٧١، ١٢٩
مسجد العباد : ١٨٣	٢١٦، ٢٢٦
مسجد بن أبي عثمان بقرطبة : ٥١	أبومروان = عبد الملك بن أبي العلاء زهر
مسجد ملاثة : ١٨١	مروان بن الحكم : ٨٠، ٨٢
مسعود بن سليمان بن مفلت الفقيه	أبومروان ابن حيان : ٢٠، ٢١، ٣٨
( أبو الحيار ) : ٣٦	٣٧٢
مسكالة ( قبيلة ) : ١٩٤، ٣٣٨	أبومروان بن أبي الخصال : ١٧٣، ١٧٦
مسلم : ١٤، ٢٣٨	أبومروان بن رزين : ٧٢
مسلمة بن ذهل = ابن زياية التيمي	مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك

المظفر بن عبد العزيز : ١٢٢  
المظفر بن المنصور أبي عامر = عبد الملك  
ابن المنصور  
معاوية بن أبي سفيان : ١٥ ، ٨٠ ، ٨١  
معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي : ١٧  
العتد بالله = هشام بن محمد بن عبد الملك  
العتد بالله بن العتمد : ١٤٢ ، ١٤٣  
العز العباسي : ٨٤  
العزلة : ١٨٨  
العتصم بن صامح : ٧٤ ، ١٣٢ ، ١٣٥  
١٣٦ ، ١٣٧  
العتصم بن الناصر الموحدى : ٣٠٨ ،  
٣٣٤ ، ٣٣٥  
العتضد بالله العبادى : ٦٩ ، ٩٥ ، ٩٦  
٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١  
١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦  
١١٧ ، ١٣٠  
العتضد بن السأمون الموحدى : ٣٣٥  
٣٣٦  
العتلى بن حمود الأموى = يحيى بن طى  
العتمد بن عباد : ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٩  
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥  
١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧  
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣  
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨  
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤  
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠  
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨

مسلمة بن سليمان الستين : ٤٤  
مسلمة بن عبد الملك : ١٦  
مسوفة (قبيلة) : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٧٧ ،  
٢١٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١  
مشريط (مدينة) : ٣٦٨  
المصامدة : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠١  
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠  
١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦  
٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠  
٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧  
٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٦  
٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١  
٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٢٦٠  
٣٧٤  
مصر : ١٥ ، ٢٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٦٩ ،  
١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ٢٦٣ ،  
٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٩  
٣١٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨  
٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦  
مصعب بن الزبير : ٨٢  
مضر : ٧٧  
المضرية : ١٧  
المضيق : ٣٣٤  
المطرز = غلام ثعلب  
ابن مطرف = أحمد بن ابراهيم المرى  
المظفر بن الأفطس : ٧٤ ، ٧٥ ، ١٣٩  
بنو المظفر بن الأفطس : ٧٥ ، ٨٥  
مظفر الصقلبي : ١٢٢

ابن ملكون (أبو اسحاق): ٢٣٧	١٠٦٤، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩
مليانة (بلدة): ٣٥٧	٢٥٤
مليانة (مدينة): ٦٨، ١٧	معرة النعمان: ١٦٩
بنو مناد: ٢٠٤	المعز لدين الله العبيدي: ١١١، ٢٠٤
المنتصر الصنهاجي: ٢٠٦	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٤، ٣٥٠
المنتصر العباسي: ٨٤	المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين:
المنتصر العبيدي: ٢٠٦	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٤، ٣٤٨
المنذر بن سعيد البلوطي (أبو الحكم): ٣٧٣	المعمورة: ٣٦٤
المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم	معن بن صادق: ١٣٦
الريضي: ٢٢	المغيرة: ٢٥
المنذر بن هشام: ١٩	المغيرة بن شعبة: ٨٠
النستير (مدينة): ١٨٠	المقتدر بن هود: ٧١، ٧٤
المنصور بن إسحاق بن محمد بن غانية: ٢٧٠	المقرئ: ٢١، ٢٩، ٣٧، ٤٠، ٥٦
المنصور بن بلكين الصنهاجي: ٢٠٤،	٦٣، ٦٨، ٦٩، ١٠٣، ١٤٤،
٢٢٤، ٢٠٦	١٤٥، ١٤٦، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦،
المنصور بن أبي عامر: ٢٦، ٢٧، ٢٨،	٢٦٤، ١٧٤، ٢٨٤، ٢٩٧،
٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤،	مكادة (مدينة): ٣٦٨
٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٦،	مكة المكرمة: ١٤، ٢٥، ٨٠، ٨٤،
٥٦، ٧٢، ٧٤، ١١١، ١٢١،	١٧٩، ٢٤٦،
١٢٢، ١٥٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧،	مكناسة (مدينة): ١٧، ١٤٦، ٢٠٢،
٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧٣	٢١١، ٢٥٥، ٢٧٧، ٣٥٩،
المنصور أبو يوسف = أبو يوسف	٣٦٢، ٣٦٤
منكب (حصن): ٦٩، ٣٧١	ملالة (ضبعة): ١٨٠، ١٨١
منورقة (جزيرة): ٢٦٨، ٣١٧	المثمون: ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ٢٧٤،
المهيدية: ١١١، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٥،	ابن الملح الشلبي: ٢١٤
٢٠٥، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٤، ٢٣٠،	ملك صقلية = لوجار بن لوجار
٢٢١، ٢٠٢، ٣١٧، ٣٤٩، ٣٥٠،	الملك العادل الأيوبي: ٢٧٠
٣٥٦	ملكة الصنهاجية: ٣٣٠



موسى بن علي الضرير (أبو عمران) :

٢٢٧ ، ٣٢٨

موسى بن عفان السبتي : ٦٦

موسى بن عكاشة = ابن عكاشة

موسى بن عمر ومزال : ٣٣٧

موسى بن عيسى التازي (أبو عمران) :

٢٤٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٥

موسى بن نصير : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٧١

الموصل : ٣١

مونت قوط : ١٢٢

المؤيد بن عبد الله الطوسي : ١٤

ميدمان بن يزيد : ٣٤ ، ٣٥

ميلة (بلدة) : ٣٥٧

ابن ميمون = أبو عبدالله

مينورقة (جزيرة) : ١٥٠ ، ٢٦٨ ، ٣١٧

ميورقة (جزيرة) : ١٤٧ ، ١٥٠ ، ٢٠٠ ،

٢٠٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

الميورقيون : ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،

٢٧٤ ، ٣١٤ ، ٣١٦

(ن)

الناصر بن أبي عامر المنصور : ٤٠

٤١ ، ٤٤

الناصر بن علناد : ٢٠٥

الناصر محمد بن أبي يوسف المنصور :

٩١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،

٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،

٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،

المهدي = ابن تومرت

المهدي رأس دولة العبيديين : ٢٢٩

المهدي العباسي : ٨٤

المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار : ٤٦

المهلب بن أبي صفرة : ١١١

المهلهل بن ربيعة : ٧٨

مؤنة : ٨٠

المؤمن بن هود : ١٢٣

الوحدون : ٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٨

١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ،

٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،

٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،

٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ،

٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ،

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ،

٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،

٣٤٣ ، ٣٥٨

موسى (عليه السلام) : ١٢٤ ، ٢١٦

موسى بن أبي يعقوب : ٢٤٥ ، ٢٣٠ ،

٣٢٢

موسى بن الأمين : ٨٤

موسى بن رزق : ٢٢٢

موسى بن عبد المؤمن : ١٩٨ ، ٣٣٠

النيل ٣٤٧  
 (هـ)  
 هاجر: ٣٠٩  
 هارون (عليه السلام) ١٢٤  
 هارون الرشيد = الرشيد  
 ابن هانيء الأندلسي ١١١، ٢٩٢، ٢١٣  
 يوم الهباءة ١٣١  
 المهضجف بن فيدقان بن يثربي: ٣٣  
 الهندلي ١٢٧  
 هرغة (قبيلة) ١٧٨، ٢٣٤، ٢٣٩  
 ٣٤٢، ٣٤١  
 هرمز ٧٩  
 أبو هريرة: ١٤  
 هريرة (قبيلة): ٣٤١  
 هزمير (قبيلة) ٣٤١  
 هسكورة (قبيلة) ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٤١  
 هشام بن بشر الواسطي ١٥  
 هشام بن الحكم = هشام المؤيد  
 هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر  
 ٥٤، ٤٢، ٤١  
 هشام بن عبد الرحمن الداخل ١٩  
 هشام بن عبد الملك ١٣، ٢٥، ٨٣، ٣٥٠  
 هشام بن محمد بن عبد الملك (المعتد بالله)  
 ٥٩، ٥٨، ٥٧  
 هشام المؤيد بن الحكم السننصر، ٢٦،  
 ٢٧، ٣٠، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣،  
 ٤٤، ٥٦، ٢١٧، ٣٦٧

٣٢٧، ٣٢٥، ٣٢٢، ٣٢٢، ٣٢١  
 ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨  
 ٣٤٤، ٣٣٧، ٣٣٥  
 نبيل الصقلي: ٧١  
 نجا الخادم الصقلي: ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٧  
 نجاج الميورقي: ٢٧٦  
 النسائي: ٢٧٩  
 نصر بن خزيمه: ٨٣  
 النصارى: ٤٢، ٧١، ٧٣، ٢١٠  
 ٢١١، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٥٧، ٣٢٢  
 ٢٣٥، ٣٦٨، ٣٦٩  
 أبو النصر بن المعتد = المأمون  
 نصير بن مردنيش: ٢٥٠  
 النعمان بن المنذر: ٧٩، ٩٤، ١٤٩  
 ١٥١  
 النعيم (موضع بمكة): ٨٠  
 نعيم اللخمي (جد بني عباد): ٩٤  
 بنونقرة: ١٦  
 نفضة (بلد): ٢٣٠  
 نقاوس (مدينة): ٣٥٥  
 نول لمطة (مدينة): ٣٦١  
 نهر أبرو: ٧١  
 نهر أشميلييه: ٢٢١  
 نهر تاجو، ١٦٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٣٧٥  
 نهر السوس: ٣٦٥  
 نهر ورغة: ٣٦٤  
 النورمانديون ٢٥٢  
 نيسابور ١٤

وبذة (مدينة) : ٢٥٠ ، ٣٦٨  
 ورغة (نهر) : ٣٦٤  
 وركناس (حصن) : ٣٦٢  
 الوزغى = أحمد بن محمد بن يحيى  
 اوصى = على بن أبي طالب  
 وطا عمره (موضع) : ٢٧٣  
 ولادة بنت المستكفي : ١٠٥ ، ٥٧ ،  
 ١١٠ ، ١٠٦  
 أبو الوليد بن رشد = ابن رشد  
 الوليد بن سليمان : ٤٤  
 أبو الوليد بن ضابط النحوى الملقب : ٨٨  
 وليد الطائي = البحترى  
 وليد بن محمد الكاتب : ٤٥  
 الوليد بن يزيد بن عبد الملك : ١٥ ، ٨٣  
 ونشريس : ١٨١  
 ابن وهبون = عبد الجليل  
 وهران : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٦٤ ،  
 ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢  
 (ي)  
 ياره : ٧٥ ، ٣٦٩  
 يابسة (جزيرة) : ١٥٠ ، ٢٦٨  
 ياقوت الحموى : ٣٧ ، ١٢٣  
 أبو يحيى صاحب الشرطة = أبو بكر بن  
 عبد الله بن أبي حفص الوزير  
 أبو يحيى (أخو عبد المؤمن) : ٢٨١  
 أبو يحيى (أخو أبي يوسف المنصور) :  
 ٢٨٠ ، ٢٨١

هلال أبو القمر = هلال بن محمد بن  
 مردنيش  
 بنو هلال : ٢٧٤ ، ٢٨٩ ، ٣٥٦  
 بنو هلال بن عامر : ٢٠٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥  
 هلال بن محمد بن مردنيش (أبو القمر) :  
 ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥  
 ابن همشك : ١٢٣ ، ٢١١ ، ٢٤٨  
 هنتانة (قبيلة) : ٣٤٠ ، ٣٤١  
 الهنتاني = عمر بن أبي زيد  
 الهند : ٢٥٤  
 ابن هند = معاوية بن أبي سفيان  
 هند بنت عتبة : ٨١  
 بنو هود : ٥٨ ، ٧١ ، ١٢٣ ، ٢١١ ،  
 ٣٣٥  
 هود بن عبد الله الجذامي : ٧١  
 هيكل الزهرة : ٦  
 هيلانة : ٣٤١  
 (و)  
 الواثق بن المعتصم بن حمود = القاسم  
 بن المعتصم  
 وادى آرو : ٢٨ ، ٤٢  
 وادى آش : ٣٧٠ ، ٣٧١  
 وادى الرمان : ٣٥٩ ، ٣٦٤  
 الوادى الكبير (نهر بجاية) : ٣٦٤  
 وادى ملوية : ٣٦٤  
 واسنار = أبو محمد واسنار  
 واضح الصقلي : ٤٢  
 وانسيفن (موضع) : ٣٦٤

يحيى بن غانية : ٣ ، ٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،

٣٤٨ ، ٣١٧

يحيى بن محمد بن طفيل : ٢٤٠

يحيى بن محمد الناصر = المعتصم بن الناصر

يحيى بن يحيى الليثي : ١٥ ، ١٩

يحيى بن أبي يعقوب يوسف

(أبو زكريا) : ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥

٢٦١ ، ٢٧٥

يزدجرد : ٧٩

يزيد الراضي بن المعتد بن عباد

(أبو خالد) : ١٢٧ ، ١٤٢ ،

١٤٣ ، ١٤٤

يزيد بن أبي سفيان : ٤٦

يزيد بن عبد الملك : ٨٣

يزيد بن قاسط [ ابن قسيط ] السكسكي

المصري : ١٤

يزيد بن معاوية : ١٥ ، ٨١

يسرب : ٣٩ ، ١٧

يعقوب (من ولد عمر بن عبد المؤمن) :

٢٧٣

أبو يعقوب الثاني = يوسف بن محمد بن

أبي يوسف

يعقوب بن عبد المؤمن ١٩٨

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن =

أبو يوسف المنصور

أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن :

١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٣

٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠

يحيى بن إبراهيم بن جامع : ٣١١

يحيى بن أبي إبراهيم الهزرجي

(أبو زكريا) : ٢٢٧

يحيى بن إدريس بن حمود : ٦٢ ، ٦٣

يحيى بن إسحاق بن غانية : ٢٧٠ ، ٢٧٢

٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣١٣ ، ٣١٨

يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن =

المأمون بن ذى النون

يحيى بن إسماعيل الهزرجي : ٢٣٤

يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين :

١٩٩ ، ٢٠٠

يحيى بن تميم بن المعز بن باديس : ١٧٩ ، ٢٠٥

يحيى بن حسن بن تميم الباديبي : ٢٢٩

يحيى بن أبي حفص عمرو و منال : ٣٣٧

يحيى بن خالد البرمكي : ٨٤

يحيى بن زكريا التيمي (ابن برطل) : ٣٩

يحيى بن زيان : ٣٣٦

يحيى بن عبد المؤمن : ١٩٨

يحيى بن العزيز بن المنصور بن المتصر

الصنهاجي : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١

٣٥٤ ، ٣٥٣

يحيى بن علي بن حمود (المعتلى) : ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٩٤

يحيى بن علي بن غانية : ٢٦٧ ، ٣٤٨

يحيى بن عمر بن عبد المؤمن : ٣٢٦

يوسف بن عبد الرحمن الفهري : ١٥

١٧، ١٦

يوسف بن عبد الله بن إبراهيم بن جامع :

٢١١

يوسف بن عبد المؤمن بن علي =

أبو يعقوب

يوسف بن عيسى الأعمى (أبو الحجاج) :

١١٤

يوسف بن عيسى التازي : ٢٤٦

يوسف بن محمد بن أبي يوسف المنصور

(أبو يعقوب الثاني) : ٢٦٦، ٢٦٣

٢٢٨، ٢٢٥، ٢٢٣، ٣١١، ٣٠٨

٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢١، ٢٢٩

يوسف المراني (أبو الحجاج) : ٢٣٨

٣١٢

أبو يوسف المنصور أمير المؤمنين : ٨٩

٢٢٧، ٢٢٦، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤

٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٣٤

٢٦٣، ٢٦١، ٢٥٩، ٢٥٦، ٢٥٠

٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧٠، ٢٦٦

٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥

٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠

٣٠٠، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٨٦

٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠١

٣١٩، ٣١٧، ٣١٤، ٣١٣، ٣٠٩

٢٢٦، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١

٢٤٨، ٢٤٤، ٣٤٢، ٣٣٠، ٢٢٧

٣٦٠، ٣٥٩

٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣،

٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،

٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٩، ٣١٠، ٣١١،

٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٩، ٣٣٠،

٣٣٦، ٣٣١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٨،

٣٥٩

يعقوب بن أبي يعقوب = أبو يوسف

المنصور

يعلى بن أبي زيد : ٥٥

يفرن : ٥٢، ٦٦، ٦٨

أبو اليقظان = عمار بن ياسر

البيامة : ٧٧

البيانية : ١٦، ١٧

البنين : ٣٢، ٧٧، ٧٨، ٢٠٩

اليهود : ٢٨٢، ٣٠٤، ٣٠٥

يوسف بن تاشفين اللمتوني : ٥، ٧٤

٧٥، ٩٣، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣

١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨

١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٥٥، ١٦١

١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠

١٧٧، ١٨٥، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٥٤

٢٨٣، ٣٦٠

يوسف بن سعد الرئيس بن مردنيش :

٢٤٩

يوسف بن سليمان : ١٩٣، ١٩٤، ٢٣٨

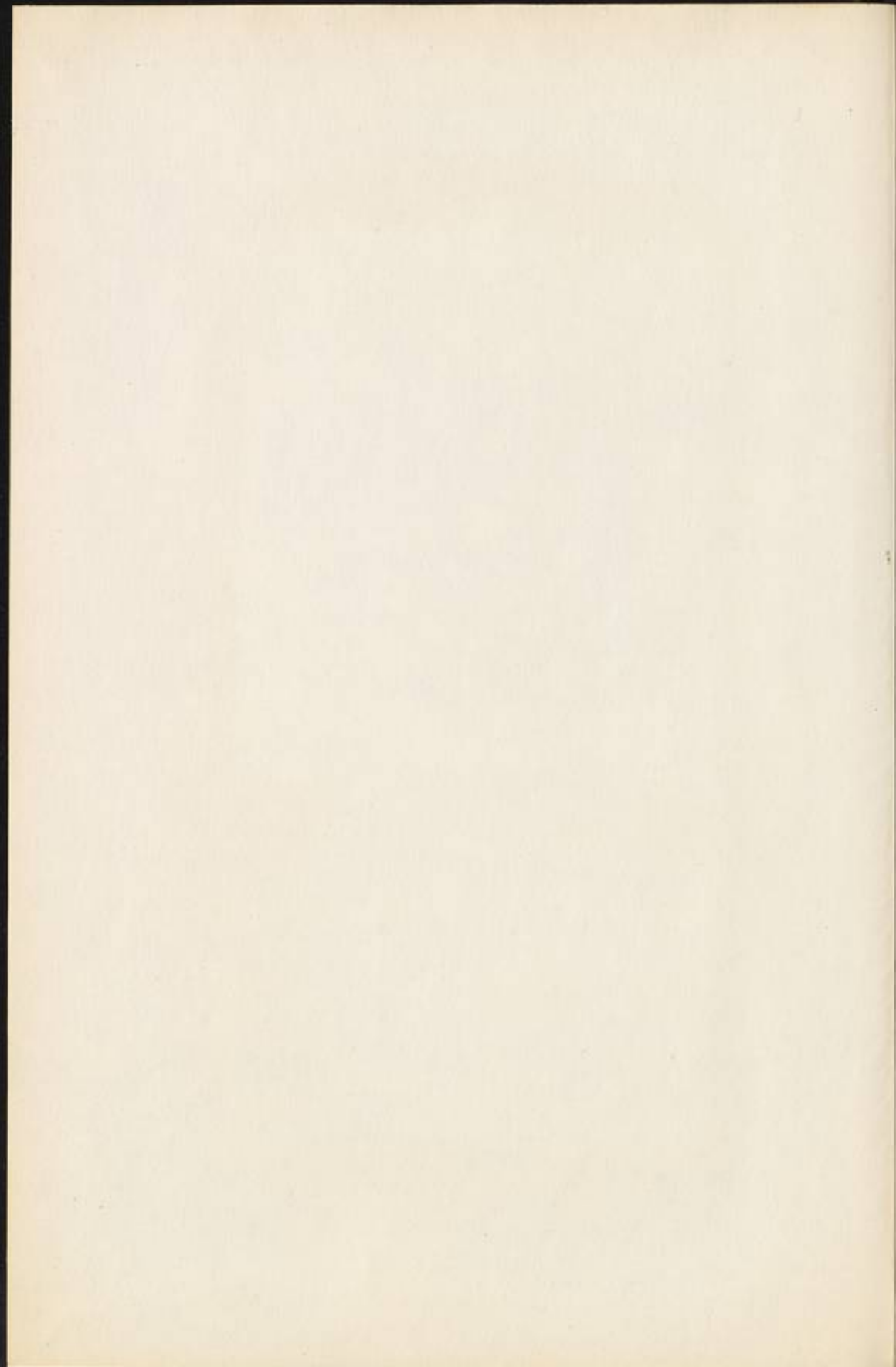
يوسف الصديق (عليه السلام) : ٤٨

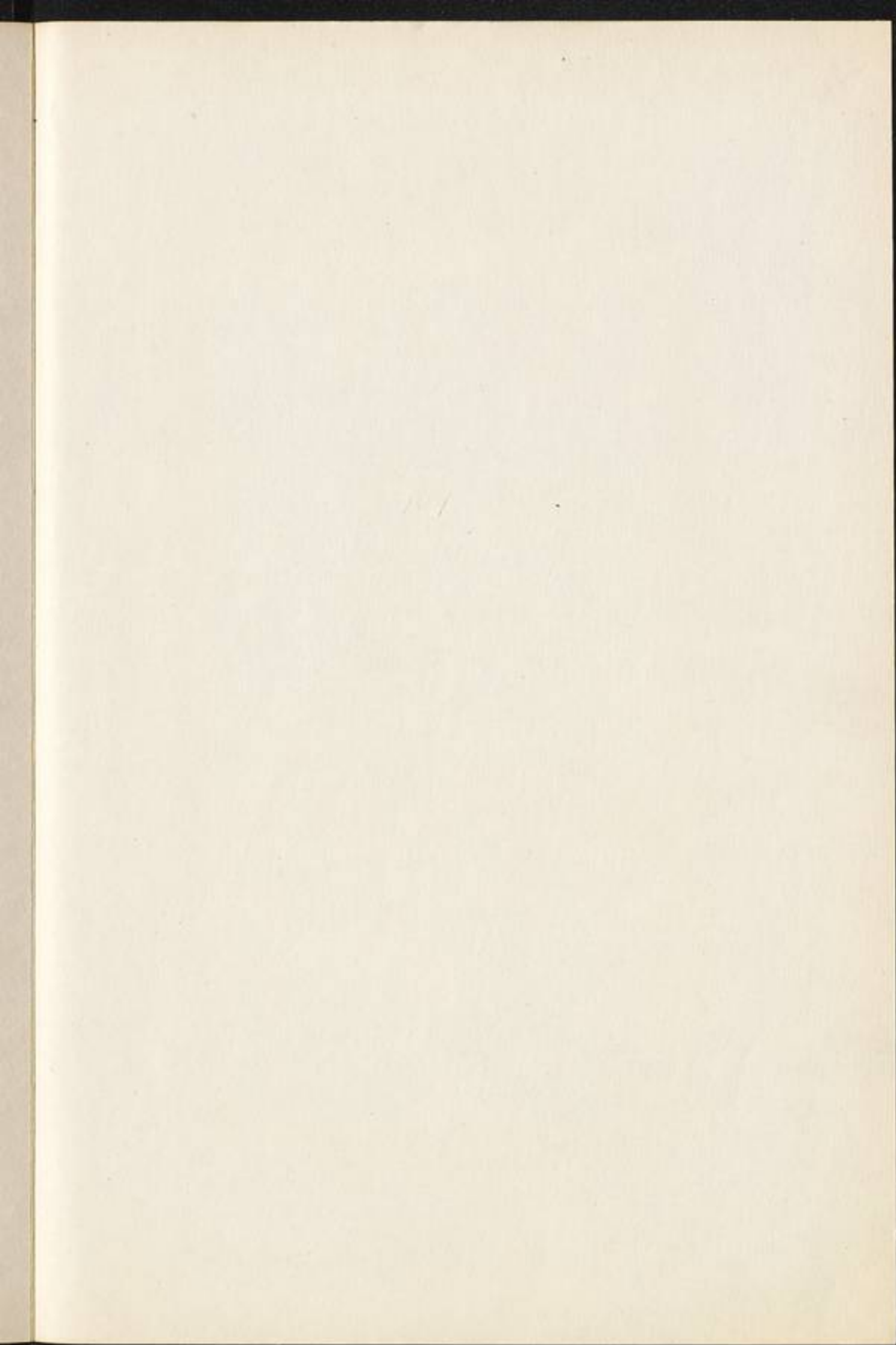
يوسف بن هارون الرمادى (أبو عمر) :	يوم مؤتة : ٨٠
٣١ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣	يوم الهبأة : ١٣١
يوشع : ٢٢٢	ابن يونس : ٢٧٩ ، ٢٧٨
يوليان : ٩	بنو يونان : ٧٧
يوم الجمل : ٨٠	يونس بن أبى حفص عمر ومزال : ٣٣٧
يوم الرجيع : ٨٠	يونس بن أبى يوسف المنصور : ٢٦٢
يوم القليب : ٨٠	

### تقدير

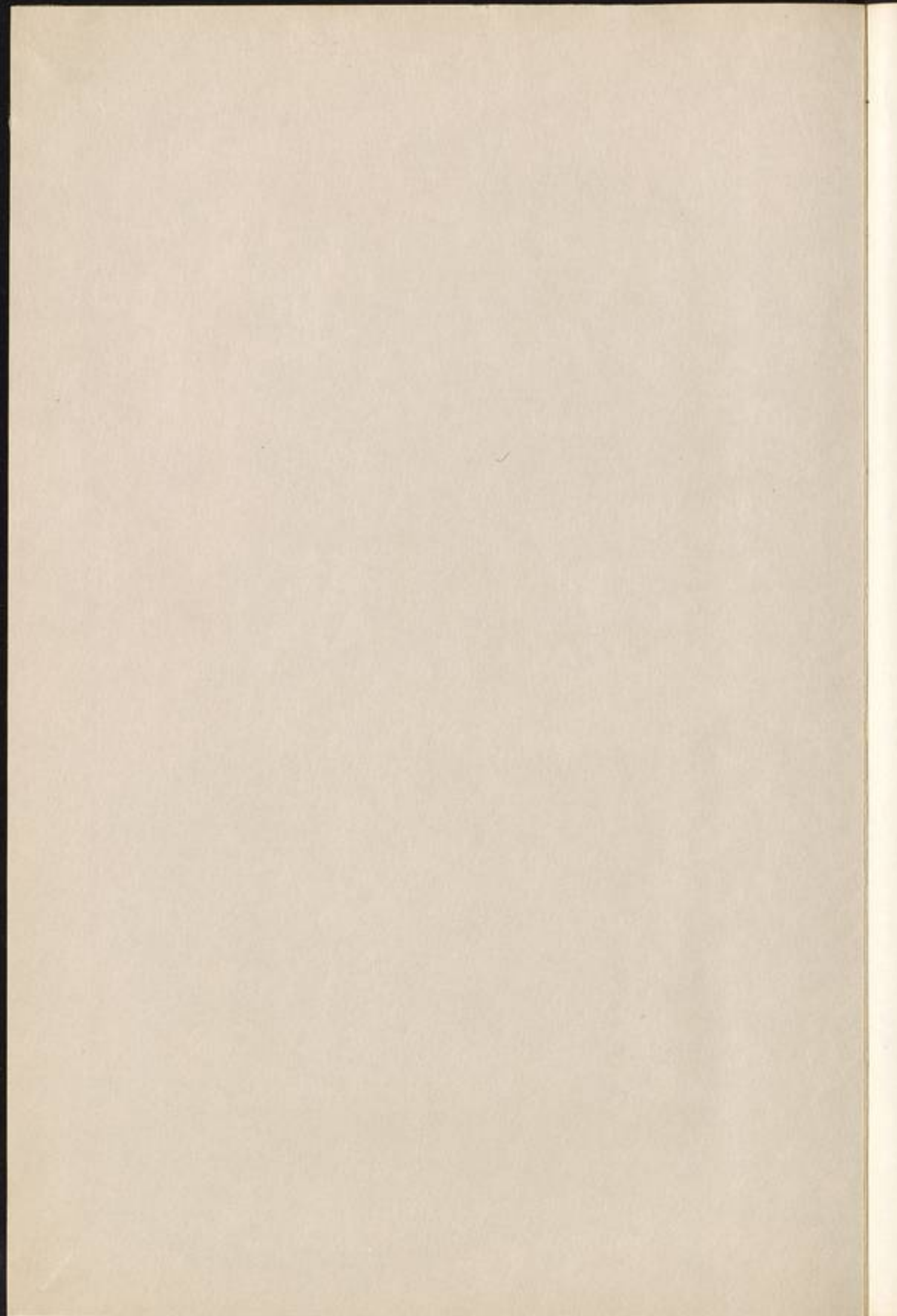
شارك في وضع هذا الفهرس الأديب الفاضل الأستاذ عبد الستار كمال خريج

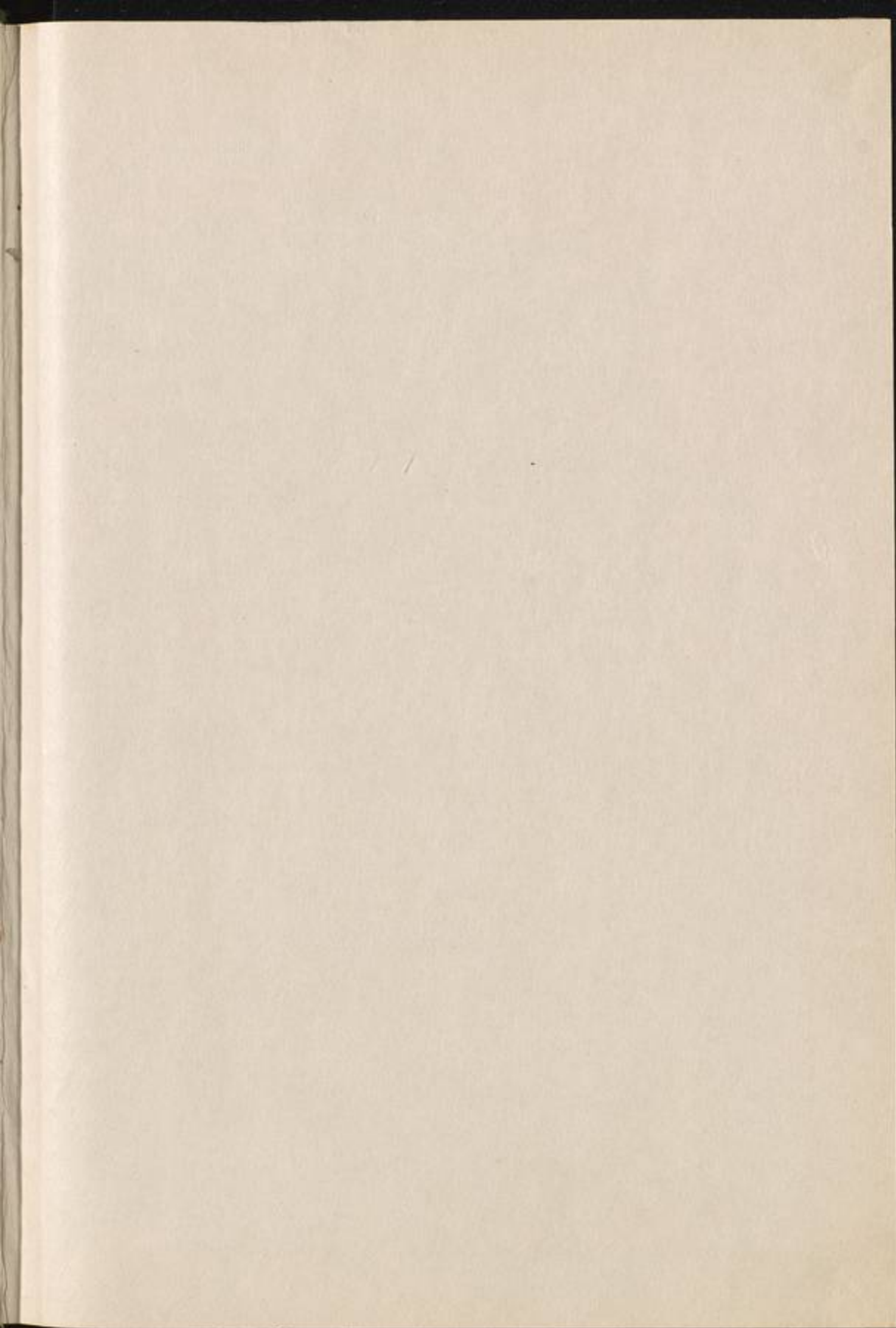
كلية دار العلوم = جامعة فؤاد الأول بالقاهرة؛ فشكر له معونته











893.7Ab31  
R423

SEP 11 1963

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58865764

893.7Ab31 R423 Mujib fi talkhis akh